محسن محمد

من قتل حسن البنا؟



دار الشروق

من قتل حسن البنا ؟

الطبعـــة الأولى

رجب ١٤٠٧ هـ - مارس ١٩٨٧ م

الطبعـــة الثـــانية

رجب ١٤٠٧ هـ - مارس ١٩٨٧ م

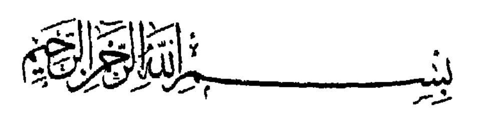
© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE
لندن : ٣١٨/٣١٦ ريجنت ستريت - لندن دبليو ١ - هاتف ٢٧٤٣/٤ ٦٣٧ - تلكس : SHOROK 25779 G

محسن محمد

من قتل حسن البنا ؟

دار الشروق


بسم الله الرحمن الرحيم

الإمـام

رفعه أتباعه فوق كل المصلحين وأئمة الإسلام في العصر الحديث

قالوا إنه جمع بين تطور فكر محمد عبده وشجاعة جمال الدين الأفغانى . وتفوق عليهما لأنهما تركا مبادئ ولم يبنيا حركة منظمة . أما الشيخ حسن أحمد عبد الرحمن البنا ، وشهرته حسن البنا ، فقد أقام تنظيم الإخوان المسلمين

لم يحاول الدخول فى التفسيرات والشروح والاجتهادات الدينية التى خاض فيها رجال الأزهر وعلماء الإسلام ، بل أراد أن يكون مجددا ، يطالب المسلمين بإعادة التأمل فى دينهم .

ولم يهتم بالخلافات بين المذاهب بل حاول تجميع المسلمين رغم خلافاتهم . ووجد فى الإسلام : الدين والدولة ، الوطن والجنسية ، المذهب والقانون . الروح والثقافة . العقيدة والعبادة والقيادة ، الثورة والسيف .

وصفوه بأنه داعية إسلامى من طراز فريد عبقرى ، والعالم الربانى . الفذ الصالح ، الذى لم ينجل مثله العالم الاسلامى منذ قرون !

وقالوا أنه الرجل القرآنى الذى أستطاع أن يبذر فى الأرض بذرة المصحف .

وقال عنه عمر التلمسانى أنه « الملهم الموهوب بطاقة لايحظى بها إلا القليل . جهوده خارجة عن نطاق الجهد العقلى . صاحب فراسة لاتخيب . أستاذ الجميع فى كل شيئ . إمام أنقذ أمة » .

وقالوا أنه « أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه . وفشلت كل محاولات اغرائه بفضل صوفيته الصادقة وزهده الطبيعى » .

* * *

وقف محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر أمام قبره فقال نيابة عن مجلس الثورة المصرى : « صاحب عقيدة .. حرب على الفساد والانحلال ، بقدر ماكان حربا على الاحتلال .. عاش لأمته ووهب لها حياته » .

ذكر فتحى رضوان اسم البنا لأول مرة أمام جمال عبد الناصر فوجده يقول :

ـ كان حسن البنا يبعث على احترامه .

وقال فتحى رضوان إن هذه الشهادة من أكبر الشهادات لمرشد الإخوان . وهى أول شهادة سمعها منه فتحى رضوان عن عظيم من الأحياء أو الأموات !

رآه أنور السادات لأول مرة فوجده « يلتحف بعباءة حمراء لاتكاد تظهر منه شيئا كثيراً إلا البشاشة فى وجهه ، والتواضع فى مظهره والرقة فى حديثه .

ليس فى خطابته وعظ المتدينين ، لا الكلام المرتب ، ولا العبارات المنمقة . ولا الحشد الكثير ، ولا الاستشهاد المطروق ، ولا التزمت فى الفكرة ، ولا ادعاء العمق ، ولاضحالة الهدف ، ولا إحالة إلى التواريخ والسير.

رجل يدخل موضوعه من زوايا بسيطة . ويتجه إلى هذه عن طريق واضح ، ويصل إليه بسهولة أخاذة » .

التقى به أحمد مرتضى المراغى وزير الداخلية السابق فوجده « ذا لحية ، لاهى طويلة ، ولاهى قصيرة .

خفيف الخطى سريع الحركة والكلام .

آية فى الذكاء .

يركز عينيه اللامعتين على محدثه ، يخفى وجهه ، ثم يعود إلى التحديق

دمث المعشر ، حلو الحديث ، خلت طبيعته الدينية من التزمت » .

تكلم الشيخ الباقورى عن ثقافة حسن البنا فقال : « إنه كان يحفظ ديوان المتنبى مضموما إلى ذلك مامتعه الله به من حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسيرة المحمدية المعطرة .

قرأ لابن خلدون والأفغانى ومحمد عبده والغزالى وابن تيمية .

وكان حريصا على اقتناء كل كتاب يظهر »

وصفته مجلة « آخر ساعة » المصرية فقالت :

« وجهه مشوب بمسحة وقار لطيف . حاد الملامح ، بيّن التعابير ، تحت جبين عريض لمّاح بقبس من الذكاء ، تقتعد وسطه « زبيبة صلاة » كبيرة داكنة من أثر السجود .

عيناه هادئتان بسيطتان ، فى بساطتهما لمحة من « عيون المقطم » تحسبها قليلة الغور ، فإذا ألقيت فيها الحجر ، ظل يتدحرج إلى غير قرار .

دائم الابتسام ، فاره القامة . يبدو قويا كشجرة السنديان ، فى صوته عمق وعرض وطول ، وللسانه سحر .

إذا تكلم يتلاعب بالألباب ، وقد أمده الأدب العربى ، على شتى أصوله ، بفيض هائل من الآيات والأحاديث ، وأمجاد الجهاد الإسلامى يطلقها من فمه كالمدفعى الماهر فى أنسب وقت ، وأنسب مكان ، فيكون لها فعل القذائف فى معارضيه .

مدرس خط ، ومع ذلك فإن خطه بشهادته ، هو نفسه ، ليس جميلا بل ولا مقروءا .

وزعيم لمليون من المصريين ، ولكنه ــ وبشهادته أيضاً ــ ليس زعيما وإنما هو مدرس فقط ولعل هذا مصدر لقبه الرسمى ، وهو المرشد العام للإخوان المسلمين .

ميزة هذا الرجل الكبرى أنه يعرف كيف يخاطب الناس ، وكيف يلهب شعورهم » .

وقال عنه أحمد حسين زعيم مصر الفتاة إنه « من الرجال العظام الذين يصطفيهم الله لنصرة دينه » .

أجمع معاصروه على أنه يتمتع بشخصية قوية . يحمل دعوته إلى الناس فى يسر ويشرحها بألفاظ سهلة دون تكلف . شديد التواضع . زاهد لايبغى مالا . لم يجمع من الدنيا شيئا . ولا يهتم فيها إلا مقدار . ولا يصيب منها إلا ماتدعو إليه الضرورة .

ينام خمس ساعات ويأكل ماحضر من الطعام ويلبس ماتيسر له من الثياب . ويعيش عيشة الكفاف . زيارته للقرى تتسم بالبساطة . يتصرف بحكمة وذكاء وهو يسعى لاكتساب الأصدقاء . ينام عند أعضاء الجماعة . وإذا لم يتوفر له ذلك نام فى المسجد راضيا !

أقام فى بداية حياته بالقاهرة فى حارة عبد الله بك فى المغربلين بحى اليكنية عند بوابة المتولى . يستأجر بيتا إيجاره خمسون قرشا كل شهر .

ومنه انتقل إلى السبتية وأخيرا فى شقة بحارة سنجر الخازن بقسم الخليفة يدفع عنها جنيهين كل شهر .

كان البيت مفروشا بالحصير ولم تغط أرضه سجادة فى يوم من الأيام .

مرتبة كمدرس بوزارة المعارف ـ للغة العربية لا الخط ! ـ عشرة جنيهات . يحصل منها على جنيهين لمصروفه الشخصى ولرحلات الدعوة وتساهم أسرة زوجته ـ من الإسماعيلية ـ فى نفقات البيت .

وبعد استقالته من عمله كمدرس عام ١٩٤٦ أصدر مجلة « الشهاب » ولم يزد دخله منها على ١٥ جنيها

عرض عليه الإخوان المسلمون ١٠٠ جنيه شهريا مقابل التفرغ ولكنه اعتذر

وعرض عليه الإنجليز ـ أثناء الحرب العالمية الثانية ـ خمسة آلاف جنيه ليكتب عن الديمقراطية فقال :

ـ أكتب عن ديمقراطية الإسلام باعتبارها الديمقراطية الحقيقية المثالية .

فرفض الإنجليز .

قال تفرير للمخابرات البريطانية إن أحد أسباب الانتشار السريع للإخوان يرجع إلى حياة الزهد والورع التى عاشها حسن البنا كمسلم

وفى مفكرته التى وجدت معه عند مصرعه كتب أنه أخذ من المستشار منير الدلة ١٥٠ جنيها لتسوية نفقات المعيشة !

وفتشوا ملابسه فى مستشفى القصر العينى . بعد وفاته . فوجدوا فى جيبه كل تركته : ستة جنيهات وعشرة مليمات وساعة جيب معدنية ماركة « أوراتور » سلسلتها معدنية أيضاً وقلم حبر !

ووجدوا فى سيارة التاكسى التى نقلته إلى المستشفى . لآخر مرة . مسبحة رخيصة من ٩٩ حبة !

وقصدت شقيقته تزور زوجها المصاب عبد الكريم منصور المحامى فى مستشفى القصر العينى بعد يومين من اغتيال شقيقها فشكا إليها زوجها عدم عناية المستشفى بأمره . وعدم كفاية مايقدم إليه من طعام فأعطته ــ كما يقول محضر الشرطة ــ خمسين قرشا أوراقا نقدية من فئة العشرة القروش ثم عادت وقدمت إليه خمسة وعشرين قرشا فلم تكن تملك غير هذه القروش !

* * *

أثرت فى الشيخ حسن البنا عوامل كثيرة ...

ولد فى قرية المحمودية بمديرية البحيرة ــ التى أنجبت الشيخ محمد عبده ــ عام ١٩٠٦ والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا مأذون وساعاتى إمام وخطيب مسجد القرية . درس الأدب على يد الشيخ محمد عبده وألف عدة كتب دينية وعنده مكتبة إسلامية كبيرة .

تتلمذ فى الكتّاب على يد أزهرى ورع . فتأثر بهذا المناخ الدينى وكانت كل موضوعاته الانشائية عن الدعوة الإسلامية

وعلى المستوى الشخصى اعتاد الأسرة الكبيرة

كان له أربعة أشقاء وعندما تزوج من كريمة الحاج حسين الصولى من وجهاء الإسماعيلية أنجب خمس بنات هن : سناء ووفاء ورجاء وهالة وابنا واحدا هو أحمد سيف الإسلام الذى كان فى الرابعة عشرة من عمره عند مصرع أبيه وكانت صغرى بناته ـ استشهاد ـ جنينا فى بطن أمها يوم وفاة أبيها !

فى المدرسة الابتدائية رأس جمعية السلوك الاجتماعى وأنشأ مع زملائه « جمعية منع المحرمات » التى يبعث أعضاؤها برسائل لمن يرتكبون منكرا !

وكان العمل السرى ، بعد ذلك ، أحد وسائله فى الدعوة !

اشترك فى التشكيلات الإسلامية وعمره ١٢ سنة

وبدأ يكتب مذكراته وهو صبى . ويشترك فى المظاهرات السياسية وعمره ١٣ سنة .

ويلتحق فى سن الرابعة عشرة بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور فيدرس الفقه الإسلامى ويحفظ ١٨ ألف بيت من الشعر

يقرأ كتب الغزالى ويتأمل فلسفته ثم يشترك أثناء الدراسة فى « الجمعية الحصافية الخيرية » فيتعلم شئون الجمعيات ووسائل تنظيمها

وعرف أن قيام هذه الجمعيات فى المدارس يترك أثرا ضخما فى نفوس الشباب !

قال :

ـ كم سهرنا الليالى ندرس حال أمة الإسلام

وعندما يسمع بوفاة محمد فريد وهو طالب فى هذه المدرسة يؤلف قصيدة يقول فيها :

أفريد نم بالأمن والأمان

أفريد لاتجزع على الأوطان !

وينتقل إلى القاهرة يدرس فى مدرسة دار العلوم يحفظ القرآن . والسنة

النبوية ، والسيرة المحمدية وديوان المتنبي ويكتب فى آخر موضوع للانشاء فى المدرسة « بعد قومى عن مقاصد دينهم ومرامى كتابهم والتبس عليهم الدين الصحيح » !

كان أول دفعته فى جميع مراحل التعليم . تخرج فى دار العلوم وعمره ٢١ سنة .

وقد تردد ، بعد نجاحه ، بين أمرين :

أن يعمل مدرسا .

أو يتقدم لبعثة فى الخارج .

حسم القدر الأمر فإن دار العلوم لم ترشح أحدا للبعثة فى تلك السنة . فبقى فى مصر يعمل ، كما قال فى موضوع الانشاء ، « على تصحيح الأوضاع ليغرس فى النفوس أن الإسلام دين ودنيا » .

قال :

« هذا الكتاب يخشاه المستعمرون لأنه ليس آيات تقرأ فى الصلاة ، ورددها الشفاه ، وإنما كتاب تشريع وقيادة وحكم وإمامة » .

ويكون هذا كله زاده الدينى .

أما زاده السياسى فكان عريضا أيضا .

حفلت الفترة من عام ١٩٠٦ حتى عام ١٩٢٨ بالأحداث السياسية . . دنشواى . شنق الفلاحين المصريين ، وجلدهم بالسياط أمام أهلهم فى قلب القرية ... أزمة طابا بين الإنجليز والأتراك والاختلاف بينهما على حدود مصر . . خلع الخديو عباس حلمى الثانى ... الحرب العالمية الأولى ثم ثورة ١٩١٩ التى اشترك فى مظاهراتها وإضراباتها وعمره ١٣ سنة وأثناءها كان تلميذا بالاعدادية فى مدرسة المحمودية ... الاستقلال والدستور واغتيال السردار البريطانى السير لى ستاك ووفاة سعد زغلول .

... والازمات العاتية التى عاشتها مصر !

وكان يكفى حسن البنا ـ أثناء دراسته بدار العلوم ـ أن يمضى مسافة قصيرة للوصول إلى الأزهر أو يسير فى ثلاثة شوارع ليدور حول دار المندوب السامى البريطانى بحديقته الواسعة التى تلامس شاطئ النيل ، وقصر عابدين حيث يقيم الملك فؤاد . والبرلمان الذى يعقد حينا . ويعطله الملك فؤاد حينا آخر !

بعد وفاة سعد بأسبوعين تقريبا انتقل حسن البنا ـ فى ١٦ من سبتمبر ١٩٢٧ ـ إلى الإسماعيلية ليكون مدرسا للغة العربية بالمدرسة الابتدائية فحمل معه حصاد الأحداث التى عاشها طفلا ، وشابا ، وسمع عنها حكايات كثيرة استقرت فى عقله وشكلت تفكيره .

وجاءت مرحلة الإسماعيلية لتترك تأثيرها السياسى المباشر فى مستقبل الإخوان وسياستهم وعمقت فى حسن البنا مشاعر الكراهية للنفوذ الأجنبى .

وكانت الإسماعيلية مدينة فرنسية على أرض مصرية . طغت الأسماء الأجنبية على الشوارع والمحلات التجارية .

أسلوب الحياة فرنسى وشركة قناة السويس تحتكر المرافق العامة وتنكر على المصرى حق الحياة الكريمة ، وتحمى قوات الجيش البريطانى هذه الأوضاع كلها !

ويجد البنا فى ذلك كله إهانة للكبرياء الوطنية .

ولكنه يقبل من شركة قناة السويس ٥٠٠ جنيه تبرعا للمساهمة فى انشاء مسجد قائلا : هذا مالنا لامال الخواجات . والقناة قناتنا . والبحر بحرنا . والأرض ارضنا . وهؤلاء غاصبون فى غفلة من الزمن !

بدأ دعوته الدينية فى الإسماعيلية بظروفها تلك ، التى لاتسمح بقيام أو تشجيع جمعية تريد تربية المسلمين على تعاليم الإسلام وتطالب بإقامة دولة إسلامية حرة بدلا من أن يكون المسلمون مستعمَرين ومستغلين ومستعبَدين .

كانت الدعوة بطريقة مبتكرة .... فى ثلاثة مقاه يتردد على كل منها مرتين فى الأسبوع .

وزاره ستة من عمال المعسكرات فى منطقة القنال ـ يوم الجمعة ٢٣ من مارس عام ١٩٢٨ ـ يهنئونه بأول أيام عيد الفطر ويعاهدونه ابتداء من ذلك اليوم على العمل للإسلام والمسلمين فقد وحدوا فى الدين خلاصا من ذل الاحتلال البريطانى .

وهنا تبرز حقيقة هامة وهى أنه منذ قيام حركته ظلت إحدى عينيه على الدين ، والأخرى على السياسة .

وربما كان ذلك هو العامل الذى دفعه ، إلى أن يكون الوحيد بين مؤسسى الجمعيات الدينية الذى ظل يرتدى البدلة الأفرنجية ـ من قماش مصرى ـ ويضع فوق رأسه الطربوش . وإن لم يعرف لغة أجنبية !

حار العمال الستة فى اختيار اسم يطلقونه على حركتهم فقال لهم :

ـ ألسنا مسلمين فنحن إذن « الإخوان المسلمون » .

وهكذا منذ اللحظة الأولى ، وعمره ٢٢ سنة ، يتخلص من المأزق الذى واجهته الجماعة إثر قيام ثورة ٢٣ يوليو عندما طالبت الأحزاب باعادة قيدها فوجدت أن الإخوان ليسوا حزبا !

وينجو ـ ببعد نظره ـ من مأزق آخر !

أنشأ « فرق العمل » ـ أى الجوالة ـ وهى منظمة شبه عسكرية تتبع الجماعة حوّلها إلى جمعية الكشافة العامة ..

وعندما أصدر الملك فاروق قراره عام ١٩٣٧ بحل تنظيمات القمصان الزرقاء ، والقمصان الخضراء التابعين لحزبى الوفد ومصر الفتاة لأنهما شبه عسكريتين لم ينطبق القرار ـ على « فرق العمل » لأنها تتبع الكشافة !

لم تكتب صحافة مصر كلمة عن ميلاد الجماعة فلم تعرف الصحافة شيئا عنها

يوم ميلادها وإنما اهتمت الصحف فى اليوم التالى بتبادل أعضاء جمعية الشبان المسلمين» التهانى فى العيد !

ونشرت صحيفة « المقطم » المسائية مقالا لمحمود أبو حسين عمدة منفلوط عنوانه « الوزارة وشئوننا الداخلية ».

ولم تتوقع المقطم أن رجلا آخر من منفلوط ــ وهو محمد حامد أبو النصر ــ سيتولى منصب المرشد العام للإخوان بعد ستين عاما !

* * *

ولدت الجماعة والبلاد تستعد للاحتفال بعيد ميلاد الملك فؤاد .

وكان عبد الخالق ثروت باشا قد استقال قبل أسبوع واحد من منصبه كرئيس لوزراء مصر وألف مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد أول وزارة له يوم ١٦ من مارس .

أما سر الاستقالة فيرجع إلى أن ثروت باشا تفاوض مع الإنجليز وانتهى إلى أول مشروع معاهدة بين البلدين ، بعد ست سنوات من الاستقلال

ولكن الوفد رفض مشروع المعاهدة لأنه لايحقق مطالب مصر

وكان أوستين تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا يلوم مصر لرفض المعاهدة وصحافة القاهرة تدافع قائلة :

« مصر لاتلام ومصالح البلدين كفيلة بحل الخلاف » .

أما فى برلين فإن المصريين كانوا يتظاهرون ضد المعاهدة .

وكان علماء مصر يتكلمون عن .. نظام الوقف !

وإذا كانت مصر لم تدرك أهمية قيام الجماعة ، فإن العالم فاته ذلك أيضا .

كان اهتمام العالم فى تلك السنة بتوقيع إيطاليا معاهدة الصداقة مع أثيوبيا وإعلان زوغو ملكا على البانيا والخطة الخمسية الأولى فى الاتحاد السوفييتى

واختيار شيانج كاى شيك رئيسا للصين وهربرت هوفر رئيسا للولايات المتحدة واغتيال أوبريجون رئيس المكسيك ووفاة حسين رشدى باشا رئيس وزراء مصر أثناء الحرب العالمية الأولى !

* * *

انتشرت الجماعة فى الإسماعيلية والمناطق المجاورة بجهده وحده . ومنحه عمله كمدرس القدرة والتجربة فى السيطرة على الشباب .

كان يلجأ للمحاضرات والمنشورات والخطابة فى المساجد مؤمنا بأنه لابد من الحصول على أكبر قدر من المساندة من الطلبة والفلاحين والعمال ، وأن العقيدة الإسلامية التى تقدم بطريقة ، ليست هيابة أو مهادنة ، قوة قادرة على اجتذاب سكان مصر .

لم يضع حاجزا بينه وبين الناس ... أبدا .

وكان يؤمن بأن الزمن معه ومع الجماعة .

قال لصديق :

ـ نحتاج لأجيال ثلاثة لتنفيذ خططنا .

الجيل الأول يستمع أى جيل التكوين .

والجيل الثانى يحارب يقصد جيل التنفيذ .

والجيل الثالث ينتصر .. يعنى أنه الذى يقطف ويجنى الثمار .

وبحماس لايهدأ بدأ إعداد الجيل الأول .. المستمع .

خلال عامين كان قد أنشأ شعبا للجماعة حول الإسماعيلية وبورسعيد و ... العريش .

وارتفع عدد الشعب إلى عشرة خلال أربعة أعوام من تأسيس الجماعة . ولم ينس المرأة فأنشأ مدرسة الإسماعيلية لتأهيل الإخوات المسلمات .

وحرص ، من البداية ، على الإدارة المركزية فجعل كل الشعب تتبع المقر الرئيسي فى الإسماعيلية وطاف ، بكل الشعب ، واختار قادتها بنفسه .

ويكتشف البنا أنه حان الوقت لطفرة فيطلب الانتقال إلى القاهرة فى أكتوبر عام ١٩٣٢ ، فينقل مدرسا بمدرسة عباس بالسبتية .

وينتقل معه إلى القاهرة المركز العام للجماعة ! .

ويصدر فى العام التالى مجلة أسبوعية باسم « الإخوان المسلمين » .

وينطلق نشاط الإخوان فى العامين التاليين فى الدعوة الدينية .

وينشئ ٥٠ شعبة فى هدوء وحذر ـ دون إثارة السلطات ـ داخل مصر ويلحق بمعظمها مراكز لتحفيظ القرآن ومدارس ومستوصفات صحية .

فى كتاب « الطريق إلى السويس » قال : ارسكين تشيلدرز أن حسن البنا دأب منذ عام ١٩٣٤ على تأسيس فروع للجماعة خارج مصر .

وقال الباحث الأمريكى ريتشارد ميتشيل فى رسالة دكتوراة عن الإخوان المسلمين إن دارهم صارت منتجعا لكل الحركات الإسلامية .. فى العالم الإسلامى .

وهكذا امتدت شعب الإخوان إلى السودان ، وسوريا ولبنان ، وفلسطين ، وشمال أفريقيا .

ويقول الصحفى الألمانى ولهم ديتل : «كان للإخوان أعضاء فى جنيف قبل الحرب العالمية الثانية » .

* * *

قال اسحق موسى الحسينى فى كتابه « الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية » إن الإخوان حركة فى شخص البنا تمددت واتسعت بالاعضاء والمريدين .

يزور الشيخ البنا المقر الرئيسى بالقاهرة صباحا ليترك تعليمات بنظام العمل

اليومى . ويتجه إلى مدرسة عباس بالسبتية يؤدى عمله كمدرس .

وبعد عودته من المدرسة يتوقف فى المركز . ثم يعود إليه مرة ثالثة فى المساء

* * *

كانت فى مصر ـ فى ذلك الحين ـ ١٢٠ جمعية دينية

وكان تشكيل هذه الجمعيات . فى بعض الأحيان عملية تجارية لجمع التبرعات لحساب مؤسسيها ووجد موظف شكل ١٢ جمعية

ولكن جماعة الإخوان ـ دون غيرها ـ كانت تستحق الفخر بها كما قال « هيوارث دان » ـ رجل المخابرات البريطانية فى مصر الذى يجيد اللغة العربية وأسلم وأصبح اسمه جمال الدين هيوارث دان وتزوج مصرية مسلمية ـ فى بحث قدمه سرا للانجليز ثم نشره بعد ذلك كتابا ولكن بأسلوب مختلف . قال :

« تتمتع الجماعة بشعبية تفوق ماكان يتمتع به الوفد عند نشأته . وفى عصره الذهبى خاصة اذا أخذنا فى الاعتبار الموارد المتاحة للجماعة .

ويرجع ذلك إلى حسن البنا ، فهو رجل تنظيم على درجة عالية من الكفاءة ، يصوغ تعاليمه الدينية بطريقة بارعة تمكنه من جذب خيرة شباب البلد إليه ، ومجموعة أخرى من أصحاب المناصب والمكانة الطيبة .

وهو يتوجه إلى المشاعر الدينية ، ويستخدم التنويم المغناطيسى العميق . خلال خطبه وأحاديثه » !

* * *

لم تتوقف الاتهامات عن ملاحقة الشيخ البنا منذ بدأ دعوته .

اتهم وهو مدرس فى الإسماعيلية بأنه شيوعى ووفدى وجمهورى ضد الملك فؤاد فحقق معه وثبتت براءته .

قالت المفوضية الأمريكية :

« خطورة الإخوان تكمن فى المبادئ المتعصبة التى تعتنقها وطبقا لما يقوله الإخوان مادامت مصر دولة إسلامية فيجب أن تحكم بقانون القرآن »

وقالت السفارة البريطانية :

« الهدف المعلن للجماعة إقامة حكومة ومؤسسات مصرية على أساس المبادئ القرآنية الأصيلة ونبذ الثقافة الغربية التى تعتبرها الجماعة . مسئولة عما أصاب المجتمع المصرى من انهيار الأخلاق وانحلال السلوك وفساد القيم منذ جلبت على الشعب مايعانيه من تعاسة وفقر .

ومهمة الجماعة إقامة تنظيم قوى لديه مشاعر العداء للأجانب »

ووجه الانجليز إلى الشيخ البنا اتهامات .. متناقضة .. كثيرة .

قال تقرير للسفارة البريطانية :

« تلقت جماعة الإخوان مساعدة من دول المحور ـ ألمانيا وإيطاليا ـ بين عامى ١٩٣٤ و١٩٣٩ مما حدا بالبنا أن يصبح من العناصر النشيطة المعادية لبريطانيا »

وأثناء الحرب العالمية الثانية عندما كانت الهزائم تحيط بالانجليز فى كل ميادين القتال قالت المخابرات البريطانية :

« يبدو أن حسن البنا تلقى تبرعات من السفير الأفغانى . ومن المفوضية الايرانية . وهناك ادعاءات بأنه تلقى أموالا من أعضاء بالمفوضية اليابانية » ! !

واتهمه كثير من الكتّاب بأن جماعته نازية فاشية

وقارنه البعض بهتلر وموسولينى !

وقالت السفارة البريطانية إنه درس تلك المؤسسات واستخدمها كنموذج تحتذى به حركة الإخوان .

وفى دراسة للضابط الكندى ج . ب هاردى قدمها فى تقرير سرى لوزارة الحربية البريطانية قال :

« هذه المقارنة عن مؤسس وقديس الإخوان لايمكن التسليم بها إلا من وجهة نظر سطحية .

تحمل منظمة الإخوان وجها شبه محدد مع الحركتين النازية والفاشية ، وخاصة فى تعاليمها الداعية إلى الطاعة المطلقة وغير المشروطة للمؤسس . وفى الشكل شبه السرى للتنظيم ، والاستعداد لاستخدام الوسائل العنيفة لتحقيق الأهداف

ولكن إلى هنا ينتهى التشابه

الإخوان حركة دينية صريحة لها برنامج إصلاحى يشكل غاية فى ذاته بيما النازية والفاشية يناهضان الدين بصورة سافرة .

وكان هدف هتلر الأول كسب السلطة لنفسه قبل تحقيق منفعة للأمة

وحتى آخر أيام البنا ، ظل رجلا مقتصدا متواضعا على نقيض التفاخر والعظمة لدى ديكتاتورى ألمانيا وإيطاليا .

والسلطة التى تمتع بها البنا لم تغره أبدا بعزل نفسه عن الناس كما حدث فى حالة هتلر وموسولينى .

ويبدو أن البنا لم يعان أبدا من أوهام العظمة التى أصابت الديكتاتور الألمانى ، والديكتاتور الايطالى .

وهناك شك هائل ، حتى بين الكتّاب المصريين فى أن حسن البنا رجل طموح يريد إعلان نفسه خليفة للمسلمين

وليس هناك دليل من حياة البنا يشير إلى أنه سعى إلى هذا المنصب لنفسه

وربما يكون ، قد قبله ، لو أن الموضوع أثير أعتقادا منه ، بأن ذلك لصالح الإسلام بوجه عام ، ومصر بوجه خاص

ويمكن تبرئته من الطموح الشخصى فى المجال الدينى أو السياسى

وقد مارس الاشراف الشخصى والمباشر على تنظيم الإخوان كله . وربما فعل

ذلك لضمان الفاعلية وبدافع الاهتمام الشخصى . لابدافع الطموح الشخصى »

* * *

كان تركيز البنا فى الدعوة ـ عند بدايتها ـ يدور حول مسئولية الإنسان المسلم فى اصلاح معتقداته الشخصية وتنظيم حياته حول محور إسلامى . وكانت أهدافه دينية ثقافية بحتة

كتب عام ١٩٣٣ إلى الملك فؤاد يطلب اخضاع البعثات التبشيرية لرقابة الدولة

ويشكل بعد عامين . وفدا من الأعيان يطلب إلى شيخ الجامع الأزهر ورئيس الديوان الملكى ووزير المعارف جعل الدين مادة إسلامية فى برامج التعليم .

وعند وفاة صاحب الجلالة قالت مجلة الإخوان بعنوان « مات الملك يحيا الملك » :

« مصر تفتقد اليوم بدرها فى الليلة الظلماء . ولاتجد النور الذى إعتادت أن تجد الهدى على سناه .

من للفلاح والعامل . من للفقير يروى غلته ويشفى علته ، ومن للدين الحنيف يرد عنه البدع ، ومن للاسلام يعز شوكته ويعلى كلمته . ومن للشرق العربى يؤسس وحدته ويرفع رايته ؟ » .

ويعلن فاروق ملكا على مصر عام ١٩٣٦ فيستقبله الإخوان فى محطات السكة الحديد على طول الطريق بين القاهرة والإسكندرية ويهتف جوالتهم فى قصر عابدين قائلين :

ـ نهبك بيعتنا وأولادنا .

ولايقتصر الهتاف على تلك الكلمات . بل يحددون شروط البيعة قائلين :

ـ على كتاب الله وسنة رسوله .

... فقد رغبوا فى الحصول من صاحب الجلالة الشاب على تأييده لدعوتهم .

فسّر المرشد العام الشيخ عمر التلمسانى موقفهم من فاروق بأنهم كانوا يأملون من ورائه أن تصلح به أحوال البلاد .

ولذلك رحبت صحيفتهم بفاروق بأنه « أسوة حسنة » و « فخر الشباب » و « حامى المصحف » و « أمير المؤمنين » و « حامى حمى الدين » !

ويوم شهد فاروق إحتفالا بعيد الهجرة قالت مجلة الإخوان إنه « أعاد صورة سالفة ، صورة الرسول الكريم حينما طلع على أنصاره طلوع البدر » !

ويكتفى المرشد العام فى تلك السنة ـ ١٩٣٦ ـ بكتابة رسائل إلى الملك فاروق وإلى ملوك وزعماء الدول الإسلامية لاتباع منهج الإسلام وقوانينه وحضارته قائلا : « لم يبق إلا أن تمتد يد قوية . يظللها الله . وتخفق على رأسها آيات القرآن فإذا بالدنيا مسلمة هانئة . وإذا بالعوالم كلها هاتفة

ـ الحمد لله »

ويؤكد لفاروق فى رسالة أخرى حتمية الحكم بالإسلام ..

وفى رسالته إلى أحمد خشبه باشا وزير العدل أكد مطلب الحكم بالإسلام قائلا : « صدور الأمة محرجة أشد الحرج لشعورها بأنها تحكم بغير كتاب الله وقانونه وشريعته » .

وعندما يدعو الفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس أركان حرب الجيش المرشد العام لحضور الاحتفال بعيد جلوس صاحب الجلالة يعتذر المرشد العام عن عدم الحضور قائلا :

ـ كنت أتمنى أن يكون الاحتفال بعرض عسكرى . لا بحفل غنائى ساهر !

* * *

كل الجماعات الدينية فى مصر اقتصرت على الدين . ولكن جماعة الإخوان ـ

وحدها ـ اشتغلت بالسياسة حتى غطت الطبيعة السياسية للجماعة على نشاطها الدينى .

وتعددت الآراء بين الكتّاب العرب حول ماإذا كانت الجماعة قد شكلت أصلا وهى تستهدف أن تكون قوة سياسية لها وزنها .

فى رأى الضابط الكندى « هاردى » قال :

« عند بحث جميع الحقائق نجد أن هذه الفكرة لم تكن موجودة أصلا

كان الإخوان من الناحية العددية قوة تمكنهم من تقديم برنامج عام على أسس سياسية ، قبل عام ١٩٣٦ بوقت طويل ولكنهم تجنبوا هذه المخاطرة » .

وتفسر ذلك مذكرات الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرى الأسبق وكان من قيادات الإخوان . قال :

« حرص الأستاذ البنا على أن يظهر الإخوان المسلمون بمظهر الدراويش الذين يجتمعون على تلاوة المأثورات . وكان أمله فى ذلك أن يصرف اهتمام العالم الغربى عن الإخوان المسلمين باعتبارهم هيئة سياسية يخشونها على نفوذهم فى الاستذلال والاستغلال » !

وفى أول مكتب للارشاد العام ـ الذى يدير شئون الجماعة ـ كان نصف الأعضاء من علماء الأزهر !

* * *

رحب الأزهر بالجماعة . وساعد الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر أعضاءها باعتبارهم دعاة للإسلام ومفسرين لتعاليمه وسمح لهم بالدعوة فى المساجد ، فكانوا يدعون للجماعة بعد الصلاة مباشرة .

ونجح الشيخ البنا فى اختيار الدعاة وتدريبهم .

وكان أغلبهم من الشباب ومن الفقراء . وكان المرشد العام قدوة لهم فهو واحد منهم . ولا يختلف أبدا عن الذين يوجه إليهم دعوته .

منذ بدأت جماعة الإخوان عام ١٩٢٨ حتى مصرع الشيخ البنا عام ١٩٤٩ واجه ١٢ رئيسا للوزارة هم مصطفى النحاس ومحمد محمود وعدلى يكن وإسماعيل صدقى وعبد الفتاح يحيي وتوفيق نسيم وعلى ماهر وحسن صبرى وحسين سرى وأحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وإبراهيم عبد الهادى

وكانت له مع بعض هؤلاء تحالفات وصدامات فرضتها طبيعة العمل السياسى .

وواجه الشيخ البنا أربعة من المندوبين السامين والسفراء البريطانيين وهم اللورد جورج لويد والسير بيرسى لورين واللورد كيلرن والسير رونالد كامبل

ولم يعرف الإخوان ، أو شعب مصر ، ماذا جرى بشأنهم أو ماذا كان يقال عنهم بين رؤساء وزارات مصر وسفراء بريطانيا والولايات المتحدة فى مصر أو بين هؤلاء جميعا وصاحب الجلالة ملك مصر

وهذا الكتاب يقدم ذلك كله بوثائق تذاع لأول مرة عن الجماعة وعن المرشد العام الذى توقف أتباعه عن مقارنته بالأئمة الآخرين . واكتفوا بأن اطلقوا عليه لقب « الإمام »

صدام .. واعتقال

دخل الشيخ البنا الميدان السياسى بالتدريج

وخلال السنوات العشر الأولى . أى منذ عام ١٩٢٨ كان يؤسس جيل التكوين

أفاد من فشل الأنظمة السياسية والفوارق الضخمة بين الحكام والمحكومين وظل يحرص على نشر دعوته فحسب يتحسس مكانه بين الجماعات والأحزاب والقصر . ويعبر بين الحين والحين عن موقف سياسى

بعث برسائل إلى رؤساء الوزارات يدعوهم إلى الاصلاح الاجتماعى الشامل على هدى الإسلام

وتضمنت الرسائل تهديدا مقنعا يحمل معنى بأن الإخوان يشكلون قوة على أرض الواقع ومن الأفضل أن تلتفت الحكومات إلى مايقولونه

ولكنه فى كل الأحوال حرص على أن يكون الدين طابع دعوته وأن يؤكد أن الجماعة حركة تجديد إسلامى فى القرن العشرين هدفها الحكم بالإسلام لأنه « نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا . فهو دولة ووطن . أو حكومة وأمة وهو خلق وقوة . ورحمة وعدالة . وثقافة وقانون . أو علم وقضاء . ومادة وثروة . وجهاد ودعوة . أو جيش وفكرة . كما هو عقيدة صادقة وعبادة »

وتجنب خلال تلك السنين الصراع العنيف بين الأحزاب من ناحية وبينها وبين الملك والإنجليز من ناحية أخرى

وبعد عامين من وفاة الملك فؤاد وجد أن الوفد لم يستطع ملء الفراغ الذى نشأ عن اختفاء شخصية الملك فؤاد الطاغية كما أن الوفد بدأ يضعف فقد

انفصل عنه أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشي ـ الرجلان اللذان توليا فيما بعد رئاسة الوزارة ـ وأحسَّ الشيخ البنا بأن الجماعة يجب أن تمارس دورها السياسى .

فى مايو عام ٣٨ بدأت الجماعة اشتغالها العلنى بالسياسة مع صدور العدد الأول من مجلتها الأسبوعية « النذير » وبعد أن بلغ عدد الشعب ثلثمائة شعبة

فى هذا العدد وقّع حسن البنا مقاله باسم « حسن البنا المدرس بوزارة المعارف العمومية والمرشد العام للإخوان المسلمين »

وفى هذا التوقيع وحده دلالة على أنه يرى أن عمله كمدرس أهم من منصب المرشد العام للإخوان !

كان عنوان المقال « خطوتنا الثانية إلى الأمام دائماً ـ الدعوة الخاصة بعد الدعوة العامة . أيها الإخوان تجهزوا »

« فى هذا المقال قال البنا : « إن دعوة الإخوان بدأت منذ عشر سنين .. وكانت مصر يوم أن نبتت هذه الدعوة المجددة لا تملك من أمر نفسها قليلا ولا كثيرًا يحكمها الغاصبون » .

وقال :

« أصبح للإخوان دار فى كل مكان ، ودعوة على كل لسان ، وأكثر من ثلثمائة شعبة . وقد حان وقت العمل وآن أوان الجد . ولم يعد هناك مجال للإبطاء فإن الخطط توضع والمناهج تطبق . وكلها لا يؤدى إلى غاية ولا ينتج ثمرة . والزعماء حائرون والقادة متذبذبون متأرجحون .

سننتقل من حيز دعوة العامة فقط إلى حيز دعوة الخاصة أيضا ، ومن دعوة الكلام وحده ، إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال . وسنتوجه إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه وشيوخه ونوابه وهيئاته وأحزابه وسندعوهم إلى منهاجنا » .

وقال :

« إلى الآن أيها الإخوان لم تخاصموا حزبا ولا هيئة كما أنكم لم تنضموا إليهم

ولقد تقول الناس عليكم . فمن قائل إنكم وفديون تحاسيون . ومن قائل إنكم سعديون ماهريون ، ومن قائل إنكم احرار دستوريون ، ومن قائل إنكم بالحزب الوطنى متصلون . ومن قائل إنكم إلى مصر الفتاة تنتسبون .

إنكم من كل ذلك بريئون » .

وحدد برنامجه فقال :

« كان موقفكم أيها الإخوان سلبيا فيما مضى أما اليوم فى هذه الخطوة الجديدة فستخاصمون هؤلاء جميعا . فى الحكم وخارجه ، خصومة شديدة » .

ولكن الإخوان الذين أعلنوا أنهم يخاصمون الأحزاب كلها تركوا الملك فقال حسن البنا فى ختام مقاله :

« إن لنا فى جلالة الملك المسلم أيده الله أملا محققا . وفى الشعب المصرى ، الذى صقلته الحوادث ونبهته التجارب ومعه الشعوب الإسلامية المتآخية بعقيدة الإسلام ، نظرا صادقا » .

ومن العدد الأول لمجلة « النذير » وخلال سبعة شهور يهاجم الإخوان معاهدة ١٩٣٦ .

قالوا :

« إنها غلّ فى عنق مصر . فرضت عليها قيودا ثقيلة غليظة تنوء بحملها الجبال وقبلها المفاوضون المصريون لظروف خاصة » .

ودعت الجماعة إلى « عدم بناء ثكنات لقوات جيش الاحتلال ، والضغط على انجلترا لتعديل المعاهدة أو إعلان الجهاد » .

ويهاجم صالح عشماوى الوكيل العام للجماعة ــ فى يوليو ــ محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر فى مقال عنوانه « يامصر حطمى أصنامك وطهرى ديارك للصالحين » قال فيه :

« زعماء مصر لا يملكون نفعا ولا ضرا . يستفيدون ولا يفيدون .

نحن نعبد أصناما فى شكل زعماء . وأصنام اليوم يمتصون دماء الأمة . ويستأثرون بخيراتها يخدعونها ويغررون بها .

هؤلاء الزعماء جميعا ومن ورائهم أحزابهم . ليس لهم إلا برنامج واحد يتلخص فى كلمة واحدة هى الحكم » .

ويصف الكاتب رئيس الوزراء بأنه « قبل أن يرتدى الرياسة خلع عصبيته للإسلام . وماكاد يجلس على كرسى الحكم حتى تنكر لآمال المسلمين . وفاز بثقة الإنجليز » .

* * *

ويرفض الشيخ البنا دخول الإخوان فى معركة مع خصوم الجماعة والمنشقين عليها أكثر من عشر سنوات قائلا :

« الخلاف لايكون حائلا دون ارتباط القلوب . وتبادل الحب . والتعاون فى الخير » .

بل إن تجنب المعارك والصدام ظل شعار المرشد العام سنوات طوالا .

وتعترف السفارة البريطانية بأنها « لم تتنبأ بأهمية الإخوان والدور الذى سيلعبونه فى المستقبل » .

ولكن الجماعة رغم ذلك استطاعت أن تكون ـ فى وقت واحد ـ حزبا سياسيا وجمعية دينية ورابطة اجتماعية وهيئة خيرية .

أما السر الكبير لنجاح الحركة فهو أنه توارى عن أنظار الإنجليز الذين يحتلون مصر فلم يفطنوا إليه وإلى أهدافه زمنا طويلا .

عندما قام شباب مصر الفتاة بالهجوم على حانات الخمر فى القاهرة أعلن حسن البنا فى « النذير » إن « الإخوان لايوافقون على مسلك مصر الفتاة باعتبار أنه تحد للقانون » .

قال تقرير للمحابرات البريطانية :

« خلال السنوات الثمانى الأولى أى منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٦ لم تحظ حركة الإخوان باهتمام سلطات الأمن البريطانية » !

وكان الفضل فى ذلك للشيخ البنا »

* * *

تولى على ماهر رئاسة الوزارة يوم ١٨ من أغسطس عام ١٩٣٩ فشكل وزارته من ١٤ وزيرا

ضمت الوزارة ٩ من المستقلين وخمسة من السعديين وامتنع حزب الأحرار الدستوريين عن الاشتراك فيها .

دخل الوزارة رجلان عرفا بعدائهما التديد للانجليز . وهما محمد صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين وزيرا للدفاع . وعبد الرحمن عزام باشا وزيرًا للشئون الاجتماعية وقد أصبح فيما بعد أمينا عاما للجامعة العربية

* * *

كان على ماهر باشا أول رئيس للوزراء فى مصر اكتشف أهمية الجماعة وأراد اجتذاب هذه الحركة الإسلامية لنفسه وللملك !

وكان الإخوان على صلة بعلى ماهر منذ عام ١٩٣٧ عندما سافر إلى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة الذى يبحث قضية فلسطين

قال الشيخ البنا فى مذكراته :

« ودع الإخوان على ماهر أحر وداع

وبعد حضوره دهب وفد من الإخوان إلى المحطة لاستقباله وعلى رأسه الأستاذ أحمد السكرى ــ وكيل الجماعة ــ فهتف بحياته . وأمر الإخوان أن يهتفوا بحياته كذلك . فهتف بعضهم . وامتنع الآخرون . وعادوا ثائرين

.. رفعوا إلىّ احتجاجا عنيفا ذكروا فيه أن الإخوان ليسوا هتّافين . وإنهم لم يهتفوا لأشخاص . وإنما يذكرون الله وحده

طيّبت خاطرهم بأن هذه تحية المسافر وأننا لانحيي شخصا . ولكن نحيي عمله لفلسطين . فاحتسبوها عند الله فى سبيل فلسطين » .

* * *

كان الإخوان خلال الثلاثينات ـ كما يقول الشيخ التلمسانى ـ قد كونوا أرضية واسعة ومترامية عبر أقاليم ومديريات القطر المصرى كما استطاع المرشد العام أن يضع النظام الفكرى والتنظيمى للحركة وحدد تعريف الإخوان وعلاقتهم بالجماعات الإسلامية والأحزاب الأخرى .

وكان الإخوان على صلة غير مباشرة بعلى ماهر . كما تقول المخابرات البريطانية . والأرجح أن هذه الاتصالات تمت عن طريق أحمد السكرى وكيل الجماعة .

رحب الإخوان بالوزارة الجديدة وكتب صالح عشماوى فى مجلة « النذير » يقول :

« تحيط بعلى ماهر هالة كبيرة من الدعاية الطيبة ، وتسبقه آمال حلوة ، وأمانٍ عذبة فى الاصلاح والانقاذ . والمفروض . فى المسلم . أن يحسن النية بأخيه . وليس مايمنعنا من أن نحسن النية بعلى ماهر ووزرائه »

. كان على ماهر خصما للوفد .

ولم يكن عضوا فى الحزب السعدى أو حزب الأحرار الدستوريين . ولهما الأغلبية فى مجلس النواب .

ومن هنا سعى على ماهر إلى الحصول على تأييد الإخوان المسلمين ، وأيده فى ذلك صالح حرب وعبد الرحمن عزام وعزيز المصرى ، وقبل هؤلاء جميعا الملك فاروق الذى كان يميل للألمان ويعادى الوفد والإنجليز ، ويرى أن تجمعات الإخوان يمكن استغلالها فى معارضة الوفد !

قالت تقارير المخابرات البريطانية أن « الملك قدم الحماية والمعونة المالية للإخوان » .

وأيد الإخوان ـ من ناحيتهم ـ سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب وعدم الاشتراك فيها والاكتفاء بتقديم المساعدات التى نصت عليها معاهدة ١٩٣٦ فحسب .

ويبرق السفير البريطانى اللورد كيلرن إلى لندن :

« عمل على ماهر باشا بنشاط من وراء الكواليس لتأكيد سياسته الخاصة بالحركات المعادية للأجانب من خلال التنظيمات الإسلامية ـ مثل جمعية الشبان المسلمين . وحركة مصر الفتاة . وجماعة الإخوان المسلمين ـ وعدد آخر من الجمعيات الإسلامية الأقل شهرة والتى تمارس نشاطها فى الخفاء

وأخذ على ماهر باشا يشجع نوادى وجمعيات الشباب . وكان الهدف انتظام الأجيال القادمة تحت راية الملكية الوطنية المتطرفة . وكراهية الأجانب والمفهوم التقليدى للإسلام فى مواجهة التيار الأكثر ليبرالية لحزب الوفد ـ وللأقباط نفوذ فيه فإنْ مكرم عبيد باشا كان سكرتيرا عاما للوفد ـ وكذلك فى مواجهة الاحتلال الأجنبى » .

اختار على ماهر الفريق عزيز المصرى المفتش العام للجيش المصرى رئيسا لأركان حرب هذا الجيش ومنحه رتبة الفريق . وكان على صلة وثيقة بالإخوان المسلمين . ولكن السفارة البريطانية أصرت على منحه أجازة .

وكان عزيز المصرى مدرسا للملك فاروق عندما كان وليا للعهد .

وأختير عزيز المصرى ـ فى وزارة محمد محمود باشا عام ١٩٣٨ ـ مفتشا عاما للجيش المصرى ولكنه منع من ممارسة مهام وظيفته .

ويلتقى أنور السادات بعزيز المصرى عن طريق المرشد العام للإخوان الشيخ حسن البنا ، مما يدل على الصلة بين عزيز المصرى والإخوان .

وفى مذكرات أنور السادات التى كتبها بعنوان « صفحات مجهولة » قال :

« إن حسن البنا كان فى ذلك الوقت يجمع السلاح ويشتريه ويخزنه . ولم يكن أقرب الناس إليه من كبار الاخوان على علم بشىء من ذلك » .

حاول عزيز المصرى توحيد الاخوان ومصر الفتاة .. ولكنه فشل .

وكان حسن البنا الوسيط بين عزيز المصرى والضباط الأحرار عن طريق الدكتور إبراهيم حسن وكيل الجماعة وأنور السادات الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لجمهورية مصر !

* * *

بعد أسبوعين من تشكيل الوزارة أعلنت بريطانيا الحرب على المانيا فى ٣ من سبتمبر ١٩٣٩ .

وأعلنت فرنسا واستراليا ونيوزيلندا الحرب على ألمانيا فى نفس اليوم

وتضامنت جنوب أفريقيا مع هذه الدول فأعلنت الحرب يوم ٦ من سبتمبر ، وكندا ، بعد أربعة أيام .

طلب الانجليز إلى على ماهر أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا .

رفض على ماهر فى مذكرة بعث بها إلى السفير البريطانى . وقال فى مجلس الشيوخ « إن سياسة حكومته تجنيب مصر ويلات الحرب » .

وفى كتاب « الاخوان المسلمون : أحداث صنعت التاريخ » قال محمود عبد الحليم : «كان هناك تجاوب فكرى ونفسى بين الوزارة والاخوان .

كانت وزارة منطلقة بما توحيه إليها المصلحة العامة ، ساعدها أنها كانت مؤيدة من الملك الذى كان فى مقتبل أيامه ولم يكن قد تلوث ــ بعد ــ ورغباته متوائمة مع رغبات الشعب ويرى فى على ماهر المعلم الناجح القدير .

وكان على ماهر يتصور أن الانجليز لن يخاطروا بسمعتهم فيسقطوا حكومة مؤيدة من الشعب والبرلمان والملك » .

قال حسن البنا فى خطاب له أمام مؤتمر الجماعة :

« الطريق طويل ولكنه الطريق الوحيد : إنه الصبر والاحتمال والجدية والعمل الدائم . ومن يريد اختطاف الثمرة قبل نضوجها فلست منهم .

وعندما يصل عددكم إلى ثلثمائة كتيبة تزودت روحيا بالإيمان وفكريا بالعلم والثقافة وجسمانيا بالتدريب . عندئذ اطلبوا منى أن أطلق عقالكم »

وكان واضحا من ذلك أن جيل المستمعين لم يكتمل بعد

اقترح الاخوان على الحكومة خطة تلزم الانجليز بالتفكير عشرات المرات قبل إقدامهم على مس الوزارة بأذى

أقنع المرشد العام عبد الرحمن عزام بأن تعلن الوزارة نفسها حكومة إسلامية . فلن يجرؤ الانجليز على المساس بهذه الحكومة وإلا كان ذلك مساسا بجميع المسلمين فى أنحاء العالم

ولكن على ماهر رفض تنفيذ الاقتراح .

وربما يكون الاقتراح لصالح على ماهر ولكن من المؤكد أنه لصالح الاخوان لأنهم بذلك يكونون قد حققوا أهم أهدافهم بإقامة حكومة إسلامية . وتغيير نظام الحكم المصرى كله . إلى حكم إسلامى وهو هدف الجماعة . ولا يمكن لحكومة مصرية . بعد ذلك . التراجع !

وعرض الاخوان على رئيس الوزراء المساهمة فى الجيش المرابط . وسكرتارية الشئون الاجتماعية ــ أصبحت وزارة بعد ذلك ــ وبعث حسن البنا بمذكرة إلى على ماهر قال فيها :

« الاخوان مستعدون . وماعلى الحكومة إلا أن تدعوهم . وتفسح لهم المجال .

لسنا نريد بذلك أن نحتكر طريق الخير ولا أن نهيمن على وسائله ومناهجه

ولسنا بذلك نريد أن نفتح أبواب عمل وارتزاق للعاطلين من الاخوان المسلمين » .

وتكتب المخابرات البريطانية تقريرا تقول فيه :

« بلغ عدد شعب الاخوان فى مصر نحو ٥٠٠ شعبة .

ويرجع انتشارها السريع إلى أسباب منها فشل السياسيين الفاسدين فى مصر فى كبح جماح القلاقل الاجتماعية فكن ذلك من يدعو لاتخاذ الإسلام منهجا من جذب أتباع من البيئة المضطهدة .

وأصبح الاخوان ـ بعد رعاية على ماهر لهم ـ يتمتعون بدرجة ما من الاكتفاء الذاتى » .

... وتقصد المخابرات بذلك التمويل المالى من على ماهر والقصر للاخوان !

اعترض بعض الاخوان على التقارب بين المرشد العام والوزارة وطالبوا بقطع كل اتصال بين الجماعة ورئيس الوزراء .

وكان بعض المعارضين ينتمون إلى الوفد والبعض الآخر يريد استقلال الجماعة . ولكن المرشد العام رفض ذلك .

أعلنت ايطاليا الحرب يوم ١٠ من يونيه ١٩٤٠

وطلبت بريطانيا من على ماهر مرة أخرى إعلان الحرب فرفض على ماهر قائلا إن مصر لن تدخل الحرب إلا إذا هوجمت المدن المصرية أو مواقع الجيش المصرى .

ويصرح رئيس الوزراء فى جلسة سرية للبرلمان بأن السياسة المصرية لن تتغير .

رحب المرشد العام بقرار على ماهر وقال :

ـ إعلان الحرب على إيطاليا شر مستطير .

سأل « هيوارث دان » المرشد العام عن شعور المصرين تجاه الانجليز .

أجاب حسن البنا :

ـ المصريون يبغضون الانجليز كالألمان والايطاليين . فالانجليز لايحترمون

وعدا ، ولاعهدا . ودخول مصر الحرب إلى جانب انجلترا يجعل مصر تبحث عن حقها .

ويقطع على ماهر العلاقات السياسية مع إيطاليا . ولكن السفير البريطانى يهاجم فى أحاديثه الخاصة على ماهر والوزارة وصاحب الجلالة قائلا :

ـ فاروق ألمانى الهوى يسر لانتصارات النازية ، ولهزائم بريطانيا .

وفى ١٧ من يونيه عام ١٩٤٠ قدم السفير البريطانى إنذارا لفاروق يطلب فيه تشكيل حكومة صديقة لبريطانيا ..

ويستقيل على ماهر يوم ٢٣ من يونيه .. وكانت أول وزارة ساندت الاخوان فى عملهم السياسى .

ويقبل فاروق ـ فى ٢٧ من يونيه ـ استقالة الوزارة التى لم تعمر سوى عشرة شهور وسبعة أيام !

* * *

وتسند رئاسة الوزارة إلى حسن صبرى باشا فى اليوم نفسه .

ولكن هذه الوزارة لاتعمر سوى ١٣٩ يوما فقد توفى حسن صبرى ـ يوم ١٤ من نوفمبر ١٩٤٠ ـ وهو يلقى خطاب العرش داخل البرلمان . ولم تتح له أو للاخوان فرصة الاتفاق أو الخلاف .

ويتولى رئاسة الوزارة حسين سرى باشا فى اليوم التالى .

* * *

كان على باشا ماهر عدوا للانجليز فى تلك الفترة .

وحسين سرى باشا هو صديق للانجليز فى كل فترة .

وقد طلبوا إليه الحد من النشاط السياسى لعلى ماهر .

ومن هنا تعقب رئيس الوزراء على ماهر ورجاله فأعد مشروع قانون يحرم على

الجمعيات الخيرية العمل السياسى . وكان الاخوان المسلمون الهدف الأول لهذا التشريع .

رد حسن البنا فكتب مقالا انتقد فيه حكومة سرى باشا . لانحرافها عن مبادئ الإسلام .

وكان هذا المقال أكثر مما يحتمل رئيس الوزراء «كما يقول تقرير السفارة البريطانية» . فهو مهندس مثقف ثقافة غربية . ويتمتع بشخصية قوية !

* * *

فى مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل باشا ـ وزير المعارف فى وزارة حسين سرى التى تولت الحكم فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ ـ قال «إن السلطات البريطانية أبلغت حسين سرى أن حسن البنا يعمل فى أوساط الاخوان لحساب إيطاليا .

وطلبت هذه السلطات إلى رئيس الوزراء العمل على الحد من نشاطه» .

رأى رئيس الوزراء أن نقل البنا إلى بلد ناء بالصعيد يحد من نشاطه فطلب نقل المرشد العام إلى قنا .

لم يجد هيكل باشا بأسا من إجابة طلب رئيس الوزراء فنقل مدرس فى مدرسة ابتدائية ليس امرا ذا بال . إذ يقع مثله خلال العام الدراسى فى كل سنة ولايترتب عليه أثر .

نقل حسن البنا إلى قنا ونقل أحمد السكرى وكيل الجماعة إلى دمياط .

وصدر القرار بتنفيذ النقل فورا .

ويضيف الاخوان سببا آخر شجع الدكتور هيكل على الاسراع بنقل المرشد العام فقد انتقدت مجلة الاخوان كتاب «حياة محمد» الذى ألفه الدكتور هيكل !

وقال المرشد العام فى أحاديثه «إن الدكتور هيكل اقتدى فى كتابه بمؤلف

فرنسى أعرض عن معجزات النبى عليه الصلاة والسلام ولم يستثن منها إلا القرآن الكريم .. مع أن هذه المعجزات ثابتة بصحيح السنة » .

* * *

كان حسن البنا يحاضر فى المركز العام للاخوان مساء الخميس عن « نظرة الإسلام للمرأة » عندما تقدم إليه أحد الأعضاء بورقة مكتوبة فلما قرأها اعتذر عن المحاضرة وخرج .

وبعد فترة وقف الشيخ عبد العزيز عبد الستار ليقول بأنه صدر أمر عسكرى بنقل الأستاذ البنا إلى قنا !

اجتمع مكتب الارشاد ورأى معظم الأعضاء تحدى القرار والامتناع عن تنفيذ النقل وأن يستقيل المرشد العام حتى لايكون لأحد سلطان عليه .

ولكن المرشد العام ، فى ظل الحرب ، والأحكام العرفية ، وتقهقر الانجليز أمام الزحف الألمانى فى أوربا وشمال أفريقيا ، وجد أن الانجليز لن يتراجعوا أمامه . ورأى أن مرحلة المواجهة لم تأت بعد ولايحسن التعجيل بها .

قال للأعضاء :

ـ أمر الاستقالة سهل لايتطلب سوى ورقة وقلم . ولكن هل سيقف الأمر عند الاستقالة . إن أمرا عسكريا سيصدر باعتقالى فى الحال فالأحكام العسكرية مفروضة على البلاد والعباد . والنقل أيسر الأضرار ، وأنفع للدعوة من الاعتقال . وهى فرصة تعطى للصعيد حقه فى نشر الدعوة .

وحتى يبدو الاخوان بمظهر سلمى وافق الشيخ على النقل .

قال السير مايلز لامبسون ـ اللورد كيلرن ـ فى البرقية ٣٨٨ لحكومته :

«كانت الملامح الرئيسية التى تميزت بها التطورات السياسية فى مصر إزدياد حدة الصراع بين رئيس الوزراء وعلى ماهر باشا .

هاجم رئيس الوزراء على ماهر باشا فى معاقلة الادارية وشتت صنائع خصمه بالتنقلات .

وهاجم سرى باشا ، على ماهر باشا ، فى التنظيمات الإسلامية التابعة لماهر باشا بنفيه حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين إلى قنا .

ويبدو أن رئيس الوزراء تصرف فى هذه المسألة بشكل فج فقد صرح بأنه اتخذ هذا الاجراء بناء على اقتراح السفير البريطانى . ولم يتعامل فى هذه المسألة بمقتضى السلطات المخولة له بوصفه حاكما عسكريا » .

سافر البنا إلى قنا فى أول قطار لينقل نشاط الجماعة إليها ، وتكون مناسبة لتثبيت مواقعه ونشر تنظيماته فى صعيد مصر.

ويستهل نشاطه بعقد مؤتمر للمسلمين والمسيحيين.

فى هذا المؤتمر بيّن المرشد العام أهمية الحكم بالشريعة الإسلامية وبدد مخاوف الأقباط من الدعوة للحكم بالقرآن الكريم قائلا :

ـ فى ظل الشريعة الإسلامية عاش المسلمون والمسيحيون فى وئام ليس له مثيل .

وقال :

ـ الإسلام لايعرف معنى الديمقراطية التى يحدد مدلولها الناس حسبما تقضى مصالحهم والإسلام لايعرف المتغيرات بل هو شريعة العدل لاتتغير ولاتتبدل تبعا للمصالح والأهواء .

* * *

لم يكن حسن البنا مدرسا عاديا يسرى عليه مايسرى على مدرسى التعليم الابتدائى من قرارات فينقل إلى قنا ، المدينة التى اعتادت الحكومات المصرية المتعاقبة أن تنقل إليها الموظفين المشاغبين للتكفير عن أخطائهم أو عقابا لهم !

ترك البنا لأنصار الاخوان أو لمن يريدون استمالة الاخوان إليهم ، أن يتحركوا لإعادته إلى القاهرة .

وتحرك ـ أول من تحرك ـ أعضاء حزب الأحرار الدستوريين الذين ينتمى إليهم هيكل باشا فقدم أحد نوابهم سؤالا إلى سرى باشا فى البرلمان .

برر سرى باشا ، فى أحاديثه الخاصة ، قرار النقل بأن البنا قصر فى عمله .

ولكن الاخوان أعدوا تقارير إدارة التفتيش بوزارة المعارف التى ترد على أقوال رئيس الوزراء ، وتثبت أن البنا كان موفقا فى عمله وحريصا عليه .

وزاد ضغط النواب المؤيدين للحكومة على رئيس الوزراء بعد أن ضاقوا بانتشار نفوذ الاخوان فى الوجه القبلى .

ورأوا إبعاد حسن البنا عن صعيد مصر .

وفى مذكرات هيكل باشا وصف لهذا كله .

قال هيكل باشا :

« أدى نقل البنا إلى مالم يؤد إليه نقل مدرس غيره .

جاءنى غير واحد من النواب الدستوريين يخاطبنى فى إعادته إلى القاهرة . ويرجونى فى ذلك بالحاح .

ولما لم أقبل هذا الرجاء ذهب هؤلاء النواب إلى رئيس الحزب عبد العزيز فهمى باشا وطلبوا إليه أن يخاطبنى فى الأمر .

وخاطبنى الرجل فذكرت له أن حسين سرى باشا هو الذى طلب نقل الشيخ بحجة أن له نشاطا سياسيا ، وأن النشاط السياسى محرم على رجال التعليم ، كما أنه محرم على غيرهم من الموظفين ، ولامانع عندى من إعادة الرجل إلى مدرسة المحمدية بالقاهرة .

خاطب عبد العزيز باشا رئيس الوزراء فى الأمر وذكر له إلحاح طائفة من النواب الدستوريين ذوى المكانة .

أبدى لى سرى باشا أنه لايرى مانعا من إعادة الرجل إلى القاهرة .. فأعدته » .

وكان من الصعب على سرى باشا أن يغضب أحد الحزبين المؤتلفين فى الوزارة . ويركن إلى نوابهما فى تأييد استمراره فى الحكم ، وخشى سرى أن يزداد ضغط النواب جسامة فأراد اتقاء ماقد يجر إليه .

وهكذا عاد البنا إلى القاهرة فى يونيو من العام نفسه .

ويقول السفير البريطانى السير مايلز لامبسون إن القصر الملكى بدأ يجد فى الاخوان أداة مفيدة . وإن الملك أصدر بنفسه أوامر لمديرى الاقاليم ـ محافظين ـ بعدم التدخل فى أنشطة الاخوان « الذين يعملون بلا أطماع شخصية لرفاهية البلاد » .

وقال السفير :

لاشك « أن الجماعة استفادت كثيرا من محاباة القصر لها .. كما نالت التأييد المادى والمعنوى . من العصبة المعادية لبريطانيا التى يرأسها على ماهر » .

وعلى أية حال فإن نتيجة قرار النقل والعدول عنه أفادت البنا كما يقول هيكل باشا فإن تراجع رئيس الوزراء « أشعر الشيخ حسن بأن له من القوة مايسمح بمضاعفة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط ، وأن هذا الشعور كان له أثره فى تطوير الاخوان المسلمين » .

وقوبلت عودة الشيخ البنا للقاهرة بالحفاوة والترحيب مما يدل على الشعبية المتزايدة للجمعية ومرشدها العام .

ولكن أحمد حسين زعيم مصر الفتاة لم يعجبه ذلك

قال : «فى الوقت الذى يفصل فيه بعض الموظفين . فإن حسن البنا كموظف لم تفعل الحكومة معه إلا نقله من القاهرة إلى قنا ثم مالبث أن أعادته مرة أخرى بعد فترة غير طويلة ، فهو ينال عطف الحكومات على التوالى ، فضلا عن تلك الاعانات التى تقدمها الحكومة وهيئاتها للجماعة »

جاءت المواجهة الثانية بين سرى والبنا بعد شهور

طلبت السلطات البريطانية من سرى باشا اعتقال حسن البنا وأحمد السكرى وكيل الجماعة .

وكان السبب فى ذلك تقارير المخابرات البريطانية التى أجمعت على أن الاخوان « يقومون بدعايات مضادة للانجليز ، ويخطبون ضد الانجليز فى اجتماعات شعبية ، ويجمعون معلومات عن تحركات القوات البريطانية ، ويجرون اتصالات مع موظفى السكك الحديدية ومع العاملين فى المستودعات والمعسكرات البريطانية » .

وقالت هذه التقارير :

« هناك شكوك فى أن الاخوان يخططون للقيام بعملية تخريبية شاملة ضد المنشآت الحيوية وشبكة الاتصالات البريطانية »

ورغم أن الانجليز لم يكونوا على يقين كامل بأن الاخوان يعدون خططا تخريبية إلا أن تقارير المخابرات سببت للسفارة قلقا كبيرا دعاها لأن تطلب من حسين سرى اعتقال البنا وأحمد السكرى وعبد الحكيم عابدين فاعتقلتهم الحكومة فى ١٦ من أكتوبر عام ١٩٤١ فى معتقل الزيتون بالقاهرة .

وكانت هذه أول مرة يعتقلون فيها . وتم ذلك وسط الحرب والأحكام العرفية وسيطرة الانجليز على كل شىء فى مصر ، مما لايعطى أملا للمرشد ووكيل الجماعة فى إفراج قريب !

قال حامد جودة وزير التموين لفهمى أبو غدير المحامى وعضو الجماعة إن البنا اعتقل بتهمة العمالة للمحور .

أوقف سرى باشا صحف الاخوان « التعارف » و « الشعاع » الأسبوعيتين و « المنار » الشهرية وأغلق مطبعتهم وحظر اجتماعاتهم ومنع الصحف من نشر أنباء عن الاخوان المسلمين واجتماعاتهم .

ولكن ، تحرك كثيرون – مرة اخرى – للدفاع عن البنا وبينهم توفيق دوس

باشا ـ مسيحى ونائب منفلوط ووزير المواصلات السابق ـ الذى قدم استجوابا إلى مجلس النواب بشأن اعتقال حسن البنا .

وانهالت العرائض والالتماسات على الملك ورئيس الوزراء تطالب بالأفراج عن الشيخ .

واعتصم الطلاب فى مسجد السلطان حسن بالقاهرة .

وفى ١٢ من نوفمبر القت الشرطة القبض على ١٦ طالبا كانوا يحاولون تنظيم اجتماع للاحتجاج على اعتقال زعيم الجماعة .

أصاب الرعب سرى باشا فقرر إطلاق سراح زعماء الاخوان فى اليوم التالى

روى فتحى رضوان المحامى ورئيس اللجنة العليا للحزب الوطنى الذى كان مع حسن البنا فى المعتقل . قال :

« ذات يوم . رأينا باب المعتقل يفتح ، وسيارة ضخمة من سيارات الوزراء تدخل إلى حديقة المعتقل .

وسمعنا أن القادم فى السيارة محمد حامد جودة وزير التموين وسكرتير الحزب السعدى ، فى وزارة حسين سرى باشا .

ورأينا حسن البنا يدعى إلى النزول إلى مكتب مدير المعتقل حيث اختلى بالوزير الذى جاء ليفاوض المرشد العام فى المسائل التى وقع فيها الخلف بين الاخوان والحكومة .

ويبدو أن المفاوضات أثمرت الافراج عن الأستاذ المرشد » .

وهكذا صدر قرار الافراج عن البنا فى ١٣ من نوفمبر أى بعد أقل من شهر .

سأل الشيخ البنا قائد المعتقل :

ـ هل شمل قرار الافراج كلا من أحمد السكرى وعبد الحكيم عابدين وكيل الجماعة وسكرتيرها العام ؟

أجاب القائد بالنفى ، ورفض الشيخ البنا الخروج أو النجاة بنفسه قال :

ـ كيف أخرج وأترك زملائى

قام القائد باتصالات كثيرة مع المسئولين ثم أعطى وعدا للشيخ باستصدار قرار الأفراج عنهما فخرج حسن البنا آسفا .

وفى تقرير المخابرات الحربية البريطانية أن « حكومة حسين سرى اعتقلت حسن البنا ضمن آخرين ولكنها أطلقت سراحه فورا بسبب الضغوط عليها » .

* * *

سأل السفير البريطانى سرى باشا عن سبب الافراج عن حسن البنا رغم ان السفير نفسه الذى أصر على الاعتقال .

أجاب رئيس الوزراء :

ـ إن افتتاح البرلمان سيجرى بعد يومين . ولا أستطيع ضمان النظام والأمن فى ذلك اليوم إذا استمر اعتقال البنا وزميليه .

ولو كان الملك هو الذى تدخل للافراج عن المرشد العام لكان حسين سرى قد أبلغ الانجليز ، أو حرص على نشر ذلك بوسائل متعددة ، خاصة ، وأنه أفشى سر الاعتقال وأعلن أنه تم بناء على اقتراح السفير البريطانى .

قال حامد جودة لفهمى أبو غدير ، إن وساطته نجحت فى الافراج عن الشيخ لأن الاتهام يقوم على الظن والهوى .

وقالت الصحف إن السعديين اشتروا الشيخ البنا وجماعته بالافراج عنه.

وقيل إن السعديين رغبوا فى استغلال الافراج عن المرشد العام لمصلحتهم !

وهكذا ألقى المسئولون جميعا تبعة الاعتقال على الانجليز ونسبوا لأنفسهم فضل الافراج !

* * *

إذا كان البنا قد أفاد من نقله إلى قنا وعودته السريعة إلى القاهرة فإن اعتقاله

فترة تقل عن شهر ، تم الافراج عنه ، جعلت الاخوان على درجة كبيرة من القوة .

أصبح باستطاعتهم فرض مايشاءون ـ بالتهديد ـ على حسين سرى الذى بدأيدرك جيدا ضعف حكومته التى لاتتمتع بتأييد فى البرلمان . والتى فقدت فى الوقت نفسه تأييد الملك والإنجليز.

ويتقارب الملك والاخوان وأخذ سرى باشا يسعى لتحسين صورة الاخوان لدى السلطات البريطانية التى اكتشفت أن رئيس الوزراء يفعل ذلك بناء على تعليمات الملك !

وكان الألمان قد اشاعوا أن هتلر أسلم ونشر وسيم خالد ـ المتهم بالاشتراك فى اغتيال أمين عثمان وزير المالية فى عهد الوفد ـ أن اتفاقا تم بين المرشد والانجليز للتعاون على محو اسطورة الحاج محمد هتلر فى المساجد والامتناع عن أى نشاط معاد لبريطانيا مقابل التغاضى عن نشاط الاخوان فى المدن والقرى .

وفى كتاب ميتشيل قال : إن السفارة البريطانية عرضت مساعدة على الجماعة لتحقيق أهدافها .

واختلفت المصادر فيما إذا كانت الجماعة قد قبلت أو رفضت المساعدة والدعم المالى من بريطانيا . ولكن مصادر الاخوان نفت قبولها « لأموال الكفرة » .

وتقارير المخابرات البريطانية تؤكد هذا النفى . كما يؤكده أيضا هيوارث دان وهو رجل بحكم صلته بالمخابرات .. كان يعرف الحقيقة .

وقالت تقارير المخابرات البريطانية :

« أصبح حسن البنا أكثر حذرا فى حديثه عن الانجليز.

تجنب الاشارات العدائية إلى بريطانيا ولكن خطباء الاخوان فى الأقاليم استمروا يهاجمون بريطانيا .

وتميزت الشهور التالية فى نشاط الاخوان بالهدوء المعتدل » .

وتظل المخابرات تتابع الاخوان لتكتشف أنهم مستمرون فى « مخططاتهم التخريبية » .. أى الاستعداد لتخريب المنشآت وخطوط المواصلات البريطانية إذا نجح الألمان فى غزو مصر .

ومن هنا تتضح الحقيقة وهى أن الاخوان هادنوا الانجليز علنا . وهاجموهم سرا لأنهم رأوا الوقت غير مناسب للصدام

* * *

ويتقدم الألمان داخل صحراء مصر الغربيه فيسحقون القوات البريطانية فى العجيلة ودرنة .

ويختفى الخبز فى القاهرة وتقوم مظاهرات يهتف الطلاب خلالها قائلين :

« إلى الإمام يا روميل » .

وقيل إن هذه المظاهرات تمت بتحريض من الوفد أو الانجليز حتى يتسنى تغيير الحكومة .

ولايشترك الاخوان فى هذه المظاهرات .

وتفسر السفارة البريطانية ذلك قائلة .

« يبدو أن أوامر صدرت للاخوان بألا يشتركوا فى هذه المظاهرات بصورة واضحة » .

وربما تقصد السفارة أن الاخوان رفضوا الافصاح عن ميولهم الموالية للألمان إذا هتفوا لروميل !

ولكن كان واضحا أن الاخوان لم يتعاطفوا مع النازية .

وعلى أية حال فإن عمر وزارة سرى باشا انتهى ـ باستقالته ـ فى ٤ من فبراير ١٩٤٢ .. عندما حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين . وفرضت على

الملك فاروق تعيين مصطفى النحاس رئيسا للوزارة .

ولكن الاخوان وقفوا ضد حادث ٤ فبراير وقرروا دخول الانتخابات النيابية القادمة .

جماعة لها .. وزن

اللقاء الأول بين مصطفى النحاس باشا رئيس وزراء مصر والشيخ حسن البنا تم عام ١٩٣٦ عندما كان النحاس باشا يرأس الوزارة

يومها كان الشيخ ضمن وفد يطالب بالتعليم الديني في المدارس فظن رئيس الوزراء أن المرشد العام .. عمدة لقرية مصرية !

والصدام الأول بين الرجلين تم فى عهد تلك الوزارة أيضا .

أشاد النحاس فى تصريح لصحيفة « الاهرام » بكمال أتاتورك زعيم تركيا وقال إنه « من المعجبين بعبقريته .. بلاتحفظ » !

رد المرشد العام فى صحيفة الاخوان فقال :

« موقف الحكومة التركية الحديثة من الاسلام وأحكامه معروف . فقد حذفت القانون الإسلامى ، وحكمت بالقانون السويسرى .. فهل يفهم من هذا أن يكون لأمة مصر برنامج كالبرنامج « الكمالى » ؟!

ويعقد النحاس مع بريطانيا معاهدة ١٩٣٦ فيعارضها الاخوان ويطلقون عليها اسم « المعاهدة المشئومة » .

ويهاجم حسن البنا معظم وزراء النحاس ..

انتقد وزير الخارجية لأنه أقام حفلا للبعثة الايرانية لما فيه من خمر ورقص وعبث بأموال الفلاحين بما يخالف الدين !

.... ووزير الداخلية لأنه سافر ظهر الجمعة وترك أداء فريضتها !

... ووزير المالية لحضوره ميادين السباق والمراهنة وهى قمار صريح !

ويسافر النحاس عام ١٩٣٧ إلى « مونتريه » لبحث الغاء الامتيازات الأجنبية فيقدم إليه حسن البنا مذكرة يطلب فيها أن يختار التشريع الإسلامى دستورا للأمة .

ويخطب النحاس بعد عودته من سويسرا فيقول :

« تطالب جماعة لا وزن لها . ولا قيمة بأن يكون القرآن دستورا للأمة .. والإسلام عالى الجنبات ليس فى حاجة إلى هذه الصيحات » .

رد الاخوان :

« يارفعة الباشا . قلتم إن الجماعة لا وزن لها ولاقيمة .. وهذا أمر متروك للزمن يقول فيه كلمته » ..

ويقيل الملك حكومة النحاس فى ٣١ من يوليه عام ١٩٣٧ وتنشأ أزمة ثانية بين الوفد والجماعة .

حملت صحيفة « المصرى » ـ الناطقة باسم الوفد ـ فى يوليو ٣٨ ـ على طلاب الاخوان .

وكررت الصحيفة هجومها أكثر من مرة .

ردت مجلة « النذير » بعنف . قالت :

« وراء سطور الجريدة مؤامرة ضد الإسلام لأن المسيطر عليها هو الوفد . وقد منع النحاس الصلاة فى الأزهر .. ورجال الوفد دعاة فساد يغررون بالشباب والطلبة .. ومعسكرات الوفد أماكن تجمع للقوادين والنشالين والمجرمين وأرباب السوابق » !

ويجئ ذلك الزمان الذى تنبأ به الاخوان ، فيعرف النحاس قيمتهم وقدرهم عندما يتولى رئاسة الوزارة فى أعقاب حادث ٤ من فبراير ١٩٤٢ !

* * *

استنكر الاخوان حصار قصر عابدين بالدبابات البريطانية ، فاتهم بعض

رجالهم فى طنطا باعداد جيش للترحيب بروميل وتجهيز عناصر موالية للمحور ومعادية للحلفاء .

حل النحاس مجلس النواب بعد ٣ أيام من توليه رئاسة الوزارة فقرر الاخوان دخول المعركة الانتخابية التى قاطعتها الاحزاب الأخرى . وبلغ عدد مرشحى الجماعة ١٧ مرشحا .

قال حسن البنا وهو يرشح نفسه ـ عن دائرة الإسماعيلية ـ : إن الترشيح يتم فى ظل الإسلام وتحت راية القرآن .

وتركزت دعاية البنا على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية .

وتحاشى الاخوان مهاجمة بريطانيا علنا ولكن استمرت الدعاية السرية ضد الانجليز .

اعترض بعض الاخوان ـ الذين يريدون قصر نشاط الجماعة على الدين ـ على دخول زعيم الاخوان معترك السياسة بشكل رسمى .

وكانت التعليمات للاخوان ـ كما تقول تقارير المخابرات البريطانية ـ أن يصوتوا لصالح المسلمين الصالحين فى أية دائرة ، أو لصالح مرشحى حزب العمال الذى أسسه النبيل عباس حليم ويدعمه القصر !

وجاء فى مقال نشرته إحدى الصحف أن حسن البنا سيكون زعيم المعارضة فى البرلمان !

* * *

كان النحاس يعتقد أن الاخوان جمعية دينية فقد ذكر أحمد حسين زعيم مصر الفتاة للنحاس قائلا :

ـ الشيخ حسن البنا رجل دين لا أكثر .

دعا رئيس الوزراء المرشد العام للاجتماع به فى منتصف مارس بفندق « مينا هاوس » لإقناعه بسحب الترشيح .

وهناك عدة روايات لما جرى فى الاجتماع بين مصطفى النحاس والمرشد العام ..

الرواية الأولى قالها حسن البنا فى اجتماع بالشارع الثلاثين بالإسماعيلية عقب تنازله عن الترشيح مباشرة :

ـ دعانى مصطفى النحاس باشا إلى مكتبه وطلب منى التنازل عن الترشيح . فلما سألته عن الأسباب قال :

ـ البلد فى حالة حرب . ومصلحة البلد أن تتنازل .

قلت :

ـ ألا يكفى أن الحكومة قيدت خطواتى ولا تسمح لى بالسفر خارج القاهرة إلا بإذن من وزارة الداخلية . والدعوة بهذه الصورة لاتجد مجالا للانطلاق فيكون التنازل عن الترشيح حجرا على الدعوة والداعية .

قال مصطفى النحاس :

ـ فى حالة قبولك التنازل ، لا مانع عندى من أن تكون لك حرية الدعوة فى كل مكان .

قال البنا :

ـ أمام هذا التصريح أوافق على التنازل عن ترشيح نفسى .

وقال البنا فى خطابه بالإسماعيلية :

ـ لم نرد من الترشيح إلا أن نجد منبرا نعلن فيه عن دعوتنا فإذا تيسر لنا فى حدود الظروف ـ التى يتاح لى أن أفصلها حين تسنح الظروف ـ نكون قد وفقنا إلى أحسن الحلول !

والرواية الثانية نشرها إبراهيم فرج الوزير الوفدى فى كتابه « ذكرياتى السياسية » بعد أكثر من ربع قرن ، وكان كل من البنا والنحاس قد انتقلا إلى رحاب الله .

قال النحاس .

ـ يا حسن . أنا مسلم مثلك . وأعرف قواعد الدين وأصوله . من حقك الوعظ والارشاد والدعوة إلى احترام القيم . ولكنى أرفض دخولك فى السياسة للوصول إلى الحكم . إنى أمنع ذلك بكل قوة .

نفى البنا أنه يريد الحكم والسلطة . قال :

ـ سمعا وطاعة . وإذا كان أحد زملائى قد انحرف فى هذا [illegible] ا كفيل برده إلى حقيقة الدعوة ، وهى مكارم الأخلاق والقيم الدينية

قال النحاس :

ـ لاتشتغلوا بالسياسة ولا ترشحوا أنفسكم فى مجلس النواب

وقال البنا لابراهيم فرج بعد اللقاء :

ـ كان النحاس باشا عنيفا ومنفعلا .

والرواية الثالثة جاءت فى تقرير للمخابرات البريطانية :

« خشى النحاس أن يثبت حسن البنا أنه منافس قوى للوفد وهدده بالاعتقال مع كبار قادة الاخوان إذا لم يذعن وهدده بمحاكمته أمام محكمة عسكرية بتهمة التجسس .

وهدده النحاس أيضا بنشر اتهامات مزعومة حول أسلوب البنا فى التصرف فى أموال الجماعة !

ورد النحاس للبنا ٤٥٠ جنيها كتعويض عن التأمين الذى دفعه مقابل الترشيح ونفقات الدعاية التى صرفها » !

وهذا التقرير يكشف عن حقيقة هامة وهى أن الوفد بدأ يخشى من منافسه الاخوان ويعنى أيضا أن حسن البنا أصبح يحسب له حساب .

وكان تهديد الوفد للبنا وانسحابه أيضا يدل على أنه عنصر هام فى الشارع السياسى المصرى .

وفى مقال كتبه محمد عفيفى شاهين رئيس تحرير مجلة « الحوادث » الوفدية قال : إن حسن البنا أصبح شهيدا بانسحابه .

ولكن انسحاب البنا كان عملا صائبا وإذا كان النحاس قد هدد، بالاعتقال فإن رئيس الوفد فى ذلك الزمان . وفى ظروف الحرب لم يتردد بعد ذا اعتقال مكرم عبيد وعلى ماهر وغيرهما كثيرون .

وفى كتاب ريتشارد ميتشيل قال : إن الاجتماع بين النحاس والبنا جمع بين الترغيب والرشوة ، أو الرغبة والرهبة ، فإن النحاس عرض على البنا مقابل الانسحاب :

١ ــ حرية الجماعة فى استئناف أعمالها على نطاق شامل .

٢ ــ أن تعد الحكومة باتخاذ الاجراءات اللازمة لحظر المشروبات الكحولية والدعارة

* * *

عقد الاخوان اجتماعا قرروا فيه عدم الاذعان لرغبة النحاس تماما كما حدث عندما نقل سرى باشا زعيم الاخوان إلى قنا .

وكما حدث فى قرار النقل فى عهد سرى وافق البنا فى نهاية المطاف على الانسحاب من المعركة الانتخابية !

* * *

نشرت صحيفة « الاهرام » يوم ٢٣ من مارس ١٩٤٢ أن رئيس الوزراء « استقبل المرشد العام بحضور الشيخ محمد البنا مدير إدارة الشئون الدينية بمجلس الوزراء . ودار الحديث حول تنازل الشيخ حسن البنا عن ترشيح نفسه لمجلس النواب عن دائرة الاسماعيلية .

وقد أصغى المرشد العام إلى نصائح رفعة رئيس الوزراء وتوجيهاته السديدة ، وعلى إثْر ذلك أعلن تنازله عن ترشيح نفسه عملا بنصح الرئيس » .

ونشر النبأ بهذه الصورة إدانة للنحاس باشا وإقرار بأن التنازل عن الترشيح تم بناء على ضغوط الباشا التى قيل إنها نصيحة !

وقالت « الاهرام » : إن رئيس الوزراء استقبل المرشد العام للمرة الثانية على رأس وفد من الجمعية وقدم إليه كتابا يؤيد سياسة الوزراء .

قال المرشد العام فى رسالته لرئيس الوزراء بعد مقدمة قصيرة :

« تحدثتم رفعتكم إلى الأمة المصرية الكريمة حديثا رائعا جليلا ضمنتموه كثيرا من المبادئ القويمة والأمانى الطيبة التى يسر كل مصرى أن يحققها الله على يديكم .

دعوتم الأمة إلى مصارحتكم والتقدم إليكم بالنصح « فنحن أبناء أسرة واحدة وهى الأسرة المصرية الكريمة وقررتم رفعتكم أنه من دواعى سروركم أن تتعاون الأمة والحكومة فى هذه الظروف الدقيقة » فى تنفيذ سياسة خارجية حكيمة وتعميم سياسة داخلية بصيرة ..

والواجب يقتضينا ، والمصلحة تدعونا ، إلى أن ننفذ باخلاص ، وحسن نية ، أحكام المعاهدة التى وقعناها بمحض اختيارنا وملئ حريتنا وقصدنا من ورائها سلامة استقلالنا القومى والاحتياط لمثل هذه الظروف العميقة

وختمتم هذا الحديث بأن علينا أن « نعبر الطريق المحوط بالمخاطر . متعاونين متحدين كالبنيان المرصوص ، مترقبين بزوغ فجر الحرية ، فيقوم عدل الحكام على أنقاض الظلم والاستبداد وتتفيأ الأمة ظلال الطمأنينة والسكينة والسلام »

« أصغينا إلى هذا الحديث القيم ثم قرأنا فى الصحف أن معالى وزير الصحة أخذ يدرس باهتمام مشكلة البغاء تمهيدا لتخليص مصر من وصمته الشائنة وأنه قرر فعلا البدء بإلغاء دور البغاء فى القرى والبنادر من أول مايو المقبل .

فالاخوان المسلمون أمام هذه الآمال الصالحة والأعمال الطيبة النافعة ، يرون من واجبهم أن يستجيبوا لندائكم . ويعلنوا أنهم حريصون كل الحرص على أن يكونوا عونا لكم وللحكومة المصرية فى تحقيق برنامجكم الاصلاحى الذى

أعلنتموه متمسكين دائما بآداب الإسلام العالية وتعاليمه القوية وأخلاقه الفاضلة »

وفى هذا البيان أو الرسالة المفتوحة التى وجهها الشيخ البنا إلى النحاس باشا اعلان بولاء المرشد العام للحكومة والتزامه بمعاهدة ١٩٣٦ !

* * *

فسر أعضاء الجماعة الإنسحاب بأنه استسلام مهين وانتقدوا بعنف حسن البنا .

وأصيبت الجماعة بانقسام مؤقت . وتأثرت أنشطتها تأثيرا بالغا رغم جهود البنا لتبرير الانسحاب وإلقاء اللوم على البريطانيين بتحريض النحاس ضده ..

كان بين الغاضبين على انسحاب البنا ، عمر التلمسانى الذى أصبح ـ فيما بعد ـ مرشدا عاما للإخوان . فانقطع عن التردد على المركز العام .

افتقد حسن البنا صاحبه وسأل عن السبب .

قيل :

ـ إنه غاضب لانسحابك من المعركة .

أرسل البنا خطابا إلى التلمسانى يستدعيه لمقابلته .

رد عليه بخطاب فحواه عدم الجدوى من المقابلة .

بعث البنا إليه عبد الحكيم عابدين وعبده قاسم ـ من قيادات الاخوان ـ فحملا التلمسانى على الحضور حيث لقيه وأقنعه .

واعترفت السفارة البريطانية فى برقياتها بأن النحاس عرض مساعدة الاخوان إذا تعاونوا معه ولذلك أعلن البنا ولاءه للحكومة والتزامه بالمعاهدة .

وفى كتاب الكاتب السوفيتى سيرانيان وعنوانه « مصر ونضالها من أجل الاستقلال » قال : « اكتفى النحاس بتأكيدات البنا بأنه سيساند الحكومة الوفدية .

وبنى النحاس حساباته على تأمين نفسه من مؤامرات القصر ودسائسه التى تحاك ضده بواسطة الاخوان المسلمين .

وانتهجت الجمعية سياسة الدعم السلبى للوفد .

ولجأ البنا إلى سياسة الترقب وكله أمل فى انتظار الفرج . واتسم تعاونه مع الوفد بأن أهدافه أخرجت الجمعية ومرشدها العام من المعمعة .. سالمين » !

* * *

بعث السفير البريطانى إلى لندن يوم ٢٨ من مارس ١٩٤٢ يقول :

« كتب رئيس الاخوان المسلمين ، عند انسحابه من الترشيح للبرلمان خطابا إلى رئيس الوزراء يعده بالتعاون مع الحكومة مما يعنى ضمنا الولاء للمعاهدة الانجليزية ـ المصرية .

وربما تم التوصل إلى هذه النتيجة بمزيج من الارهاب والرشوة . ولكن قيمتها مشكوك فيها .

وأخذ الاخوان يتباهون بما يتمتعون به من تأثير لدى جميع وحدات الجيش المصرى .

وقرر النحاس فرض قيود على بيع المشروبات الكحولية فى أوقات معينة يوميا ، وخلال شهر رمضان وفى الأعياد الدينية .

واتخذ بعض الاجراءات الضرورية لحظر ممارسة الدعارة .

وقام فورا باغلاق بعض المواخير وسمح باستئناف الجماعة لبعض أنشطتها ، بما فى ذلك إصدار بعض المطبوعات وعقد الاجتماعات » .

ولكن السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ـ اللورد كيلرن ـ كان قصير النظر فلم يتوقع للاخوان ما تحقق لهم . كتب إلى لندن يقول :

« تجذب جماعة الاخوان المسلمين إلى صفوفها المسلمين المتدينين البسطاء

الذين ينتمون إلى الطبقات الفقيرة فمبادئ الجماعة تدعو إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية .

ومن غير المتوقع أن تحل مثل هذه الجماعة ضيقة الأفق . والمعوقة للتقدم . محل حزب قومى كبير مثل الوفد . رغم ما يلجأ إليه الاخوان . بين الحين والآخر . من محاولات لاجتذاب هذه العناصر ذات الثقافة السطحية إلى معاداة الأجانب »

* * *

غضب الاخوان من النحاس عندما قبض على على ماهر فى إبريل واعتبروا ذلك ضربة موجهة إليهم .

قالت المخابرات البريطانية :

« عقد الاخوان هدنة مع الوفد . ربما فى جو من الاحترام المتبادل بعد أن أدرك البنا أن بمقدور النحاس أن يشجع الجماعة . بينما أدرك النحاس أن الاخوان يمكن أن يسببوا له مشكلة كبيرة إذا تحدوه .

وصار بوسع البنا أن يعتمد على تعاطف أعداد لا بأس بها من رجال الشرطة والمسئولين الحكوميين من الاخوان وخاصة فى الاقاليم .

ولكن عندما تقدم الألمان نحو العلمين زاد حماس الاخوان فألقوا بعض الخطب المؤيدة للألمان » .

وقالت المخابرات البريطانية :

« ألقى حسن البنا خطابا أعلن فيه تأييده القوى للألمان ولكن ذلك لم يثبت أبدا . وظلت خطبه الأخرى تدور حول سياسته الدينية .

وأعطى لمعاونيه ـ فى أحاديثه الخاصة ـ انطباعا بأنه يرغب فى تحاشى وقوع صدام مع حكومة الوفد أو الانجليز »

تقدم الألمان إلى العلمين على بعد مائة كيلو متر من الاسكندرية . فقالت

المخابرات البريطانية بأن البنا ذكر لبعض رجاله المقربين أن انتصار الألمان والايطاليين أصبح وشيكا وأنه فى انتظار تعليمات من الألمان لتنفيذ مخططات تخريبية وراء خطوط الانجليز » .

قالت السفارة الابريطانية :

« يعتمد موقف الاخوان تجاه الألمان على مبدأ تبادل المنفعة معهم .

ونحن بدورنا ـ أى الانجليز ـ لانثق فى الرغبة التى أبداها حسن البنا فى التعاون مع الوفد وتركيز نشاط جماعته على قضايا الاصلاح الدينى فمازالت التقارير تتوالى عن الخطط التخريبية التى تعدها الجماعة .

وليس بمقدور المرء أن يغفل أصالة البرنامج الاجتماعى للجماعة

فقد أعلن متحدث بأسمها أن الفقر الذى يطحن جماهير الشعب فى وقتنا الحالى نتج عن طغيان الاغنياء وتصدير المواد الغذائية إلى الخارج بطريقة غير مشروعة .

وهاجم تسامح الحكومات مع بعض العادات المذمومة التى وفدت إلى البلاد من الغرب مثل القمار وشرب الخمور وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا .

وأرجع حسن البنا كافة أشكال الانحلال الخلق التى تعانى منها البلاد إلى النفوذ الغربى .

وفى سبتمبر ظهر العدد الأول من مجلة الجماعة الأسبوعية « الاخوان المسلمون » بعد أن حصلت على موافقة الحكومة .

لم يحو هذا العدد شيئا سوى المقالات البلاغية المستحسنة والتى لاجديد فيها » .

وقالت تقارير المخابرات البريطانية :

« أن قيادات الجماعة أعلنت فى اجتماع سرى لها أنه إذا خسرت بريطانيا

الحرب فستنال الجماعة تأييدا كاملا من دول المحور . أما إذا انتصرت بريطانيا فستتعامل مع المصريين على نحو ماتعاملت به مع عرب فلسطين » .

* * *

ويحاول الاخوان التقرب إلى صاحب الجلالة ـ الذى غضب لتنازل البنا عن الترشيخ فى الانتخابات ضد الوفد ـ فيتوجه المرشد العام إلى قصر عابدين ليرفع إلى فاروق العدد الأول من مجلتهم نصف الشهرية .

وتتدخل السفارة البريطانية ضد الإخوان فحظرت الحكومة الوفدية فى سبتمبر ١٩٤٢ الاجتماعات العامة وهددت الاخوان باتخاذ المزيد من الاجراءات الانتقامية نحوهم .

ويتلقى المرشد العام تحذيرا قويا من القيام بأية أنشطة معادية لبريطانيا أو للحكومة حتى لاتتعرض قيادات الجماعة للاعتقال .

ويستدعى فؤاد سراج الدين المرشد العام . قال له :

ـ ياشيخ حسن عايز أعرف أنتم جماعة دينية أو حزب سياسى ؟ أحنا ماعندناش مانع أبدا أنكم تكونوا حزب سياسى .

أعلنوا على الملأ أنكم بتشتغلوا بالسياسة ، وأنكم كونتم حزب سياسى ولاتتستروا بستار الدين ، ولا تتخفوا فى زى الدين .

أما أن تتستروا تحت شعار الدين ، « والله أكبر ولله الحمد » وفى نفس الوقت تقوموا بالعمل السياسى وتباشروا السياسة الحزبية فهذا غير معقول لأنه يخل بمبادئ تكافؤ الفرص بينكم وبين الأحزاب السياسية .

أنا كرجل سياسى حزبى لا أستطيع أن أهاجم جماعة دينية تنادى بشعارات دينية سامية ، وإلا سأكون محل استنكار من الرأى العام .

رد الشيخ البنا :

ـ نحن لم نفكر فى العمل بالسياسة . ونحن رجال دين فقط ، ورجال فكر

ديني . وإذا كان قد صدر من بعض رجالنا أو من بعض شعبنا أي عمل يخالف هذا الخط ، أو يدل على اتجاه سياسى فأنا استنكره وسأوقفه عند حده فورا .

ويجتمع النحاس بالمرشد العام مرة أخرى فى أواخر سبتمبر ليوجه إليه تحذيرا عنيفا من القيام بنشاط ضد الانجليز ويهدد باعتقال زعماء الجماعة .

وينتهى الأمر بتسوية الخلافات مع الحكومة . ويوقف المرشد العام كل مايشكو منه النحاس وسراج الدين ويلزم رجاله بالانضباط فإن تهديدات النحاس كانت مؤثرة .

وتتجنب الجماعة النشاط السياسى وتقتصر على تدعيم الكشافة . والدروس المسائية للعمال ، وتنتشر شعب الجماعة وتزداد قوتها ونفوذها فى الأقاليم .

قال هيوارث دان « إن الجماعة عندما تواجه حكومة قوية تقصر نشاطها على الدين . وتتحول إلى السياسة أمام الحكومات الضعيفة » !

وتهاجم الشرطة منزل حسن البنا يوم ٢٤ أكتوبر بحثا عن أية كتيبات أو منشورات دعائية لصالح المحور ، وتلقى القبض على اثنين من قيادات الجماعة بالأقاليم بتهمة التورط فى طباعة منشورات مؤيدة لدول المحور وتوزيعها .

قال تقرير للسفارة البريطانية :

« بذل البنا قصارى جهده لفرض الالتزام بالنظام على أتباعه .

ونجح فى الحصول على موافقة الحكومة بإعادة فتح عدد من مقار الجماعة التى أغلقتها الشرطة .

أخذت الجماعة تتحاشى التعرض للمسائل السياسية . وركزت جهودها على زيادة عدد أعضاء الجوالة وتدريبهم وتنظيم الفصول الدراسية المسائية للعمال .

وكان لتهديدات النحاس باشا بتوجيه اجراءات عقابية صارمة ضد الاخوان أثرها فجعلتهم أكثر حذراً » .

ويكتب السفير البريطانى اللورد كيلرن إلى لندن يوم ١٧ من نوفمبر ١٩٤٢ :

« يعتقد الوفد أن الاخوان يستغلون حزب الوفد لمصلحتهم ، وأنهم يميلون الآن إلى تأييد الملك .

وتوجد أدلة ظاهرة على زيادة مشاعر عداء الاخوان للانجليز » .

ورغم ذلك قالت السفارة البريطانية :

« الاضراب الذى وقع فى معمل تكرير السويس التابع لشركة البترول الانجليزية المصرية من تدبير اثنين من أعضاء الجماعة لايعملان فى الشركة .

وتم تكوين تنظيمات جديدة للاخوان تتزايد قوتها وتأثيرها باستمرار فى جميع انحاء البلاد .

وقطع القصر إعانته عن الجماعة بعد انسحاب البنا من الانتخابات . ثم استأنف القصر تقديم هذه الاعانة فى ديسمبر ١٩٤٢ . وخفت تدريجيا المعارضة التى سادت صفوف الاخوان واستعاد البنا سيطرته على الحركة »

كان الاخوان يأملون ـ كما تصر السفارة البريطانية ـ فى انتصار المحور ـ ألمانيا وإيطاليا وحلفائهما .. ومن هنا حرصت المخابرات البريطانية ، والسفارة ، على مراقبة الجماعة لمعرفة ما إذا كانت هناك علاقات بينها وبين المحور .

وتبرق السفارة البريطانية إلى لندن بنتائج الرقابة . قالت :

« لا توجد سوى دلائل بسيطة للغاية على اتصالهم بعملاء دول المحور منذ نشوب الحرب فالألمان والايطاليون يرفضون مبادئ هذه الجماعة شأنهم فى ذلك شأن سائر الأوربيين . والفارق الوحيد أنهم قد يكونون أدوات لتخليص مصر من البريطانيين واليهود .

ورغم أن الاخوان المسلمين قلدوا الفاشية والنازية فى تنظيمهاتهم إلا أنهم لا يتعاطفون كثيرا مع مبادئهما وأفكارهما كما يشاع بين الناس .

والاخوان معادون للاوربيين والبريطانيين خاصة بسبب الوضع المتميز لبريطانيا فى مصر من جهة . وهم مسلمون متعصبون من جهة أخرى .

والاخوان المسلمون . فى اتجاههم العام ، يعتنقون أفكارا اشتراكية ديمقراطية . ومن الممكن أن نتصور أنهم قد يصبحون يوما ما حزبا عماليا يعارض الوفد وأحزاب المعارضة الصغيرة التى تتكون فى معظمها من الأثرياء .

ولا أحد يعرف على وجه الدقة العدد الحقيقى لأعضاء الجماعة

وتقدره مصادرنا بما يتراوح بين ١٠٠ ألف و ٢٠٠ ألف عضو ولكن مسئولا كبيرا بالشرطة المصرية يضاعف هذا الرقم كثيرا ويصل به إلى ٥٠٠ ألف » .

وتكتشف السفارة خطة الاخوان .

قالت :

« الجماعة تتحاشى الصدام معنا . ومع حكومة الوفد ، بينما تستمر فى تدعيم قوتها . ولا يعقل أن يعرض الاخوان مستقبلهم للخطر عن طريق القيام بعمل مندفع ، غير عاقل ، عندما تلوح أمامهم الفرصة . ورئيس الوزراء عازم على التصدى لجميع أشكال العصيان المدنى ، ولديه القدرة على ذلك » .

قال أمين عثمان وزير المالية للسفير البريطانى .

ـ ينتشر الاخوان فى جميع أنحاء البلاد وعددهم يفوق جميع أحزاب المعارضة الرسمية من حيث شعبيتهم وقوتهم . ولا يمكن مقارنتهم فى هذا العدد إلا بالوفد نفسه . والغالبية العظمى منهم يتميزون بالاخلاص .

وكان أمين عثمان على حق فيما يقول فإن المرشد العام كان مقتنعا بضرورة أن يكتمل جيل الاخوان الأول .. الجيل المستمع .. أو جيل التكوين .

ويكتب السفير :

« تتخذ العلاقات بين الاخوان والوفد شكل الهدنة من الناحية الفعلية .

ومن المفيد بالنسبة للاخوان ـ أن يحتفظوا بعلاقات طيبة مع الوفد ، طالما أن المعارضة من شأنها أن تؤدى إلى إغلاق مقارهم ، واعتقال قادتهم ، وإلحاق أضرار جسيمة بمستقبل الجماعة .

وقد التزم حسن البنا بنصيبه من الاتفاق بالامتناع عن توجيه النقد الاستفزازى للحكومة رغم أن موقعه الفكرى من مبادئ الوفد لم يتغير

أما الوفد فمازال ينظر إلى أنشطة هذه الجماعة بعين الشك ويحرص على القيام بالمراقبة الدقيقة لها »

وتبقى العلاقات بين الطرفين متقلبة لاتستقر.. والهدنة لاتدوم.

* * *

وتراقب السفارة ـ لأول مرة ـ الجهاز السرى للاخوان.

ولكن السفارة لاتستطيع أن تحدد طبيعة هذا الجهاز ـ دوره ـ وأعضائه ـ بل تكتفى بالإشارة إلى أن الجماعة بدأت فى تسليح أعضائها.

وقال تقرير السفارة البريطانية فى ٢ من ديسمبر:

« تجمعت لدينا على مدى ٣ سنوات تقريبا تقارير هائلة عن وجود خطط يضعها الاخوان للتخريب والقيام بعصيان مسلح.

ولاتوجد من الناحية الفعلية أية أعمال تخريبية أو اضطرابات معادية لبريطانيا على نحو خطير.

وقد يكون الاخوان أكثر جرأة فى تفكيرهم عن المصريين العاديين. ولكن لايوجد دليل على أنهم يستعدون للتضحية بأرواحهم.

لقد ظل المصرى معروفا على مر العصور بأنه يمكن أن يقوم بتمرد عندما ينفذ صبره تماما ولكنه فى الوقت نفسه ليس بالإنسان الذى يقبل على تعريض حياته للخطر.

إنه يخضع رغما عنه، ويظل يخطط للانتقام وإسالة الدماء إلى مالا نهاية واضعا أمله على الظروف الخارجية فى تغيير الأوضاع لصالحه »

* * *

أصدر النحاس باشا فى أواخر يناير من عام ١٩٤٣ قرارا بحظر جميع اجتماعات الاخوان باستثناء تلك التى تتم فى مقرها الرئيسى بالحلمية الجديدة بالقاهرة ـ بعد أن وصلته تقارير تفيد بأن مقار الجماعة فى الأقاليم متورطة فى أنشطة سياسية وتقوم بدعايات معادية للوفد.

وصدرت التعليمات باغلاق فروع الجماعة فى الأقاليم.

ويفسر الشيخ عمر التلمسانى موقف الوفد قائلا :

« تولد إحساس لدى الوفد بأن الاخوان يسحبون بساط الأغلبية والشعبية من تحت أقدامه ، وأنهم ينافسونه فى مجال اجتذاب الشباب فقد تسلل كثير من شباب الوفد إلى صفوف الاخوان.

وقد سبب الانتشار السريع لتشكيلات الجماعة وشعبها قلقا بالغا لدى زعماء حزب الوفد وسرعان ماتحرك هذا القلق فى اتجاه الصدام مع الاخوان ».

وقال :

« إن ترمومتر العلاقة بين الاخوان والنحاس كان مرتبطا بالانجليز ».

بداية الاغتيالات

أصدر مكرم عبيد الكتاب الأسود فى ٢٩ من مارس ١٩٤٣ متضمنا وقائع عن فساد الوفد . فرأى مركز المخابرات البريطانى فى مصر «أن الأمل فى إحياء القيم الاخلاقية فى مصر يعتمد على الإخوان المسلمين» ! .

ويخطب حسن البنا فى أبريل ١٩٤٣ فيعلن أن «نظام الحكم فى مصر كله عفن ويحتاج إلى اعادة تنظيم شاملة يلعب فيها الإخوان دورا بارزا» .

ويخشى النحاس ، هذه المرة ، أن يؤيد الإخوان مكرم عبيد ، وأن يتضامنوا معه مستغلين الكتاب الأسود ، فيسعى النحاس ، مرة أخرى ، إلى الحصول على تأييد الإخوان والتحالف معهم فيلغى قرار اغلاق شعب الجماعة ويسمح للإخوان ـ فى ٨ من مايو ـ بعقد مؤتمراتهم .

وتستفيد الجماعة ـ من جديد ـ بهذه الفرصة السانحة لتحقيق مزيد من الانتشار .

قالت السفارة :

«أبلغ البنا الإخوان بعدم انتقاد الوفد علنا . وقال ، فى أكثر من مناسبة ، إن الكتاب الأسود وثيقة مضللة وبأمل ألا يتأثر ـ بأكاذيبها ـ أحد» !

ويزور أربعة من وزراء الوفد المركز العام للإخوان فى الشهر نفسه ـ مايو ١٩٤٣ ـ للمصالحة والتعريف على قوة الإخوان .

ويشهد وزراء الوفد فى ذلك اليوم اجتماعا يخطب فيه سراج الدين وعبد الحميد عبد الحق وأحمد حمزة ، ويبدون ـ علانية ـ إعجابهم بأفكار الجماعة .

ويعلن أحد الوزراء أنه يريد أن يكون جنديا فى جيش البنا الجرار !

ويكون بين الحاضرين الوزير محمود سليمان غنام ومحمد صلاح الدين سكرتير عام مجلس الوزراء ـ وزير الخارجية فى وزارة الوفد التالية ـ وبعض النواب والشيوخ .

ويصبح وزراء الوفد الأربعة أعضاء شرف فى جماعة الإخوان !

ويخطب حسن البنا فى حضور الوزراء قائلا بشجاعة :

« يظن بعض الناس أن الإخوان هيئة مصنوعة صنعتها أيد وأهواء لتنال من الوفد أو من غيره ، فتنتصر لحزب على حزب أو تظاهر قوما على قوم ، وذلك وهم لا أصل له ، وباطل لا خير فيه » .

قالت المخابرات البريطانية :

« سر تحالف البنا مع الوفد ـ سيئ السمعة ـ يرجع إلى خوف المرشد العام من اجراءات قمع تتخذها الحكومة ضد الجماعة كما أنه يتطلع إلى المستقبل .

فعندما أسس الجماعة ، أعلن أنه يلزمها ١٥ سنة لتصل إلى مرحلة النضج ولكن ها قد انقضت تلك السنون ولم تصبح الجماعة قوية كما كان يأمل .

وحتى تتطور الجماعة وتنمو ، بغير اضطراب ، فإنه من الضرورى أن يصل الى اتفاق مع الوفد بحيث لا يمكن لهذا الحزب الاستغناء عنه . ويكون الوفد مستعدا لمعارضة أى طلب للانجليز باتخاذ اجراءات ضد الجماعة .

وكانت مهمة البنا الأولى اقناع أنصاره بحكمة مساندة الوفد فقد انتقده الاعضاء بشدة لأنه يساند نظاما فاسدا . وانفصل عنه كثير من اتباعه وبدا كما لو أن المرشد العام ارتكب خطأ ضخما .

ولكن البنا استطاع ببطء ، وثبات ، استعادة أنصاره » !

* * *

كثف حسن البنا جهوده لزيادة شعبية الجماعة وضم مزيد من الأعضاء ،

ودعم الجوالة . وتدريب أعضائها تدريبا شبه عسكرى بأسلحة نارية !

واتفق الوفد والإخوان على أن فى التقارب فائدة سياسية لكل منهما !

ولكن الإخوان لم يقطعوا خطوط اتصالهم بالمعارضة

قالت السفارة البريطانية :

«اتسم موقف الإخوان من المعارضة بالتسامح والمهادنة .

لم ير قادة الجماعة آية فائدة تعود عليهم من وراء الوقوف ضد أحزاب المعارضة أو تأييدها فإن هذه الأحزاب ليست على درجة كبيرة من القوة بحيث ينظر إليها كخصم سياسى له شأن .

ورغم أن القصر أفاد من جهود الجماعة منذ نشأتها تقريبا فإنه قطع إعانته المالية عنها بسبب تنازل البنا عن ترشيحه ضد الوفد

ولا يبدو حاليا سوى تفاهم محدود بين القصر والإخوان .

وكان عنصر المبادرة فى أى تحركات لدعم العلاقات بين الإخوان والقصر يجئ بصفة عامة من جانب القصر» ! وفى هذه البرقية اعتراف من السفارة بأن القصر هو الذى يسعى للتقارب من الجماعة وليس العكس !

* * *

ويطلب مركز المخابرات السياسية البريطانية فى الشرق الأوسط من لندن . فى ١٩ من يوليو و ٤ من سبتمبر ١٩٤٣ . إقامة اتصالات مستمرة غير رسمية بين الانجليز والشيخ حسن البنا .

قال المركز :

«علينا أن نستمر فى تأييد الوفد باعتباره أكثر الهيئات تمثيلا لمصر ونوجهه ـ بكياسة ـ على ضوء تجاربنا

ولكن علينا أن نقيم علاقة قوية وغير رسمية مع حسن البنا زعيم ثانى الجماعات تمثيلا للشعب فهم أفضل الجماعات تنظيما بعد الوفد . وقد يحلون محله كحزب

أغلبية . فالوفد لم يقدم برنامجا للمستقبل ولا يقدر على تبنى أية حركة إصلاحية كالإخوان

والإخوان أكبر مجموعة مؤثرة فى مصر . التى تقف على أبواب مرحلة خطيرة . تشبه الفترة التى مرت بين عامى ١٩١٩ و١٩٢٨ والإخوان يمثلون خطراً داهما للتطرف .

وقد وصل عددهم إلى ربع . أو نصف مليون . نسمة . ودعوتهم الموجهة إلى الشباب المثقف أكسبتهم تأثيرا يفوق ذلك الرقم . وبرنامجهم ـ بلا شك ـ مجرد غطاء لمشاعر معادية للغرب

وسترتبطهم أهداف الإصلاح الدينى الإجتماعى بالقيادات الإسلامية التى تحظى باحترام شعبى وتوثق علاقاتهم بعدد من الدوائر السياسية

وإذ تقترب مصر من تحقيق استقلالها فإن الغرض من وجود الوفد قد انتهى من الناحية العملية

ومن المحتمل أن تتمكن حركة إصلاحية مثل الإخوان من الغاء وجود الوفد أو احتوائه .

وليس فى إمكاننا التغاضى عن هذه الجماعة نستكشف وجهات نظرها وندعو لاضفاء طابع أكثر تحررا على برنامجها .

وربما نستطيع توجيه الإخوان . فى الطريق الذى نراه صحيحا . بالنسبة لمصر وجاراتها والإمبراطورية البريطانية .

ومن المرغوب فيه أن نوضح للنحاس باشا أننا لا ننافسه فى ودّ حسن البنا ولكننا ـ فقط ـ نسعى للحصول على معلومات » !

رد تيرينس شون القائم بأعمال السفير البريطانى فى القاهرة يوم ١٠ من أكتوبر يقول :

« ربما يصبح الإخوان قوة سياسية خطيرة إذا قام تعاون حقيقى طويل بينها وبين الوفد أو تلقت منه دعما كبيرا .

وتستخدم الجماعة الوفد حاليا لتحقيق أغراضها الخاصة . وبذلك يمكن أن تصبح السيطرة على الجماعة أمرا مستحيلا وتكون مصدرا كبيرا للقلق والاضطرابات .

ويبدو أن الوفد بدأ ينتبه إلى ضرورة الحذر .

وتعمل الجماعة حاليا على زيادة عدد أعضائها اعتمادا على مساندة الوفد

ومن غير المحتمل أن تحل الجماعة محل الوفد . وخطر الإخوان ليس مباشرا وحقيقيا . وربما يكون خطرا محتملا فى المستقبل» .

ويكتب سكريفنر رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية إلى مركز مخابرات الشرق الأوسط قائلا :

«لا يوجد ما يدعو للإهتمام الجدى بأمر اعضاء هذه الجماعة» !

ويطلب حسن البنا مقابلة السفير البريطانى فيعتذر عن ذلك بلباقة !

وتحذر السفارة البريطانية لندن مرة أخرى من الجهاز السرى .

قال تقرير للسفارة البريطانية فى ٢٥ من فبراير ١٩٤٤ :

«كونت عناصر معينة من كتائب الإخوان فرقة انتحارية .

وحسن البنا له كتيبته الخاصة من ٤٠ رجلا يختارهم بنفسه .

وأصبحت الجماعة خطرا محتملا لا يمكن أن نسقطه من حساباتنا بسبب طابعها العسكرى والمعادى للأجانب . وبسبب التقارير التى تفيد بأنهم يحتفظون بكميات كبيرة من الاسلحة فى جميع أنحاء البلاد ويمكن استخدامها عند الضرورة»

ويصف كيرك الوزير الامريكى المفوض تأييد الإخوان للوفد فيقول فى برقية رقم ١٤٢ بتاريخ ١٣ من مارس ١٩٤٤ :

«بعد أن كانت جماعة الإخوان المسلمين فى المعارضة تحت رقابة صارمة ، اتخذت أسلوبا جديدا فى ممارسة نشاطها بناء على قرار من زعيمها حسن البنا .. تمثل هذا

القرار فى حشد قوتها للدفاع عن قضية الوفد وفتحت مئات المقار التابعة لها فى جميع أنحاء البلاد

وبالرغم من تحالفها المعلن مع الوفد كانت سياستها تهتم بأمور دينية بحتة .

وتساند الجماعة الحكومة بصورة غير مباشرة . عن طريق تأكيد اهتمامها بالقضايا ذات الطابع الدينى وقلقها بشأن أوضاع العرب المسلمين .

ويقال إن الجماعة تتقاضى إعانة من الحكومة . وقد تزايدت الاعانة فى الفترة الاخيرة مما ساعد الجماعة على إصدار صحيفتها بصورة منتظمة .

ويصعب التنبؤ بمستقبل نشاط مثل هذه الجماعة فى حالة تغيير الحكومة طالما أنها مستعدة للمزايدة على ولائها لمن يدفع أكثر» !

* * *

فى أبريل تنهمر رسائل الإحتجاج من أعضاء الإخوان على السفارات الأجنبية احتجاجا على الإجراءات التى اتخذت لصالح اليهود فى فلسطين . ومنح الجنسية الفرنسية لطبقات معينة من الجزائريين .

وتتلقى المفوضية الأمريكية ـ التى لم تكن قد تحولت إلى سفارة ـ ٣٢٠ رسالة فى هذا الشأن خلال يوم واحد .

وتلاحظ المفوضية أن الرسائل وردت من ٧٠ مركزا للإخوان فى القاهرة و١٤٣ مركزا فى الإقاليم .

وكتبت كل رسالة بأسلوب مختلف

وبعث حسن البنا إلى القائم بالأعمال الأمريكى يقول :

« يحتج الإخوان المسلمون والعالم الإسلامى ، على الموقف الأمريكى فيما يتعلق بفلسطين . وهم يتوقعون إعلانا صريحا يهدئ المشاعر ويضمن للعرب وطنهم » .

ويبرق جاكوبس القائم بالأعمال الأمريكى إلى وشنطن فى ٢٩ من أبريل ١٩٤٤ قائلا :

« ينظر النحاس إلى البنا باعتباره قوة يحسب لها حساب وقيل إنه منح الجماعة إعانة مالية كبيرة

ومن الواضح أن الإخوان مستعدون للتعاون مع الحكومة الحالية الموجودة فى السلطة

ومن المشكوك فيه أن يتبع الإخوان هذه الحكومة إلى المعارضة فى حالة سقوط الوزارة

ونشاط الجماعة المقبل غير واضح ويمكن أن تصبح مثارا للازعاج أو حتى للخطر من زاوية طابعها الدينى المتعصب »

* * *

زاد اهتمام بريطانيا بالإخوان . خلال الحرب . بصورة . لم يسبق لها مثيل منذ إنشاء الجماعة .

وكان السبب فى ذلك تجربة الحرب العالمية الأولى .

فى تلك الحرب التى استمرت من عام ١٩١٤ ــ حتى ١٩١٨ كان سعد زغلول خارج الوزارة بعد خلافه مع الخديو عباس حلمى الثانى واللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر .

وبعد الحرب مباشرة قام الوفد برئاسة سعد زغلول يطالب بالاستقلال . وكانت ثورة ١٩١٩ وما جرى فيها .

وخافت بريطانيا أن تتكرر تلك الثورة فى مصر . ويقوم بها الإخوان بدلا من الوفد .. فالإخوان خارج الحكم ولذلك فان الجماعة يمكن أن تقود الثورة بعد انتهاء الحرب .. كما فعل الوفد عام ١٩١٩ عندما كان معارضا وسعد زغلول خارج الوزارة

وهذا هو السبب الذى دفع بريطانيا إلى متابعة الإخوان عن كثب تتعرف اتجاهاتهم .

والغريب فى أمر السفارة أنها كانت تختشى ـ حينا ـ أن يثور الإخوان ضد الإنجليز وضد الوفد .. وفى حين آخر تخشى أن يستغل الوفد الإخوان للثورة ضد الإنجليز !

قالت السفارة

«يصبح الإخوان خطرا داهما إذا استغلتهم شخصية قوية مثل الملك ، أو على ماهر . أو حتى النحاس باشا

وربما يكون الوقت فى صالح الإخوان فهم يسعون إلى تحقيق إصلاحات تربوية . واجتماعية . وأخلاقية فى الوقت الذى فقد فيه الوفد شعبيته ببطء ، وسيفقدها بالتأكيد ، كما اهتزت سمعة زعيم الوفد مصطفى النحاس من الاتهامات حول اساءة استغلال نفوذه .

(... تقصد السفارة الكتاب الأسود .)

وقد يأتى يوم يتصارع فيه الإخوان مع الوفد للوصول إلى الحكم طبقا لبرنامجهم .

ويشكل الإخوان ـ على المدى البعيد ـ خطرا محتملا على الجالية الأوربية فى مصر إذا جاء يوم تقدم فيه بريطانيا مزيدا من التنازلات إلى القومية المصرية

ومن وجهة النظر قصيرة المدى فى زمن الحرب فقد تثور أسئلة حول ما إذا كان يتعين علينا النظر إلى الإخوان على أنهم يشكلون خطرا مباشرا .

ومنذ بداية الحرب لم تتدعم مكانة الحلفاء كما هى الآن . ولم تتدهور مكانة دول المحور كما هى الآن .

وكنا نحرص بوجه عام على عدم استعداء الرأى العام المصرى ضدنا كما تتميز علاقاتنا بالحكومة بالتفاهم التام .

وقد ألمح الناس إلى أن حسن البنا منافق . وقد نفى أنه ديماجوجي مثل أحمد حسين وأن طباعه وثقافته الدينية تجعله يفضل سياسة التطور السلمي لا العنف الذى يؤدى إلى دمار الجماعة

وهناك عدة أحداث تجعل الإخوان يشكلون خطرا من جديد :

(أ) إذا تدهور الموقف العسكرى بصورة خطيرة أو كانت خسائرنا ضخمة

(ب) وإذا نجح الحلفاء فى إبعاد شبح الحرب عن مصر وتركوا المجال مفتوحا أمام الصراعات السياسية المحلية فقد نواجه بمطالبة الإخوان المسلمين لنا بانهاء النفوذ البريطانى فى مصر وجلاء قواتنا

(جـ) يمكن أن يؤدى أى حادث فردى مثل الحادث الذى وقع أخيرا عندما لقى طالب مصرعه بسبب تصرفات غير مسئولة للجنود البريطانيين . فتثور المشاعر . وتتحرك المظاهرات المعادية لبريطانيا . ويشترك فيها الإخوان

ورغم ذلك أحسن الإخوان التصرف فى هذا الحادث بصورة تدعو إلى التقدير .

ويجب علينا فى جميع هذه الحالات أن نأخذ فى اعتبارنا احتمالا هاما . وهو أن الجماعة قد تمتنع ككل . عن الاشتراك فى الاضطرابات الآن إلا أن المتطرفين من أعضائها . وهم يشكلون جزءا لا يستهان به ، قد يقومون من تلقاء أنفسهم بأعمال تخريب خطيرة

وأخيرا عندما ندرس أهمية تأمين المستقبل بالنسبة للإخوان يصبح من قبيل التسرع أن نتجاهل تماما ثورة عام ١٩١٩ . ويصبح من قبيل التسرع ـ أيضا ـ أن نهتم بها أكثر مما يجب .

ومن ثم فالمصريون جميعا يحركهم السخط على الاحتلال العسكرى الذى دام ٤ سنوات لم تنل أمانيهم القومية خلالها أى قدر من الاهتمام . بل تعرضت حرياتهم الشخصية وممتلكاتهم ومشاعرهم للامتهان .

وشهدت البلاد ارتفاعا فى أسعار القطن جعل الفلاحين مهيئين للاستجابة

إلى دعايات الأفراد المعادين لبريطانيا فى المدن . ولكن عادت الأوضاع إلى ما هى عليه مع حدوث انخفاض فى أسعار القطن

ومن ناحية أخرى نجد أن البلاد تديرها حكومة من اختيار أبنائها تقريبا أى حكومة الوفد

وعلى الرغم من نقص المواد التموينية فإن معاناة الشعب قليلة نسبيا .

ورغم تعرضنا لبعض المشاكل بسبب وجود مئات الألوف من قواتنا فى مصر والعادات المصرية الصعبة وما يتميز به المصريون من تهور واندفاع فإن هذه المشاكل ليست على درجة كبيرة من الخطورة .

والعوامل التى أفرزت أحداث ١٩١٩ ليست موجودة حاليا بنفس الدرجة الماضية . وقدرتنا الآن أفضل على التنبؤ بأى احتمال لتدهور الموقف فى بدايته ، واتخاذ الخطوات الكفيلة بوقف هذا التدهور وإزالة بعض أسبابه » .

ولعل أهم ما فى هذه البرقية الإشارة إلى أن المتطرفين من الاخوان قد يقومون بأعمال تخريبية خطيرة من تلقاء أنفسهم ، وهو ما حدث عام ١٩٤٨ والسنوات التالية !

* * *

وتلوح نهاية الحرب فى الأفق بعد انتصارات الحلفاء على المحور .

وتبدأ المخابرات البريطانية فى رسم صورة لمستقبل العلاقات بين الوفد والاخوان .

قالت فى ٢٥ من يوليو عام ١٩٤٤ ـ قبل ٣ شهور من إقالة النحاس :

« يحتمل أن يبقى حسن البنا ملتزما بالهدوء نسبيا طالما ظل الوفد فى السلطة .

وسيركز على الافادة من ميزة الحرية التى يتيحها النحاس ليجعل من جماعته القوية بالفعل جماعة أكثر قوة

وعندما يترك الوفد الحكم فى النهاية فسيواجه البنا ببديلين يتعين عليه الاختيار بينهما .

١ ـ أن يجرب حظه مع الوفد ويسعى لمناصرته وهو فى المعارضة

أو :

٢ ـ أن يعرض خدمات الاخوان على الحكومة الجديدة أملا فى الحصول على معاملة تفضيلية مثل التى كان يتمتع بها فى حكم الوفد .

وإذا اختار حسن البنا الطريق الأول فسيكون حظ آية حكومة قادمة صعبا للغاية وسيصبح أمن البلاد مهددا بدرجة خطيرة .

أما إذا سلك الطريق الثانى وساعد الحكومة ـ غير الوفدية ـ فى الصمود أمام هجمات الوفد المعارض مقابل مزايا مختلفة . فسيؤدى الصدام الناتج عن هذا الاسلوب إلى وقوع تهديد خطير للأمن العام .

ويبدو واضحا أن الإخوان فى طريقهم ليلعبوا دورا بارزا فى أية تطورات سياسية مقبلة »

* * *

أقيل مصطفى النحاس يوم ٨ من أكتوبر ١٩٤٤ . بعد ٢٤ ساعة من توقيعه بروتوكول الجامعة العربية . وتولى أحمد ماهر باشا رئاسة الوزارة فى اليوم نفسه فشكلها من أحزاب الاقلية الأربعة : الحزب السعدى الذى يرأسه ماهر باشا والأحرار الدستوريين والكتلة والحزب الوطنى .

كان أحمد ماهر فى التاسعة والخمسين .

درس الحقوق فى مصر ونال الدكتوراه من جامعة مونبلييه الفرنسية واختاره سعد زغلول وزيرا للمعارف فى وزارته عام ١٩٢٤ . وأتهم مع محمود فهمى النقراشى وزير خارجيته بالاشتراك فى قضية الاغتيالات الكبرى .. ولما صدر الحكم ببراءته عام ١٩٢٦ استقال القاضى البريطانى كيرشو الذى رأس الجلسة احتجاجا على حكم البراءة .

وكان سعد زغلول يصفه «بالوطنى الصامت» .

أختير نائبا أكثر من مرة وتولى منصب رئيس تحرير صحيفة «كوكب الشرق» الوفدية عام ١٩٣٤ وأختير رئيسا لمجلس النواب عام ١٩٣٦ .

وبعد طرد النقراشى من الوفد عام ١٩٣٧ انضم إلى النقراشى وانفصل عن الوفد وأسس حزب السعديين قائلا أنه وأنصاره الممثلون الحقيقيون لسعد زغلول .

تولى منصب وزير المالية عام ١٩٣٨ وانتخب رئيسا لمجلس النواب عام ١٩٣٩ . وهو شقيق على ماهر باشا رئيس الوزارء السابق .

* * *

أراد أحمد ماهر تدعيم صلته بالسفارة البريطانية ليستعين بها على مقاومة رغبات القصر والوقوف فى وجه الملك قدر الطاقة . وبدأ الوزراء اتجاها ليبراليا بالامتناع عن اعتقال خصومه السياسيين وغيرهم .

وحل أحمد ماهر مجلس النواب يوم ١٥ من نوفمبر وحدد ٨ من يناير ١٩٤٥ موعدا لاجراء الانتخابات .

رشح حسن البنا نفسه فى الانتخابات عن دائرة الاسماعيلية كما رشح خمسة من الاخوان أنفسهم فى دوائر أخرى فقد وجدوا الساحة شبه خالية أمامهم فالوفد قاطع الانتخابات وبعيد عن المعركة . والحكومة لا تمثل إلا أقلية شعبية ولذلك يمكن اعتبار الانتخابات احتبارا لقوتهم السياسية .

مهد الاخوان لذلك ..

كتب الشيخ أبو زهرة : «الإسلام يبيح دخول الانتخابات طالما أن فى ذلك نشر الإسلام» .

وقال الشيخ على الخفيف : «لا مانع شرعا يمنع الجماعات الدينية من دخول البرلمان والاشتراك فى الحكم بصفة عامة» .

وكتب المرشد العام : «ليس البرلمان وقفا على أصوات دعاة السياسة الحزبية على اختلاف ألوانها ولكنه منبر الأمة تسمع من فوقه كل فكرة صالحة ، ويصدر عنه كل توجيه سليم يعبر عن رغبات الشعب» .

بدلا من أن يطلب ماهر من البنا سحب الترشيح ، كما فعل النحاس ، تركه يخوض المعركة ليزعم أن الانتخابات حرة يدخلها من يشاء !

وكان يجب أن ينجح البنا من الجولة الاولى فالاسماعيلية شهدت ميلاد الجماعة ونموها كما أقام الاخوان ستين سرادقا للدعاية الانتخابية للمرشد العام وجاءوا من كل شعب الجماعة لتأييده .. وهم يهتفون . «إلى البنا.. يابرلمان»!

ولكن أعيدت الانتخابات بين البنا وأقوى منافسيه وهو الطبيب الدكتور سليمان عيد متعهد توريد الأغذية لقوات الجيش البريطانى فى منطقة القناة . لأن أيا منهما لم يحصل على العدد المطلوب للفوز فى الجولة الانتخابية الأولى .

وفى الإعادة تدخل الانجليز والحكومة بصورة أكثر سفورا .

منع الحاكم العسكرى البريطانى مندوبى البنا من دخول اللجان الانتخابية فى سينا والتصويت فيها . وقام مندوبو مرشح الحزب السعدى بملء الصناديق بالأصوات المؤيدة على هواهم .

وتولت سيارات الجيش البريطانى نقل العمال من المعسكرات البريطانية إلى مراكز التصويت .

وحشدت الحكومة أنصارها وقامت بتزوير الانتخابات ضد حسن البنا وزملائه الخمسة الذين رشحوا أنفسهم فى دوائر أخرى ـ كمستقلين ـ حتى لا يدخل الاخوان مجلس النواب ـ ومبادؤهم معروفة ـ ولأنهم تعاونوا يوما مع الوفد وإن لم يكن هذا التعاون السبب الوحيد لاسقاطهم .

وكانت نتيجة التزوير سقوط حسن البنا وجميع مرشحى الاخوان . وقيل إن أحمد ماهر علق على عدم فوز الشيخ قائلا :

ـ لا شأن للحكومة المصرية بدائرة الاسماعيلية . الانجليز هم الذين يديرونها !

وعندما أعلن فوز مرشح الحكومة فى الاسماعيلية كادت تحدث فتنة لولا تدخل حسن البنا .

خطب فى الجموع قائلا :

ـ هذه الحشود الهائلة بهذه الصورة الرائعة تصم الحكومة بالتزوير والتضليل . إن مراجلكم تغلى بالثورة وعلى شفا الانفجار . ولكن اكظموا غيظكم . وانصرفوا إلى منازلكم وبلادكم ، مشكورين مأجورين ، لتفوتوا على أعدائكم فرصة الاصطدام بكم .

وقال :

ـ إن عجز أمة عن أن تدفع بأحد أبنائها إلى البرلمان، ليقول كلمة الحق والسلام ، لدليل على أن الحرية رياء وهباء ، وأن الاستعمار سر البلاء .

وتهاجم صحيفة الاخوان نظام الانتخابات لأنه «فاشل فى أداء رسالته» .

ومع ذلك أعلن حسن البنا أنه سيشترك فى أقرب انتخابات قادمة ، وأنه فى انتخابات حرة يستطيع أن يحصل على أغلبية ساحقة . ولكن الجماعة لن تتقدم إلا فى عدد محدود من الدوائر .

قال الشيخ لمرتضى المراغى مدير الأمن العام ووزير الداخلية بعد ذلك :

ـ عملت الحكومة جهدها على إسقاط مرشحى الاخوان مع أنهم تقدموا باعتبارهم مستقلين ، لا باعتبارهم ممثلى الاخوان المسلمين .

وأضاف :

ـ أتدرى متى نستطيع دخول الانتخابات بصفتنا اخوانا مسلمين؟

قال المراغى :

ـ متى ؟

قال الشيخ البنا :

ــ حين يقبل الملك أن يكون لنا فى الوزارة وزيران أو ثلاثة وزراء . عندئذ نعرف كيف نحظى بعدد من كراسى مجلس النواب .

قال المراغى :

ــ هل يعنى هذا أنكم تقبلون دخول الوزارة إذا دعاكم الملك من دون شروط .

قال البنا :

ــ نعم دون أية شروط لأن وجودنا ضرورى لخدمة البلد . إن برنامجنا الاجتماعى إصلاحى يقوم على أسس قوية .

قال المراغى :

ــ يا أستاذ حسن . وماذا يصنع وزراؤكم فى رخص نوادى الميسر والملاهى « والبارات والخمارات » ؟

ضحك البنا وقال :

ــ هذه قفشة لا بأس بها . عسى أن يستطيع وزراؤنا إزالة ذلك المنكر .

قال المراغى :

ــ لعل هذا من باب « والله لنخوض إليكم الباطل حتى نصل إلى الحق » أو من باب « الضرورات تبيح المحظورات » .

قال البنا :

ــ نعم لك حق .

وربما يكون من حسن حظ الاخوان أنهم لم يدخلوا مجلس النواب وإلا أصبحوا مثل أحزاب الاقليات الممثلة فى البرلمان فتذوب الجماعة فى الخضم السياسى المضطرب فى مصر ، ولاتستطيع أن تفرض رأيا .

وعلى أية حال فإن البنا أدرك يوم فشله فى انتخابات الإسماعيلية أنه ليس من مصلحة الاخوان الصدام مع الحكومة والانجليز وأن ساعة المواجهة لم تأت بعد !

* * *

لم يطل عهد أحمد ماهر فى رئاسة الوزارة سوى أربعة شهور فقد فكر التنظيم السرى للاخوان فى اغتياله . وعهد بذلك إلى أحد أعضائه وهو أحمد عبد الفتاح طه

ولكن أحمد عبد الفتاح طه جبن فى اللحظة الأخيرة عن قتل أحمد ماهر وعاد إلى أعضاء الجهاز السرى يعترف بجبنه !

وفى اليوم التالى اغتال محمود العيسوى رئيس الوزراء داخل دار البرلمان يوم ٢٤ من فبراير ١٩٤٥ وهو ينتقل من مجلس الشيوخ إلى مجلس النواب ليعلن قرار مصر بدخول الحرب حتى يتسنى حضور مؤتمر الصلح طبقا لقرارات الحلفاء فى اجتماعهم بمدينة يالتا

اعترف العيسوى بجريمته : قال إن قرار اعلان الحرب ، وماقد يجره على البلاد من نكبة محققة .لو دخلت حربا دفعه إلى قتل رئيس الوزراء .

وقال إنه ينتمى إلى الحزب الوطنى . وتبين أنه كان يتمرن على المحاماة فى مكتب عبد الرحمن الرافعى ثم فى مكتب عبد المقصود متولى وهما من كبار رجالات هذا الحزب .

ألقى القبض على عبد العزيز على وهو من قادة النضال السرى للحزب الوطنى وصهره عبد السلام مصطفى المحامى بتهمة الاشتراك فى الجريمة لأنهما من الحزب الوطنى ومن أصدقاء القاتل أيضا .

وفى مذكرات عبد العزيز على « الثائر الصامت » قال إن العيسوى من شباب الحزب الوطنى .

وقد أصر العيسوى ـ رغم التعذيب والتهديد والاغراء ـ على أنه وحده القاتل والمدبر للجريمة .

قال الشيخ سيد سابق ـ وهو من زعماء الاخوان ـ للكاتب الأستاذ خالد محمد خالد :

ـ محمود العيسوى من صميم الاخوان المسلمين .

وفى مذكرات الشيخ أحمد حسن الباقورى قال إن النظام الخاص ، أو الجهاز السرى للاخوان رأى الانتقام من أحمد ماهر لأنه اسقط الشيخ البنا فى الانتخابات بالإسماعيلية فوجه محمود العيسوى لاغتيال رئيس الوزراء .

وفى اعترافات أعضاء جماعة الاخوان أمام محكمة الشعب التى شكلها جمال عبد الناصر برئاسة جمال سالم قالوا إن الجماعة هى التى اغتالت أحمد ماهر .

ولكن لايعوّل على اعترافات المتهمين أمام هذه المحكمة فقد لقى المتهمون شر أنواع التعذيب !

ولكن الدكتور محمود عساف عضو الهيئة التأسيسية للجماعة ومدير شركة اعلانات الاخوان ينفى انتماء العيسوى قائلا أنه كان يحضر فقط درس الثلاثاء الذى يلقيه المرشد العام فى مقر الجماعة أسبوعيا .

طلب العيسوى سماع رأى زعماء مصر ، وبينهم الشيخ البنا فى قرار إعلان الحرب فقبض على المرشد العام وزميليه أحمد السكرى وعبد الحكيم عابدين للتحقيق معهم !

رجل العام

أسند الملك رئاسة الوزارة إلى محمود فهمى النقراشى باشا وزير الخارجية والرجل الثانى فى حزب أحمد ماهر ـ الحزب السعدى .

كان النقراشى فى الثامنة والخمسين . ولد من أسرة فقيرة . حصل على دبلوم المعلمين . وأوفده سعد زغلول فى بعثة إلى انجلترا . وبعد عودته عين مدرسا ثم ناظرا لمدرسة رأس التين بالاسكندرية .

اختاره سعد زغلول عندما تولى رئاسة الوزارة وكيلا لمحافظة القاهرة ثم وكيلا لوزارة الداخلية وأتهم بالاشتراك فى اغتيال السردار البريطانى السير لى ستاك عام ١٩٢٤ فاعتقل ثم أفرج عنه .

وأتهم ـ مرة ثانية ـ مع أحمد ماهر ، بالاشتراك فى قضية الاغتيالات الكبرى عام ١٩٢٥ فاعتقل عاما كاملا حتى صدر الحكم ببراءتهما سنة ١٩٢٦ .

انتخب عضوا فى مجلس النواب عن الوفد واختاره مصطفى النحاس زعيم الحزب ، بعد وفاة سعد زغلول ، وزيرا للمواصلات عام ١٩٣٠ وعضوا فى هيئة المفاوضات فى معاهدة ١٩٣٦ واختلف ـ كوزير للمواصلات ـ مع النحاس فى العام التالى فأخرجه النحاس من الوفد ومن الوزارة فأسس مع أحمد ماهر الحزب السعدى عام ١٩٣٨ وتولى منصب الوزارة أكثر من مرة منذ ذلك الحين .

رأى بعض المسئولين فى وزارة الخارجية البريطانية أن « الملك أساء اختيار رئيس وزرائه وأنه لايوجد من هو أسوأ من النقراشى باشا ! وأن نفوذه السياسى يتركز فى علاقته الطيبة بالملك وقدرته على تجميع العناصر الوطنية المناوئة للانجليز » .

وكان اللورد كيلرن السفير البريطانى شديد العداء للنقراشى .

* * *

فى خطاب قبول رئاسة الوزارة قال محمود فهمى النقراشى باشا للملك فاروق :

« اعتزمت على انتهاج سياسة الحزم والمضاء فى تحقيق أسباب الأمن والنظام » .

ويعلق السفير البريطانى على ذلك قائلا :

« لم يضيّع القراشى الوقت . بل اعتقل العناصر القيادية لما يمكن أن تكون منظمات تخريبية مثل حزب مصر الفتاة والاخوان المسلمين والجناح المتطرف من الحزب الوطنى ـ اللجنة العليا ـ واتخذ النقراشى باشا حذره عندما أصدر قراره بمنع اجتماعات هذه المنظمات » .

اعتقل حسن البنا فى سجن قسم شرطة الخليفة مع أربعين من المشتبه فيهم من رجال الاحزاب المختلفة ينامون على الأرض فى حجرة واحدة ، قذرة ، تضيق فيها أنفاس الإنسان .

ويحاول رجل البوليس السياسى محمد إبراهيم إمام أن يتقرب إلى حسن البنا فيعرض عليه ـ وحده ـ الانتقال إلى حجرة أخرى ، ولكن المرشد العام يرفض مما جعل كل المعتقلين يكبرون الرجل ويعجبون بروحه المعنوية العالية .

ويفرج عن حسن البنا بعد عشرة أيام .

وأثناء الأيام العشرة التقى المرشد العام فى قسم الخليفة بمحمد الليثى الرجل الذى قدر له أن يلعب دورا هاما فى حياة المرشد العام .. وفى وفاته أيضا !

* * *

حاول البنا ألا يستعدى ضده محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء الجديد فتوجه إليه ـ بعد الافراج عنه ـ يعزيه ولكن بدون جدوى ، فإن النقراشى أصدر

قرارا بمنع اجتماعات الاخوان ، ومصر الفتاة واللجنة العليا للحزب الوطنى .

ولكن الكاتب السوفييتى سيرانيان ـ فى كتابه ـ فسر مرونة الاخوان بطريقة أخرى .

قال إنه « بعد اقالة وزارة النحاس راجع زعماء الجماعة حساباتهم بسرعة ـ وفاء منهم لمبدئهم العتيق « فلنقبل الايادى التى لم نستطع قطعها » فغيروا موقفهم تجاه الوفد وأقبلوا على الاتحاد مع أحزاب الحكومة منضمين بذلك لصفوف الجوقة المنددة بسياسة النحاس وحزبه » .

ويقول سيرانيان أيضا «إن التحالف بين الحكومة والاخوان لم يتعكر صفوه بعد اغتيال أحمد ماهر ولم يحدث أن استغل حزب الكتاب الأسود الذى كتبه مكرم عبيد كما استغله الاخوان للتشهير بالوفد » .

* * *

ويقرر الاخوان التضامن مع باقى احزاب المعارضة فى مظاهرة تبدأ من ميدان دار الأوبرا للترحيب بأعضاء مجلس الجامعة العربية واستنكار الاحتلال الفرنسى لشمال أفريقيا والمطالبة بجلاء الفرنسيين .

وتقرر الحكومة منع المتظاهرين من مغادرة الميدان فيتجمع فيه الفان من الاخوان بعد ظهر يوم ٤ من يونيو يخطب فيهم حسن البنا ورئيس مجلس النواب السورى وآخرون

ويخرج المتظاهرون من الأوبرا إلى ميدان عابدين فيخطب فيهم مرة ثانية المرشد العام ثم يطلب منهم الانصراف فى هدوء .. فينصرفوا .

ويقول مركز المخابرات البريطانية إن « الغاء قرار الحكومة والسماح بخروج المظاهرة من ميدان الأوبرا تم بأمر صاحب الجلالة ملك مصر» ..

.. وهذا يدل على ارتباط الاخوان بالقصر.

لكن الوزارة تلقى القبض على مصطفى مؤمن زعيم طلاب الاخوان فى جامعة القاهرة وتمنع الاخوان من عقد اجتماعاتهم .

ويطالب صالح عشماوى باستقالة الوزارة . كتب يقول :

ـ هذه الوزارة لم تفعل شيئا . ولم تنتج شيئا ولايجب أن تبقى ساعة من نهار !

* * *

ويعقد الاخوان مؤتمرهم الوطنى العام يوم ٨ من سبتمبر ١٩٤٥ فيشهده ٢٥٠٠ عضو يؤكدون التزام الجماعة بالقرآن . ويطالبون بتحقيق الأمانى الوطنية فى الجلاء .

ويكون الجديد فى هذه القرارات المطالبة بتأميم قناة السويس .

ويكتب جيمس بوكر القائم بأعمال السفير البريطانى إلى لندن قائلا :

« هذه هى المرة الأولى التى يعلن فيها حسن البنا صراحة أن للجمعية أهدافا سياسية . وكان ـ دائما ـ يحاول اقناع الحكومة والسفارة بأن الجمعية لاتتدخل فى السياسة .

ولم يصدق أحد ذلك الادعاء » .

الغيت الاحكام العرفية فى ٤ من أكتوبر ١٩٤٥ . ويعقد الاخوان مؤتمرا فى اليوم نفسه يدعون فيه إلى المقاومة الشعبية والجهاد ويهاجمون مبدأ المفاوضات .

ويزور حسن البنا ومحمود لبيب قائد الجوالة أنور السادات فى بيته .

أخذ المرشد العام يشرح للضابط الشاب متاعبه فقال :

ـ إنها تأتى من ناحيتين الملك والاجانب ...

الملك يشعر شعورا قويا بخطورة دعوة الاخوان لما يسمعه من أن الدعوة تقوم على أن يكون الملك بالمبايعة لا بالوراثة . والأجانب يرهبون الدعوة لأنها تقوم

على وجوب الأخذ بشريعة الإسلام وستتعرض حتما لأعمالهم وأموالهم .

وأضاف المرشد العام :

ـ يدبر الملك أمره ليبطش بهذه الحركة التى لم تبلغ أوج قوتها بعد .. وما أيسر أن تتحول النظرة الموحدة من الأجانب والملك إلى تحالف عملى للقضاء على الدعوة وعلى الجماعة التى تدعو إليها .

وقال :

ـ أريد أن أضع حدا لهذه المتاعب . ويمكن أن يطمئن الأجانب إلى الدعوة لو اطمأن إليها الملك وأستطيع أن اكسب ثقته لو تقابلت معه .

ويتجه حسن البنا بالحديث إلى هدفه مباشرة . قال :

ـ أنت تعرف الدكتور يوسف رشاد وهو ذو حظوة عند الملك ويمكنه إقناعه بمقابلتى .

ويقوم أنور السادات بالوساطة ويبلغ يوسف رشاد الذى يستمع إليه ثم ينقل حديثه إلى فاروق .

ولكن الملك يقرر ألا يلتقى يوسف رشاد بمرشد الاخوان .

ويكرر الشيخ البنا المحاولة مرة أخرى مع أنور السادات ويلتقى المرشد العام ووكيل الجماعة ، أحمد السكرى ، بالدكتور يوسف رشاد ثلاث ساعات .

قال البنا :

ـ إنى مستعد للتعاون مع الملك .

وقال :

ـ يمكن التغاضى عن بعض تصرفات الملك الشخصية لصغر سنه .. كما أننا سنتعامل معه بصفته حاكما .

وأكد المرشد العام أنه يكن لصاحب الجلالة التقدير والاحترام .

نقل الدكتور يوسف رشاد هذا الحديث إلى فاروق وحاول إقناعه بحسن نية المرشد العام ولكن الملك قال له :

ـ حسن البنا ضحك عليك !

* *

وقصد الشيخ حسن البنا إلى دار السفارة البريطانية ليلتقى للمرة الثانية بالسير والترسمارت المستشار الشرقى يوم ١٧ من أكتوبر ١٩٤٥ وكانت المرة الأولى قبل ١٨ شهرا .

طلب المرشد العام من الانجليز ضرورة القيام باجراء لمنع هجرة المزيد من اليهود إلى فلسطين . قال :

ـ اقتراح الرئيس ترومان بهجرة اليهود إلى فلسطين يشبه وضع قطعة من النار بجوار برميل من البارود .

وانتقل حسن البنا إلى أندونسيا فطالب بريطانيا أن تنظر بعين التعاطف إلى مطالب شعب أندونسيا فى الاستقلال .

قال سمارت :

ـ ذلك الأمر يقع خارج نطاق اختصاصى تماما .

قال البنا :

ـ اقبلوا مطالب مصر القومية .

وتساءل قائلا :

ـ هل تقضى سياسة بريطانيا العظمى بتكوين أمة مصرية ـ عربية متحدة أوبتفريقها كى يمكن حكمها بطريقة أكثر سهولة .

رد سمارت قائلا :

ـ إن بيانى مستر ايدن ـ عن تشجيع قيام الجامعة العربية ـ يعدان دليلا كافيا

على تشجيع بريطانيا للوحدة بين أصدقائنا المصريين والعرب والبيانان كافيان ليثبتا أن بريطانيا لاتؤيد على الاطلاق أسلوب « فرق تسد » وتبقى بعد ذلك تفاصيل يمكن حلها عن طريق التشاور والتفاهم .

وانتهز سمارت الفرصة . قال :

ـ عندما التقينا قبل ١٨ شهرا أكدت تماما أن جماعتك ذات أهداف دينية وثقافية واجتماعية بينما تثار فى اجتماعات الاخوان المسلمين خلال الفترة الأخيرة قضايا سياسية تماما .

رد حسن البنا :

ـ الغايات الدينية فى الاسلام هى ، بالضرورة ، سياسية فى الوقت نفسه كالدفاع عن البلاد الإسلامية مثل فلسطين والحفاظ على حقوق المسلمين وغيرها .

قال سمارت الذى يتقن العربية :

ـ يبدو لى كما لو أنك تدافع عن المبدأ الإسلامى القائل بان « الدولة والدين لاينفصلان » ومن خلال هذا المبدأ يمكن تحويل أى قضية سياسية إلى قضية ذات طابع دينى . ويبدو لى دفاعك كما لو كان محاولة لتبرير انغماس جماعتك فى أنشطة سياسية تماما .

ـ لا أنوى ذلك . والجماعة لاتعمل لصالح أى حزب سياسى . وكل مافى الأمر أننا نكرس جهدنا لتحقيق الأمانى الاساسية للشعوب الإسلامية .

واستمر البنا يتحدث باستخفاف عن المجلس الاستشارى الذى أحال إليه النقراشى المطالب القومية للبلاد لابداء الرأى فيها فقال إن هذا المجلس ربما يتكون من أشخاص لهم مكانتهم ولكنهم لايمثلون الشعب بأية حال .

وقال إن الشعب لم يعد يؤيد أولئك الذين يسمون قادة . وليس لدى الاخوان المسلمين النية لتأييد أحد من هؤلاء القادة سواء النحاس أو النقراشى .

واستمر يؤكد نظريته القديمة التى قالها لسمارت من قبل . قال :

ـ الاخوان المسلمون هم أكثر الحلفاء نفعا لكم فى مجتمع يتهدده الانحلال . وهم أشد الحواجز صلابة فى وجه الشيوعية . ومن أفضل العوامل المساعدة على الاستقرار . والإسلام رغم أنه ديمقراطى إلا أنه قوة محافظة .

أبرق السفير البريطانى إلى لندن قائلا :

« يحاول حسن البنا فى الوقت الحاضر التقرب منا ونحن لانرغب فى إثارة عداء الاخوان لنا فى هذه المرحلة .

ومن الأفضل أن ننتظر ونرقب ماتسفر عنه الأحداث » !

* * *

اقتربت ذكرى وعد بلفور .

وشنت الصحف المصرية حملة ضد بريطانيا والصهيونية وتدفقت المنشورات على جامعة فؤاد الأول ـ جامعة القاهرة الآن ـ ، والأزهر ، تدعو للقيام بمظاهرات ضد بريطانيا والصهيونية .

توقعت السفارة البريطانية أحداثا خطيرة فبعث جيمس بوكر القائم بالأعمال إلى لندن يتهم شخصيات عليا بأنها مولت بعض صحف المعارضة !

وأتهم الحكومة بأنها أرادت صرف اهتمام الناس عن القضية الوطنية والجلاء .

واتهم الوفد بأنه مول ـ بالمال ـ حزب مصر الفتاة وجمعية الشبان المسلمين

وقال إن فؤاد سراج الدين عرض أموالا على جماعة الاخوان ، ولكنهم رفضوا طبقا لسياستهم فى عدم التعاون مع الوفد !

وجاء يوم الخميس أول نوفمبر ١٩٤٥ فأضربت الجامعة والمدارس الثانوية وأربع من كليات الأزهر .

وطاف الطلبة بالمحال التجارية يطلبون من أصحابها إغلاق محالهم التجارية فى اليوم التالى تضامنا مع حركة الاحزاب فوافق الجميع .

* * *

خشيت السفارة البريطانية أن يتدهور الأمن فى اليوم التالى ـ ٢ نوفمبر ـ فتوجه السيروالتر سمارت المستشار الشرقى للسفارة البريطانية إلى وزارة الداخلية المصرية ليلتقى بوكيلها حسن رفعت باشا قائلا :

ـ يتحرق حسن البنا شوقا ليحل محل النحاس باشا والوفد .

رد حسن رفعت :

ـ لايمكن أن نعارض أمرا يمثل التطور الطبيعى .

وأضاف :

ـ يتعاون الاخوان المسلمون معى للتقليل من حجم المظاهرات التى ستجرى غدا بشأن قضية فلسطين .

لقد صاروا الآن أقوياء للغاية كما أن البنا قائد ملتزم تماما . وهو خطيب مفوه . ولديه قدرة عالية على التنظيم .

وقال حسن رفعت إن حسن البنا تلقى إعانات من الايطاليين والألمان والقصر والوفد .

ويضيف وكيل وزارة الداخلية المصرية :

ـ أؤكد لك أن البنا لم يحصل على هذه الأموال لنفسه بل استخدمها لتطوير أنشطة الجماعة .

وقال :

ـ لايعيب الملك فاروق أن يمد الاخوان بقليل من التأييد خاصة أنهم أفضل الاسلحة للحرب ضد الشيوعية .

قال والترسمارت :

ـ من الخطر مساندة الاخوان واستخدامهم كسلاح حتى لا يأتى يوم تجد فيه هذه الحكومة ، وكل الحكومات ، أن التعامل معهم صار أمرا عسيرا . فهم جماعة تعمل فى الظلام ومعادية للأجانب واستخدامهم كسلاح يؤدى بالتأكيد إلى نمو قوتهم . وبالتالى تصبح السيطرة عليهم أمرا مستحيلا .

وإنى أدرك بالطبع زيادة قوتهم . ولكنى متمسك برأيى فى أن أنشطتهم يمكن أن تؤدى إلى قيام حركة معادية للأقباط .

رد حسن رفعت قائلا :

ـ لا أعتقد بوجود ثمة خطر من وراء ذلك فحسن البنا حريص للغاية على عدم السماح بمثل هذه الأعمال .

أصر سمارت على موقفه وقال :

ـ لازلت متمسكا تماما برأيى فى أن أى تشجيع للاخوان المسلمين يعد من الأمور الخطيرة .

أبرز حسن رفعت رسما تخطيطيا لمبنى ضخم يعتزم الاخوان إقامته ليكون المقر الرئيسى للجماعة فى القاهرة .

وأضاف :

ـ صار صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وجمعيته فى الوقت الحاضر مجرد تابعين لحسن البنا !

قال حسن رفعت :

ـ إذا كانت مظاهرات الطلاب قد اختفت فالفضل فى ذلك يرجع إلى جهود الاخوان المسلمين الذين أصبحوا حاليا أكثر قوة وأنصارا من الوفد فى الجامعات .

ولكن سمارت لايكتفى بلقاء حسن رفعت باشا ـ بل يجتمع بمحمود الغزالى

بك مدير الأمن العام الذى يقول لسمارت :

ـ لا أتفق مع حسن رفعت فى رأيه حول الأموال التى حصل عليها حسن البنا . أرى أن البنا يحتفظ بجزء من هذه الأموال لنفسه !

* * *

جاء الصباح التالى .. الجمعة ٢ من نوفمبر ١٩٤٥ .

قدم الاخوان سيارات النقل التابعة لشركتهم لنقل الطلاب إلى الجامع الأزهر .. وسار كثيرون على أقدامهم إلى المسجد لاضراب المواصلات .

قذفت المتاجر فى حى الأزهر بالحجارة وهوجم المعبد اليهودى فى الموسكى . وبلغت خسارة محل للملابس يملكه يهودى ٦٠ ألف جنيه .

وصف جيمس بوكر المظاهرات ودور الشيخ حسن البنا فى تهدئة الطلاب فقال :

« **تجمع عدة آلاف من الطلبة وأعضاء الجمعيات الدينية داخل الجامع الأزهر وحوله لأداء صلاة الجمعة .**

وقف رجال الشرطة مضطربين فى أماكنهم توقعا لنتائج المظاهرات التى كانت على وشك التحرك خوفا من فشل الشرطة فى السيطرة على هذا العدد الضخم .

ووصل محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء إلى مسرح الأحداث لمباشرة العمليات . ولكن وصوله لم يفد كثيرا فى إثارة حماس مسئولى الشرطة الذين حل بهم الاجهاد رغم أن رئيس الوزراء ساعد شخصيا فى القبض على بعض مثيرى الشغب !

واستغلت الشرطة النداء الذى وجهه أحمد السكرى الوكيل العام للاخوان المسلمين فى السعى لاقناع أعضاء الجماعة بالإنسحاب من المظاهرات . ولكن هذا النداء لم يكن مجديا .

تحرك المتظاهرون إلى قصر عابدين . وخرجوا من الطابع الصامت وأخذوا

يهتفون بقوة بحياة الملك والوحدة العربية ، ويهاجمون اليهود

خطب حسن البنا فأبدى أسفه لأعمال التخريب التى وقعت . وناشد المسئولين عنها التوقف عن أعمالهم الشريرة

لم تجد نداءاته فلا تدين الأغلبية العظمى منهم بأى ولاء . وكانوا فى حالة من الهياج الشديد التى تمنعهم من الاستجابة إلى الناصح الذى لاشعبية له !

ولكن حسن البنا استطاع بعد ساعة أن ينصح المتظاهرين بالتفرق فأطاعوه وانصرفوا بنظام »

* * *

ويكتب السير والتر سمارت :

« يشعر الوفد بالسخط تجاه موقف الاخوان الذين قاموا بتهدئة أعمال الشغب التى وقعت بين صفوف الطلاب . واعتبر الوفد موقف الاخوان نوعا من الخيانة

وقد تلاعب فؤاد سراج الدين بالاخوان المسلمين لبعض الوقت . ولاشك أنه قدم إليهم بعض المال .

وعلى أية حال فأن حكومة النقراشى تبدو كما لو أنها نجحت فى الوقيعة بين الاخوان والوفد

وكانت سياسة الاخوان المسلمين تتمثل فى السعى لتحاشى وقوع أى صدام مع الحكومات المتعاقبة بيما يدعم الاخوان موقفهم

وعلى نحو مشابه نجدهم حاولوا استمالتنا ـ أى استمالة الانجليز ـ خوفا من أن نقوم بالتحريض على أى عمل ضدهم

لقد أصبحت الجماعة تضم نحو نصف مليون عضو فى مصر . وافتتحت فروعا لها فى فلسطين وسوريا . ودفع الاستياء الذى يشعر به المصريون تجاه قادة الاحزاب السياسية الحالية إلى أن ينضم عدد منهم إلى الجماعة التى وجدت أعضاء لها بين الطبقات الراقية فى المجتمع بعد أن كانت لاتضم إلا ابناء الطبقات الدنيا

ومن الواضح أن الاخوان المسلمين سلاح ذو حدين ، فيمكن أن يكونوا اليوم أصحاب دور فعال فى وقف أعمال الاثارة ثم يقومون غدا بدور خطير فى التحريض وخاصة فى القضايا الدينية مثل قضية فلسطين

ولا أظن أن بمقدورنا القيام بأكثر من تحذير حسن رفعت » .

وكتب الملحق العسكرى الأمريكى إلى وشنطن يوم أول نوفمبر يقول · « اشترى الملك ولاء الإخوان » .

* * *

أضرب عمال شبرا الخيمة . واعتقل النقراشى أكثر من ١٠٠ من المتهمين بالشيوعية فى ديسمبر واستمرت عملية اعتقال الشيوعيين فى يناير وفبراير .

وحققت النيابة مع صحف « مصر الفتاة » و « الاثنين » و « روز اليوسف » و « الضمير » الشيوعية و « الوفد المصرى » و « البلاغ » الوفدية .

ويلجأ النقراشى إلى القوة لقمع المظاهرات . ويعتقل أحمد السكرى وكيل الجماعة ويغلق شعب الاخوان والمقر الرئيسى للجماعة .

ويعود اللورد كيلرن إلى القاهرة ليهاجم ـ فى تقاريره ـ الاخوان المسلمين . قال :

« يمكن إلقاء مسئولية معظم المظاهرات المعادية لبريطانيا والهجمات التى تعرض لها الرعايا البريطانيون على مدى العامين الماضيين على الجوالة الذين أصبحوا أكبر الحركات الشبابية وأكثرها تنظيما »

* * *

ظل اللورد كيلرن السفير البريطانى يتصرف بعقلية المندوب السامى البريطانى

فتوجه لمقابلة رئيس الوزراء وحذره من انتشار عدوى الاغتيالات السياسية وقال له :

ـ جاء اغتيال أحمد ماهر باشا دليلا على انتشار الخروج على النظام والقانون .

وأضاف :

ـ أصبح الارهاب سمة مميزة للحياة السياسية فى مصر.

وطالب بالتعجيل بالعقاب كوسيلة للردع .

* * *

وتضع السفارة البريطانية عيونها على انتشار حمل السلاح فى مصر.

قال اللورد كيلرن فى تقاريره إلى لندن :

« استمر تهريب الأسلحة على نطاق واسع . وكان يتم شراء معظمها من مخلفات الجيوش التى شاركت فى معارك الصحراء الغربية خلال الحرب العالمية الثانية وبدت سلطات الأمن عاجزة عن القيام بأى شىء .

وكان فى وسع سكان الأقاليم تحدى جهود السلطات لتنظيم حيازة الأسلحة النارية والافلات من العقاب .

وزاد من صعوبة مهمة الحكومة فى التعامل مع هذه المشكلة أن الأسلحة المحظورة من أنواع متطورة للغاية بينما كانت قوات الأمن المصرية مسلحة فى الغالب بأسلحة قديمة .

إن انتشار حيازة الأسلحة صار عاملاً جديدا وخطيرا فى التأثير على العلاقات البريطانية المصرية . وفى حالة نشوب أية أعمال عنف معادية لبريطانيا على نطاق واسع سيصبح التعامل مع عناصر الشعب أكثر صعوبة عما كان عليه فى عام ١٩١٩ . فقد كانت معظم هذه العناصر غير مسلحة عام ١٩١٩ » .

* * *

ويضع النقراشي رقابة صارمة على الاخوان طوال فترة وزارته .

ويكتب السفير البريطاني إلى لندن عن التغيير الذي جرى في حزب الوفد .

قال :

« يقوم حزب الوفد بدور المعارض الحقيق فهو يشعل الاضطرابات مستخدما أساليب دعائية عنيفة ضد كل من الحكومة المصرية والبريطانية »

وتقول السفارة :

« بدأ القصر يستميل الاخوان المسلمين الذين نمت قوتهم بصورة كبيرة وأصبحوا يتمتعون بقوة كبرة في الجامعة والمدارس .

ومازالت الجماعة تشكل خطرا دائما لاعلى التعاون الودى بين كل من بريطانيا ومصر بل على التعاون بين مصر والاوربيين بوجه عام

وأصبح الاخوان الذين تدعمت قوتهم بفضل حماقات الحكومات المتعاقبة التي سعت إلى استخدامهم لايخفون رغبتهم في أن يحلوا محل الوفد في نهاية الأمر وأن يقوموا بتشكيل وزارة تحكم البلاد »

* * *

ويسافر حسن البنا لأداء فريضة الحج .

وتتجدد مظاهرات الطلبة التي أثارها الوفد والاخوان ـ كما تقول السفارة ـ ويلجأ النقراشي إلى القوة لقمعها مما أثار احتجاجات عنيفة .

ويكتب السفير البريطاني إلى لندن :

« أثبتت جماعة الاخوان المسلمين قدرتها على الاستمرار رغم المصاعب العديدة التي واجهتها والتي تمثلت في إغلاق مقارها واعتقال أحمد السكرى وغياب حسن البنا مما أدى إلى تقليص نشاطها ولكن مازالت تعقد اجتماعات على مستوى محدود في منازل بعض اعضائها .

وخلال أحد هذه الاجتماعات قرأ أحدهم رسالة من حسن البنا يحث فيها أعضاء الجماعة على الاستمرار فى العمل رغم اجراءات الحكومة .

ودعا حسن البنا إلى تقديم المعونات إلى الأعضاء الذين يتعرضون للاعتقال .

وقدمت الجماعة المراتب والحشايا والأغطية لأعضائها المعتقلين ووزعت الأموال على أقاربهم .

ويقال إن الجماعة وزعت بعض الاكراميات على ضباط الشرطة وحراس السجون لتوفير معاملة طيبة للمعتقلين » !

* * *

عاد حسن البنا إلى القاهرة فى ديسمبر . وكان من أول أعماله التحقيق فى شكاوى الأعضاء الذين اعتقلوا وأرسلوا إلى مناطق نائية ومعتقلات غير ملائمة .

وقيل إنهم لقوا معاملة سيئة .

وأمر البنا باجراء تحقيقات كاملة حول هذا الموضوع وطلب إلى أعضاء الجماعة فى المدن والمديريات موافاته بأسماء « الضحايا » .

وكانت النية تتجه إلى تقديم احتجاج للحكومة ضد المعاملة التى تعرض لها الأعضاء .

ويكتب اللورد كيلرن إلى لندن .

« هناك تقارير غير مؤكدة عن مقابلة سرية بين الملك فاروق وحسن البنا بعد عودته من مكة .

ومن المعتقد أن الملك أبلغ البنا أنه يفضل سياسة الاخوان بغير حد طالما أنها تحافظ على توازن القوى السياسية فى البلاد .

وقد اطلق النقراشى سراح عدد من اعضاء الجماعة الذين اعتقلوا لمشاركتهم فى انشطة معادية للانجليز والحكومة نتيجة لقاء البنا مع الملك » .

ويلتقى السفير البريطانى برئيس الوزراء ويحذره من المظاهرات المعادية لليهود التى جرت فى ذكرى وعد بلفور ويكتب كيلرن إلى لندن :

« هذه الاحداث بمثابة تذكرة لنا ـ أى لبريطانيا ـ إلى ما يمكن أن ينتج من أعمال الشغب التى يقوم بها السوقة فى مصر » !

* * *

ويجتمع مجلس الوزراء المصرى برئاسة محمود فهمى النقراشى باشا يوم ١٨ من ديسمبر ١٩٤٥ لبحث موضوع تعديل معاهدة ١٩٣٦ .

ويقدم عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن مذكرة طويلة إلى وزارة الخارجية البريطانية يطلب فيها فتح باب المفاوضات .

وتسجل هذه المذكرة مطالب مصر فى صراحة كاملة وهى الجلاء ووحدة وادى النيل قائلة « إن الحرب استنفدت أهم اغراض المعاهدة وأحكامها التى تمس استقلال مصر وكرامتها ، ولم تعد تساير الوضع الحالى . إن وجود قوات أجنبية زمن السلم ، فى بلادنا ، حتى لو انحصرت هذه القوات فى مناطق نائية يجرح الكرامة الوطنية » .

رأى أرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا أن يبحث مع المسئولين فى الوزارة ورؤساء أركان حرب القوات البريطانية موضوع الجلاء عن مصر .

قال رؤساء الأركان إن معاهدة عام ١٩٣٦ تنص على بقاء ١٠ آلاف جندى بريطانى و ٥٠٠ طيار فى منطقة قناة السويس .

وأبدوا استعدادهم لتخفيض هذا الرقم إلى ٥٠٠٠ .

ولكن السلطات العسكرية البريطانية رأت أن استعدادات الدفاع فى المنطقة يجب ألا تمس ، مع خلق الاحساس أيضا لدى المصريين بأن الامبراطورية البريطانية رحلت عن مصر !

وقال بيفن للجنة الدفاع المنبثقة عن مجلس الوزراء البريطانى :

ـ هدفنا أن نبتعد عن القاهرة فلايرى المصريون قواتنا حتى لا يقال إن مصر بلد محتل فتنسحب القوات البريطانية إلى منطقة القناة .

ورأى بيفن أن اعلان مبدأ الانسحاب سيغرى المصريين على أن يطلبوا من البريطانيين البقاء إلى الأبد ، فى منطقة قناة السويس .. على الأقل .

وأوصى باتباع النموذج الأمريكى وهو تأجير قاعدة قناة السويس مدة ٩٩ سنة .

ويقدم بيفن وزير الخارجية مذكرة إلى مجلس الوزراء البريطانى .

قال بيفن فى هذه المذكرة سيقبل المصريون معاهدة جديدة تتضمن نفس ملامح معاهدة ١٩٣٦ التى يطالبون بالغائها .

وقال إن بريطانيا ستسحب قواتها إلى منطقة القناة ولكنها ستحتفظ بحقها فى إعادة احتلال مصر إذا قامت الحرب .

وكان بيفن متفائلا أكثر مما ينبغى بما ستقبله مصر.

* * *

ويزور اللورد كيلرن فاروق يوم ٢٩ من يناير عام ١٩٤٦ يحمل إليه ردا شفهيا من بريطانيا على طلب تعديل المعاهدة يطالب بادخال وزراء وفديين ـ لا النحاس ـ فى الحكومة ويعرض سريان التحالف بين بريطانيا ومصر.

ولكن السفير لايفصح عن آراء بيفن كلها .

ويشجع فاروق السفير البريطانى على الحديث بل يسأله النصيحة .

قال السفير إنه لايستطيع التعاون مع النقراشى فطلب منه فاروق أن يقدم بذلك مذكرة كتابية .

قدم كيلرن هذه المذكرة يوم ٣١ من يناير فقصد عبد الفتاح عمرو باشا إلى

وزارة الخارجية البريطانية فى اليوم نفسه ، للقاء بيفن وأبلغه أن ملك مصر تلقى تحذيرا رسميا بضرورة تغيير النقراشى ، وأن هذه الرسالة غير ودية وقد أزعجت جلالته للغاية .

نفى كيلرن ذلك . ولكن الخدعة ، أو اللعبة الملكية ، حققت أهدافها ، فإن بيفن كان يرفض التدخل لتشكيل أو تغيير الوزارات فى مصر.

فى ٤ من فبراير ١٩٤٦ قرر مجلس الوزراء البريطانى نقل كيلرن من مصر وتعيينه مندوبا خاصا فى جنوب شرق آسيا .

وتشتد مظاهرات الطلبة التى أثارها الوفد والاخوان وتلجأ الحكومة إلى استخدام القوة لقمعها .

ويكتب الوزير المفوض البريطانى جيمس بوكر :

« يجب أن نذكر أن الوفد لم يستطع ، عند افتتاح الجامعة ، فى أكتوبر الماضى جذب الطلاب للتظاهر خارج الجامعة بسبب عدم تعاون الاخوان معه . فإنهم كانوا ـ حينذاك ـ يناصرون الحكومة

ويشير خروج جماعة الاخوان إلى الشوارع جنبا إلى جنب مع الوفد إلى اعتقاد الاخوان بأن حكومة النقراشى تقضى أيامها الأخيرة ، وإلى قيام الحكومة أخيرا ، بالتضييق على أنشطة الاخوان .

وهذا يشير إلى التأثير المتزايد للجماعة .. فعندما قررت أن تلقى بثقلها إلى جانب أعمال الشغب والاضطراب كان لذلك أثره الفعّال » .

ويبلغ الملك رئيس وزرائه بأن الانجليز طلبوا اخراجه من منصبه .

قال الشيخ حسن البنا للنقراشى :

ـ طالب بالجلاء صراحة فإن ماطل الانجليز لاتقدم استقالة . وإنما امتشق السيف وقد الأمة إلى الجهاد .

ولكن النقراشى يستقيل يوم ١٥ من فبراير ١٩٤٦ .

وتجرى مجلة المصور فى الأسبوع نفسه استفتاء بين القراء عن « رجل عام ١٩٤٥ » ففاز الشيخ حسن البنا .

الاخوان المصريون

اختار الملك إسماعيل صدقى باشا ـ ٧١ سنة ـ ليتولى رئاسة الوزارة فقبلها قائلا :

ـ إنها يا مولاى لمهمة عسيرة ينوء بها أصلب الرجال عودا .

وكان صدقى صادقا فليس له حزب ، أو نائب واحد ، يمثله فى البرلمان .

اعتذر محمود فهمى النقراشى عن دخول الوزارة أو اشتراك الحزب السعدى فيها .

لم يكن أمام صدقى إلا حزب الاحرار الدستوريين فألف صدقى وزارته من ١١ وزيرا وتولى وزارتى الداخلية والمالية بالاضافة إلى رئاسة الوزارة . واختير أحمد لطفى السيد وزير دولة يتولى وزارة الخارجية .

ومثل حزب الاحرار الدستوريين ٤ وزراء والباقون من المستقلين . وكان صدقى يهدف إلى أن يستبدل السعديين بالمستقلين عندما يقرر الحزب دخول الوزارة .

* * *

روى الاخوان فى بعض كتبهم أن صدقى لم يقبل الوزارة إلا بعد أن ضمن تأييدهم له فقد أصبحوا القوة الثالثة ، فى السياسة المصرية بعد الملك والوفد .

وقالوا إن صدقى ـ وهو يبحث عن مؤيدين لهم قوة شعبية يناصرونه ـ رأى الاتجاه إليهم .. ولم يكن أمامه غيرهم !

قام بالوساطة بين صدقى والمرشد العام ، إبراهيم رشيد زوج ابنة صدقى باشا .

زار رئيس الوزراء الشيخ البنا وأبلغه أنه كلف بتشكيل وزارة لمفاوضة الانجليز وارجأ المرشد العام رده بالقبول أو الرفض حتى يعرض الأمر على الاخوان .

وقال حسن البنا لصدقى باشا :

ـ شاع بين الناس من تاريخك السياسى مايبعث على النفور منك . ولكننا ستزن ماتقول بميزان دعوتنا .

أجاب صدقى :

ـ سأبدأ صفحة جديدة وللجماعة أن تأخذ علىّ ماشاءت من مواثيق .

جمع المرشد العام الهيئة التأسيسية وعرض عليهم الأمر فوافقوا على مبدأ التفاهم مع صدقى .

وأبلغ المرشد رئيس الوزراء الحد الأدنى من مطالب البلاد الوطنية فى المفاوضات مع الانجليز .

وعلى هذا الأساس قرر الاخوان تأييد الوزارة .

وفى هذه الرواية مافيها من مبالغات لايقبلها العقل ! .

ولكن عمر التلمسانى يقدم صورة مقبولة لما جرى . قال :

ـ إسماعيل صدقى من أنبغ الساسة المصريين ولكن ليست له قاعدة شعبية . ورأيه أن تؤخذ حقوق مصر خطوة خطوة فتأخذ جزءا من الحق ، أى الجزء المستساغ .

قال صدقى للاخوان :

ـ سأعمل لكم بشرط تأييدى .

قالوا :

ـ استرد الحقوق المشروعة فورا ، أو بالتقسيط ، بشرط أن تترك للاخوان حرية الانتشار .

قال « ادجار جلاد » صاحب جريدة « الجورنال ديجيبت » ، وأحد رجال الملك فاروق لفيليب ايرلاند سكرتير السفارة الامريكية :

ـ اتجه صدقى إلى الاخوان ليحقق التوازن مع الوفد .

ويروى بعض الاخوان أن إسماعيل صدقى عرض على حسن البنا أن يكون وزيرا للأوقاف ، وأن البنا فكر فى قبول العرض قائلا :

ـ نستطيع من خلال عشرة آلاف مسجد أن ننشر دعوتنا .

ولكن صدقى تراجع عن ذلك .

ومرة أخرى من حسن حظ البنا والجماعة أن صدقى عدل عن ترشيح الشيخ للوزارة ـ أيا ما يكون سبب ذلك ـ وإلا كان البنا قد انتهى إلى أن يصبح مجرد وزير لا قائدا ومرشداً للاخوان !

* * *

لم ترحب السفارة البريطانية بتعيين إسماعيل صدقى ، ولم تعترض عليه .

وصف جيمس بوكر القائم بأعمال السفير البريطانى رئيس وزراء مصر ، إسماعيل صدقى ، الذى وافق الاخوان على التعاون معه فقال بوكر فى البرقية رقم ٧٨ :

« ظل المصريون يعتبرون إسماعيل صدقى رمزا للرجعية السياسية والرأسمالية والفساد المالى .

وظل . لفترة طويلة . أقدر الاداريين والماليين وأقوى رجل فى مصر .

أبعده الملك فؤاد من منصبه مرتين عامى ١٩٢٥ ، ١٩٣٣ ـ وكان يجب أن نمنع ذلك ـ نظرا للخدمات التى أداها صدقى لنا . وإبعاد صدقى أدى إلى ميله ـ الآن ـ إلى معاداة البريطانيين .

وأصبح منحازا للتفكير الأوربى ضد التفكير الانجلوساكسونى .

وخلال العامين السابقين لعب دورا وطنيا متطرفا فى طلب تعديل المعاهدة . وهذا ينبع جزئيا من رغبته فى طمس الاسطورة الشعبية عن ارتباطه بنا .

وهو عديم الضمير تماما ، يكيِّف نفسه فى أى وقت مع الاتجاه الذى يناسب مصالحه .

وقد أثار تعيينه ـ بطبيعة الحال ـ رفضا عنيفا من جانب الوفد والعناصر المحافظة فى البلاد .

ومما لاشك فيه أن لطفى السيد ، الذى قارب الثانين من عمره سيكون وزيرا صوريا للخارجية وسيدير صدقى الشئون الخارجية بنفسه .

ولم يعد صدقى بنفس القوة الجسدية التى كان عليها قبل النوبة القلبية التى أصابته عام ١٩٣٣ ، وهو الآن فى الحادية والسبعين من عمره .

ويبدو تعيين صدقى استفزازيا فى العالم الجديد الذى بدأ يخرج ، حتى فى الشرق الأوسط ، من التأثير المضطرب للحرب ومن الاستياء الاجتماعى الذى تبرره ظروف التفاوت الاجتماعى » .

ولكن « جرافتى سميث » مساعد السكرتير الشرقى للسفارة البريطانية أنصف صدقى . قال :

« أذكى الوطنيين المصريين. قادر على كل شيء. وهو واحد من السياسيين المصريين القلائل الذين يعتبر حديثهم متعة فكرية . ويلعب شاربه دورا كبيرا فى ابتسامة الثقة بالنفس التى يتلقى بها حلو الأخبار ومرها » ! .

وأنصفه الكاتب البريطانى « جون مارلو » فقال :

« ... آخر الباقين على قيد الحياة من الحرس القديم للوطنية المصرية الذين شكلوا حزب الوفد الأصلى ، ثم انشق ، بعد فترة قصيرة ، على سعد زغلول ، وقام خلال أكثر من عشرين عاما بدور مستقل تماما فى الحياة المصرية العامة .

لايتمتع بأية شعبية . تركى الأصل . أوتوقراطى الطباع . واقعى بالغريزة . يعاوض غوغائية حزب الوفد .

ظل رئيسا للوزارة من عام ١٩٣٠ حتى ١٩٣٣ . وبعد أن فقد منصبه ؛ كرس معظم وقته ليكون رجل أعمال فجمع ثروة كبيرة . وفى السياسة كان رجل الدولة المحنك المستقل الذى يراقب الأحداث .. يشجع أو ينتقد .

وخلال الحرب العالمية الثانية كان ناقدا عنيفا سليط اللسان للسياسة البريطانية فى مصر» .

* * *

اضطهد صدقى الوفديين أثناء رئاسته للوزارة عام ١٩٣٠ ولذلك كان من الطبيعى أن تصف صحف الوفد تعيينه بأنه « عودة الجلاد » !

بدأ صدقى وزارته الأخيرة عام ١٩٤٦ فى ظل تأييد الاخوان ، ومعارضة الوفد .

وكانت الحرب قد انتهت والانجليز لايتدخلون فى سياسة الحكم وشئون مصر الداخلية ولايفرضون على رئيس الوزراء اعتقال البنا أو نقله كما فعلوا فى عهد حسين سرى .

قال السفير البريطانى :

« لوحظ أن مرسوم الملك فاروق لصدقى باشا يصف الأوضاع الحالية المضطربة فى مصر بأنها تعبير صحى عن طموح الشعب لتحقيق مطالبه العادلة ، داخليا وخارجيا » .

كان على رئيس الوزراء أن يتخذ أسلوبا جديدا للحكم ـ لتحقيق مطالب الشعب ـ يختلف عن السياسة التى سار عليها فى وزارته قبل ١٣ سنة ، ويزيل من الأذهان صورة الديكتاتور الذى يقف ، دواما ، ضد الشعب .

رأى صدقى أن يركب موجة المظاهرات الشعبية ليقودها ويتخذها وسيلة

للضغط على الانجليز لتحقيق الأمانى القومية !

* * *

دعت الأحزاب الشعب إلى التظاهر فى « يوم الجلاء » ٢١ من فبراير . وجاء بيان الاخوان متفقا مع بيان الوفد فى عدة نقاط . فقد طالبت الجماعة بالجلاء التام ، ووحدة وادى النيل والكفاح ضد الامبريالية .

سمح صدقى بالمظاهرات ، التى اشترك فيها الوفد والاخوان والحزب الوطنى ومصر الفتاة والشيوعيون .

أدت هذه المظاهرات إلى نتيجتين :

الأولى : تشكيل اللجنة القومية للطلاب . ولكن حدث احتكاك داخل اللجنة بين الوفد والاخوان وتبادل الطرفان الاتهامات .

الثانية : وهى الأهم فقد تصدى الانجليز لمظاهرات القاهرة وقتلوا ٢٣ وأصابوا ١٢١ .

أباح إسماعيل صدقى المظاهرات مرة أخرى فى يوم الشهداء – ٤ مارس – حدادا على شهداء يوم الجلاء . ولكن سقط ٢٨ قتيلا و ٣٤٢ جريحا بالاسكندرية نتيجة تدخل الجيش البريطانى .

كتب القائم بالأعمال البريطانى إلى لندن :

« هذا جزء من اللعبة الديماجوجية التى تلعبها السراى لتملق الطلبة وغيرهم من المهيجين .

ويبدو أن أول تصرفات صدقى تعكس هذه السياسة .

لقد ألغى تدابير الحكومة السابقة بمنع اجتماعات الاخوان ومصر الفتاة وهو ، أو السراى ، أو هو والسراى ، ينظمان مظاهرات الطلبة والاخوان بحيث تتجه إلى القصر لاعلان ولائها لجلالة ملك مصر .. وتطلق فى طريقها الصيحات المعادية للبريطانيين من قبيل « يسقط البريطانيون » .. الخ .

وكلف حسن رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية من جانب صدقى بتنفيذ هذه السياسة .

واتضح منذ وقت طويل أن السراى ، فى جهودها المحمومة للابقاء على نفوذها المتقلص بين العناصر الشعبية ، على استعداد تام لتشجيع أنصارها على أعمال العنف المعادية للبريطانيين لتحويل الاستياء الشعبى من السراى .. إلينا .. وخطورة مثل هذا النوع من الألاعيب واضحة » .

وتكتب المفوضية الأمريكية إلى وشنطن :

« يتزايد تنظيم الاخوان كل يوم كقوة سياسية وبالذات منذ تولى صدقى باشا السلطة .

وقد رفع رئيس الوزراء الحظر الذى فرضه النقراشى باشا على اجتماعات الاخوان . وهو يجامل الاخوان ، ربما بدعم مالى ، بأمل فصم ارتباطهم بالوفد » !

* * *

فى اجتماعات لجان الطلبة يلمع اسم مصطفى مؤمن أحد زعماء شباب الاخوان الذى يتعاون مع الوفد فى المظاهرات عقب تولى صدقى الوزارة مباشرة .. ولكن مصطفى مؤمن يصبح من أوائل المدافعين عن الاعتدال والداعين إلى الامتناع عن القيام بأعمال عنف جديدة !

ويؤيد المركز العام للجماعة دعوة الاعتدال بإعلان أن اللجنة القومية العامة التى نظمت الاضرابات قامت لغرض واحد وهو تنظيم إظهار شعور الأمة فى يوم الشهداء . وقد انتهت مهمتها بانتهاء ذلك .

وقال اعضاء الجماعة ــ تبريرا لانسحابهم من اللجنة ــ إن صدقى عام ١٩٤٦ غير صدقى فى الثلاثينات ، يبذل كل مافى وسعه وفقا لرغبات الشعب « وإنه صادق فى وعوده » ! مما يدل على التفاهم والتعاون بين صدقى والاخوان .

وشكل الاخوان لجنة أخرى فقالت السفارة البريطانية فى تقرير إلى لندن :

« أصبحت مهمة مصطفى مؤمن انتزاع التأييد الشعبى من الوفد لصالح لجنة وطنية تدين بالولاء لرئيس الوزراء » !

اتهمت صحف الوفد الجماعة بامتصاص الحركة الوطنية وأنهم تقاضوا الثمن من إسماعيل صدقى .

وأخذت عناصر الاحزاب المعارضة لحكومة صدقى فى الاتصال بحسن البنا بهدف تشكيل جبهة وطنية معادية للحكومة يشترك فيها فؤاد سراج الدين سكرتير عام حزب الوفد وصالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وأحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة وحافظ رمضان باشا زعيم الحزب الوطنى .

وافق حسن البنا وبدأ التقارب بين الوفد والاخوان .

بعث الوفد برسله إلى المركز الرئيسى للجماعة بالحلمية الجديدة يطلبون إقامة تحالف وثيق بين البنا والنحاس .

قال حسن البنا لمبعوثى الوفد :

ـ سيؤدى تنسيق الخطط بيننا إلى فوائد مباشرة . ولكنى لا أريد ربط الجماعة باتفاقيات طويلة الأمد .

وهمس البنا سرا لمعاونيه :

ـ النحاس يبحث عن مجد شخصى أكثر من الكفاح للمصلحة الوطنية !

ولكن البنا توقف ، بعد فترة قصيرة ، عن حضور الاجتماعات بنفسه كما امتنع عن إيفاد مندوبين آخرين.

وكان رده على حافظ رمضان أنه يتعين الانتظار حتى يتضح موقف الحكومة الجديدة .

وكان السبب فى ذلك اتفاق صدقى والاخوان .

كتب القائم بالأعمال البريطانى جيمس بوكر إلى لندن عن أسباب اعتدال الاخوان فى سياستهم .

قال :

« حصل الاخوان المسلمون على تصريح باصدار صحيفة وتوزيع المطبوعات على نطاق واسع وأعلنت الجماعة عزمها على الانسحاب من « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » وهذا العمل سهل على صدقى باشا جهوده للسيطرة على الطلبة . وكلا الأمرين يؤكدان أن سياسة الحكومة فى استخدام الاخوان المسلمين » .

وفى كتاب ميتشيل أن الاخوان « حصلوا من إسماعيل صدقى على حرية استخدام المعسكرات وقطع من الأرض لاقامة المبانى اللازمة فى المناطق الريفية فضلا عن المساعدات غير المباشرة من وزارتى التعليم والشئون الاجتماعية » .

وفى مذكرات حسن البنا بعنوان « مذكرات الدعوة الداعية » قال : « إنه تلقى بواسطة شقيقه عبد الرحمن البنا عرضا من إسماعيل صدقى بمساعدات مالية مغرية مقابل إعلان الاخوان تأييدهم له ومناهضتهم لحزب الوفد ، ولكنه رفض هذا العرض » .

وفسر حسن البنا موقف صدقى من الجماعة فقال إنه الحياد الدقيق . قال :

« لم تساعد الحكومة الاخوان بشىء. ولم تغدق عليهم مالا ولا حرية بل منعت عنهم كثيرا من الحقوق الطبيعية .

لم تظفر جريدة الاخوان بفرخ واحد من الورق . ولم تصرف الاعانات المقررة لكثير من الشعب ، وصرف لبعضها أقل بكثير مما كان يؤخذ فى الأعوام الماضية » .

ويقول عمر التلمسانى إن الاخوان أخذوا من الورق والتسهيلات ماهو حق لهم !

* * *

سأل مندوب صحيفة « لابورص » التى تصدر بالاسكندرية ، حسن البنا عما إذا كان يحبذ نظام الخلافة .

ورأى الاخوان معروف فى أنهم يؤيدون الخلافة فالملك لايورث بل يتم بالبيعة .. ومع ذلك فإن المرشد العام تهرب من الاجابة حتى لايغضب صاحب الجلالة !

واكتفى الشيخ البنا بأن يقول للصحيفة الناطقة باللغة الفرنسية إنه يجب على الدول الأجنبية ألا تخشى شيئا من اعادة تطبيق الشريعة الإسلامية فى مصر.

* * *

وجد رئيس الوزراء أنه حان الوقت للكف عن المظاهرات ، فأوقفها ، واتجه إلى التفاوض .

شكل وفد المفاوضات ـ فى ٧ من مارس ـ بعد ١٧ يوما من تشكيل الوزارة .

ضم الوفد أربعة من رؤساء الوزارات السابقين وهم على ماهر وعبد الفتاح يحيي وحسين سرى ومحمود فهمى النقراشى .

واشترك فى وفد المفاوضات أيضا وصى سابق على العرش هو شريف صبرى و ٥ وزراء حاليون وسابقون هم : الدكتور محمد حسين هيكل وأحمد لطفى السيد وعلى الشمسى ومكرم عبيد وإبراهيم عبد الهادى .

رفض الوفد الاشتراك فى وفد المفاوضات وأصر على أن تكون له رئاسة المفاوضات فهاجمه صالح عشماوى واتهمه بأنه يعمل ضد مصلحة الأمة بعدم الاشتراك فى وفد المفاوضات مما يدل على أنه لا يريد الاعتراف بالاخوان كقوة سياسية أو كحزب سياسى .

نشر حسن البنا بيانا فى صحيفة « الأهرام » حدد فيه موقف الجماعة وطالب بتمثيلها فى وفد المفاوضات .

قال البيان :

«كان من المنتظر أن يتألف وفد المفاوضة ممثلا لكل هيئات الأمة وأحزابها وفى مقدمتها الاخوان المسلمون .

وأمام ذلك يقرر الاخوان أمرين :

أولها يجب أن تعرض نتيجة المفاوضات على الأمة فى استفتاء .

وثانيهما إما أن تنتهى هذه المفاوضات إلى نجاح وإلا فإن الشعب لن يتردد فى متابعة حركته القومية بعرض قضيته على مجلس الأمن وبالجهاد المستمر » .

وبدأ المرشد العام يتحدث للصحف عن وصول الاخوان إلى الحكم .

فى حديث له مع « مجلة المصور » الأسبوعية تكلم عن إمكان وصول الاخوان إلى الحكم .

وفى حديث لصحيفة « البورص » اليومية التى تصدر باللغة الفرنسية فى مدينة الاسكندرية قال :

« ستقف الجماعة مع الشعب حتى يحصل على حريته كاملة . وإذا تحقق ذلك . وكان الاخوان قد وصلوا إلى الحكم فإن موقفهم سيظل احترام إرادة الأمة » !

* * *

غادر السفير البريطانى اللورد كيلرن مصر إلى الأبد يوم ٩ من مارس عام ١٩٤٦ .

وقبل نقله بعث إلى لندن يطلب عدم التفاوض إلا مع هيئة مصرية يشترك فيها الوفد ، ولكن مجلس الوزراء البريطانى قرر فى ١٨ من مارس عدم التدخل فى الشئون الداخلية لمصر.

ووصل إلى القاهرة يوم ٢٠ من مارس ١٩٤٦ السير رونالد كامبل السفير البريطانى الجديد ــ ٥٦ سنة ــ الذى يعرفه إسماعيل صدقى عندما تولى رئاسة الوزارة فى الثلاثينيات .

وكان كامبل قد عمل مستشارا للمندوب السامى البريطانى فى مصر السير برسى لورين ثلاث سنوات ثم انتقل مستشارا للسفارة البريطانية فى باريس

وبلغراد ووشنطن ووكيلا مساعدا لوزارة الخارجية البريطانية قبل وصوله للقاهرة مرة أخرى

جاء السفير الجديد من بورسعيد إلى القاهرة فى عربة الحقت بقطار السكة الحديد . ولم يصل بقطار خاص كما حدث لكل المندوبين السامين البريطانيين ، أو اللورد كيلرن . عند قدومه إلى مصر لأول مرة !

ولم يكن فى استقبال السفير بمحطة السكة الحديد رئيس وزراء مصر وممثل عن صاحب الجلالة بل مندوب لوزارة الخارجية المصرية وكبار موظفى السفارة البريطانية فى القاهرة وقادة جيشها فى مصر وبعض المصريين من أصدقاء الانجليز !

قال لطفى السيد وزير الخارجية للسفير.

ـ بوصولكم لن تكون هناك عقبة أمام تحقيق الأمانى القومية لشعب مصر.

لم يرد كامبل ولكنه أبرق إلى لندن قائلا :

« سرنى وضايقنى هذا التصريح . ولكنى شعرت بالاشمئزاز لأنه يدين عهد سلفى كيلرن » !

كتب كويليام مراسل صحيفة التايمس إلى صديق له يقول :

« أدى وصول السفير الجديد إلى تغييرات شبه سحرية فى المناخ السياسى السائد فى مصر وقال بنكنى تاك الوزير الأمريكى المفوض إن كامبل سفير وليس مندوبا ساميا كما كان كيلرن فى أول عهده بمصر » .

ويرى الكاتب الفرنسى جاك بيرك أن السفير البريطانى الجديد « جبان ضعيف بينما كان سلفه اللورد كيلرن ديكتاتوراً يملك شخصية قوية » !

توجه صدقى للسفير الجديد ـ فى ٣٠ من مارس ـ قائلا :

ـ جمعت مصر خير رجالها للتفاوض ولايعقل أن يواجه هؤلاء وفدا يتألف من موظفين بالسفارة البريطانية لهم تصريحات لم ينسها المصريون .. ونفذوا

سياسة فى زمن الحرب لم تترك أثرا طيبا فى مصر.

أرجو إعادة النظر فى هذا الموضوع .

كتب كامبل إلى لندن :

« اظهروا شيئا من الدفء »

استجاب بيفن وأعلن فى مجلس العموم ــ يوم ٢ من إبريل ــ أنه سيتولى رئاسة وفد المفاوضات البريطانى .. يعاونه اللورد ستانسجيت وزير الطيران ورونالد كامبل السفير البريطانى فى القاهرة .

وقال إن ستانسجيت وكامبل سيبدآن المفاوضات نيابة عنه فى المراحل الأولى .

ولم يقل بيفن حقيقة أخرى حددت موقفه وهى أنه يخشى أن يغتاله الصهاينة !

وضم الوفد البريطانى أيضا السير كيناهان كورنووليس السفير البريطانى السابق فى العراق ورئيس قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية البريطانية وقادة القوات الثلاثة فى الشرق الأوسط .

وحددت الحكومة البريطانية موقفها من المفاوضات القادمة .

قال بيفن فى برقية إلى اللورد ستانسجيت :

« لاتستطيع بريطانيا الدفاع عن مصر إذا لم تحتفظ ــ فيها ــ بقواعد . لأن مصر تقع فى قلب نظام الدفاع البريطانى » .

أما القادة البريطانيون فكان رأيهم تطبيق المبدأ الذى وضعه بيفن بأسلوب يقبله شعب مصر.

قالوا فى تقريرهم السرى :

« بقاء القوات البريطانية فى مدن مصر يعرضها للهجوم . ومن الأفضل لتهدئة الرأى العام الموافقة على ما يقبله المصريون . وبالاقناع ــ بعد فترة ــ يمكن

الوصول إلى ماتتطلبه الاجراءات الاستراتيجية » .

أيد كامبل هذا الرأى ولكن سكريفنر رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية قدم مذكرة إلى بيفن قال فيها :

« سيتظاهر المصريون لأى شيء . وستكون ظاهرة سيئة أن تفقد بريطانيا موقعها فى مصر وهذا شيء أشبه بالانتحار . ونحن نفكر فى اختيار قاعدة بديلة فى شرق أفريقيا . وإذا لم تكن مناسبة فيجب أن نبقى فى مصر ونواجه المظاهرات بحسم » .

ورأى كل من كامبل وستانسجيت أنه إذا ارادت بريطانيا تقديم تنازلات لمصر فمن الأفضل تقديمها قبل بدء المفاوضات ، أو فى مراحلها الأولى ، بدلا من تقديمها فى مرحلة متأخرة حتى لايبدو ذلك وكأنه تم تحت ضغط صدقى .

وقال كامبل :

« هناك طريقان أمام بريطانيا : الجلاء أو بقاء القوات ، والاثنان مقامرة . ولكن المقامرة بابقاء القوات تعنى التوتر ، والنوايا السيئة ، والعنف والتجاء المصريين إلى الأمم المتحدة بينما الجلاء قد يعطى فرصة لبحث التنازلات التى ينبغى على المصريين تقديمها للحفاظ على الاستراتيجية البريطانية » .

ومن ناحيته رأى صدقى أن يوسط صديقا قديما ، هو كلارك كار ، لدى بيفن .

وكان كلارك كار يعمل بدار المعتمد البريطانى الماريشال اللنبى فى مصر عام ١٩١٩ . وتوقف فى مصر أثناء عودته إلى لندن قادما من موسكو فقدم مذكرة إلى وزير الخارجية يوصى فيها بعدم الاحتفاظ بقوات فى مصر تتنافى مع سيادة مصر ، وكرامتها ، والمبادئ التى قام عليها عالم مابعد الحرب .

وأوفد ستانسجيت الجنرال جاكوب ، أحد معاونيه فى وفد المفاوضات ، إلى لندن ليشرح الموقف لبيفن . قال له :

ـ إذا صدر بيان عاجل باستعداد بريطانيا لسحب جيوشها فإن ذلك يمنع حمى الشك لدى المصريين ، ويفسد مناورات الأعضاء المتطرفين ، فى هيئة

المفاوضات المصرية ويمنع القلاقل والاضطرابات . ويمكن الحصول من مصر على تسهيلات عسكرية لقواتنا أثناء الحرب .

ويناقش الموضوع فى مجلس الوزراء البريطانى خلال جلستين فى ٢٤ من أبريل و٦ من مايو .

وفى الجلسة الأخيرة وجد مجلس الوزراء أنه من الصعب الاحتفاظ بالقوات البريطانية فى مصر باستعمال القوة ويمكن ضمان التسهيلات العسكرية بموافقة الحكومة المصرية .

وقرر المجلس إعلان مبدأ الجلاء عن مصر فى بداية المفاوضات لخلق المناخ المناسب .

ولم تكن حكومة العمال قد وجدت ، أو أعدت ، قواعد بديلة فى برقة بليبيا أو كينيا أو فلسطين .

* * *

صدر العدد الأول من صحيفة الاخوان المسلمين اليومية صباح ٥ من مايو ١٩٤٦ ... فى اليوم السابق على عيد جلوس الملك فاروق على العرش !

وبدلا من التعليق على مبدأ الجلاء بطريقة تتفق مع تأييد الجماعة لصدقى فإن الصحيفة اتخذت موقف النقد للانجليز . قالت : «كان طبيعيا وقد وضعت الحرب أوزارها أن يطالب المظلومون بحقهم ، وأن يجاهدوا فى تحرير أوطانهم » .

* * *

أعلن كليمنت أتلى رئيس وزراء بريطانيا فى مجلس العموم يوم ٧ من مايو ١٩٤٦ أن جميع القوات البريطانية ستنسحب من مصر .

قال البيان :

« عرضت الحكومة إجلاء قواتها البرية والبحرية والجوية عن الأراضى المصرية والمفاوضة لتحديد مراحل الجلاء وموعد إتمامه والتدابير التى تتخذها

الحكومة المصرية لتحقيق تبادل المعونة فى وقت الحرب ، أو فى حالة توقع التهديد بها .

وسياسة الحكومة توطيد تحالفها مع مصر على أساس المساواة بين بلدين تجمع بينهما مصالح مشتركة » .

ما إن سمع ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا السابق بهذا الاعلان المفاجئ حتى وقف يرد قائلا :

ـ هذا تصريح خطير وهو أخطر ماسمعت فى مجلس العموم !

* * *

بعد ثلاثة أيام فقط من صدور الصحيفة كتب أحمد السكرى وكيل الجماعة فى الصفحة الأولى يوم ٨ من مايو ـ تحت عنوان : « البيان البريطانى خدعة سياسية يجب أن ينتبه لها المصريون » .

قال :

« نرجو ألا يكون من أبناء الأمة من يضيع على أيديهم هذا الحق بسوء القصد أو بحسن قصد »

* * *

ونشر السكرى مقالا آخر عنوانه « هل هذا هو أساس المفاوضة . أين وحدة الوادى أيها المفاوض المصرى » .

ويتساءل السكرى فى مقال آخر .

« مابال صدقى باشا يقف وقفة الصمت المريب » .

ولم يكن فى استطاعة صدقى أن يتكلم . أو يشرح مايدور فى قاعة المفاوضات !

* * *

ورغم ذلك هاجمت صحيفة مصر الفتاة « الاخوان لتعاونهم مع صدقى » . قالت :

« حانت خاتمة الدجل والشعوذة .. الاخوان يتعاونون مع كل الاحزاب بلا مبدأ . ويتحالفون مع الكل . حتى الانجليز ، الذين يسخرونهم لمحاربة الشيوعية والوطنية ، ويفتحون لهم الشعب فى السودان وفلسطين ، وهم أداة فى يد الرجعية ويد إسماعيل صدقى لخنق الرأى العام ، وأداة فى يد الرأسمالية اليهودية لضرب العمال » !

* * *

بدأ الاحساس بقوة الجماعة ينتشر فى مصر .

كتبت مجلة « آخر ساعة » :

« منذ حين تدغدغ أيدى القدر مصر . تهمس فى آذانها أن الفجر قد لاح . فعلى أى صوت تستيقظ مصر الآن ، ومن أى باب تهب رياح الفجر الوليد ، ومن أى دم تكتب مصر . عندما تفيق . صفحتها المجيدة الجديدة فى تاريخها الحديث ؟

يقولون إن علم هذا عند الله وعند جماعة الاخوان المسلمين .

من هم هؤلاء الاخوان الذين يزعم الرواة أنهم وراء . كل مظاهرة وكل حركة إضراب . وأنهم القوة المحركة الدافعة للفورة الجديدة التى توجه الشعور الوطنى هذه الأيام . وأنهم استطاعوا فى يوم واحد أن يوزعوا مائة ألف شارة من شارات الجلاء . وأن يعلقوها على صدور مائة ألف مصرى رشيد ؟ »

ونشرت مجلة المصور « أن شخصيات بارزة معينة غير إسلامية بينهم عضو الشيوخ لويس فانوس ومريت بطرس غالى انضموا إلى جماعة الاخوان المسلمين » .

قال الشيخ البنا ردا على ذلك أنه ليس هناك مايمنع من التعاون مع هذه

الجماعة التى تضم كل الوطنيين النشيطين سواء كانوا مسلمين أو غيرهم .

وتكتب السفارة البريطانية إلى لندن :

« هذه محاولة من جانب الأقباط للانضمام إلى الاخوان المسلمين مماثلة للمحاولة الناجحة للاقباط بالانضمام إلى حزب الوفد عام ١٩١٩ .

ويحاول الأقباط باعتبارهم الأقلية استرضاء أية حركة وطنية قوية عند ظهورها .

ووفقا لتقارير أخرى فإن هذه العناصر القبطية اقترحت على حسن البنا أن تغير جماعته اسمها إلى « الاخوان المصريين » بدلا من « الاخوان المسلمين » .

وكان حسن البنا من الدهاء بحيث أدرك أن القوة الأساسية لدعوته تكمن فى جانبها الدينى وأنه إذا قبل اقتراحا مثل ذلك فإن جماعته ستصبح مثل أى من الأحزاب السياسية الأخرى بلا جاذبية خاصة للجماهير.

ولذلك رفض اقتراح التعاون مع الأقباط .

ولكن البنا يمثل حاليا سماحة الإسلام أمام المسيحيين واليهود » .

ولكن يمكن أن يطلق على الاخوان فى هذه الفترة أنهم « الاخوان المصريون » لأن السياسة أصبحت هدفهم الأول .. إن لم يكن الوحيد !

ويستقيل الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٦ من وظيفته كمدرس بوزارة المعارف ليتفرغ للجماعة بعد أن صارت لهم صحيفة يومية .

فرسان ورهبان

بدأت المفاوضات الرسمية فى القاهرة بين إسماعيل صدقى واللورد ستانسجيت يوم ٩ مايو ١٩٤٦ .

كان اللورد ستانسجيت فى التاسعة والستين عند وصوله للقاهرة ١٥ من أبريل . وتوقعت الحكومة البريطانية أن ينجح اللورد ستانسجيت ـ كوزير للطيران ـ فى إقناع المصريين بقبول أسراب المقاتلات وقواعد القاذفات !

ولكن اللورد أصيب بصدمة عارمة من الآثار التى رآها فى مصر ، ونتجت عن ستين عاما من الاحتلال البريطانى .

فى أول اجتماع له مع صدقى . قال رئيس وزراء مصر :

ـ أريد الجلاء الكامل الشامل .

ويبدو أن ستانسجيت اقتنع بمنطق إسماعيل صدقى فقد تحدث بحرارة إلى القائم بالأعمال الأمريكى فى القاهرة وأشار إلى علاقات بريطانيا بمصر خلال الفترة الماضية . قال :

ـ لاينبغى أن ننسحب من مصر فقط بل أن ننسحب منها بأسرع وقت ممكن .

وكتب إلى صديق له قائلا :

« إننا نحتفظ بألوف الجنود البريطانيين هنا دون أية معاهدة تخول لنا ذلك » .

ردّ السير أورم سارجنت الوكيل الدائم للخارجية البريطانية فى مذكرة قدمها لوزير الخارجية :

لا يستطيع المصريون أن يحصلوا على الشيئين معا.

لايمكن أن يتوقعوا منا أن نحمى أمن مصر واستقلالها دون أن يقدموا الينا التسهيلات التي تمكننا من اتخاذ الإجراءات الضرورية فى الوقت المناسب».

ولكن ستانسجيت كتب إلى بيفن يقول :

« مالم ينسحب البريطانيون بحقائبهم وأمتعتهم فأن ذلك سيؤدى إلى الإضرار بمكانتنا »

وأصر ستانسجيت على أن تتعامل الحكومة البريطانية مع المصريين على أساس المساواة التامة .

وقال :

« لم لاينسحب البريطانيون من مصر كما انسحبوا من إيران ؟ »

أثارت رسالة ستانسجيت موجه غضب عارمة فى اجتماع مجلس الوزراء البريطانى قال بعض الوزراء :

ـ ستانسجيت عجوز .

وقال آخرون :

ـ فقد الرجل قبضته .

وقالوا :

ـ إنه لايعرف الشئون المصرية .

وبعد شهور قال اتلى :

ـ كان خطأ تعيين ستانسجيت !

فى القاهرة هاجمت صحف الوفد المفاوضات كلها فقالت :

« تود مصر رحيل الوفد الانجليزى بلا رجعة » .

واعترض الاخوان أيضا .

كتب أحمد السكرى فى صحيفة الاخوان يقول :

« نريد جلاء تاما عن الوادى جميعه بلا قيد ولا شرط ولامساومة ولا إمهال »

وأعلن رفضه لكل خطوة لا تحقق وحدة وادى النيل .

واشتعلت المناقشة فى مجلس العموم البريطانى حول مبدأ الجلاء المعلن بينما المفاوضات السرية تجرى بطريقة أخرى .

قال إيدن إنه فوجئ وأصيب بالذهول لاعلان قرار الجلاء .

... وإيدن هو الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ بعد ٥٤ عاما من الاحتلال البريطانى والتى مثلت بداية لارتباط قوى بينه وبين مصر انتهى بعد عشرين سنة ـ عام ١٩٥٦ ـ بسقوطه !

وقف النائب ريتشارد كروسمان مدافعا عن سياسة حزب العمال الحاكم فقال : حان الوقت لنعيد الرجال ـ أى المحاربين البريطانيين الذين قهروا الألمان والإيطاليين ـ إلى بلادهم وديارهم وأسرهم وأعمالهم الإنتاجية

وقال بيفن يرد على تشرشل وإيدن :

ـ صار بوسع مصر من خلال منظمة الأمم المتحدة أن تدخل مرحلة جديدة من الدفاع الإقليمى .

إن خلاص الشعوب الأكبر يأتى من هذه المنظمة ومن الدفاع الإقليمى المشترك . وهو أكثر من تأييد بريطانيا فقط

وكل دولة تعيش الآن حقبة جديدة .

ولا نستطيع أن نحيا فى الماضى !

ونظر إلى تشرشل . وقال : « لا اعتقد أن العقلية التى تتحدثون بها تناسب العصر الحاضر .

وأنهى بيفن خطابه « لن أشارك فى ترك فراغ » .

... أى أنه ــ فى الوقت نفسه ــ لن يترك فراغا فى الدفاع عن مصر !
ونظرية الفراغ هى التى قام على أساسها مبدأ إيزنهاور عام ١٩٥٧ !

* * *

لم يقتصر الدوى على مجلس العموم . بل شمل الصحافة البريطانية كلها .
كتب اللورد بيفربروك صاحب جريدة الديلى اكسبريس :
« إذا تخلت بريطانيا عن القناة فإنها ستفقد جانبا حيويا من إمبراطوريتها .
إن قناة السويس جزء هام من أرض الإمبراطورية البريطانية كأرض بريطانيا ذاتها » !

وقالت : « الايكونومست » :
« قدمت حكومة العمال تنازلات أكثر كثيرا مما تستحق القضية الفعلية » .

وتتوقف المفاوضات بين الطرفين . بعد ١٣ يوما من بدايتها . ليرجع ستانسجيت إلى بيفن فإن الوفدين لم ينتهيا إلى اتفاق .

ويستأنف مجلس العموم مناقشة قرار الجلاء فيتهم تشرشل ــ بصوت مدو كالرعد ــ اللورد ستانسجيت بأنه خفيف الوزن . والشأن .. والقدرات ! قال :

ــ عندما يتوقف الكفاح نجد أن مانلناه بالعمل الشاق والتضحية وأعمال البطولة الرائعة الخارقة تتبدد من بين أصابعنا ونحن لاندرى !

* * *

دعا الملك فاروق ملوك ورؤساء الدول العربية للاجتماع فى أنشاص فخشى بيفن أن يؤيد المجتمعون مصر فى نزاعها مع بريطانيا فبعث إلى السير رونالد كامبل ــ يوم ٢٧ من مايو ــ يطلب منه اقناع الزعماء العرب بالضغط على مصر .
قال بيفن :

« إنى مهتم للغاية بألا تشجع الاجتماعات المقبلة للحكام والجامعة العربية

بسلوكهم أو بقرار . الموقف المصرى الراهن . فى عدم التنازل بشأن التسهيلات الحربية فى أية معاهدة جديدة .

إن رفض الحكومة المصرية أن تتضمن أية معاهدة جديدة تزويدنا بالوسائل ـ التى تكفل ضمانات للمساعدة المتبادلة ـ سيتركنا عاجزين عن الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط الحيوية فى حالة الطوارئ مما يؤدى إلى تعريض مستقبل كل الدول العربية للخطر .

ومن المصلحة الحيوية للدول العربية اقناع المصريين بأن يدركوا أنه لابد من الوفاء بمتطلباتنا الدفاعية » .

رد رونالد كامبل فى اليوم التالى ببرقية طويلة هذا أهم مافيها :

« **قابل البريجادييركلايتون ـ مستشار الشئون العربية ـ نورى السعيد رئيس وزراء العراق الذى قال إنه لايظن أن مسألة مصرستطرح بصورة جدية فى اجتماع الحكام العرب** » .

ويبعث الجنرال السيركاننجهام ـ من فلسطين ـ إلى وزارة المستعمرات فى أول يونيو ١٩٤٦ .. البرقية ٩٠٧ . قال :

« **١ ـ أرسل الملك عبد الله الجنرال جلوب اليوم لينقل إلينا مايلى على وجه السرعة .**

٢ ـ قال جلالته أنه خلال الاجتماعات التى تمت مؤخرا للملوك العرب اقترب منه صدقى باشا برجاء التدخل لدى بريطانيا لانهاء الجمود فى مباحثات المعاهدة .

وقال صدقى إنه يستحيل تماما اقناع الشعب المصرى بإدراك الحقائق الواقعية واتخاذ موقف أكثر موضوعية فى هذا الوقت القصير والحكومة المصرية مستعدة للسماح لبريطانيا بالاشراف على الجيش المصرى وعلى الدفاع عن منطقة قناة السويس ، ويتمنى أن يثق البريطانيون بالمصريين .

وأضاف أن مصر أثارها سياسيون لايتبينون العواقب . ولايملك القوة

لاقناعهم بقبول الشروط التى يعرضها البريطانيون ويجب على البريطانيين الثقة فى نوايا صدقى الطيبة .

وسأل الملك عبد الله كيف يمكن لمصر الدفاع عن نفسها ضد روسيا .

وأعلن أنه يتعين على المصريين ألا يقرروا سياستهم فى المزايدات فنحن لسنا فى عصر صلاح الدين والصليبيين وإنما فى عصر القنابل الذرية والدبابات .

قال صدقى إنه لايستطيع اقناع المصريين بتقديم مزيد من التنازلات .

وفى هذه اللحظة دخل الملك فاروق الغرفة وقال :

ـ كل مانريده ألا يفرض البريطانيون (جماعتهم الفاسدة) علينا

... يقصد النحاس وحزب الوفد !

وقال الملك عبد الله إن نجاح المفاوضات الانجليزية المصرية أمر غير مؤكد .

ثم انخرط الملك فاروق فى البكاء »

وتجتمع الجمعية العمومية للاخوان المسلمين فتعلن ولاءها للملك وتطالب الحكومة بقطع المفاوضات فورا واعتبار معاهدة ١٩٣٦ باطلة بطلانا أصليا وعدم التقيد بأحكامها وعرض القضية المصرية على مجلس الأمن وأن يبدأ الجلاء فى بحر أسبوعين .

وتحدد الجماعة موقفها من حكومة صدقى بأنه لايختلف عن موقفها من أية حكومة سابقة ، لم يبادروها بخصومة أو عداوة ، ولم يساندوها بتأييد أو سلطان .

ولكن صحف الوفد تحمل على الاخوان وتهاجم تقاربهم مع صدقى .

قالت مجلة الحوادث الوفدية : « سلطات حسن البنا ديكتاتورية أعطاها له القانون الديكتاتورى للجماعة وإنه وأحمد السكرى ـ وكيل الجماعة ـ يملآن الأرض فسقا وفجورا » .

وقالت صوت الأمة : « الاخوان أسوأ مثال للأدب والأخلاق . وقد بليت البلاد بهذه الشرذمة الفاسدة التى تتكون من مجموعة ميكروبات يجب استئصالها

حرصا على المجتمع وعلى سلامة الدعوة الدينية الإسلامية » .

ردت صحيفة الاخوان قالت . « يخاف الوفد على زعامته الشعبية .. وزعماء الوفد يدجلون على الشعب ويغررون بالسذج البسطاء . وصحف الوفد مأجورة تلغ فى أعراض الأبرياء ، فى غير تورع أو حياء »

* * *

هاجم المصريون القوات البريطانية فى الإسكندرية يوم ٧ من يونيه.

والقيت قنبلة على سينما الأمباير كلوب فى القاهرة فمات أحد الهنود .

ويتوجه السير رونالد كامبل فى اليوم التالى ليقابل أحمد لطفى السيد باشا وزير الدولة للشئون الخارجية وأبدى له دهشته واستياءه من هذه الأحداث .

أعرب الوزير عن أسفه . قال :

ـ لا أفهم هذه الجرائم ولا أعرف الفوائد التى يمكن أن تعود على البلاد فى نظر مرتكبيها إذا افترضنا أنها من صنع المصريين .

وأضاف :

ـ هؤلاء المجرمون يعتقدون أنهم يتصرفون بشكل وطنى ولكنها مظاهر نشاط منحرف ضد الحكومة وضد العرش والنظام الحاضر كله بشكل عام .

. ويتم التحرى عن امكانية أن تكون هذه الجرائم مظاهر لما يسمى بالبلشفية !

قال السفير :

ـ أحب أن أحدثك فى موضوع « الوطنية » .

إنى قلق من اللهجة غير الودية الواضحة للصحافة المصرية .

إن من يكتبون المقالات ويدلون بالتصريحات يعتقدون أن هذه المقالات ـ غير الودية ـ تجاه بريطانيا العظمى دليل على الوطنية . وقد أدى ذلك للمزايدة بين الكتاب والمتحدثين بل السياسيين .

وافقه وزير الخارجية قائلا :

ـ إنهم بهذا الأسلوب يتخذون مواقف يصعب التراجع عنها مهما كانت معتقداتهم .

قال السفير :

ـ هذا الوضع لايساعد المفاوضات بأى شكل من الأشكال . ولابد من منع المجرمين من الاستمرار فى جرائمهم ضد الرعايا البريطانيين .

وطلب السفير أن يصدر الوزير وصدقى باشا بيانا يعربان فيه عن سخطهما على هذه الأحداث ويوضحان أنها ليست وطنية ، فإن خرق النظام والأمن الداخلى لايمكن أن يكون عملا وطنيا بل يشكل إهدارا لسيادة البلاد .

وأضاف السفير :

ـ أخبرنى صدقى باشا بأن الطريقة الوحيدة لمنع هذه الجرائم هى زرع الخوف فى نفوس مقترفيها من العواقب .

أنهى وزير الخارجية الاجتماع قائلا :

ـ سأتحدث فى الأمر مع صدقى باشا .

وترتفع حدة الاخوان فى نقدهم لاسماعيل صدقى .

عابوا عليه أنه سار على نهج النقراشى .

واتهموه بممالأة الأجانب على حساب المصلحة الوطنية ، وتردده فى قطع المفاوضات .

ووصفوه بأنه رجل مخدوع ، وخادع لأمته ، لأنه رضى أن يُطوى فى ثنايا السياسة الإنجليزية الملتوية .

وقالوا إنه دخل المفاوضات بعقلية الدبلوماسى لابروح الوطنى المجاهد ، ولذلك يتكلم بلغة الرجل الذى لايثق بنفسه ، ولايؤمن بحق وطنه ، وقوة شعبه ، وحيوية أمته .

ويحاول الانجليز تهدئة الرأى العام المصرى فيجلون عن القلعة فى قلب القاهرة ويسلمونها للجيش المصرى – يوم ٤ من يوليو ١٩٤٦ – وينزل العلم البريطانى ويرفع العلم المصرى لأول مرة منذ ٦٤ عاما فيبكى محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء السابق فرحا بينما تكتب صحيفة الإخوان ، وصحف الوفد ، إن الجلاء عن القلعة حدث لا أهمية له لأن الانجليز فى كل مكان !

ويلقى صدقى باشا بيانين فى جلستين لمجلس الشيوخ والنواب عن مفاوضات المعاهدة نال فيهما التأييد .

وتستأنف المفاوضات فى ٢٩ من يوليو فى قصر انطونيادس بالاسكندرية ، فتسميها صحيفة « الاخوان » مهزلة المفاوضات . قالت الصحيفة :

«كانت المفاوضات تجرى فى قصر الزعفران . وهى اليوم تجرى فى قصر انطونيادس ومن الطبيعى أن يذهب المفاوضون فى الشتاء إلى الأقصر أو أسوان ثم يعودون إلى القاهرة وبعدها إلى الإسكندرية وهكذا نظل نفاوض ونفاوض » !

* * *

وتستمر حملة الاخوان ضد المفاوضات .

كتب أحمد السكرى تحت عنوان « كفى ترددا » . قال : « يا رئيس الحكومة إن كرسيك فى مهب الريح » !

ويبدأ الصدام بين صدقى والاخوان فيعتقل بعض رجالهم كما كان النقراشى يفعل فكتبت صحيفتهم :

« شعر بيفن ورجاله وأنصاره أن فى استطاعته أن يكبت شعور الشعب المتوثب ، ويملأ السجون بالشباب ويفتش دور الاخوان فى المديريات ويسجن رجالها فى الأقسام بالعشرات » .

* * *

اشتد الصراع العلنى بين الاخوان والوفد مع تولى صدقى رئاسة الوزارة . فقد

هاجمت صحيفة الجماعة الأحزاب كلها « لأنها مقصرة فى تنفيذ أحكام الإسلام » !

أغرى الوفد كثيرا من أعضاء الجماعة ـ خارج القاهرة ـ بالاستقالة فتزداد العداوة بين الوفد والاخوان ويلتقى المرشد العام بمصطفى النحاس فى اجتماع وصفه السفير البريطانى رونالد كامبل بأنه كان عاصفا .

قال السفير إن الرجلين بحثا إمكانية التقارب ولكنهما لم ينتهيا إلى اتفاق حاسم .

قال إبراهيم فرج إن صدقى ظن بدهائه أنه يستطيع بالاخوان محاربة الوفد وكان من نتيجة ذلك أن قامت اشتباكات فى أنحاء كثيرة من البلاد بين الوفد وبين الاخوان .

فى ٦ من يوليو انتقلت الاشتباكات إلى بورسعيد وتبادلت الجماعة والوفد الاتهامات .

زار المرشد العام المدينة ليخطب فيها فانفجرت قنبلة كادت تودى به وهاجم الشباب الوفدى دار الاخوان وأشعل فيها الحريق .

ردت صحيفة « الوفد المصرى » فقالت :

« تعددت جرائم الصبية المنتمين إلى جماعة الاخوان المسلمين الذين أفسدهم الشيخ البنا ولايكاد يمر يوم دون أن تقع حوادث اعتداء عندما يزور الشيخ تلك البلاد محاطا بقمصانه الصفراء للغزو والتحدى والقيام بدعاية سياسية فاسدة

ومنذ حوالى شهر اخذ هؤلاء الناس يجمعون أوباشهم فى بورسعيد تمهيدا لزيارة الشيخ (المرشد) .

حل موعد الزيارة المشئومة فجمعوا الصبية ليقيموا زفة للشيخ واستقبلوه على المحطة . ومشوا فى خيلاء يتحدون أهالى البلدة متحفزين للاعتداء وتجمع الأهالى الساخطون الحانقون جموعا حاشدة فنفذ (المسلمون) وعيدهم . والقوا بقنبلة حطمت واجهات كثير من المحال ثم أخذوا يطلقون الرصاص من مسدسات

يحملونها ، واستلوا خناجرهم ، وأعملوها ، فى أجسام الناس كأنهم أعلنوا الحرب على الانجليز المحتلين ! » .

ويبعث السير رونالد كامبل ببرقية إلى لندن رقمها ١٢٣٣ قال فيها :

« هناك صراع خطير بين الوفد والاخوان فى بورسعيد .

قتل اثنان وأصيب كثيرون وانتهز الوفد الفرصة فطالبت صحفه بحل الاخوان لأنها منظمة شبه عسكرية

وقتل الاخوان أحد الوفديين ولكن الوفد استعاد قوته .. والاخوان أضعف من الوفد » .

وفى منفلوط حاول الوفديون حرق دار الاخوان المسلمين . وأطلقوا النار ليلا على محمد حامد أبو النصر الرجل الذى أصبح رابع المرشدين للاخوان المسلمين .

وعقد الاخوان مؤتمرا فى مسجد أبو النصر بمنفلوط فاعتدى الشباب الوفدى على المجتمعين والقوا عليهم الحجارة .

* * *

قال حسن البنا :

« مازلنا نجهل الدافع إلى خصومة الوفد للاخوان . فماذا جنى الاخوان ؟ أخلطوا الدين بالسياسة كما يقال ؟

وماضرر هذا على الوفد أو على الوطن ؟

ألم يعلم الوفد أننا خلطنا الدين بالسياسة إلا الآن فقط ؟

ليس من دافع لهذه الخصومة إلا التنافس الحزبى » .

ويهاجم المرشد العام الوفد والنحاس قائلا :

« أخطر مافى الموقف أن يلجأ الانجليز إلى إيجاد حكومة محايدة ، وتأليف وفد مفاوضات جديد برئاسة النحاس ينتهى أمره بالتوقيع على معاهدة المجد والفخار .

وتكون هى بعينها معاهدة الشرف والاستقلال الماضية لم يتغير فيها إلا بعض العبارات والألفاظ » .

.. يقصد المرشد العام بذلك معاهدة ١٩٣٦ التى وقعها مصطفى النحاس باشا !

ويلتقى السفير البريطانى بإسماعيل صدقى باشا ويتحدث معه عن الشيوعية والشيوعيين فى مصر فقال صدقى :

ـ إنى مصمم على اتخاذ أشد الاجراءات ضد مايسمى بالجمعيات والخلايا السياسية والاجتماعية .

ويعتقل صدقى باشا فى ١١ من يوليو مئات الشيوعيين ويغلق ١١ منظمة و ٨ صحف شيوعية فيطلق الشيوعيون على هذا اليوم « المذبحة الشهيرة » .

* * *

كان بيفن مقتنعا بضرورة الوصول إلى تسوية مناسبة مع مصر .

كتب أفريل هاريمان السفير الأمريكى فى لندن إلى وزير خارجية بلاده يقول :

« تأثرت بما أبداه بيفن من صدق وإخلاص عندما تكلم عن الاحترام الكامل للسيادة المصرية بالنسبة للجلاء والتعامل بواقعية مع متطلبات أمن قناة السويس ومنطقة الشرق الأوسط » .

وعلق سيسيل ليون القائم بالأعمال الأمريكى فى مصر على سير المفاوضات فقال :

« إن البريطانيين أداروا المفاوضات بطريقة تشبه أساليب الهواة إلى حد ما ويبدو كما لو كانوا يتخبطون » !

* * *

استمرت المفاوضات بين إسماعيل صدقى واللورد ستانسجيت ستة شهور .

رفض كل من الوفدين مشروع المعاهدة التى اقترحها الطرف الآخر لتحل محل معاهدة ١٩٣٦ . وتركز الخلاف فى عدة نقاط :

● تجلو القوات البريطانية عن المدن المصرية وتبقى قوات لهم فى قاعدة بمنطقة القناة تمنح أو تؤجر لبريطانيا مثل القواعد الأمريكية فى جزر برمودا ونيوفونلاند . رفض صدقى ذلك وطالب الجلاء الشامل .

● تكون مصر كلها تحت تصرف بريطانيا فى حالة الحرب أو خطر الحرب ، وتقيم منشآت لخدمة القوات البريطانية وقت السلم . ويزور خبراء بريطانيون هذه القواعد والثكنات فى أى وقت لتفقد الأسلحة والمهمات .

ولكن صدقى اقترح ـ فى حالة العدوان على البلاد المتاخمة لمصر ـ تقديم كل تأييد عسكرى ومعونة حتى يقرر مجلس الأمن التدابير اللازمة .

وفى حالة العدوان على بريطانيا تتشاور الدولتان فى عمل مشترك .

● اقترحت بريطانيا الجلاء خلال ٥ سنوات ورأى صدقى الجلاء التام فى سنة واحدة .

● مدة المعاهدة فى رأى بريطانيا ٢٥ سنة ، وفى رأى مصر ١٥ سنة .

● تعقد معاهدة تحالف مشترك بين البلدين رفضها الوفد المصرى .

ولم تعلن تفاصيل الاتفاق أو الاختلاف فى لندن أو القاهرة .

وتدخلت الولايات المتحدة أكثر من مرة بقصد المساعدة على إتمام المعاهدة الجديدة خوفا من الخطر السوفيتى .

ويكتب جيمس بيرنز وزير الخارجية الأمريكى رسالة إلى إسماعيل صدقى يبلغه فيها اهتمام أمريكا بالدفاع عن الشرق الأوسط واهتمامها بنجاح المفاوضات بطريقة تكفل لمصر ضمانات السيادة .

ويرد صدقى قائلا :

« إن مصر تساهم فى توطيد السلام العالمى وستعمل ذلك بمواردها الخاصة » .

ويكلف صدقى الوزير المصرى المفوض فى أمريكا بمتابعة الموضوع فيجئ الرد بأن المسئولين الأمريكيين يعتقدون أن النفوذ الروسى سيجد فى مصر مرعى خصيبا للفوارق الهائلة بين طبقتى الشعب .

* * *

عقد حسن البنا اجتماعا للجمعية العمومية للاخوان استمر ثلاثة أيام حضره خمسة آلاف يمثلون شعب الاخوان وأصدر الاخوان عدة قرارات يطلبون فيها :

١ ـ إعلان فشل المفاوضات .

٢ ـ إعلان بطلان معاهدة ١٩٣٦ .

٣ ـ مطالبة الحكومة البريطانية بسحب قواتها وجنودها من أرض وادى النيل ومائه وهوائه فى مدة أقصاها عام .

٤ ـ رفض أية محالفة أو معاهدة قبل أن يتم الجلاء .

٥ ـ بقاء القوات البريطانية والأجنبية فى مصر عدوان مسلح على سيادة الدولة واستقلالها .

٦ ـ رفع الأمر إلى مجلس الأمن .

إذا لم تخط الحكومة هذه الخطوات خلال الشهر القادم فإن الأمة تعتبرها متضامنة مع الغاصبين فى الاعتداء على استقلال الوطن .

وعلى الزعماء والأحزاب إعلان بدء الجهاد وعدم قبول الحكم إلا على أساس بطلان معاهدة ١٩٣٦ ورفض كل مفاوضة مع الانجليز إلا بعد الاعتراف الصريح بالجلاء فى المدة التى يرتضيها الجانب المصرى . وكل زعيم أو حزب يخرج على هذه القاعدة يعتبر خارجا على إرادة الأمة .

ويعلق بنكنى تاك القائم بأعمال السفارة الأمريكية على قرارات الجمعية

العمومية ـ التى صدرت يوم الخميس ٢٩ من أغسطس ١٩٤٦ ـ قائلا :

« من الملاحظ أن الاخوان يطالبون بأن تسترد مصر الأراضى التى اقتطعت منها ظلما وعدوانا وهى واحة جغبوب واريتريا ومصوع وزيلع وهرر » !

ويضيف القائم بالأعمال الأمريكى قائلا :

« إن حجم جماعة الاخوان المسلمين مازال إلى حد ماغير معلوم ، لا من حيث عدد الأعضاء . ولا من حيث التنظيم أو القوة السياسية ، كما أن قدرة زعمائها مازالت محل نظر رغم الخطب والبيانات القوية التى يدلى بها زعماؤها

ويميل بعض المراقبين إلى استبعاد الشيخ حسن البنا باعتباره رجلا انتهازيا وينظرون إلى الاخوان باعتبارهم منظمة مهملة من جانب السلطة .

ولا يمكن القول بأن الجماعة بلا قوة وهناك احتمال أن تكون لها قوة سياسية » .

* * *

سافر الملك فى رحلة بحرية فى البحر المتوسط فى سبتمبر قبل عيد ميلاد الملكة فريدة مما يؤكد أن العلاقات بين صاحبى الجلالة ليست على مايرام .

وتضعف الرحلة ـ فى هذا الوقت بالذات ـ صدقى باشا فتزداد المؤامرات السياسية ضده .

ويطير صدقى ، مع حسن يوسف رئيس الديوان بالنيابة ، يوما واحدا إلى كريت ليعرض على الملك تعديل الوزارة وادخال السعديين فيها وتعيين إبراهيم عبد الهادى وزيرا للخارجية .

* * *

انقسمت هيئة المفاوضات على نفسها إزاء المقترحات البريطانية كما تقول برقيات السفير البريطانى إلى لندن :

«كان صدقى ولطفى السيد فى جانب ، وشريف صبرى وعلى ماهر وحسين سرى ومكرم عبيد فى جانب آخر.

وأصبح موقف صدقى باشا صعبا بسبب المعارضة المتزايدة.

ولاتخفى المناورات التى تجرى فى الوفد المصرى على الفطنة.

وهناك عاملان :

الأول : أن اعضاء الوفد الآخرين يرون أن صدقى يتجاهلهم ودفع بهم إلى المؤخرة وأنه يحتكر إدارة دفة المفاوضات ويعاملهم ، من وجهة نظرهم بأسلوب ديكتاتورى.

والثانى : أن عددا كبيرا منهم ـ إن لم يكونوا جميعا ـ له طموح فى رئاسة الوزارة.

فالوفديون (ومكرم أيضا) كانوا ينافقوننا وحتى عبد الفتاح يحيى ـ رئيس الوزراء السابق ـ ظنا منه أنه سيصبح رئيسا للوزارة.

وذهب على الشمسى ـ الوزير السابق ـ إلى القصر وتحدث عن تغيير رئيس الوزراء واستبعد أن يكون أى مصرى بين السياسيين الأحياء (باستثناء نفسه) صالحا.

وأبلغنى عبد الفتح عمرو ـ سفير مصر فى لندن ـ أن القصر استخلص أنه لابد من إزالة عنصر من عناصر التردى وأعنى به الطموح فى الاستيلاء على منصب صدقى ... بتوضيح أن صدقى سيظل رئيسا للوزارة طوال فترة المفاوضات !

ويفكر القصر أيضا فى إشاعة الاعتقاد بأنه سيحدث تغيير فى رئاسة الوزارة بمجرد عقد المعاهدة.

وطرح عمرو باشا علىّ ، مرة أو مرتين ، فكرة تجريبية تماما وهى أن نبحث ماإذا كان من المستحب تغيير رئيس الوزارة نظرا للصعوبات التى تثيرها شخصية صدقى.

وكنت حريصا فى كل مناسبة . وحتى فى الحديث الشخصى . ألا أعبر عن رأى .

ألا تستطيع تدبير نظر قضية فى محكمة العدل الدولية يمكن عن طريقها إبعاد بدوى عن مصر؟؟ »

وهذه البرقية تبين عدة أمور :

الأول : أن كل عضو فى الوفد يزايد لتفشل المفاوضات ليستقيل صدقى ويرث الحكم .

الثانى : أن الملك كان مستعدا للتخلى عن صدقى وإسناد رئاسة الوزارة إلى من يستطيع الوصول إلى معاهدة .

الثالث : أن بريطانيا فكرت فى عرض أية قضية على محكمة العدل الدولية ليتسنى إبعاد عبد الحميد بدوى باشا . القاضى المصرى فى هذه المحكمة . عن مصر حتى لا يؤثر فى سير المحادثات باقناع الأعضاء بالتطرف .. والغريب فى الأمر أن جانبا من الرأى العام المصرى كان دواما يتهم عبد الحميد بدوى باشا بأنه صنيعة الانجليز .. أو أنه يمالئهم !

الرابع : أن القصر كان يستطلع رأى الانجليز فى كل مرحلة من مراحل المفاوضات دون علم رئيس وزراء مصر عن طريق عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن !

* * *

ويتوجه مصطفى النحاس وكبار رجال الوفد إلى القصر الملكى يقيدون اسماءهم فى سجل التشريفات يوم ١٧ من سبتمبر ١٩٤٦ وهو يوم استئناف المفاوضات .

وجرت تقاليد الوفد على أنه فى المعارضة عندما يريد التقرب إلى الملك يقيد زعماؤه اسماءهم فى سجل التشريفات الملكى !

ويجتمع بالإسكندرية أحمد السكرى وكيل الجماعة بفؤاد سراج الدين سكرتير عام الوفد وتنشر صحيفة « الاخوان » أن الحديث تناول وجوب إنهاء الخصومة بين الجماعة والوفد وأن يحل محلها تفاهم وتعاون ، أو تكون هدنة تحول دون اشتغال كل منهما بالآخر !

وترى السفارة الأمريكية أن الجماعة هادنت الوفد لتحصل على معونته المالية فتعوضها عن المساعدات التى توقف صدقى عن تقديمها !

وقالت السفارة :

« العداء بين الوفد والجماعة لم ينته . فالوفد لايريد أن ينافسه أحد فى النفوذ بين الجماهير . وقد تأثر هذا النفوذ نتيجة قوة الاخوان ولذلك يريد فرصة لإعادة تنظيم صفوفه حتى يتخذ موقعا استراتيجيا ليهدم الاخوان ويدمرهم

ويريد الوفد أيضا أن يفسد دعاية الاخوان ضده . فقد أعلن المرشد العام من قبل أنه يعارض الوفد والشيوعية مما يعنى تحالف الأثنين ولذلك يسعى الوفد ـ بتحالفه الجديد مع الاخوان ـ إلى هدم فكرة ارتباطه بالشيوعيين » .

وقالت السفارة الأمريكية :

« إن اتفاق الوفد والجماعة سيفشل بعد تحقيق هدفها المشترك » .

وقالت السفارة البريطانية :

« علاقات الاخوان بالوفد طيبة إلى حد كبير ولكن كلا منهما يعمل مستقلا عن الآخر ولايتفقان إلا على ضرورة أن يمتنع كل طرف عن التدخل فى أنشطة الطرف الآخر »

كتب إبراهيم عبد القادر المازنى فى صحيفة الاخوان يقول :

« لا أتوقع أن تقضى مباحثات دولة صدقى باشا إلى تفاهم على شئ مرض ، ولا أدرى بعد ذلك هل يستقيل أو يمضى إلى مجلس الأمن ؟ ولكنى أرجح الاستقالة » .

كانت نبوءة المازنى صادقة وإن لم تبد كذلك فى تلك الأيام !

* * *

وبإشارة الاخوان إلى استقالة صدقى كما فعلوا مع النقراشى.

وبحملة الاخوان على المفاوضات ونتائجها ومظاهراتهم ضد الانجليز.

وباحتجاج السفير البريطانى على سياسة الاخوان ...

بهذا كله.. وصلت العلاقة بين الجماعة وإسماعيل صدقى إلى نقطة اللاعودة !

سأل صحفى المرشد العام:

- تحولتم فى السنوات الأخيرة إلى النشاط السياسى.

أجاب الشيخ البنا:

- تقصد النشاط الوطنى، فما لنا بالسياسة علاقة. لقد حرصنا دائما على ألا نحتك بالأحزاب ولا بالهيئات، بل حرصوا هم على الاحتكاك بنا فتولدت الشرارة التى لفتت إلينا الأنظار.

سئل:

- هل تشترك فى الانتخابات إذا جرت قريبا ؟

- نعم

- وهل تضمن النجاح ؟

- أستطيع فى انتخابات حرة أن أحصل على أغلبية ساحقة لو أردت ذلك ولكنى لا أريد، فمكاننا فى صفوف الشعب أكثر منه فى صفوف الحكام، ولهذا لن نتقدم إلا فى عدد صغير من الدوائر.

- معنى ذلك أنك لا تقبل رئاسة الوزارة إذا عرضت عليك ؟

- بل أقبل.. والحكم ليس متعة وإنما جهاد، فإن قبلته أقول للانجليز:

ـ إما أن يتم الجلاء .. وإما ...

وأقول للمصريين :

ـ أيتها الأمة جاهدى فالجهاد سبيلك الوحيد وأنا وراء كل رئيس وزارة يدعو للجهاد .

ـ وهل عندك القوة ؟

ـ عندى مليون .

ـ والسلاح ؟

ـ سلاحنا الإيمان .

ـ وهل عندك المال ؟

ـ نحن أفقر جمعية ، وأغنى جمعية . مالنا الرسمى اشتراكات الاخوان . ومالنا الحقيق خزائن الاخوان .

أردنا شراء دار المركز العام ولم يكن فى خزائن الجمعية من ثمنها شىء فدفع الاخوان ١٦ ألف جنيه فى يوم واحد .

وأعلنا عن حاجتنا إلى جريدة ودار للنشر ومطابع قدرنا ثمنها بربع مليون جنيه فدفع الاخوان فى أسبوعين ١٢٠ ألفا من الجنيهات .

ويسأل الصحفى الشيخ عن شعار الاخوان فقال :

ـ سيفان وبينهما مصحف .

قال الصحفى :

ـ لم .. السيفان ؟

ـ هما رمز الجهاد .

ـ والمصحف ؟

ـ دستوره

ـ والكلمة المكتوبة بين السيفين « وأعدوا » ؟

ـ هى الكلمة الأولى من الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

وأضاف المرشد العام :

ـ هذا نداء الاخوان « هبى يا رياح الجنة .. على رهبان الليل .. وفرسان النهار » !

محراب فى كل قلب

مرة أخرى كرر حسن البنا النداء للملك .

طالب صاحب الجلالة باعفاء إسماعيل صدقى من الحكم وإعلان الجهاد ، كما طالبه من قبل بإقالة محمود فهمى النقراشى .

وجه فى صحيفة الاخوان ـ بتاريخ ٦ من أكتوبر ـ رسالة إلى الملك قال فيها :

« سافر المفاوضون البريطانيون إلى بلادهم فاعتزم صدقى أن يلاحقهم هناك لاستئناف المفاوضات التى لاخير فيها » !

وفى رسالة أخرى ، علنية أيضا ، إلى صدقى باشا قال فيها :

« طالت المفاوضة حتى أسأمت فتوقفت واستؤنفت . ثم انقطعت ووصلت . ثم تخلى عنا المفاوضون الانجليز . هزوا أكتافهم ، وجمعوا أوراقهم ، وانصرفوا عنا إلى بلادهم هازئين ساخرين » .

وقال الشيخ البنا لصدقى :

« هذه الحكومة لا تمثل رأى البلاد فى شئ . وكل إجراء تتخذه باطل ، وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدر منكم » .

وفى ٩ من أكتوبر تحت عنوان « بين استقلال المجاهدين ، واستقلال المفاوضين » قال :

« هذه الحال لن تدوم أبدا ..

إن وادى النيل الأبى إذا كان قد قنع فى الماضى باستقلال المفاوضين فى

معاهدة الشرف والاستقلال ، فإنه لن يرضى اليوم إلا باستقلال المجاهدين فى ساحة الاستشهاد وتحقيق الآمال » .

وخصص الشيخ البنا الصفحة الأولى من صحيفة الاخوان يوم ١٠ من أكتوبر ليطلب من « الشعب العظيم » عدم التعاون مع الانجليز اقتصاديا بالاضراب عن شراء كل ماهو انجليزى أو البيع لأية جهة انجليزية أو التعامل مع أى بيت أو شركة أو محل انجليزى كائنا ما كان .

وثقافيا بمقاطعة الصحف والمجلات والكتب والجرائد الانجليزية والامتناع عن التحدث أو الاستماع للغة انجليزية .

واجتماعيا بقطع علائق المودة والصداقات الشخصية والعائلية ، والانسحاب من عضوية الاندية أو الهيئات التى تضم العناصر البريطانية .

ويستمر البنا فى الدعوة الجديدة لمقاطعة الانجليز فيقول :

« الآن وبعد أن مضى على ثورة سنة ١٩١٩ أكثر من ربع قرن من الزمان تعود القضية الوطنية سيرتها الأولى فتفشل المفاوضات أو تكاد » .

ولم يكن حسن البنا وحده الذى يعارض المفاوضات ، بل كانت الأحزاب والرأى العام كله فى صفوف المعارضة .

قالت المفوضية الأمريكية :

« إذا عجز صدقى عن العودة إلى مصر ومعه تنازلات بريطانية أمام المطالب المصرية فسيواجه بعواصف سياسية يحتاج ـ إذا أراد الصمود أمامها ـ إلى استخدام ذكائه ... وكل قوات الشرطة » !

* * *

أراد ارنست بيفن أن يعرف الوضع القانونى للسودان باعتباره الصخرة التى تحطمت عندها كل المفاوضات المصرية ـ البريطانية .

رد قاضى القضاه البريطانى قائلا :

« وصلت إلى النتيجة التالية :

١ ـ الحق الشرعى فى السودان كان فى الأساس مصريا .

٢ ـ لم يحدث مايبين منه أن هذا الحق أخذ من مصر ليعطى كليا أو جزئيا لبريطانيا !

٣ ـ ظل ملك مصر خلال فترة الإدارة المشتركة المصرية ـ البريطانية صاحب السيادة على السودان . أما اتفاقية الحكم الثنائى للسودان فإنها منحت بريطانيا حقا فى تعيين الحاكم العام وممارسة الإدارة المشتركة

٤ ـ هناك وحدة قائمة بين مصر والسودان فى ظل تاج مشترك » .

ومن سوء الحظ أن صدقى باشا لم يكن يعرف هذه المذكرة التى تعترف صراحة بسيادة مصر على السودان . وحتى لو عرف فماذا يستطيع والقوة كلها فى يد بريطانيا ؟.

ولكن بيفن كان يعرف ضعف موقفه فى المفاوضات .

* * *

أصبح الاخوان مع الوفد فى قافلة واحدة ضد إسماعيل صدقى والمفاوضات .

عندما يسافر اللورد ستانسجيت تنتقده صحيفة الاخوان وتنتقد معه المفاوض المصرى .

قالت :

« لم لا يسافر ستانسجيت المرة ، بعد المرة ، دون التماس الاعذار فبالأمس البعيد سافر إلى لندن ثم عاد .

واليوم يقال إنه فى رحلة إلى شرق البحر المتوسط ليتفقد بوصفه وزيرا للطيران مراكز الطيران هناك .

لم لايفعل ذلك وقد رأى محترفى الساسة يغفلون عن قضية الوطن » !

* * *

أراد إسماعيل صدقى أن يتغلب على كل مناورات خصومه : الوفد الذى يريد أن يرأس وفد المفاوضات ويكون له نصيب الأسد فيها وأعضاء هيئة المفاوضات الذين يسعون لرئاسة الوزارة ويخشون الارتباط بمعاهدة يعقدها رئيس وزراء يكرهه الشعب . والملك الذى يخشى أن يؤيد صراحة وعلنا المعاهدة الجديدة . وأخيرا الاخوان الذين تحالف معهم ومنحهم فرصة الانتشار .

رأى صدقى أن يتغلب على هؤلاء جميعا فقدم استقالته يوم ٢٨ من سبتمبر لإفساح الطريق أمام تأليف ورارة قومية تضم حزب الوفد .

عهد الملك إلى خاله شريف صبرى باشا الوصى السابق على العرش . بتأليف وزارة لاستكمال المفاوضات والوصول إلى معاهدة توقعها كل الأحزاب كما حدث فى معاهدة عام ١٩٣٦ .

قالت صحيفة الإخوان :

« لم يبق إلا تغيير أشخاص المسرح المصرى . بغية صرف جمهور النظارة إلى الاحداث الداخلية » .

استمر شريف صبرى باشا ثلاثة أيام يحاول تشكيل الوزارة . ولكن الوفد رفض الاشتراك فيها فعدل شريف صبرى عن مهمته . وعهد الملك إلى صدقى باشا برئاسة الوزارة مرة أخرى فى أول أكتوبر فأثبت صدقى أنه لا يمكن الاستغناء عنه فى هذه الظروف !

* * *

قال صدقى فى مذكراته :

« إن ثلاثة أرباع المسائل التى تناولتها المفاوضات انتهت إلى التفاهم التام بل وضعت لها الصيغ الملائمة فصارت مفروغة منها .

أما إذا كانت هناك مسألتان أو ثلاث طال فيها الأخذ والرد فإن واحدة منها فقط وهى مسألة السودان لاتزال تنطوى على اختلاف وجهتى النظر واستعصاء الحل .. غير أنى لا أزال كبير الأمل » .

ولكن الاخوان اندفعوا يهاجمون صدقى ، كما لم ينتقدوه منذ ولى الحكم !

وأصدر الوفد بيانا ضد المفاوضات وماظهر من نتائجها . وبعث مصطفى النحاس باشا بالبيان إلى السفير البريطانى ، كما بعث برسالة مماثلة إلى سفراء الدول الكبرى .

وأبرق النحاس إلى الأمم المتحدة يطلب منها إرغام بريطانيا على احترام مبادئ الحرية وتحقيق آمال الشعب المصرى فى الاستقلال .

وكانت رسالة النحاس بداية القطيعة بين السفارة البريطانية وحزب الوفد كما شرحت برقية جيمس بوكر القائم بالأعمال البريطانى . قال :

« أصاب رجال السفارة البريطانية قلق عميق من البيان الوفدى . فإن الانجليز كانوا يأملون أن يكون الوفد أقل تحديدا فى مطالبه من صدقى الذى اضطرته الظروف ـ كما تقول المفوضية الأمريكية ـ لأن يتفوق على منافسيه فى المطالب .

لقد حاولت السفارة البريطانية إقناع الوفد بعدم إصدار بيانه دون جدوى » !

ويعلن مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد أنه لاينبغى أن تعقد مصر وبريطانيا معاهدة إلا بعد جلاء القوات البريطانية عن مصر وأن الوفد ـ وحده ـ يمثل مصر !

ويوجه المرشد العام خطابا مفتوحا إلى زعماء مصر قائلا :

« نحن معشر الاخوان المسلمين ـ لن نقحم أنفسنا فى مجموعكم . ولن نزاحمكم أمكنتكم ولن ننازعكم رياستكم ـ وقد أبيتم علينا سواء أكنتم فى الحكم أو خارجه أن نظهر بأية صورة على المسرح الرسمى أو ننفذ إلى ميدانه الرسمى . رضينا صابرين وعملنا كوطنيين مجاهدين .

إن اجتمعتم وجاهدتم ناصرناكم . وإن آثرتم ممالأة الاعداء سنمضى فى سبيل الله والوطن مستشهدين » .

وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود بالنسبة للجلاء والسودان فبعث صدقى برسالة إلى القائم بالأعمال البريطانى قال فيها :

« وصلت مفاوضات مشروع المعاهدة إلى مرحلة متقدمة بحيث يستحيل التراجع عنها . ويمكن حل الخلاف حول الجلاء وعودة القوات البريطانية خلال ربع ساعة إذا جرى حوار مباشر حول مائدة المفاوضات .

وبالنسبة للسودان فقط يوجد خلاف حقيقى . وتصبح مأساة إذا فشلت المفاوضات لرفض بريطانيا الاستجابة إلى مطلب مصر بالاعتراف بسيادة رمزية .

إن مصر لم تأمل مشاركة فى إدارة السودان » .

ولم يعرف ماإذا كان صدقى يعنى ذلك فعلا أو أنه يريد أن يطمئن إليه الانجليز .

وأبدى صدقى استعداده للسفر مع النقراشى وهيكل زعيمى الحزبين المؤيدين للحكومة إلى لندن لاتمام المعاهدة .

وفى رسالته للسفارة البريطانية قال صدقى إنه لايسافر إلى لندن مفوضا لتوقيع المعاهدة بل إن المشروع النهائى سيعرض على هيئة المفاوضات وملك مصر ومجلس وزرائها والبرلمان للتصديق .

* * *

وافق بيفن على التفاوض مع صدقى خلال الفترة من ١٦ إلى ٢٦ من أكتوبر .

وفى اللحظة الأخيرة اعتذر كل من النقراشى وهيكل فسافر صدقى يرافقه إبراهيم عبد الهادى وزير الخارجية ونزلا ضيفين على الحكومة البريطانية .

غطت مظاهرات الاخوان والوفد مصر كلها يوم ١٥ من أكتوبر ، قبل يومين من سفر صدقى .

قامت المظاهرات فى القاهرة عند الأزهر . وفى الإسكندرية ، وطنطا .

والمنصورة ، والزقازيق ، وبورسعيد . وشبين الكوم . والفيوم . وأسيوط . وبنى سويف رغم كل اجراءات الأمن التى فرضها رئيس الوزراء .

وهتف المتظاهرون ضد رئيس الوزراء :

ـ سفر مشئوم ياصدقى . لا مفاوضة إلا بعد الجلاء .

وبعث المرشد العام إلى ملك مصر ورئيس وزرائها يطلب دعوة الأمة إلى الجهاد .

أصدر صدقى قرارا باغلاق الجامعة وتأجيل الدراسة شهرا فى جميع معاهد التعليم .

قال الاخوان « إن رئيس الوزراء تخلص من تيار الوطنية الجارف . وسياسته تحد لارادة الأمة واحتقار كلمتها ووأد حيويتها وأنه رجل تربى على موائد المستعمرين ودعامة من دعامات الاقتصاد الاستعمارى الذى بناه اليهود بأموالهم ودسائسهم » !

* * *

سافر صدقى باشا إلى لندن يوم ١٧ من أكتوبر وتولى منصب رئيس الوزراء بالنيابة عبد القوى أحمد باشا الذى أسندت إليه أيضا وزارة الداخلية بالنيابة .

فى أول اجتماع مع صدقى قال بيفن :

ـ نظريتى هى وضع أوراق اللعب مكشوفة على المائدة .

قال صدقى :

ـ وأنا أيضا .

ولذلك فإن المحادثات فى لندن استغرقت ٨ أيام فقط عقدت خلالها خمس اجتماعات بينه وبين بيفن .

وعقد إبراهيم عبد الهادى أربعة اجتماعات مع المسئولين فى وزارة الخارجية .

قال بيفن لصدقى فى المحادثات :

ـ أنت متناقض مع نفسك . تتكلم عن الصداقة التى تربط المصريين بالانجليز ثم تريد التخلص من القوات البريطانية ؟!

أخذ صدقى يكرر الحديث عن مشاعر الشعب المصرى وأحاسيسه بالنسبة للجلاء .

وأخيرا وافق على أن يتم الجلاء خلال ثلاث سنوات تنتهى فى أول سبتمبر عام ١٩٤٩ .

وتناولت المفاوضات الدفاع المشترك .

أصر صدقى على أن يكون مجلس الدفاع المشترك استشاريا ..

وهكذا نسف الدفاع المشترك كله !

وجاءت مسألة السودان التى استغرقت معظم المباحثات .

أصر صدقى على أن يكون لقب ملك مصر هو ملك مصر والسودان ، فوافق بيفن بعد مناقشات طويلة على أن يكون السودان تحت العرش المشترك .

وأصر بيفن على حق السودانيين فى رفض سيادة مصر إذا رغبوا فى ذلك واختيار الاستقلال عندما يصلون إلى المرحلة التى يتمكنون فيها من اختيار الوضع المقبل لبلادهم .

أجاب صدقى :

ـ من المستحيل الحديث فى هذه النقطة الآن فلا أحد يعرف تطورات المستقبل خلال نصف قرن . إن أولادنا هم الذين يقررون ذلك . ولا نستطيع أن نتطلع بعيدا .

قال بيفن :

ـ نريد التغلب من الآن على أية مشاكل تنشأ فى المستقبل . ولا أريد وضع العراقيل أمام أولادنا عندما يجيئ وقت البحث عن حل .

وأريد ضمانا بأنه لن ينشأ وضع يمنع السودانيين من الاستقلال .

وأضاف :

ـ إن طرفين يضعان بروتوكولا خاصا لمستقبل طرف ثالث علينا التزام مشترك نحوه . إن السودان الذى يطالب بالاستقلال لن يبقى دواما تحت السيادة المصرية . أريد أن أضع أمام الشعب البريطانى حق السودان فى تقرير المصير.

قال صدقى :

ـ عندما يصل السودانيون إلى مرحلة معينة من التطور فإنهم سيصبحون مستقلين حتما .

أى نصوص على الورق لن تقيد شعبا يبحث عن الحرية . وهذا مبدأ عالمى وليس مسألة تتضمنها المعاهدة .

ومادامت هذه المعاهدة توضع طبقا لميثاق الأمم المتحدة الذى يؤكد حق الشعوب فى الاستقلال فليس من الضرورى فى أى اتفاق جديد تكرار مانص عليه الميثاق .

اقترح بيفن تبادل خطابات بين الطرفين فى هذ المسألة ولكن المناقشة لم تصل إلى نتيجة .

وفى الاجتماع الثالث اقترح بيفن أن يعد الشعب السودانى للحكم الذاتى وأن يراقب ذلك مجلس مشترك من اشخاص مستقلين على مستوى عال يقدمون تقارير عن تطور السودان للحكومتين .

ولكن صدقى رفض الاقتراح .

* * *

ويهاجم حسن البنا فى جريدة « الاخوان المسلمين » بريطانيا بعنف لم يسبق له مثيل يوم ٢١ من أكتوبر.

تعمد حسن البنا فى مقاله أن يرسم صورة براقة للشعور المتزايد من الكراهية

الذى يكنه المصريون للبريطانيين بسبب ، نكثهم بالعهود فيما يتعلق بمفاوضات المعاهدة .

واشار إلى الاعلان الصادر عن مكتب الإرشاد العام بالدعوة إلى عدم التعاون مع البريطانيين ..

وقال إنه توافد على مكتب الإرشاد أعداد من المصريين الذين يعملون فى مؤسسات بريطانية يعربون عن استعدادهم للتوقف عن العمل وأنهم أبلغوا بمواصلة عملهم حتى يفرغ مكتب الارشاد من عمله .

وأضاف بأن شعور الكراهية للبريطانيين وجد طريقه إلى نفوس ثلاثين مليونا من سكان وادى النيل ، وسيسرى ، بسرعة البرق ، إلى نفوس ٧٠ مليون عربى و٣٠٠ مليون مسلم .

ودعت الصحيفة الأفراد الذين لديهم مطبوعات وصحف وكتب انجليزية أن يلقوا بها إلى أقرب مكتب للجماعة لتحرق فى الميادين العامة بالقاهرة والمديريات .

علقت صحيفة التايمس فى لندن على موقف الاخوان فقالت :

« دخل الاخوان السياسة بشكل سافر . وهم يرون الأمانى القومية المصرية تتعارض مع أطماع بريطانيا ولايمكن تحقيقها من خلال النوايا الطيبة لبريطانيا لأنها غير موجودة أساسا .

ويضيع المصريون وقتهم فى المساومات مع بريطانيا التى تسعى ـ من خلال المفاوضات ـ لكسب الوقت ونشر الخلافات .

وتجد دعوتهم إلى القومية والوطنية استجابة من بعض المصريين المخلصين .

وهم يحاولون بذر الحقد والشك والحزازات بين الشعبين ـ المصرى والبريطانى ـ اللذين ارتبطا بصداقة وصلات من أجل مصالحها المتبادلة » .

ويتوجه السفير البريطانى للقاء رئيس وزراء مصر بالنيابة عبد القوى أحمد باشا ليلفت نظره إلى مقال حسن البنا . قال :

ـ بصرف النظر عن الرعونة الواضحة فى حث الموظفين على ترك المؤسسات الانجليزية فى الوقت الذى تحاول فيه السلطات المصرية حث تلك المؤسسات على تشكيل أكبر عدد ممكن من المصريين فإن مثل هذه الكتابات تعتبر تحريضا سافرا على الفوضى .

وسأكون مسرورا حين أعرف الاجراء الذى ستتخذه الحكومة المصرية لقمع هذه الكتابات وملاحقة ماينجم عنها من آثار ..

نفى عبد القوى أحمد باشا أنه اطلع على هذا المقال وقال :

ـ أتفق معك فى أنه مقال خطير وسأتشاور فورا بشأنه مع وكيل وزارة الداخلية .

وتعد صحيفة الاخوان الرأى العام المصرى لاحتمالات فشل المفاوضات .

كتب حسن البنا قائلا :

« ستكشف الحوادث والأيام عن الفارق البعيد بين أحلاس الأندية وعباد المساجد .

ولن يقف شىء فى سبيل العاملين والمجاهدين فليراقب صدقى باشا المعاهد والمساجد أو ليدعها ، فسيقام للعمل ، فى كل قلب ، محراب وسيجد المجاهدون إلى جهادهم ألف باب » !

وطلب حسن البنا إلى الاخوان المسلمين تلاوة دعاء عقب كل صلاة .

تقول كلمات الدعاء .

« اللهم أن أولئك الغاصبين من بريطانيا احتلوا أرضنا وجحدوا حقنا ، وطغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد .

اللهم رد عنا كيدهم ، وفل حدهم ، وفرق جمعهم وخذهم ومن ناصرهم أو أعانهم أو هادنهم أو وادّهم أخذ عزيز مقتدر » .

قالت صحيفة التايمس البريطانية :

« إن احدى المجموعات الرئيسية المعارضة لبريطانيا فى مصر: الاخوان المسلمون . وهم ـ كما يقول مرشدهم العام ـ ليسوا سياسيين بل هم ببساطة ، وطنيون ، يعملون لخير مصر واستعادة حقوقها المغتصبة .

والشيخ البنا سياسى كفء وجماعته جيدة التنظيم لها فروع فى مصر كلها وانتشرت فى الدول العربية المجاورة .

وهم يعتقدون أن البريطانيين عدوانيون وامبرياليون ، وأن بريطانيا لاتزال ترغب فى السيطرة على الشرق الأوسط » .

* * *

فى لندن رأى صدقى أن المفاوضات لن تنتهى إلى شيء. فقال لبيفن :

ـ إن بروتوكول السودان المقترح ضمن المعاهدة لن يفيد الموقف العسكرى البريطانى ، أو نظام الإدارة الحالى فى السودان . وستبقى أوضاع السودان كما هى الآن رغم إقرار وحدة البلدين تحت تاج مصر المشترك .

وكرر إبراهيم عبد الهادى وزير الخارجية ذلك للانجليز ، فوافقوا على بروتوكول السودان يوم ٢٤ من أكتوبر .

واستمرت المفاوضات بين الوفد البريطانى والمصرى حتى التاسعة والربع من مساء اليوم التالى ـ ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٦ ـ عندما وقّع الجانبان بالأحرف الأولى مشروع المعاهدة الجديدة للمساعدة المتبادلة وبروتوكول السودان بفندق كلاريدج حيث ينزل إسماعيل صدقى .

وكانت المعاهدة تحمل توقيعات صدقى وبيفن وإبراهيم عبد الهادى وزير خارجية مصر واللورد ستانسجيت وزير الطيران المدنى والسير رونالد كامبل السفير البريطانى فى مصر.

نصت المعاهدة على الغاء معاهدة ١٩٣٦ والتشاور والتعاون الوثيق بين البلدين فى حالة الحرب وتكوين لجنة مشتركة للدفاع .

أما مدة المعاهدة فعشرون عاما .

ونصت المعاهدة على وحدة مصر والسودان تحت العرش المصرى المشترك على أن تبقى اتفاقية ١٨٩٩ قائمة وتهيئة السودانيين لاختيار نظام الحكم مستقبلا .

أما مدة الجلاء فحددت على أساس إتمامه عن مصر خلال ٣ سنوات أى قبل أول سبتمبر ١٩٤٩ .

وتقرر الجلاء عن القاهرة والاسكندرية والدلتا قبل ٣١ من مارس ١٩٤٧ .

قال بيفن لصدقى :

ـ لقد وعدتك أن أؤيد بحرارة هذا المشروع لدى مجلس الوزراء البريطانى .. فإذا لم يقره سأستقيل .

والتقى بيفن بصدقى ثم همس فى أذنه :

ـ لقد أطلعت مجلس الوزراء على المشروع فوافق عليه بصفة غير رسمية .

سأل بيفن رئيس وزراء مصر :

ـ ماذا سيكون لقب الملك ؟

أجاب صدقى :

ـ « ملك مصر والسودان .. فإن اللقب السائد أيام الدولة العثمانية وهو .. خديو مصر وصاحب بلاد النوبة والدارفور وكردفان وسنار لايتفق مع الأوضاع الحالية .

لم يبد بيفن اعتراضا فإنه كان يعلم أن نص المعاهدة لايتكلم إلا عن الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المشترك خالصة وأن صدقى قال له صراحة أثناء المفاوضات :

« مصر لن تقف دون تحقيق استقلال السودان » .

وفى الوقت نفسه كانت النصوص تقول ببقاء اتفاقية سنة ١٨٩٩ .. أى بقاء الإدارة المشتركة فى السودان .. وهى إدارة ـ فى حقيقتها ـ بريطانية فقط وليست مشتركة !

لم يجد إسماعيل صدقى باشا رئيس وزراء مصر ما يفعله عندما وافق أرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا على أن يكون السودان تحت التاج المشترك إلا أن يتصل من لندن بالملك فاروق ليلا فى الاسكندرية ليقول له :

ـ مبروك .. ملك مصر والسودان .

عاد إسماعيل صدقى إلى مصر يوم ٢٦ من أكتوبر ومعه مشروع المعاهدة الجديد التى سميت « معاهدة صدقى ـ بيفن » .

وسافر ارنست بيفن فورا إلى وشنطن .

* * *

نسف صدقى مشروع المعاهدة لأنه اذاع أسرار الاتفاق وتكلم قبل الأوان !

فى الطائرة أثناء رحلة العودة قال للصحفيين المرافقين له :

ـ وعدتكم أنى سآتى لكم بالسودان . وقد بررت بوعدى .

ووصل رئيس الوزراء إلى القاهرة فى ساعة متأخرة وكان مرهقا فى مباحثاته ولكنه كان سعيدا بالمعاهدة .

سأله مراسل وكالة رويتر للانباء عن نتائج رحلته فقال :

ـ نجحت فى مهمتى . تقررت الوحدة بين مصر والسودان تحت التاج المصرى .. بصفة نهائية .

ولم يذكر صدقى باشا إصرار بيفن على حق السودان فى الحكم الذاتى وتقرير المصير !

هاج مجلس العموم البريطانى وبالذات الأعضاء المحافظون . ووجه سؤال إلى رئيس الوزراء أجاب عنه كليمنت أتلى رئيس الوزراء فى اليوم التالى قائلا :

ـ إن الحكومة البريطانية لا تفكر فى إدخال أى تغيير على وضع السودان الحالى أو على الإدارة فيه .

وورد أتلى على سؤال لعضو محافظ عن تصريحات صدقى وهل هى صحيحة فقال :

ـ يبدو لى أنها تصريحات مغرضة مضللة إذا قصد منها التعبير عن الوصول إلى اتفاق .

إن الذى جرى لا يعدو أن يكون محادثات تمهيدية بحتة . وما نشر لا يغطى كل المسائل التى بحثت.. ولم نتفاوض على شىء بصفة نهائية . ولاأريد أن أذكر كل التفاصيل فى هذه اللحظة .

وألح أوليفر ليتلتون الوزير السابق على أتلى أن يضيف شيئا فقال رئيس الوزراء :

ـ أطمئن صديقى بأنه لن يكون هناك تغيير فى الوضع الحالى والإدارة الحالية فى السودان . ولن يحول شىء دون حق الشعب السودانى فى أن يقرر مصيره فى نهاية الأمر.

ولم يكن أرنست بيفن فى ذلك الوقت فى لندن ليتكلم .. وتوقف نهائيا دور اللورد ستانسجيت فى المفاوضات .

* * *

عادت الاضطرابات فى مصر واضطر إسماعيل صدقى إلى تأجيل موعد بدء الدراسة .. وعندما استؤنفت الدراسة .. أوقفت مرة أخرى .

وأصدر الطلبة ، من كل أحزاب المعارضة ، بيانات يطالبون فيها بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وعرض القضية المصرية على مجلس الأمن .

سافر حسن البنا إلى الحج يوم ٢٨ من أكتوبر . واستمرت حملة الاخوان ضد صدقى وأحرقوا بعض محلات الأجانب .. واشتدت المظاهرات وحوادث العنف ضد المعاهدة

وجمع الاخوان عرائض بمطالب الأمة قدموها إلى الملك والجامعة العربية

والأمم المتحدة فقبض رجال الشرطة على الاخوان الذين يجمعون هذه العرائض .

وقالت أحزاب المعارضة وصحفها إن صدقى مسئول عن دماء الشهداء .

رأى إسماعيل صدقى أن يرد على هذا العنف بالاعتقالات ومصادرة الصحف ومقاومة من يرى فيهم نزعات شيوعية !

* * *

عندما اجتمع مجلس الوزراء البريطانى فى اليوم التالى ـ الثلاثاء ٢٩ من أكتوبر ـ لم يكن بيفن من الحاضرين .. بل مثل وزارة الخارجية أورم سارجنت الوكيل الدائم لوزارة الخارجية .

رأس الاجتماع اتلى رئيس الوزراء وحضره ١٧ وزيرا منهم وزيرة واحدة هى ايلين ويلكنسون وزيرة التعليم .. وتولى شئون السكرتارية ثلاثة على رأسهم السكرتير العام لمجلس الوزراء السير ادوارد بريدجر .

ويقول النص الرسمى لمحضر الاجتماع :

« أشار رئيس الوزراء كليمنت اتلى إلى التقرير الذى وزع عند عودة صدقى باشا إلى القاهرة عقب محادثاته مع وزير الخارجية فى لندن ، والذى يقول بأن بريطانيا قبلت قيام وحدة بين مصر والسودان فى ظل التاج المصرى .

ومن المؤسف أن مثل هذا التقرير غير الكامل ، والسابق لأوانه ، يمكن أن يبنى على محادثات أجريت على أساس شخصى واستكشافى .. وغير ملزمة لأى من الحكومتين . وكان من الواجب اعتبارها سرية . والاتفاق المؤقت الذى تم التوصل إليه فى سياق هذه المناقشات لم يقتصر فى الواقع على مسألة السودان . بل ، وحتى فى هذه المسألة ، لم يكن مقصورا على بحث مشكلة السيادة .

إن الصيغة المقترحة لإبرام بروتوكول السودان ، فى الوقت الذى تعترف فيه ، بوحدة مصر والسودان ، تحت تاج واحد ، تعلن اعتزام الحكومتين على العمل معا لصالح السودانيين وتهيئتهم بشكل فعّال للحكم الذاتى . وتؤمن بشكل خاص

استمرار الادارة الحالية فى السودان . حتى يأتى الوقت .. الذى يصبح فيه السودانيون قادرين على ممارسة حقهم فى تقرير وضع بلادهم فى المستقبل .

وقال رئيس الوزراء إنه حاول فى البيان الذى ألقاه فى اليوم السابق أمام مجلس العموم أن يصحح الانطباع الذى خلقه ذلك التقرير المضلل الذى تم توزيعه فى القاهرة .

وأعرب عن أمله فى ألا يتسبب التقرير فى التأثير على آفاق التوصل إلى قرار مبكر ومرضٍ لمفاوضات إعادة النظر فى المعاهدة الانجليزية المصرية »

اكتفى مجلس الوزراء البريطانى باصدار القرار التالى : « أحيط المجلس علما ببيان رئيس الوزراء » .

ومن هذا النص الرسمى للمحضر نجد أن اتلى لم ينكر الاتفاق على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى المشترك .. ولكنه أعلن فى الوقت نفسه أن الإدارة الحالية للسودان مستمرة ..

ورغم ذلك كله كان يمكن لمعاهدة صدقى بيفن أن يصدق عليها فى لندن . وأن تستمر لولا أن الحركة ضدها تمت فى عدة اتجاهات فى وقت واحد

وأهم العوامل المضادة كانت داخل هيئة المفاوضات المصرية نفسها

طلب مكرم عبيد بصفته عضوا فى الهيئة من إبراهيم عبد الهادى تفاصيل مفاوضات لندن فأبلغه شفويا بما جرى . فنشرت ذلك صحيفة « المصرى »

واستدعى مكرم عبيد المراسل البريطانى لوكالة الاسوشيتدبرس للانباء وأعطاه صياغة دقيقة جدا لمشروع بروتوكول السودان !

وتوجه بوكر الوزير البريطانى المفوض فى القاهرة إلى إبراهيم عبد الهادى يشأله :

قال وزير الخارجية :

ــ ماذا أفعل بحق السماء مع مكرم .. تعمدت إعطاء تفاصيل شفوية

فحسب لأنى أعرف أنه سيسلم أى شئ مكتوب

قال بوكر :

ـ إن صدقى باشا ، وليس مكرم باشا هو المسئول أولا وأخيرا عن هذا العمل الطائش المدمر .

بعث بوكر بنص هذا الحديث إلى لندن فى البرقية رقم ١٦٢٥ ومنها يتضح أنه إذا كان صدقى أخطأ عندما أعلن أنه جاء بالسودان فإن أعضاء هيئة المفاوضات المصرية الذين ظلوا بالقاهرة تعمدوا إفشاء النتائج وفى مقدمة هؤلاء مكرم عبيد الذى كان يحقد على صدقى لأنه لم يشركه فى وزارته !

يوم الحريق

دعا صدقى أعضاء هيئة المفاوضات إلى الاجتماع يوم أول نوفمبر ليطلعهم على مشروع الاتفاق وتخلف رئيس الوزراء عن الحضور فقد عاد من لندن مريضا ودخل المستشفى لاجراء عملية جراحية فطلب إلى إبراهيم عبد الهادى باشا وزير الخارجية أن يشرح للاعضاء كل ماجرى فى لندن .

عاد إبراهيم عبد الهادى إلى صدقى فى المستشفى ليبلغه نتائج الاجتماع وموقف أعضاء هيئة المفاوضات .

قال إسماعيل صدقى فى مذكراته :

« تبين لى أن الزملاء ـ فى غالبيتهم ـ كانوا حريصين لا على استظهار مزايا المعاهدة الجديدة ، ولكن على التنقيب وراء مايمكن أن يكون محلا للنقد .

.. وكانت مناقشات هيئة المفاوضات مظهرا من المظاهر المخيبة لآمال جميع التواقين إلى تصفية مابين مصر وانجلترا من مشكلات طال أمد حلها .

ولما وصلنا إلى الحل اصطدمنا بالعراقيل والاعتراضات ، وكلها غير ذات وزن يذكر أمام جدية النتائج التى وصلنا إليها .

وأصبحنا فى حالة من أغرب مايمكن أن يصادف بلدا يسعى إلى تحقيق أهدافه ..

فقد عمل البعض منا على تصوير مكاسبنا بصورة تثير الريب وتبلبل أفكار المواطنين » .

* * *

وتجئ ذكرى وعد بلفور .

ويوجه الاخوان والوفد الدعوة للشعب للتظاهر كما حدث قبل عام فيأمر صدقى بمنع المظاهرات ، وتعلن الشرطة اجراءات الطوارئ وتقف الدوريات فى كل مكان فى حالة استعداد .

ويعتقل صدقى باشا يوم الجمعة أول نوفمبر أعضاء من الاخوان ، والوفد ، ونقابات عمال الترام ، والاتوبيس ، الذين أضربوا عن العمل بهذه المناسبة .

ولايستجيب الشعب لنداء الأحزاب بالتظاهر .

وتفشل أيضا دعوة المحامين للإضراب والامتناع عن الحضور أمام المحاكم .

* * *

أبرق السير هدلستون الحاكم البريطانى العام للسودان إلى لندن يوم ٣ من نوفمبر يقول :

« تحطم الأمل فى موافقة الشعب على البرتوكول بسبب ما أعلنه صدقى عن السيادة المصرية على السودان لأن الشعب السودانى فسر ذلك بأنه الهيمنة والنفوذ المصرى » .

وقال إنه طلب إلى الزعيمين السودانيين السيد عبد الرحمن المهدى والسيد على الميرغنى إذاعة بيانين يطلبان فيهما من الشعب الهدوء وعدم التظاهر .

وأفاض الحاكم العام فى الحديث عن خطورة الموقف ، وأن الموظفين السودانيين المحليين لن يتعاونوا مع الحكومة . فسحبت الحكومة البريطانية كتيبة من قواتها من فلسطين ونقلتها بالطائرات إلى الخرطوم لمنع المظاهرات التى يتوقعها الحاكم العام البريطانى !

وطلب الحاكم العام ــ بعد ذلك ــ السماح له بالسفر إلى لندن لعرض الموقف شخصيا . ووصل يوم ٩ من نوفمبر ليبلغ الحكومة بأن هناك احتمالا لاستخدام القوة لحفظ الأمن إذا أقر البروتوكول لأن السودانيين سيفقدون الثقة فى حسن نوايا الحكومة البريطانية .

وقال :

ـ إنى مستعد لاستئناف عملى كحاكم عام وأنفذ البروتوكول إذا رغبت الحكومة البريطانية فى ذلك .

* * *

ويجتمع مجلس الوزراء البريطانى مرة أخرى صباح الخميس ١٤ من نوفمبر لبحث الموقف ...

وتخلف عن الحضور أرنست بيفن الذى كان يحضر اجتماعات الأمم المتحدة فى نيويورك .

ومن سوء حظ صدقى ومعاهدته أن بيفن كان بعيدا عن لندن ولذلك لم يستطع وقف التيار البريطانى المعادى للمعاهدة فى لندن والخرطوم أو يعمل على بقاء المعاهدة التى أجرى ـ شخصيا ـ مفاوضاتها !

وهذا نص محضر اجتماع مجلس وزراء بريطانيا عندما وصل إلى المسألة الثالثة فى جدول الأعمال وهى المسألة المصرية :

« قال رئيس الوزراء كلمنت اتلى إن الاعلان السابق لأوانه فى القاهرة عن معلومات جزئية بشأن بروتوكول السودان والمعاهدة الانجليزية المصرية المقترحة أثر بشكل خطير على إمكان إقناع السودانيين بقبول البروتوكول .

وقد عاد الحاكم العام للسودان إلى لندن كى يعطى للحكومة صورة للمشاعر التى أثارها الاعلان فى السودان .

وهو يعتقد أنه فى حالة صدور هذا الاعتراف الرسمى بسيادة مصر على السودان الآن فسيتطلب الأمر استخدام القوة للحفاظ على النظام العام ، وتضيع بين ليلة وضحاها كل الثقة المتحصلة من خمسين عاما من التعاون بين البريطانيين والسودانيين !

إن العديد من الموظفين السودانيين فى الإدارة سيستقيلون . ويجب أن يستقيل

بعض الموظفين البريطانيين أيضا . وعلى أسوأ الاحتمالات لابد أن تحدث مذابح وفوضى واسعة .

وطالب الحاكم العام مجلس الوزراء ـ قبل ان يتخذ قراره النهائى ـ أن يدرك التغيير فى الموقف الذى سببه هذا الاعلان فى القاهرة .

قال حاكم السودان أيضا إنه حتى فى ظروف متغيرة . لا يمكنه أن يقر البنود الخاصة بالسيادة المصرية على السودان فى البروتوكول .

أما إذا قرر مجلس الوزراء أن يمضى قدما فى البروتوكول وظل ـ أى هدلستون ـ مستمرا كحاكم عام فإنه مستعد لذلك . وسيستخدم تأثيره الشخصى للتقليل من هذه المشاعر فى السودان ولتخفيف حجم القوة المطلوبة للحفاظ على النظام العام .

وأظهرت المناقشة أن رأى المجلس يقول بأنه على الرغم من ردود الفعل المحتملة فى السودان فإننا يجب ألا نتراجع عن التفاهم الذى تم التوصل إليه مع صدقى باشا بشأن بروتوكول السودان .

ومن المحتمل تماما أن تقبل الحكومة المصرية خلال الأيام القليلة القادمة آخر المقترحات الخاصة بالمعاهدة الانجليزية المصرية .

ومن الأهمية البالغة ألا يحدث شيء فى هذه المرحلة من شأنه أن يؤثر على هذه الاحتمالات الطيبة .

وبالاضافة إلى الاجراءات طويلة المدى لدفع تقدم السودانيين إلى الحكم الذاتى لابد من اتخاذ اجراءات فورية لازالة مخاوف السودانيين » .

كان هدف الحاكم العام إثارة الرعب فى قلوب الوزراء البريطانيين فإن برقياته وبياناته أقنعت الوزراء بأن ثورة عنيفة ستقوم فى السودان نتيجة اتفاقية صدقى ـ بيفن !

ولذلك بحث مجلس الوزراء البريطانى عن صيغة ملتوية تمكنه من التنصل

من النص الذى يقول بأن السودان يكون تحت التاج المشترك لمصر والسودان معا .

وفى اطار هذه المحاولة طرح المجتمعون كما هو وارد فى محضر اجتماع المجلس اقتراحا قالوا فيه :

« يمكن أن نأتى ببعض الزعماء أو الأحزاب السياسية فى السودان ـ إلى لندن ـ حتى نرضيهم أولا ونؤكد لهم رغبة حكومة صاحب الجلالة فى تمكين السودانيين من تحقيق الحكم الذاتى .

ورغم أنه قد يكون من قبيل التسرع أن نوجه مثل هذه الدعوات قبل أن تصل الحكومة المصرية إلى قرارها بشأن المعاهدة .

ويمكن عمل بعض الترتيبات الأولية على الفور ، حتى يمكن توجيه الدعوات بمجرد إعلان الحكومة المصرية لقرارها .

وأكثر من ذلك يمكن لرئيس الوزراء أن يبعث للحاكم العام فى السودان برسالة يؤكد فيها أن الحكومة بحثت الصورة التى قدمها وأنها واثقة أن الوضع فى السودان مؤمن تماما .

ولابد أن تكون هذه الرسالة منفصلة عن الخطاب الشخصى الذى قرر رئيس الوزراء ارساله ، بالفعل ، إلى الحاكم العام ـ يدعوه فيه إلى الاستمرار فى منصبه ـ رغم تفهمه للأثر الذى تركته بنود السيادة فى بروتوكول السودان .

وقرر مجلس الوزراء البريطانى :

١ ـ إقرار توصية رئيس الوزراء ـ بأنه رغم ردود الفعل المحتملة فى السودان ـ يجب ألا نتراجع عن التفاهم مع صدقى باشا بشأن بروتوكول السودان والمعاهدة الانجليزية المصرية الجديدة .

٢ ـ مطالبة وزير الخارجية بتحضير ترتيبات أولية لدعوة زعماء الأحزاب السياسية فى السودان لزيارة بريطانيا .

٣ ـ أحيط المجلس علما بأن رئيس الوزراء سيطلب من الحاكم العام للسودان الاستمرار فى منصبه وسيرسل إليه وزير الخارجية خطابا ـ يمكن أن يعرضه على العاملين البريطانيين فى الحكومة ـ يشرح لهم الأسباب التى دعت حكومة صاحب الجلالة للاعتراف بالدعاوى المصرية فيما يتعلق بالسودان . ويقرر الخطاب عدم تعريض وضع الموظفين البريطانيين للخطر» .

وكتب كلمنت اتلى رئيس وزراء بريطانيا رسالة شخصية إلى الحاكم العام قال فيها إن الموقف لن يتغير فى السودان وسيستمر إعداد السودانيين لاختيار مستقبلهم ولايتضمن البروتوكول نصا بمنع السودانيين من الاستقلال .

وطلب رئيس الوزراء إلى الحاكم العام أن يطلع بعض زعماء السودان على هذا الخطاب بصفة شخصية .

وكتب وزير خارجية بريطانيا رسالة أخرى مماثلة للحاكم العام ليطلع عليها الموظفون البريطانيون فى حكومة السودان .

وجدت الحكومة البريطانية نفسها مضطرة إلى أن تطلب من إسماعيل صدقى أن يرفق بالبروتوكول عند توقيع المعاهدة رسالتين متبادلتين حول الاتفاق الشفهى بشأن السودان تبينان أن التاج المصرى شئ ، والإدارة البريطانية للسودان شئ آخر ، وإن الإدارة البريطانية للسودان ستستمر رغم التاج المصرى !

وأبرقت وزارة الخارجية البريطانية بذلك إلى بيفن الذى كان يحضر فى نيويورك اجتماعات الأمم المتحدة .

ويحذر القائم بالأعمال البريطانى وزير خارجية مصر من أن تفسير الصحف المصرية للبروتوكول يتعارض مع الاتفاق الشفهى بين بيفن وصدقى .

* * *

رأى إسماعيل صدقى أن يرد بحسم على هذه المذكرات والتحذيرات المتتابعة .

طلب إلى عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى فى لندن أن يناقش الموضوع برمته مع وزارة الخارجية البريطانية .

قال عمرو باشا للمسئولين فى الوزارة .

ـ إذا أصرت الحكومة البريطانية على تبادل الرسائل بين الحكومتين المصرية والبريطانية عند توقيع المعاهدة والتى تشير إلى حق السودانيين فى الانفصال عن مصر فإن المعاهدة لن تمر وستسقط .

وأبرقت وزارة الخارجية البريطانية بذلك إلى بيفن فى نيويورك .

* * *

أوعز صدقى إلى الصحف المصرية أن تنشر مذكرته التى وزعها على هيئة المفاوضات ، وتتضمن أن بروتوكول السودان لايمنح السودانيين حقا فى الانفصال عن مصر.

احتج القائم بالاعمال البريطانى على النشر لدى وزير خارجية مصر قائلا :

ـ من حق السودان أن يقرر مصيره بما فى ذلك الاستقلال عندما يحين الوقت المناسب .

أبدى إبراهيم عبد الهادى باشا وزير الخارجية أسفه قائلا :

ـ كان لابد من ذلك للوقوف فى مواجهة المعارضة وتفسيراتها المسمومة للمعاهدة .

وقال صدقى لجيمس بوكر القائم بالأعمال البريطانى :

ـ هذا للاستهلاك المحلى .. ولا تأخذوا تصريحاتى لصحافة مصر .. بجدية !

* * *

اجتمعت هيئة المفاوضات المصرية ثلاث ساعات ونصف الساعة لبحث مشروع المعاهدة لم تستطع خلالها الوصول إلى اتفاق ، وقدم سبعة من الاعضاء استقالاتهم معلنين رفضهم للمعاهدة ، وأذاعوا ـ فى الصحف ـ بيانا بأسباب معارضتهم ، وهى سابقة لم تحدث فى أية مفاوضات مصرية .. مع الانجليز .

رد صدقى بمرسوم ملكى بحل هيئة المفاوضات بعد ساعات من صدور بيان الأعضاء السبعة .

* * *

اختار الاخوان يوم استقالة الأعضاء السبعة ـ ٢٥ من نوفمبر ـ ليكون يوم الحريق .

أذاع المركز العام للجماعة البيان التالى :

« تنفيذا لقرار المركز العام للاخوان المسلمين فى ٢٠ من أكتوبر ، أخذ شباب الأمة فى القاهرة ومدن المملكة المصرية يودعون من ذلك اليوم مالديهم من مجلات وجرائد وروايات انجليزية فى أقرب شعبة من شعب الاخوان .

ولما تجمع من ذلك القدر العظيم فى جميع أنحاء القطر أحرقت هذه المطبوعات مساء أمس فى الميادين العامة بالقاهرة وأمهات القطر المصرى وبلاد الأقاليم فى آن واحد »

ويقوم الاخوان بمظاهرات شملت ـ حسب بيان وزارة الداخلية ـ عدة مناطق اعتدوا خلالها بالحجارة على واجهات بعض المتاجر فى شارع فؤاد الأول وشارع شبرا كما اعتدوا على مركبات الترام .

ويعود صدقى القوى رجل الثلاثينات .

إنه يهاجم دور الاخوان بالإسكندرية ويفتش البيوت ويعتقل ٥٦ من أعضاء الجماعة بالاسكندرية ، ويكون بين المعتقلين مصطفى مؤمن زعيم طلبة الاخوان الذى كان يدعو للتهدئة فى أوائل حكم صدقى !

وترد صحيفة الاخوان :

« عمد صدقى إلى أسلوبه القديم ناسيا أنه استغفر منه وأناب فى مجلس النواب فها أنت ترى كيف يصادر الاجتماعات . فهذه المعاهد والكليات والطرق الموصلة إليها والميادين القريبة منها أشبه ماتكون بميدان حرب حشدت فيه

القوات المدرعة والسيارات المصفحة ، والمدافع المصوبة والبنادق والحراب .

بل ليت الأمر وقف عند حد الإرهاب وحرب الأعصاب .

بل هذه السجون امتلأت بالطلبة الأطهار الأبرياء ، والمجاهدين من شباب الأمة .

ليرسل صدقى باشا بالاحرار إلى أعماق السجون .

ليفعل صدقى ما أراد ، ولتفعل القوة ماتشاء ، فسيواصل المجاهدون جهادهم حتى يتحقق للوطن مايريد ، والله غالب على أمره وليعلمن نبأه بعد حين .

مضت الأيام والشهور ، وطالت المفاوضات فإذا بكل ذلك يتمخض عن مشروع معاهدة عرجاء قال عنها أحد المفاوضين « إنها احتلال سافر للبلاد وفصل نهائى لشطرى الوادى وتكبيل الوطن بقيود وأغلال دونها أغلال معاهدة سنة ١٩٣٦ .. » !

وأذاعت وزارة الداخلية بيانا أعلنت فيه « أن بعض المنتمين إلى جمعية الاخوان المسلمين فى مدينة القاهرة ومعهم بعض الغوغاء قاموا بعمل مظاهرات متفرقة فى أنحاء مختلفة من المدينة واعتدوا بإلقاء الاحجار على واجهات بعض المتاجر بشارع فؤاد الأول وشارع شبرا كما اعتدوا على مركبات الترام .

وصف الدكتور محمد حسين هيكل تلك الأيام فقال :

« أدت هذه الأحوال مجتمعة إلى تبلبل الأفكار وشيوع القلق واضطراب طلاب الجامعة وتعدى الأمر إلى أعمال اجرامية منكرة .

.. وكانت القنابل تلقى فى غسق الليل فى الشوارع . أو فى أحياء تجارية . فيذيع تفجيرها فى النفوس الرعب والفزع . وألقيت قنابل أمام مساكن مأهولة فأحدثت من الأضرار مازاد الناس رعبا وهلعا .

وتعددت هذه الحوادث وجعلت الناس فى العاصمة وفى الأقاليم يشعرون بأن الوزارة عاجزة عن حفظ الأمن » .

استدعى السير أورم سارجنت الوكيل الدائم للخارجية البريطانية السفير المصرى عبد الفتاح عمرو وأبلغه إصرار بريطانيا على تبادل رسائل مع صدقى تلحق بالمعاهدة يوم توقيعها وتتضمن مايأتى :

* بروتوكول السودان لايغير الأوضاع فى السودان .
* يقرر السودانيون فى الوقت المناسب مصيرهم بما فى ذلك حقهم فى الاستقلال عندما يصبحون أهلا لذلك .
* تدافع بريطانيا عن السودان بالقوات والتسهيلات التى يتطلبها الموقف .
* من حق القوات البريطانية الانتقال والطيران فوق مصر أثناء فترة الجلاء وبعد ذلك يناقش الأمر بين الحكومتين للوصول إلى اتفاق فى المستقبل .

أجاب السفير المصرى :

ـ الأصرار على ذلك سيؤدى إلى فشل أى فرصة لاقرار المعاهدة .

وتتطور الأمور بسرعة غير عادية .

يوافق مجلس الوزراء المصرى على المعاهدة .

ويلتقى حسن يوسف رئيس الديوان الملكى بالنيابة بحسين سرى باشا رئيس الوزراء السابق وعضو هيئة المفاوضات .

قال سرى باشا :

ـ من الإجرام أن تضيع فرصة التوقيع على معاهدة بهذه الشروط .

ولكنه استطرد قائلا :

ـ مادام البريطانيون وافقوا على الكثير فمن الوطنية أن يطلب المصريون ماهو أكثر .

سأله حسن يوسف :

ـ كيف يمكن عمل ذلك ؟ وهل يعود صدقى مرة أخرى إلى لندن ليطلب المزيد ؟

قال سرى :

ـ إذا لم يذهب صدقى فربما يذهب أى شخص آخر .

.. أى سرى باشا !!

وقال على ماهر لصدقى باشا :

ـ أؤيد المقترحات ولكنى فى الاجتماع أعارضها .

فسر حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى للسفير البريطانى موقف أعضاء هيئة المفاوضات . قال :

ـ الملك ليس مستعدا لدفع الثمن الذى طلبه على ماهر نظير التأييد .

وأيد لطفى السيد .. صدقى عندما كان وزيرا للخارجية ثم نائبا لرئيس الوزراء ولكن بعد خروجه من الوزارة انضم للمعارضة . ولم يوضح أسباب معارضته عدا قوله أن البلاد تعارضها .

وتجنب لطفى السيد ـ كما تقول برقيات السفير البريطانى ـ التوقيع على بيان أعضاء هيئة المفاوضات المعارضين لكنه كان غامضا ومترددا عندما أضاف الآخرون اسمه فى النهاية عندما نشروا بيانهم !..

ويقدم صدقى باشا إلى مجلس النواب مشروع المعاهدة والبروتوكولات مؤكدا أنه لاتوجد وثائق أخرى سرية .

ويقرر المجلس ـ يوم ٢٦ من نوفمبر ـ الثقة بالحكومة .

ويبلغ توفيق دوس باشا عضو مجلس الشيوخ السير والتر سمارت الوزير المفوض البريطانى للشئون الشرقية بالسفارة البريطانية مادار فى الجلسة السرية للمجلس . قال عن السكرتير العام للوفد :

ـ اعترف صبرى أبو علم باشا بأن المشروع المصرى للمعاهدة مشروع جيد .

ولكن الوفد انتقد صدقى باشا على أساس أنه يأخذ موضوع الجلاء باعتباره

فضية مسلما بها بينما تصريحات اتلى وبيفن تنبئ أنه فى حالة انهيار المفاوضات فأنهما يقترحان العودة إلى معاهدة ١٩٣٦ .

وأشار صدقى باشا إلى أنه لامصلحة للمصريين فى توجيه اهتمام إلى التصريحات الصادرة عن الجانب الآخر . بل مصلحتهم الوقوف بحزم لتأييد فكرة أن الجلاء أصبح قضية مفروغا منها .

قابل المجلس هذا الرأى بالتصفيق ..

رفض حزب الوفد التصويت على قرار المجلس الذى يؤيد صدقى باشا ومع ذلك كان واضحا أن الوفد لن يكون فى وسعه معارضة المعاهدة .

وطلب إلى صدقى باشا أن يتعهد بتقديم مشروع المعاهدة النهائى أمام المجلس لاقراره قبل التوقيع النهائى عليها .

رفض صدقى باشا ذلك على أساس أن ابرام المعاهدات من أعمال السلطة التنفيذية وإذا كان ثمة مجال لإدخال تعديلات على الموقف المصرى فإنه على استعداد لطرح هذه النقاط أمام الأعضاء قبل اتخاذ قرار بشأنها .

وأكد توفيق دوس أن حافظ رمضان ألقى خطابا قويا أثنى فيه على موقف صدقى باشا .

وذكر توفيق دوس أنه لم يعارض المشروع المصرى للمعاهدة سوى عضو واحد متطرف من أعضاء الحزب الوطنى على أساس المبدأ الدائم للحزب وهو : لامفاوضة إلا بعد الجلاء .

ويبلغ السفير المصرى وزارة الخارجية البريطانية بأن صدقى أصبح مخولا لتوقيع المعاهدة بعد حل هيئة المفاوضات .

ولم يعرف أبدا ما إذا كان صدقى قد تعهد فى لندن باستمرار الوضع القائم فى السودان أو أن بيفن تراجع عن موقفه .

وعلى أية حال فإن إسماعيل صدقى رئيس وزراء مصر بخطواته التالية أراد أن يضع الانجليز والسودان أمام الأمر الواقع .

ولكن العقبات استمرت توضع فى طريق السياسى المصرى الداهية !

طلب عبد الرحمن المهدى باشا زعيم الاستقلاليين فى السودان السماح له بالسفر إلى لندن ليشرح موقف حزب الأمة من البروتوكول فوافق الحاكم العام والحكومة البريطانية بينما أعلن السيد على الميرغنى زعيم الختمية أنه لن يتجه إلى لندن .

وقبل مغادرته الخرطوم توجه المهدى لزيارة الميرغنى لأول مرة منذ سنوات . وأعلن المهدى فى بيان للشعب أنه سيطلب من دولتى الحكم الثنائى إنهاء الادارة الحالية للسودان والاعتراف بسيادة البلاد وتشكيل حكومة انتقالية تمهد الطريق للحكم الديمقراطى .

ويلتقى المهدى فى لندن يوم ٢٧ من نوفمبر برئيس الوزراء . وفى ٥ من ديسمبر التقى بوزير الدولة ثم اجتمع ببيفن بعد عودته من نيويورك .

أبلغ المسئولون البريطانيون الزعيم السودانى بأن الوحدة المصرية السودانية تحت التاج المشترك لاتغير الموقف فى السودان وأن الحاكم العام سيقاوم أى محاولة مصرية لادارة البلاد .

* * *

ويغلق صدقى جامعتى القاهرة والإسكندرية بعد اضراب الطلبة ومظاهراتهم ويلتقى فى القاهرة رئيس أركان حرب القوات البريطانية بالملك فاروق فى اليوم ذاته ـ ٢٨ من نوفمبر. قال فاروق :

ـ سيتم الاتفاق على المعاهدة والتصديق عليها من جانب جميع الاطراف المعنية قبل نهاية العام .

وستمر مصر بفترة توتر بالغ تصحبها محاولات لاغتيال المسئولين عن المعاهدة ..

وستخمد بعد شهرين أو ثلاثة . ولكن البوليس والجيش المصرى سيكونان قادرين على معالجة الأمر.

وأضاف فاروق :

ـ هدفى الرئيسى الآن الحفاظ على حياة صدقى الذى ساءت صحته بدرجة كبيرة وربما يموت فى أى وقت أو يغتال .

ولا أرى أمامى ـ فى الوقت الحاضر ـ خليفة لصدقى .

أبرق الفيلد مارشال إلى لندن يقول :

« الملك فاروق يعتبر بريطانيا الدولة الوحيدة الراسخة التى تشكل صلب المقاومة للتهديدات الروسية وهو حريص على الاحتفاظ بصداقتنا » .

* * *

ولايعود السير هدلستون حاكم السودان العام إلى الخرطوم مباشرة بل يتوقف فى القاهرة .

ويكتب السفير البريطانى إلى لندن يوم ٣٠ من نوفمبر :

« يحاول صدقى إقناعى بضرورة الإسراع بتوقيع المعاهدة

ولايزال السير هيوبرت هادلستون فى القاهرة .

وقد رتبت انتقاله مع زوجته إلى منزلى لأن رجال الأمن غير مرتاحين لاستمرار اقامتها فى فندق « شبرد »

وموقف هادلستون يتلخص فى أنه مهما كانت الصيغة المستخدمة فى خطاب رئيس وزراء بريطانيا إليه فإن السودانيين سيطلبون منه إجابة محددة بنعم أو لا على السؤال الخاص بالبرتوكول السودانى وهل يعطيهم حق الانفصال عن مصر أم لا .

ومالم تكن لديه سلطة الاجابة بنعم فإن موقفه سيكون مستحيلا

وأخشى أنه سيثير المتاعب عند عودته إلى الخرطوم .

وحاولت أن أجعله يواجه هذا الموضوع بطريقة أقل جمودا .

وأمس نتيجة لحديث مع رئيس أركان حرب الامبراطورية الجنرال ديبسى طلبت من الجنرال أن يلتقى بهادلستون ويقنعه ، بأنه يستطيع ، بسلطته الواسعة فى السودان ، أن يقنع السودانيين بأن يمنحوه ثقتهم فى المستقبل دون طرح مزيد من الأسئلة .

... وأخشى ألا يكون لهذه المجهودات سوى تأثير قليل على هادلستون فهو يرى أنه متى تمت الموافقة على الاعتراف بالسيادة . وما لم يسلم بحق السودانيين فى اختيار الاستقلال فإن الدوران حول هذه النقطة سيسحب من تحت اقدامه مابقى من الأرض التى يقف عليها .

ومن الصعب عليكم أن تتحملوا هذا الصداع الاضافى فى المرحلة الحرجة من المفاوضات حول المعاهدة . وأتمنى لو استطيع تقديم مساعدة أكبر» .

ومن هذه البرقية تتضح حقيقة تساند صدقى وهى أن حاكم السودان العام لم يتلق تعليمات واضحة بأن يبلغ السودانيين حقهم فى الاستقلال !

* * *

اشتدت المظاهرات بعنف ضد صدقى والمعاهدة يوم ٢ من ديسمبر.

وألقيت القنابل ــ فى وقت واحد ــ على ستة من أقسام الشرطة بالقاهرة .

... وقنبلة على منزل الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين .

حاصر صدقى مقر جماعة الاخوان ومطبعتها وصحيفتها ومستوصفها وبيوت زعمائها وفتشها ، ومنع الاجتماعات فى مقار الاخوان وأغلق المركز العام واعتقل أحمد السكرى وكيل الجماعة فأخذ الاخوان يجتمعون فى البيوت .

ورصد ٣٠٠٠ جنيه لم يرشد عن المتهم فى حادث قنبلة منزل الدكتور هيكل باشا .

وأعتقل رئيس تحرير صحيفة الجماعة .

ومنع الصحف من نشر أنباء المظاهرات والاضرابات .

ويكتب السفير البريطانى إلى لندن :

« **يقف الطلاب فى مقدمة الأنشطة المضادة لبريطانيا حيث يقوم الوفد والاخوان ومصر الفتاة بتنظيمهم للقيام بهذه الأنشطة .**

ولسوء الحظ فإن مظاهرات الطلبة تجذب إليها أعدادا من اللصوص والمخربين وهؤلاء هم المسئولون عن أعمال النهب والحرائق التى تأتى عادة بعد المظاهرات السياسية » .

ويستدعى السير أورم سارجنت وكيل الخارجية البريطانية الدائم عبد الفتاح عمرو باشا يوم ٦ من ديسمبر ليبلغه مايشبه الانذار باسم ارست بيفن .

قدم سارجنت إلى عمرو مذكرة تنص على تبادل رسالتين بين بيفن وصدقى تفسران مااتفق عليه مع صدقى بشأن بروتوكول السودان . وقد صيغت عبارات الرسالتين بأسلوب يقبله صدقى .

وقال سارجنت :

ـ إذا لم يفعل صدقى ذلك فسيضطر مستر بيفن إلى أن يعلن فى مجلس العموم ، بعد التوقيع على المعاهدة ، تفسيرا واضحا بشأن بروتوكول السودان وأن التاج المصرى المشترك أدخل على البروتوكول كاعتراف رمزى بسيادة مصر على السودان لا « كفرامل » لوقف عجلة تقدم السودان .

ولاتمنع الحكومة البريطانية السودانيين من تقرير مصيرهم .

ويؤكد بروتوكول السودان الأوضاع الحاضرة ولا يغيرها . وستظل بريطانيا تدافع عن السودان بكل الوسائل والتسهيلات الضرورية .

وفى اليوم التالى يصل إلى الخرطوم هادلستون فيذيع بيانا علنيا على الشعب يتضمن ماجاء فى خطاب اتلى ـ السرى ـ إلى الحاكم العام !

ولم يكن هادلستون مخولا بذلك بل إنه أراد نسف المعاهدة والبروتوكول .

ويستقبل صدقى بمرارة وأسى وأسف بيان الحاكم العام وتصدر الحكومة المصرية بيانا يوم ٨ من ديسمبر تعلن فيه أن الحاكم العام يمثل الحكومتين البريطانية والمصرية وأنه سمح لنفسه باصدار بيان يمثل حكومة واحدة وأن هذا البيان لم يطلع عليه رئيس وزراء مصر ولم يقره !

* * *

وجد إسماعيل صدقى نفسه فى موقف حرج .

إن ملك مصر والسودان مجرد اسم ورمز وشعار وسينسلخ السودان عن مصر وعليه ، أى على صدقى ، أن يختار فإما أن يقبل ذلك ويوافق على أن تكون معاهدة صدقى ــ بيفن ــ للجلاء عن مصر فحسب ، وهو مافعلته ثورة ٢٣ يوليو بعد ذلك ، أم يخلى الميدان السياسى .

ولكن صدقى رأى أن يسجل موقفه للتاريخ .

رد على المذكرة البريطانية فرفض شروطها جميعا .

ورفض أن يتبادل الرسائل مع بيفن ، أو يوافق على أن يدلى وزير خارجية بريطانيا ببيان فى مجلس العموم عن بروتوكول السودان .

ثم قدم إسماعيل صدقى فى نفس اليوم ــ ٨ من ديسمبر ــ استقالته لسوء صحته فقد أرهق الرجل من كثرة ما رأى وناضل وعانى أيضا .

قال الانجليز فى تقاريرهم السرية .

ــ إن الملك فاروق طلب من صدقى الاستقالة بعد أن توترت علاقته مع الحكومة البريطانية ولم يعد ممكنا الوصول إلى معاهدة .

ولكن حسن يوسف باشا قال لى :

ــ أصر صدقى على الاستقالة وألححت عليه ــ باسم الملك ــ فى البقاء .

ولم يعد صدقى للحكم ابدا ، ولكن عرف شعب مصر ، بعد ذلك ، مزايا

المعاهدة والفرص التى ضاعت على مصر نتيجة عدم ابرامها .

ولم يخسر صدقى بخروجه من الحكم .

ولكن حسن البنا خسر كثيرا بعدم وقوفه مع صدقى ، وربما يكون الخطأ من جانب صدقى لأنه لم يطلع الاخوان على حقيقة الأمور .

لقد جرف تيار المعارضة الاخوان المسلمين فانضموا ـ دون اتفاق ـ إلى الوفد يعارضون صدقى ويركبون الموجة الشعبية التى تطالب بالتطرف وبالشعارات ، لأنهم مثل الأعضاء السبعة فى هيئة المفاوضات خافوا على مستقبلهم إذا ظلوا مرتبطين برئيس وزراء له ماض يكرهه الشعب .

ويبقى السؤال : هل كان حسن البنا والاخوان يقفون مع صدقى إذا عرفوا الموقف الحقيقى ؟

من الواضح أن المرشد العام لم يستطع فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر ، وتاريخ الاخوان أن يمثل القوة السياسية الثالثة التى تحقق التوازن فى السياسة المصرية .

وكان مستحيلا على الملك أن يثق فى الاخوان المسلمين الذين ساهموا كثيرا فى فشل مشروع المعاهدة .

وكان الاخوان يفقدون حلفاءهم واحدا بعد الآخر .

وجاء النقراشى ليتولى رئاسة الوزارة وبينه وبين الاخوان عداء قديم !

وكان مستحيلا على النقراشى خليفة صدقى فى رئاسة الوزارة أن يثق فى الاخوان ، أو يثق فى المرشد العام .. بعد الحريق !

مات الوكلاء والموكلون

رشح إسماعيل صدقى لرئاسة الوزارة ، بدلا منه ، محمود فهمى النقراشى باشا فألف وزارته فى ٩ من ديسمبر ١٩٤٦ من ١٢ وزيرا نصفهم من حزبه « السعديين » والنصف الآخر من الاحرار الدستوريين .

واحتفظ النقراشى لنفسه بوزارتى الداخلية والخارجية .

لم يختلف رأى السفير البريطانى السير رونالد كامبل فى النقراشى عن رأى السفير السابق اللورد كيلرن .

كتب رونالد كامبل إلى لندن يقول :

« النقراشى رجل ضيق الأفق وعنيد . بدأ حياته العملية مدرسا .

وهو ينفى ـ بصورة قاطعة ـ اشتراكه فى قضية اغتيال السردار السيرلى ستاك . ولكن كثيرا من البريطانيين لايبرئونه من هذه الجريمة ويعتبرونه متورطا فى كثير من جرائم القتل .

ويمكن أن يصبح دموى المزاج إذا اختلف معنا وسيكون تواقا إلى إلقاء المسئولية علينا .

وهو عديم الخيال على مائدة المفاوضات يفتقر إلى المرونة ولا يستجيب إلى الأفكار الجديدة» .

وقال الانجليز « إنه فى منصبه وعمله الجديد زعيم قوى ولكنه ـ فى نظرهم ـ يظل قاتلا يرتدى زيا آخر » !

ويكتب بنكنى تاك القائم بالأعمال الأمريكى إلى وشنطن :

« طموح النقراشي الوحيد يتركز فى أنه يريد أن يدخل التاريخ باعتباره الرجل الذى أخرج الانجليز من مصر » .

ولكن الانجليز والأمريكيين أجمعوا على أن رئيس الوزراء الجديد « رجل أمين لايكذب » .

* * *

وتطلب السفارة البريطانية إلى الانجليز من أصدقاء النقراشي أن يبعثوا إليها بتقارير عن آرائهم فى رئيس الورراء الجديد ..

قال أحد هذه التقارير :

« النقراشي مهيأ ضد أى إحساس بالفشل بفضل شعور داخلى غريزى بأنه قد يكون من الأفضل بالنسبة لمصر ـ على المدى الطويل ـ أن تكافح لتستمر . وأن تضحى لتبنى

وهو مخلص لمبدأ تكوين أمة مصرية ولكنه يدرك أن المادة التى ستتكون منها هذه الأمة ليس فيها روح ولا تتمتع بأية كفاءة .

ومن تم لديه قناعة بأنه من الواجب توعية المصريين بالقضية والكفاح والحاجة إلى التضحية .

وهو يرى تلك الحقائق بالأحرف الكبيرة وبالأضواء الساطعة .

وعلى مدى جياته العملية كان عنيف التصرف وعاطفى التفكير .

وهو يبرر الدور الذى قام به ـ أيا كان هذا الدور ـ على أساس الحجة القائلة بأن مصر لايمكن أن تنهض من سباتها العميق إلا عن طريق أعمال الاثارة العنيفة ويجب أن تفوز بحريتها كجائزة لاكمنحة !

ويصل إعجابه بسعد زغلول باشا . إلى درجة أسطورية .

وعندما جاء بعده مصطفى النحاس باشا الذى كان أقل من سعد زغلول

عنادا ظل النقراشى باشا يمارس نشاطه فى مصر (مع الوفد) خلال عامى ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ .

ورفض بشدة عدة مقترحات لتوقيع المعاهدة فإنه رأى انطفاء شعلة الحماس المقدس عند النحاس باشا .

وأجبرت الضجة التى صاحبت ظهور موسولينى النقراشى على قبول المعاهدة عام ١٩٣٦ ولكن دون مبالغة .

وعلى مدى سنوات الحرب نشط النقراشى مع أحمد ماهر باشا فى حث الحكومة المصرية على الاشتراك فى الحرب العالمية الثانية .

ولم يخف حقيقة مايشعر به فى قرارة نفسه من أنه بصرف النظر عن تأثير ذلك على الحلفاء فإن قصف المدن المصرية ومصرع خمسين ألف شاب من أبناء مصر . وهم يرتدون الزى العسكرى ، سيكون من شأنه أن يساعد مصر لترقى فى مدارج الأمم .

وتحمل ، بشىء من الفلسفة ، الاحباط الذى أصابه بسبب السياسة المصرية خلال فترة الحرب .

وعبر فى انفعال عن ضيقه بسبب ماتصوره من سياسة اللورد كيلرن فى معاملة ملك مصر وشعبها باحتقار .

وكان يميل إلى أن يرى فى مصرع أحمد ماهر باشا قائده العملى قضاءه المحتوم الذى يناديه ولا فرار منه . وكان يرى فيه موتا فى سبيل مبادئه السامية الطاهرة .

ولم يحل بخاطره يوما أن يصبح رئيسا للوزراء . وقرر التقاعد عن ممارسة العمل السياسى عندما يبلغ الستين .

ويبرر النقراشى تراجعه ، عن التقاعد بأنه تلقى تشجيعا معنويا كبيرا من فاروق عن طريق تأكيد صاحب الجلالة بأنه يرى فى النقراشى حارسا للمثاليات المصرية !

ومنذ تلك اللحظة يمكننا اعتبار ذلك بداية لموقف جديد للنقراشي من الملك . أما موقفه من المفاوضات بين اللورد ستانسجيت وصدقي باشا فكان يتسم دائما بالبرود .

وعندما يتكلم الآخرون عن النجاح الذى حققه صدقي نجد النقراشي يعلق قائلا بأنه ظل مستيقظا طوال الليل خوفا من الكابوس الروسى الشيوعى ، ولكنه لم يجد فى المقترحات العسكرية البريطانية سوى الإهمال ، الذى لامبرر له للمشاعر القومية المصرية .

ولعل مما يدخل السرور على نفسه أن يجد عقارب الساعة عادت إلى الوراء ليلتقى بسعد زغلول ويقف حيث يقف .

ولا أعتقد أنه يمكن إجراء مفاوضات فعلية مع زعيم « يرى النجاح فى الفشل ويرى فى الرفض نجاحا يستحق التهنئة » .

ولايوجد مايصور النقراشي بصدق ويعبر عن شخصيته أدق وأكثر من هذا التقرير الذى عكس تماما كل أعماله فى آخر وزارة له .

* * *

فى خطابه للملك فاروق الذى أعلن فيه قبول تشكيل الوزارة كتب النقراشي يقول :

« أهم ماتعنى به الحكومة ، العمل على جلاء الجنود الأجنبية وتحقيق مشيئة أهل وادى النيل فى وحدة مصر والسودان . ولقد ظهرت فى الأيام الأخيرة علامات تزيد من قلق النفوس على مصير السودان » .

وفى أول خطاب له أمام مجلس النواب قال النقراشي: « إن وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى ستبقى دائما ولا يوجد مصرى يعترف بفصل مصر عن السودان » .

ويضع جيمس بوكر القائم بالأعمال البريطانى تقيما سريا للوضع السياسى فى مصر فقال :

« إن تصريحات صدق والحاكم العام أثارت الرأى العام فى مصر إلى حد أنه لن يوجد مصرى ، وبالذات رئيس حكومة للاقلية ـ يقصد النقراشى ـ يجرؤ على الوقوف ضدها

إن رفض مصر الاعتراف بحق السودان فى الانفصال عن مصر يعتمد على اعتقاد بأن البريطانيين يشجعون السودانيين على ذلك ليحتفظ الانجليز بالسودان لأنفسهم »

* * *

حدد الاخوان المسلمون موقفهم من الوزارة الجديدة .

فى اليوم التالى لتأليف الوزارة كتب حسن البنا فى جريدة الاخوان المسلمين يطالب النقراشى بإنهاء المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ وعرض القضية على مجلس الأمن و... الجهاد !

* * *

عقد النقراشى ، يوم ١٦ من ديسمبر ، اجتماعا مشتركا ضم أعضاء مجلس الشيوخ والنواب وأعلن أن أمام الحكومة التفاوض أو عرض القضية على الأمم المتحدة .

عاد السفير البريطانى السير رونالد كامبل من لندن يوم ٢٠ من ديسمبر واجتمع ساعتين بالنقراشى بشأن الفقرة الثالثة فى بروتوكول السودان والتى قام من أجلها الخلاف مع إسماعيل صدقى .

طلب رئيس الوزراء أن تصدر بريطانيا بيانا من جانب واحد تعلن فيه :

أ ـ أنه ليست لدى الحكومة البريطانية النية لتشجيع السودانيين على الانفصال عن مصر.

ب ـ إذا رغب السودانيون فى استمرار وحدتهم مع مصر فإن الحكومة البريطانية لن تضع عقبات فى هذا الطريق ويسعدها أن ترى ذلك يتحقق .

وبنى النقراشى ذلك على أساس أن الرأى العام المصرى ملتهب فى هذا الشأن . ومثل هذا البيان يجعل المحادثات مثمرة .

ورفض رئيس وزراء مصر اقتراح السفير باصدار بيان مشترك بدلاً من تبادل الرسائل .

وطلب النقراشى تعديل بروتوكول صدقى بيفن .

* * *

ويزداد الرأى العام المصرى إثارة وحماسا عندما يذاع خطاب جديد ألقاه الحاكم العام للسودان فى وفد من أعيان مدينة « الأبيض » أكد فيه موقف بريطانيا من استقلال السودان ، وكذلك تصريحات مماثلة للسيد عبد الرحمن المهدى بعد عودته من لندن إلى الخرطوم .

ويجتمع ١٣ رئيسا للقبائل السودانية يمثلون ١,٢ مليون نسمة ويبرقون إلى المجلس الاستشارى لشمال السودان معلنين حق السودان فى تقرير مستقبله وأنهم يرفضون أية سيادة على بلادهم .

* * *

قال النقراشى فى مجلس النواب ـ يوم ٣١ من ديسمبر ١٩٤٦ ـ إن على الحكومة البريطانية إعلان نواياها بالنسبة للسودان .

وقال إن سياسة الحاكم العام هى تشجيع وتحريض السودانيين على الانفصال عن مصر .

وأضاف إن مصر لاتريد بسط نفوذها على السودان ، ونواياها أخوية نحوه ، وسيرضى عنها السودانيون أنفسهم .

وافق المجلس بالاجماع على منح الثقة للحكومة .

ويحاول بيفن إنقاذ المعاهدة فيبرق إلى سفيره فى القاهرة يوم ٤ من يناير ١٩٤٧ باقتراحين لابلاغهما للنقراشى .

الأول : توقيع معاهدة المساعدة المتبادلة وبروتوكول الجلاء واستبعاد بروتوكول السودان على أساس أن معاهدة عام ١٨٩٩ بشأن السودان والمادة الثانية من معاهدة ١٩٣٦ تظلان ساريتين .

ويتبع ذلك مؤتمر لمناقشة المسألة السودانية تمثل فيه بريطانيا ومصر والسودان .

أو :

الاقتراح الثانى : توقيع المعاهدة على أساس :

أ ـ عدم وضع قيد على حق السودانيين فى تقرير مصيرهم .

ب ـ مهما كان اختيار السودانيين فإن الحكومة البريطانية تضمن المحافظة على المصالح المصرية الدائمة فى السودان .

وقال السفير البريطانى للنقراشى خلال اجتماعين :

ـ إذا قبلت أيا من الاقتراحين فإن الحكومة البريطانية مستعدة لإصدار البيان المنفرد من جانب واحد ، الذى طلبته .

رد النقراشى فوضع نصا لبروتوكول جديد للسودان ينص على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى المشترك وعقد مؤتمر تحضره مصر وبريطانيا .. فحسب .. ولايحضره السودان !

والجدير بالذكر أن فصل مسألة الجلاء عن موضوع السودان هو ماتم بعد ثورة ٢٣ من يوليه ١٩٥٢ .

* * *

رد وزير خارجية بريطانيا على النقراشى يوم ٩ من يناير ١٩٤٧ مقدما تنازلا جديدا . قال :

لن يمثل السودان فى المؤتمر.

واقترح بيفن أن تتضمن المعاهدة وثائق تعلن فيها كل من مصر وبريطانيا موقفها بالنسبة للسودان.

وقال بيفن إنه يقبل فى هذه الحالة إصدار البيان البريطانى الذى طلبه كل من صدقى والنقراشى.

وأبدى وزير خارجية بريطانيا استعداده لاستقبال النقراشى فى لندن والتفاوض معه إذا رغب فى ذلك.

رفض النقراشى اقتراحات بيفن على الفور قائلا :

ـ إنها ليست عادلة بالنسبة لمصر فهى تصور بريطانيا وكأنها تحمى مصالح السودان إزاء النوايا الشريرة لمصر.

وقال النقراشى :

ـ إن وجهة نظر البلدين متباعدة مما يجعل الاتفاق مستحيلا. ومن المسائل البديهية أن السودان يرغب فى الوحدة مع مصر.

وأشار رئيس وزراء مصر إلى أن سفره إلى لندن لن يحقق أى تقدم.

لجأ السير رونالد كامبل إلى الملك فاروق ولكن بغير فائدة !

* * *

استمرت صحيفة الاخوان تهاجم الوزارة والاحزاب وتعلن أن الوضع السليم هو الحكم بالقرآن.

ووجه الاخوان رسالة مفتوحة إلى رئيس الوزراء قالوا فيها :

ـ أعلن ياباشا فشل المفاوضات واقطعها فى عزة وكرامة !

ويكتب حسن البنا :

« الحريات مكبلة . والرعب يملأ الصدور . وقوات البوليس ترابط فى كل مكان تبعث على الرهبة والريبة » .

ويطالب الاخوان بجبهة قومية مصرية سودانية من كل الاحزاب .

رأى السير روبرت هاو الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية فى ١٧ من يناير أنه « مادام النقراشى يتولى السلطة فإن الاحتمال ضئيل فى أن يطرأ تحسين على العلاقات المصرية البريطانية أو استئناف المفاوضات لعقد معاهدة جديدة ومن الأفضل أن يستمر الموقف على ماهو عليه » .

* * *

اجتمع مجلس النواب يوم ٢٠ من يناير فأعلن النقراشى أن مباحثاته مع السفير البريطانى لم تؤد إلى اتفاق وأنه سيجد طريقا آخر لتحقيق مطالب البلاد .

تأجل اجتماع المجلس إلى ٢٧ من يناير.

وقرر مجلس الشيوخ يوم ٢١ من يناير أنه جاء الوقت لتتخذ الحكومة المصرية موقفا حاسما إزاء السلوك العدائى لبريطانيا .

ويبعث النقراشى إلى السفير البريطانى فى ٢٣ من يناير بمذكرة أشبه بالانذار .

قال :

ـ علىّ أن أعلن يوم ٢٧ من يناير الاتفاق ، أو احالة الأمر إلى مجلس الأمن .

رأى بيفن أن يقدم اقتراحا جديدا إلى عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى فى لندن أكد فيه ـ بعبارات واضحة ـ وحدة مصر تحت التاج المصرى المشترك ، مع عدم وضع أية قيود على حق السودان فى تقرير مستقبله طبقا لآمال الشعب السياسية حسب ميثاق الأمم المتحدة .

ولم يتضمن اقتراح بيفن هذه المرة ـ كلمة « استقلال السودان » . وكانت هذه محاولة أخيرة من بيفن لاقناع النقراشى بتوقيع المعاهدة . ولكن رئيس وزراء

مصر اكتفى بإعلان انه سيعرض الأمر على مجلس الوزراء .

وفى ٢٥ من يناير أبلغ النقراشي السفير البريطانى أن مجلس الوزراء وجد أن مصر مضت إلى أبعد مدى فى محاولة الإتفاق مع بريطانيا ، ولكن الاقتراحات البريطانية لا تستجيب لحقوق البلاد الطبيعية .

وقرر مجلس الوزراء عرض الأمر على مجلس الأمن ..

وهكذا أضاع النقراشي ـ بعناده أو خوفه من المعارضة ـ آخر فرصة لوحدة مصر والسودان !

* * *

أذيع قرار مجلس الوزراء بعد يومين فى مجلسى البرلمان . فأعلن الاخوان تأييدهم لقرار النقراشي وإن هاجموا بيانه فى البرلمان « لأنه لم يشف الغلة ، ولم يرو الظمأ » !

ويؤيد مكتب الارشاد قطع المفاوضات ، ويكتب صالح عشماوى قائلا :

« أخيرا التقينا » !

بعث السفير البريطانى السير رونالد كامبل إلى لندن يقول : « الاخوان يتعاونون مع حكومة النقراشي ولكن بتحفظ » !

ويلتقى عبد الفتاح عمرو باشا السفير المصرى فى لندن بأرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا يوم ٣٠ من يناير ١٩٤٧ .

قال السفير :

ـ هل أغلق الباب نهائيا حتى يعرض الأمر على الأمم المتحدة ؟

سارع بيفن بالجواب قائلا :

ـ لم أغلق الباب ولم أقطع المفاوضات . الوزارة المصرية هى التى فعلت ذلك عمدا وبالإجماع ! ولا أستطيع القيام بأى عمل الآن . والأمور يجب أن تمضى فى مجراها .

قال عمرو باشا :

ـ نحن حريصون على الوصول إلى حل الآن .

رد بيفن :

ـ الأمر متروك لكم . ولن أمضى أبعد مما مضيت . لا أستطيع التوقيع على تنازل عن حقوق السودانيين كما تطلبون . وإذا وجدت الحكومة المصرية طريقا للتعبير عن آرائها الواضحة فى هذه النقطة فإن الحكومة البريطانية مستعدة للنظر فيها .

ولكن الخطوة التالية يجب أن تأتى من جانبكم .

ويلتقى بيفن ببعض ممثلى الدول العربية فى لندن فأبدوا له خشيتهم من خطورة الموقف بعد قطع المفاوضات .

وقال الجميع :

ـ لقد أخطأت مصر بهذه الخطوة .

ويسافر بيفن فى إجازة وتمضى الأمور فى طريقها المرسوم !

* * *

تحرك الاخوان ...

أرادوا الاحتفال بذكرى مظاهرات يوم الجلاء فى ٢١ من فبراير . ولكن الحكومة نجحت فى منع المظاهرات .

فى ٢٢ من فبراير ١٩٤٧ قال السير رونالد كامبل :

« يتردد أن الاخوان المسلمين أعدوا مشروعا لتوقعه كل الاحزاب لمقاطعة البريطانيين .

ووافقت جمعية الشبان المسلمين وجبهة مصر ـ منظمة على ماهر ـ والوفد السودانى ، على التوقيع على المشروع ولكن الوفد رفض ذلك » .

وانضم الاخوان للجنة تحضيرية قررت الاعداد لمؤتمر عربي . بهدف إقامة منظمة دائمة تمثل الشعوب العربية . غير جامعة الدول العربية .

ضمت اللجنة ــ كما يرى السفير البريطاني ــ « بعضا من المتطرفين المعروفين مثل حسن البنا وصالح حرب ومريت بطرس غالى . وهو قبطى . غير حزبي » .

وجد الوفد أن الاخوان ينافسونه كما أن تأييدهم للنقراشي يعطيه قوة فقرر فض الهدنة بين الحزب والجماعة دون إعلان .

وهكذا عاد الصراع بين الفريقين بصورة أكثر عنفا .. وقسوة ووحشية أيضا ، فكلاهما ينافس الآخر على الرصيد الشعبي . الوفد يحاول الحفاظ على مالديه ، واستعادة مافقد منه ، والاخوان يحاولون زيادة هذا الرصيد .

واتجه كل فريق إلى التشكيك فى وطنية الخصوم !

فى البرقية رقم ٥٣٦ بتاريخ أول مارس ١٩٤٧ كتب السير رونالد كامبل :

« **هاجمت الصحف الوفدية الاخوان المسلمين ــ واتهمت حسن البنا بأنه اتصل بعبد الرحمن عزام طلبا للتأييد . وناقش معه . ومع غيره . ومنهم على ماهر وحافظ رمضان . تشكيل لجنة سياسية لادارة الأنشطة السياسية للاخوان المسلمين .**

وأقر البنا ، فى تفنيده الفاتر لهذه الهجمات . بأن تشكيل مثل هذه اللجنة السياسية محل بحث

وعزام يميل منذ أمد طويل إلى حسن البنا . ويبدو أنه على وشك تولى توجيه الاخوان المسلمين فى قضية التطرف الوطنى » .

ويفشل الاخوان فى محاولتهم تكوين جبهة سياسية تحتفل بذكرى يوم الشهداء ٤ من مارس وتهاجم صحف الوفد الجماعة .

وتنقل اتهاما وجهه وكيل الاخوان السابق أحمد السكرى بأن الشيخ حسن البنا حاول الحصول من الوفد على ٥٠ ألف جنيه ثمنا لتأييد الوفد ضد وزارة إسماعيل صدقى .

واتهم السكرى الشيخ البنا أيضا بإجراء اتصالات مع رئيس الديوان الملكي تعهد خلالها المرشد العام باتباع سياسة معتدلة إزاء حكومة النقراشى مقابل مساعدة من القصر.

ردت جريدة « الاخوان » بأن حسن البنا مستعد للتعاون مع الوفد إذا تبرع هذا الحزب بمبلغ ٥٠ ألف جنيه لتنظيم سياسة قومية تساهم فيها كل الاحزاب حسب إمكاناتها !

* * *

ورغم سوء العلاقة بين الاخوان والوفد فإن العلاقة بين الاخوان والنقراشى لم تكن طيبة بحال .

نشرت صحيفة الاخوان مقالا عن « واجب الحكومة » وحددته بأنه « منع وصول قوات بريطانية جديدة وعدم تسخير المرافق لخدمة الإنجليز ، وإبعاد كل أجنبى يتعامل معهم ، ومحاكمة كل مصرى يخدمهم بتهمة الخيانة » .

وجد الوفد أن الاخوان ينافسونه كما أن تأييدهم للنقراشى يعطيه قوة فقرر فض الهدنة بين الحزب والجماعة دون إعلان .

واتجه الاخوان لأول مرة إلى الشرق فطالبوا بأن تلجأ الحكومة فى الأمم المتحدة إلى « الكتلة اليسارية » بدلا من الكتلة الانجلو- أمريكية . ولم يكن الاخوان يعرفون أن مثل هذا التفكير فى تلك الأيام صعب ، أما التنفيذ فيقع فى دائرة المستحيل !

ويتجه النقراشى إلى أمريكا فيوفد فى أبريل رئيس أركان حرب الجيش إلى وشنطن لزيارة القواعد والمصانع الحربية والاتفاق على شراء السلاح فتحتج الحكومة البريطانية على الحكومة الأمريكية لعدم استشارة الولايات المتحدة بشأن هذه الزيارة .

ويتراجع وزير الخارجية الأمريكى بالنيابة أمام ممثل للسفارة البريطانية قائلا :

ـ ليست للزيارة طبيعة سياسية . ولن تلعب أمريكا نفس الدور الأساسى فى

الشئون العسكرية المصرية والذى كانت تقوم به الحكومة البريطانية .

وفى ٧ من مايو ١٩٤٧ تبلغ الحكومة الأمريكية بريطانيا رسميا بأنها لن تتوسط أو تتدخل بين بريطانيا ومصر !

* * *

وتزداد العلاقة سوءا بين النقراشي والاخوان فى مايو أيضا عندما يعتدى رجال الشرطة على موكب لجوالة الاخوان فى حى الخليفة ، ويمنع البنا من زيارة بور سعيد .

وتتابع برقيات السفارة البريطانية على لندن تصف كل تطور جديد فى مواقف الجماعة وسياستها .

كتب السير رونالد كامبل قائلا :

« الاخوان أبرز المنظمات المصرية التى لها صلة دولية وتتمتع بأهمية كافية لممارسة تأثير ملحوظ على الحياة العامة فى البلاد .

إن الاحياء السياسى ـ الدينى لجماعة الاخوان المسلمين يمثل قوة رجعية ، فهى تدعو للعودة إلى بناء اجتماعى يقوم على تعاليم دينية واجتماعية عفى عليها الزمن » !

ولكن السفير يبرئ الاخوان من العمالة لأية قوى أجنبية . قال :

« لاتتعرض الجماعة حاليا لنفوذ خارجى ، سواء كان شيوعيا أو فاشيا ولكنها تمثل أيدلوجية ذات طبيعة سياسية ـ دينية تقتضى بالضرورة تصنيفها كمنظمة سياسية متطرفة .

ويتعين أن نذكر أنه قبل الحرب ، كان هناك من الأسباب مايدعو للشك فى تلقى الاخوان المسلمين أموالا من مصادر ألمانية أو إيطالية ، أو منهما معا .

إن الاخوان المسلمين جماعة مصرية خالصة ، ولكن نجاحها الباهر فى البلاد

فى السنوات الأخيرة شجع قادتها على مد أنشطتها إلى الدول الإسلامية المجاورة وخاصة فلسطين وسوريا والسودان » .

ويتعقب الانجليز الاخوان المسلمين فى الدول العربية .

سأل الوزير البريطانى المفوض فى عمان الملك عبد الله عاهل الأردن عن لقائه بعبد الحكيم عابدين سكرتير عام الاخوان فقال صاحب الجلالة :

ـ الجماعة تستحق الاعجاب فهى تدعو الجيل الجديد لواجبه الدينى . وتحد من انتشار الشيوعية .

قال الوزير المفوض :

ـ كان حقا ماتقول ياصاحب الجلالة لو أن الجماعة اقتصرت على واجبها الدينى . ولكن التقارير تقول إن دوافع مؤسسيها سياسية بقدر ماهى دينية .

قال الملك عبد الله :

ـ هذا بالنسبة لمصر. ولكن قادة الاخوان لايريدون التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية .

ويثير الوزير البريطانى مسألة الاخوان مع سمير الرفاعى باشا . قال رئيس الوزراء :

ـ سنتدخل إذا أبدت الشعب المحلية فى الأردن نشاطا سياسيا . ومن الخطأ أن نظهر عدم موافقتنا عليها مادام نشاط الجماعة مقصورا على النشاط الدينى .

ويكتب الوزير المفوض إلى لندن :

« أوافق الملك ورئيس وزرائه على أنه لاداعى للتدخل فى الوقت الحاضر » !

وجد الانجليز أن الاستقرار لم يتحقق فى مصر ، ولم تعقد معاهدة ، وهناك أزمة حادة فى العلاقات بين البلدين ففكروا فى إعادة الوفد إلى الحكم لتحقيق إصلاح اجتماعى يعزز الاستقرار والديمقراطية !

أيد عودة الوفد السير روبرت هاو الوكيل المساعد لوزارة الخارجية ـ الذى

تولى بعد ذلك منصب الحاكم العام للسودان ـ والسير أورم سارجنت الوكيل الدائم للوزارة . وقدما تقريرا بذلك إلى كلمنت اتلى رئيس الوزراء الذى تولى وزارة الخارجية بالنيابة أثناء سفر ارنست بيفن إلى نيويورك وموسكو.

أبرق اتلى بالتقرير إلى بيفن فى موسكو ـ بدلا من انتظار عودته ـ مما يدل على رغبة اتلى فى التعجيل بخلع النقراشى .

ولكن بيفن رأى تأجيل القرار حتى يعود إلى لندن فعقد مع أورم سارجنت اجتماعا يوم ٦ من مايو.

قال وكيل الخارجية : السؤال الأساسى هو هل نعزل النقراشى أم لا ؟

رد بيفن : من الخطأ التصرف على هذا النحو فإذا عزلنا رئيس الوزراء ، ولم نحقق النتيجة التى نريدها سنكون فى وضع سيئ .

وأصر بيفن على أن يحتفظ كبار رجال الوزارة « بالبرود » ، وهدوء الأعصاب إزاء النقراشى . ورفض الوزير البريطانى التدخل فى شئون مصر الداخلية . ولكن رجال وزارة الخارجية البريطانية ضغطوا على الملك والنقراشى بأسلوب آخر.

بعث السفير البريطانى السير رونالد كامبل برسالة إلى النقراشى يحتج فيها على القاء قنبلة على دار المعهد البريطانى وأخرى على كلية فيكتوريا بالاسكندرية وكذلك على التأخير فى محاكمة حسين توفيق وزملائه ـ وبينهم أنور السادات ـ الذين اتهموا باغتيال أمين عثمان باشا وزير المالية فى حكومة الوفد .

ويلتقى كامبل بعبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن محتجا على الحملة العلنية المعادية لبريطانيا وقال :

ـ إن وزراء مصر يساهمون فى هذه الحملة .

ويضيف :

ـ هل يعرف ملك مصر ذلك .؟

ويحذر قائلا :

ـ إن صاحب الجلالة يغامر بهذه الاثارة الوطنية .

ويلتقى كامبل بالملك بعد أن استغنى النقراشى عن البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش المصرى .

وينتقد السفير رئيس وزراء مصر فيرد فاروق :

ـ النقراشى أفضل من يحافظ على الأمن والنظام .

وأخيرا يلتقى السفير البريطانى برئيس الوزراء ليقدم سلسلة من الاحتجاجات :

الأول : على عبد الفتاح عنايت الذى حكم عليه بالاعدام فى قضية اغتيال السردار البريطانى السير لى ستاك عام ١٩٢٤ واستبدل حكم الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وكان عبد الفتاح عنايت قد بدأ يكتب مذكراته وفيها يهاجم الانجليز .

الاحتجاج الثانى على كاريكاتير نشرته مجلة روز اليوسف يصور حلبة ملاكمة بين مصر وبريطانيا .. وفى هذا الرسم توجه مصر ضربة قاضية لبريطانيا .

الاحتجاج الثالث على مسرحية تعرض فى مصر وفيها يقال إن بريطانيا تحاول التفرقة بين مصر والسودان .

ولايجد النقراشى مايقوله ـ طبقا لبرقية السفير ـ إلا أنه سيرسل مقالات الصحف وكل هجوم على بريطانيا إلى النائب العام ليرى ما إذا كان ذلك يقع تحت طائلة القانون ، وفى هذه الحالة يحاكم المسئولين .

وتتم كل هذه اللقاءات والاحتجاجات وأنشطة السفير ضد النقراشى خلال فترة لاتتجاوز الشهرين !

انخفضت شعبية الوفد لأسباب كثيرة ، منها الاضطهاد من جانب الحكومة ، والانحرافات فى الوفد .

وارتفعت شعبية الجماعة بالشعارات التى رفعتها معادية للانجليز ، والعاطفة الدينية العميقة فى نفوس شعب مصر ، والتنظيم الدقيق للجماعة ، والتأييد الذى حصلت عليه من الملك وصدقى والنقراشى فى فترات متباعدة !.

قال حماده محمود إسماعيل فى رسالة ماجستير قدمها إلى جامعة القاهرة عن «جماعة الاخوان ودورها فى تاريخ مصر»«إن سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية كانت سنوات الاخوان فقد ساعد غياب الوفد عن مسرح الاحداث تنامى الاخوان وقيادتهم للحركة الشعبية ضد الاحتلال ، ودعوتهم الصريحة إلى إعلان الجهاد باعتباره السبيل الأوحد لاخراج الانجليز من مصر» .

وقال :

« أدت الجماعة دورا لايستهان به تجاه قضية الجلاء والاستقلال ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية » .

* * *

أحس الوفد بقوة الجماعة فهاجمها بأسلوبه القديم ...

إتهم الوفد الاخوان بالعمالة للحكومة وخيانة قضية الأمة .

نشرت صحيفة « صوت الأمة » الناطقة بلسان الوفد ويرأس تحريرها عدلى المولد المحامى يوم ٩ من مايو تحت عنوان « الشيخ راسبوتين ... يفقد عقله وأدبه ... » ! !

قالت :

« ..استطاع هذا الشيخ الملتاث أن يكتب خطابا إلى رفعة زعيم الوادى ويحشوه بالمطاعن ، والسباب ، ويصور فيه نفسه وما فطر عليه من خلق ..

يامولانا الشيخ :

إنك أحقر من أن تكتب إلى وفدى عادى . فما بالك بهذه الجرأة المجنونة التى دفعتك بالكتابة إلى زعيم الوادى ناصحا ، ومحذرا ومهددا .

من أنت أيها الحلس الذى خسر الدنيا والدين ، وانفض من جماعته كل غيور على كرامة الإسلام والمسلمين ؟.

من أنت يا مدرس الخط حتى تجعل من نفسك شيئا فتتكلم إلى رجل بينك وبينه مابين الأرض والسماء ..؟

هل بعد تذبذبك ، وحقارة تصرفاتك ، ضد اخوانك وخيانتك لمبادئ الإسلام الشريف ، وهل بعد استجدائك عطف كل هيئة وحزب ..

أبعد هذا أيها المستعبد لشهواته ونزوآته الوضيعة تجد فى نفسك الجرأة على أن تقوم بدور الممثل التافه فى دور المصلح الهادى ؟!

ياشيخ راسبوتين .. مسكين أنت والله لأنك قد فقدت عقلك . »

وقالت الصحيفة :

« دع السياسة ياشيخ لمن يحملون عقولا فى رءوسهم فلست أهلا لها » .

وقالت :

« لم يجد الشيخ حسن راسبوتين بدا من أن يمزق اللثام عن تضليله وتهريجه باسم الدين والاخوان والقرآن ويظهر على حقيقته ، وبطبيعته انجليزيا حكوميا وهذا هو ماكنا نبصر به الاخوان ونحذرهم منه حتى يعرفوا شيخهم داعية مأجورا لكل من يدفع الثمن .

هذا هو الشيخ البنا أيها الناس .

هذا الرجل الذى كان مدرسا للخط فضاق بفقره ، وحقارة شأنه وتفاهة قيمته ، ولم يستطع أن يوفق بين طموحه وقدرته فراح يطلق لحيته ، ويضلل باسم الدين ، ويجمع حوله السذج من المسلمين لتكون له سيارة ، وتكون له جريدة ولو غير « سيارة » ولكن الدين فضحه وكشف عن خبيئته .

لم يخجل الشيخ ، بل ظهر بالأمس سافرا فاجرا ، كافرا بنعمة الدين ونعمة

الوطن ، ولم يستح أن يصبح حكوميا أكثر من الحكوميين ونقراشيا أكثر من النقراشيين .

أيها الشيخ المأجور .. أقسم لك بمن حرمك من نعمة الاخلاق الإسلامية ، ونعمة الاخلاق الوطنية أننا لانتصور ولانسمح لأنفسنا أن ثمة من يعمل لخيانة بلده من أجل المال .

فهنيئا حكوميتك أيها المسكين الذى أراد أن يسخر من الوطنية والدين فهوى إلى أسفل سافلين » ! !

وتضامنت صحف الوفد كلها فى الحملة ضد الاخوان .

قالت البلاغ إن المرشد العام دأب على أن يتردد بسياسة الاخوان ويميل بها . يعقد الاتفاق تلو الاتفاق ، ويبرم الميثاق تلو الميثاق ولكنه ما أسرع ماينفض يده من هذا ليضعها فى يد ذاك .

وقالت مجلة « الحوادث » بعنوان « دوتشى مصر، بعد دوتشى روما » « إن حسن البنا يشبه موسولينى زعيم الفاشية فى إيطاليا ويدعى أنه المهدى المنتظر » !

* * *

وتصاعدت حملة الصحف الوفدية ، وبالذات صوت الأمة ، على الاخوان فى سلسلة مقالات تحت عنوان واحد « هذه الجماعة تسقط » .

وهذه نماذج مما قالته الصحيفة خلال تلك الأيام من مايو ويونية عام ١٩٤٧ :

- يمعن الشيخ فى التضليل فيزعم أنه ليس حزبا سياسيا ، اذن ماذا أنت وجماعتك يا هذا ؟ أنت تزاول نوعا من السياسة هو أرخص وأقذر الأنواع .
- انحسر آخر قناع عن وجه الشيخ حسن البنا فإذا به أقبح سياسى لعب على مسرح السياسة فى الجيل الحاضر.

... العفن والقاذورات والألفاظ النابية بل والجرائم المنكرة مصدرها وكر الاخوان .

أما من الذى أيقظ الفتنة فهو أنت أيها « المرشد » المضلل .

- شيخ متآمر .. متستر خلف الدين ..
- أيها الشيخ الماجن لقد افصحت عن حقيقة أمرك ، بعبثك ، وخداعك ، فانكشف سترك ووضحت جنايتك السافرة .
- إلى زعيم عصابة الاخوان صليتم تظاهرا وتصدقتم تفاخرا ، واتخذتم هيئة الصلاح لتتسلطوا على عقول البسطاء .
- إن جماعة الاخوان المسلمين فضيحة قومية للمصريين فى العصر الحاضر .
- أصبحت ذمة الشيخ مطاطة .. الشيخ المصلى العارف بالله يكذب علنا فى جريدته .
- شيخ سوء ينحدر هابطا كلما انتفخ جيباً ...

فهو يتعمق فى الاسفاف كلما افعم جيبه بالمال . أجير لايكتب من وحى قلمه . وإنما يدافع عن انتفاخ جيبه . ومقياس الصالح من الطالح عنده هو مقدار ماتمتد له به الأيدى من نفحات وعطايا فان قرأت فجورا وقحة فاعلم أنه قد قبض .

- الشيخ الأفاك . الشيخ الأشر .
- الاسلام ليس لحية ، ولاعمامة ، ولا سفسطة بل هو تعاليم نبيلة رفيعة تطبع المؤمنين بطابع الشرف والاخلاق ، والسمو وعدم الإسفاف ، لا الجرى وراء المال الحرام باستخدام التهريج ، والدجل والضحك على الدقون .. !

ويرد الاخوان فى يولية فينشرون وثائق تثبت أن السلطات البريطانية ساعدت شباب الوفد فى حملتهم ضد الجماعة .

وفى برقيات السفارة البريطانية أن هذه الوثائق مزورة .

وهكذا تغير موقف الاخوان .

كانوا ضد النقراشي فأصبحوا معه .

وكانوا مع الوفد فأصبحوا ضده .

وفى رأى حسن البنا أنهم يتفقون ويختلفون مع الاحزاب طبقا لمواقف هذه الأحزاب إزاء مصر المسلمة الوطنية

ولكن لعبة السياسة ـ التى دخلها الاخوان ، أو مارسها الاخوان فى السنوات الأخيرة ـ كانت تقتضى نوعا آخر من السلوك السياسى !

* * *

عارض الملك فاروق فى عرض قضية مصر على الأمم المتحدة ، كما قالت برقية للقائم بالأعمال الأمريكى .

وأيد هذا الرأى كل من إبراهيم عبد الهادى وعبد الحميد بدوى .

ورأى الدكتور محمد حسين هيكل أن تعرض القضية على الجمعية العامة للأمم المتحدة . بينما وجد النقراشي أن هذه الجمعية ستحتاج إلى وقت طويل لنظر القضية كما أنها لا تستطيع اتخاذ قرار دون الرجوع إلى مجلس الأمن الذى يمثل أفضل الفرص ـ فى رأى النقراشي ـ لتحقيق الجلاء .

وظل النقراشي باشا حائرا ستة شهور ، مترددا ، يقاوم كل الضغوط ثم حسم أمره فقدم محمود حسن باشا سفير مصر فى وشنطن عريضة دعوى مصر إلى مجلس الأمن يوم ١١ من يوليو ١٩٤٧

طالب النقراشي باسم مصر بجلاء القوات البريطانية عن مصر والسودان جلاء تاما وانهاء النظام الادارى للسودان .

أبرق مصطفى النحاس رئيس حزب الوفد إلى مجلس الأمن وإلى السكرتير العام للأمم المتحدة يتهم الحكومة بالديكتاتورية وأن النقراشي لا يمثل مصر وليس صوتا شرعيا يتحدث باسمها .

قال النحاس فى برقيته :

« الحكومة المصرية التى رفعت دعوى أمام المجلس لاتمثل على أى وجه شعب وادى النيل الذى تؤيد اغلبيته الساحقة الوفد المصرى ، وهذه الحكومة ـ على أكثر تقدير ـ تمثل الاشخاص الذين تتألف منهم ، وتدعى لنفسها حق التصرف فى سياسة مصر الدولية رغم أنفها ، ووفقا لما تمليه مصالح سياسية رجعية ، واقطاعية ، رفضها الشعب المحكوم حكما ديكتاتوريا ، فإن شكوى تلك الحكومة إلى مجلس الأمن لايمكن أن تكون لها قيمة الوثيقة القومية المعبرة عن مطالب الشعب .

قال عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « فى أعقاب الثورة المصرية » كانت هذه البرقية ضربة أصابت مصر فالأنانية والأهواء الشخصية جعلت الوفد يطعن مصر من الخلف فى الوقت الذى تعرض فيه قضية مصر على تلك الهيئة الدولية العالمية !

* * *

أبرق المرشد العام إلى مجلس الأمن مساندا وفد مصر برئاسة النقراشى ومؤيدا مطلب مصر فى الجلاء ووحدة وادى النيل .

قال :

« يستنكر شعب وادى النيل البرقية التى بعث بها إلى المجلس وإلى هيئة الأمم المتحدة رئيس حزب الوفد المصرى ويراها مناورة حزبية لا أثر للحرص على الاعتبارات القومية فيها .

وسواء كانت حكومة مصر ديمقراطية أو ديكتاتورية ، فإن الشعب المصرى يعلن على الملأ أمام هيئة الأمم المتحدة ، أن ذلك أمر يعنيه وحده ، فله وحده الحق فى أن يختار نوع الحكم الذى يريده ، طبقا لميثاق الأطلنطى ومبادئ هيئة الأمم وله وحده الحق فى أن يعرض على حكومته مايريد وأن يؤاخذها على كل تقصير يراه » .

ووجه البنا رسالة إلى النحاس تحت عنوان « بطلان التوكيل » قال :
« النقراشى باشا يمضى . ومن معه . إلى مجلس الأمن بتأييد شعب وادى النيل وعلى هدى من الايمان الوطنى » .

واستنكر حسن البنا خطاب النحاس إلى مجلس الأمن ووصفه بأنه سقطة سياسية وعثرة وطنية ومناورة حزبية لاتحرص على الاعتبارات القومية .

وأعلن الاخوان « أن الوفد يقوم بدور الطابور الخامس لحساب الانجليز فى تقسيم الأمة وتمزيق وحدتها » !

وقال :

« التوكيل الذى منحته الأمة المصرية للوفد المصرى سنة ١٩١٨ أصبح باطلا بطلانا أكيدا » .

وقالت الرسالة :

« لايزال الوفديون يفكرون بعقلية سنة ١٩٢٠ فيقولون : الأمة هى الوفد ، والوفد هو الأمة وأن الشعب منحه توكيلا لا نقض فيه ولا ابرام . ويسقطون من حسابهم ربع قرن فى حياة هذا الوطن تبدلت فيه الأرض غير الأرض وتغيرت النفوس .. انتقل إلى الدار الآخرة أكثر الوكلاء والموكلين على السواء ...

والوفد فى أيامه الأخيرة تخللت صفوفه ، طوائف ، وأفواج ، من ذوى الآراء الخطرة والمبادئ الهدامة ، الذين لايدينون بغير الشيوعية ..

هل ترون أن الوفد قد أدى واجبه بهذا الموقف السلبى الذى يقفه فى هذه الساعات العصيبة فى تاريخ الوطن مع أنه كان ولايزال فى وسعه أن يعمل الكثير لو أراد » .

ويطلب الشيخ إلى النحاس أن « يطهر حزبه من الشيوعيين ومن شبابه المفتونين » !

وقال المرشد العام :

« الوفد خارج الحكم يعتبر الانجليز أعداء الإسلام والأمة ، بل أعداء الشرق كله يجب محاربتهم فإذا تولى الحكم نسى ماكان يدعو إليه ، فالانجليز هم الحلفاء المخلصون » !

وكتبت صحيفة « الاخوان » : « صحف الوفد تفيض اباحية وفجورا . وأن على الوفديين أن يجددوا اسلامهم ، فهم فى تصرفاتهم خصم للاسلام . وحرب على تقاليده وتشريعه وأن الوفديين طابور خامس فى مصر . والنحاس . بعد ٤ فبراير ، كان متعاونا تعاونا كاملا مع الانجليز» .

وقاد البنا مظاهرة مؤيدة للنقراشى .

فى الليلة السابقة على سفر النقراشى إلى وشنطن سئل رئيس الوزراء :

ـ ألا ترى اضطراب الأمن أثناء غيابك ؟

قال :

ـ لن تحدث متاعب إلا من الشيوعيين .

قيل له :

ـ والوفد ؟

قال :

ـ لايسعى الوفد إلى مزيد من عداء الملك له .

قيل له :

ـ والاخوان ؟

قال :

ـ لقد ألقيت الرعب فى قلب حسن البنا .

ويكتب جيفرسون باترسون القائم بالاعمال الأمريكى إلى وشنطن :

« يؤكد الاخوان تأييدهم للحكومة . وربما يكون السبب ناشئا عن الحرب

السائدة بين الاخوان والوفد . والصحافة المحلية تزعم أن السبب الحقيق يرجع إلى المبلغ الضخم الذى دفعه النقراشى باشا لحسن البنا من المصروفات السرية .

ويبدو واضحا أن هذا المبلغ دفع فعلا وقد أحدث تأثيرا لدى قادة الاخوان » !

أيها القراصنة .. اخرجوا

رأس النقراشى وفد مصر إلى مجلس الأمن . وقال فى خطاب عنيف طويل أمام المجلس يوم ٥ من أغسطس عام ١٩٤٧ :

« لم نعد نعيش فى ظلمات القرن التاسع عشر . إن مصر لم تكن طرفا حرا عند إبرام معاهدة ١٩٣٦ لأن القوات البريطانية كانت تحتل أراضيها .

وقبل بدء مفاوضات هذه المعاهدة وجه المندوب السامى البريطانى . فى مصر ، رسالة إلى ملك مصر ورئيس وزرائها أوضح فيها أن الاخفاق فى عقد اتفاق قد تترتب عليه نتائج جدية .

وهذا تهديد سافر بإعادة فرض الحماية أو ماهو شر منها .

إن قبضة بريطانيا على مصر والسودان سندها القوة لا الحق » .

وقال النقراشى إن استمرار النزاع يعرض الأمن والسلم للخطر لا فى وادى النيل بل فى جميع انحاء الشرق الأوسط .

رد السير الكسندر كادوجان ممثل بريطانيا فقال إن معاهدة ١٩٣٦ قائمة ومستمرة ، ولن تغير بريطانيا مسلكها فليس هناك تهديد للسلام والأمن العالمى ، كما أن بريطانيا مستعدة للتفاوض .

عقب النقراشى يوم ١١ من أغسطس على السير كادوجان فروى الذكريات المريرة للعلاقات المصرية ابتداء من ضرب الأسطول البريطانى لمدينة الإسكندرية بالقنابل فى ١١ من يوليه عام ١٨٨٢ ، وقال إن مايسميه البريطانيون مساعدة لمصر والسودان لم يكن إلا أقسى أنواع الاخضاع ، ويريد البريطانيون استمرار الاحتلال العسكرى البغيض .

وتكلم النقراشى ى مجلس الأمن ٦ مرات أخرى مفندا حجج بريطانيا فقال عن السودان :

« العلاقات بين السكان الذين يقطنون شطرى وادى النيل مسألة داخلية بل أهلية .

إن الأمر سيعالجه المصريون والسودانيون لا أن يتحدث عنهم لسان حكومة أجنبية فى لندن النائية » .

واتهم بريطانيا بالقرصنة قائلا :

« فقدت معاهدة ١٩٣٦ قوتها وحيويتها وأخرستها الحوادث . ولم يعد صداها إلا كصدى الاشباح . وظلت أثرا من آثار أيام القرصنة التى يجهد العالم فى نسيانها .

* * *

أوفد الاخوان واحدا من أبرز شبابهم ـ مصطفى مؤمن ـ إلى مجلس الأمن مرافقا ومراقبا للوفد المصرى وللدعاية للقضية المصرية فى الولايات المتحدة وفى الأمم المتحدة .

* * *

وقع يوم ٢٢ من أغسطس ١٩٤٧ حادثان فى نيويورك والقاهرة .

فى نيويورك ، أثناء اجتماع مجلس الأمن وبعد خطاب النقراشى ألقى مصطفى مؤمن خطبة ملتهبة من شرفة الزوار وأشهر وثيقة موقعة بدماء الطلاب ، تستنكر المفاوضات ، وتطالب بالجلاء التام وبوحدة وادى النيل .

طرد من قاعة المناقشة ، فنظم مظاهرة خارج مبنى الأمم المتحدة ، كما طرد أحمد كامل قطب ممثل الاخوان أيضا . لأنه كرر مافعله مصطفى مؤمن داخل قاعة مجلس الأمن .

وفى القاهرة أيد الاخوان خطاب النقراشى فى مجلس الأمن ونشروه كاملا .

ونظم الشيخ البنا مظاهرة تجمعت فى الأزهر بعد صلاة الجمعة لتأكيد وقوف مصر وراء النقراشي وتأييده فى مجلس الأمن .

تقدم المظاهرة المرشد العام يهتف بسقوط معاهدة ١٩٣٦ . واتجه المتظاهرون إلى قصر عابدين ووقع بينهم وبين رجال الشرطة صدام حاد وأطلق رجال الشرطة النار على المتظاهرين .

أصيب حسن البنا وأسفرت المظاهرات عن مصرع ثلاثة واصابة كثيرين .

ورغم ذلك كتبت السفارة البريطانية إلى لندن تقول :

« يسود اعتقاد شائع بأن الحكومة تغاضت بل شجعت هذه المظاهرة الخطيرة » .

وتكررت المظاهرات فى اليومين التاليين ولكن رجال الشرطة نجحوا فى تفريقها دون وقوع حوادث خطيرة .

وفى الاسكندرية نظم بعض عمال النسيج مظاهرة أخرى كما جرت مظاهرات أخرى فى طنطا وبورسعيد .

واجتمعت فى مقر الشبان المسلمين يوم ٢٤ من أغسطس عدة منظمات ــ بينها الاخوان ــ وقررت الدعوة إلى اضراب عام ومظاهرات سلمية ، يوم ٢٦ من أغسطس بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة ١٩٣٦ .

وتكتب السفارة البريطانية إلى لندن بأن « حسن البنا يحاول إقناع الزعماء السياسيين بالضغط على النقراشي ليعلن فى مجلس الأمن أن المعاهدة أصبحت باطلة ولاغية » .

* * *

خشى الانجليز تدهور الأمن فاجتمع الوزير البريطانى المفوض بوكيل وزارة الخارجية المصرية وطلب منه نقل رسالة عاجلة إلى رئيس الوزراء بالنيابة بأن الحكومة المصرية ستكون مسئولة عن العواقب التى تترتب على أية اضطرابات إذا

سمحت بالمظاهرات والإضراب أو وافقت على عقد اجتماع جماهيرى .

وقال الوزير البريطانى لرميله القائم بالأعمال الأمريكى :

ـ قادة الاخوان المسلمين والشبان المسلمين ومصر الفتاة فى ظمأ إلى الثورة والمجد !

خاف أحمد خشبة باشا من تطورات الموقف الأمنى بينما النقراشى باشا فى نيويورك .

رأى الوزير أن بريطانيا يمكن أن تستغل المظاهرات فتعلن لمجلس الأمن أن اضطراب الاحوال فى مصر يحتم بقاء القوات البريطانية . فاستدعى أحمد خشبة باشا ـ القائم بأعمال رئيس الوزراء ـ حسن البنا وأحمد حسين وغيرهما من الشخصيات وأقنعهم -بالتخلى عن المظاهرات .

وأذاع أحمد خشبة باشا نداء دعا فيه إلى التزام الهدوء وضبط النفس للصالح القومى . وقال إن ممثلى المنظمات المختلفة سحبوا دعوتهم للقيام باضراب ومظاهرات .

قال السفير البريطانى :

« تردد أن حسن البنا مستاء من عدم تشجيع الحكومة لمظاهر التعبير عن المشاعر الوطنية »

وقال السفير :

« الاخوان المسلمون والشبان المسلمون أعطوا إتجاها دينيا للحملات المعادية للبريطانيين »

* * *

ويلتقى حسن البنا بفيليب ايرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية يوم ٢٩ من أغسطس ١٩٤٧ . وايرلاند أنشط رجال السفارة وهو يتصل بكل المسئولين ، وكل رجال السياسة ، فى مصر !

قال المرشد العام :

ـ أمريكا أظهرت خصومتها لمصر بتأييد موقف بريطانيا فى مجلس الأمن . وذلك ليس جديدا أو فريدا . وفى مصر سخط عام ضد أمريكا .

أشار ايرلاند إلى المظاهرات التى جرت فى مصر فقال الشيخ :

ـ لن يكون هناك مزيد من الاضطرابات وبوسعى بدؤها وانهاؤها .

قال ايرلاند :

ـ من المشكوك فيه أن تتمكن من إنهاء الفتنة بعد اشتعالها .

قال الشيخ :

ـ زاد الاخوان قوة ونفوذا فى الشهور الأخيرة بعد أن انضم إليهم المنشقون عن الوفد . وأصبح عدد الاخوان ٦٠٠ ألف . وتوجد مجموعة عمل يتراوح أعضاؤها بين ٢٥ و ٣٠ ألفا من الجوالة وهم منظمون تنظيما عسكريا ويتلقون تدريبا عسكريا اجباريا مستخدمين أية أسلحة أو معدات يمكن الحصول عليها .

رد ايرلاند :

ـ فى مناسبات عديدة اتصل اعضاء من الجماعة بمكتب الملحق العسكرى الأمريكى طلبا لكتيبات تتعلق بالأسلحة الصغيرة والتدريب العسكرى .

ويعلق جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى على ذلك قائلا :

«لاشك فى قدرة البنا على تحريك المظاهرات وتصريحاته الملتهبة تبين استعداده الواضح للمتاعب فى المستقبل

ولايجب اغفال أهمية الاخوان فى أى حوار سياسى حول مصر . لما هو معروف عن تنظيمهم فقد زادوا قوة ونفوذا فى الشهور الأخيرة .

ووضح من حديث الشيخ أنه يؤيد فى الوقت الحاضر ، على الأقل ، سياسة النقراشى

ونظرا لسجله الماضى الحافل بالانتهازيه يمكن أن نستنتج أنه سيواصل تأييده لهذه السياسة مادام ذلك يناسبه شخصيا »

* * *

استمر الاخوان والمنظمات الوطنية الأخرى، عدا الوفد، فى تأييد النقراشى، ودعا ممثلوها : صالح حرب باشا وحسن البنا وأحمد حسين سفراء الصين وفرنسا وأمريكا إلى تأييد مصر فى مجلس الأمن .

وألمح ممثلوها للسفارة الفرسية ضمنا ـ وفى تهديد مقنع بأن مصالح فرنسا فى مصر قد تتأثر إذا واصلت تأييدها لبريطانيا فى مجلس الأمن .

كتبت السفارة البريطانية إلى لندن :

« يعد حسن البنا لاثارة الاضطرابات فى أنحاء متعددة من البلاد فى حالة فشل القضية المصرية أمام مجلس الأمن

وينتاب المرشد العام سخط كبير على قرار الحكومة المصرية بمنع المظاهرات ويعتبر أن الحكومة المصرية تلعب بهذا العمل لعبة أعداء مصر .

ودعا الشعب المصرى للاستعداد لبدء الجهاد إذا أصدر مجلس الأمن قراره ضد مصر

ويلقى البنا فى هذا الصدد تأييدا قويا من صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين

ويعمل الرجلان بنشاط لتنظيم الشعب المصرى للقيام بأعمال العنف .

ويبدو مستبعدا فى الوقت الحاضر أن تتورط الجماعة فى أية نشاطات تخالف بصورة مباشرة الحكومة الحالية . وينطبق ذلك بالنسبة لحزب مصر الفتاة ولكن بصورة أقل .

ودارت مناقشات مستفيضة حول شن حرب عصابات ضد القوات البريطانية فى دوائر جماعة الاخوان المسلمين والشبان المسلمين . والاخوان

المسلمون مسلحون تسليحا جيدا وكتائب الجوالة التابعة لهم جيدة التدريب . ويمكن للجماعة أن تستخدمها إذا قررت الالتجاء إلى حرب العصابات . ولكن الموقف . حتى هذه اللحظة . لاينبئ بوجود أى شىء خلف الفكرة العامة

وعلاوة على ذلك أعلنت لجنة تحرير وادى النيل تشكيل « كتائب للتحرير » فى جميع انحاء مصر وبدأت تدريب أعضائها على استخدام الأسلحة

ويقال إن هذه الكتائب تتلق التدريب على أيدى ضباط من الجيش والشرطة .

ووجهت اللجنة نداء إلى الشباب المصرى للانضمام إلى هذه الوحدات شبه العسكرية

ولكن السفارة ترى أن قوة الاخوان تتركز فى معارضة الوفد بشدة مما يضمن للجماعة قدرا من التأييد وتسامح الحكومة والقصر معهم »

ومن هذا كله يتضح ـ وطبقا لما تقوله السفارة ـ أن الجماعة ترتبط بخيوط مع الحكومة . ويتوجه الشيخ البنا للقاء الأمير محمد على ولى العهد .

قال المرشد العام :

ـ أريد مخلصا تجنب الاضطرابات الداخلية .

وينقل ولى العهد ذلك إلى جيمس بوكر القائم بأعمال السفير البريطانى قائلا :

ـ لايمكن الوثوق بحسن البنا فى ذلك ولكن سياسته تبدو ـ فى الوقت الحاضر ـ هادفة إلى تحقيق أثر مهدئ على العناصر المثيرة للإزعاج .

* * *

قدمت لمجلس الأمن ٣ مشروعات :

الأول : من البرازيل باستئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا وفى حالة فشل المفاوضات تتبع الوسائل السلمية الأخرى محل النزاع . وقد أيدت الولايات المتحدة هذا المشروع .

الثانى : من كولومبيا ويقول بأن جلاء القوات البريطانية رهن باتفاق بين مصر وبريطانيا لتأمين حرية الملاحة فى قناة السويس .

الثالث : من الصين ولايختلف كثيرا عن المشروع البرازيلى .

وأيدت المشروعات الثلاثة استئناف المفاوضات

امتنعت الولايات المتحدة عن تقديم أية مبادرة إلى مجلس الأمن ، وأيدت بريطانيا تأييدا كاملا .

وامتنع الاتحاد السوفيتى وبولندا عن التصويت على أى مشروع قرار لايتضمن صراحة الجلاء الكامل عن مصر ، وإن احتفظا برأيهما بالنسبة للسودان .

أما بريطانيا فعارضت أى قرار ينتقدها ، وأصرت على أن معاهدة ١٩٣٦ سارية حتى يعاد النظر فيها باتفاق الطرفين ، أى باتفاق بينها وبين مصر .

ولم يحصل أى من المشروعات الثلاثة على الأصوات السبعة المطلوبة ليصبح قرارا .

واكتفى خمسة أعضاء بينهم الولايات المتحدة بإعلان أن مصر لم تقدم دليلا على أن الصراع بين البلدين يشكل خطرا للسلام العالمى ، وبذلك فإن مجلس الأمن ليس ملزما باتخاذ قرار .

ورفضت الدول الخمس أى قرار بالجلاء بل أرادوا قرارا متوازنا يشير إلى أن استئناف المفاوضات سيؤدى إلى جلاء جنود بريطانيا العاجل عن مصر .

دعا الشيخ البنا الشعب إلى ترك العمل والذهاب إلى المساجد فى ذات الساعة التى تعرض فيها قضية مصر أمام مجلس الأمن للدعاء لها بالنجاح وأن يلهم الله مجلس الأمن التوفيق والسداد .

وخطب النقراشى مرتين فى الجلسة الختامية لمجلس الأمن يوم ١٠ من سبتمبر . قال « إن مصر ظلت فريسة العدوان خمسة وستين عاما . وكل ماتطلبه أن تعطى حقها الطبيعى » .

ولكن مجلس الأمن لا يلهم التوفيق أو الرشاد بالنسبة لمصر !

لم يستطع المجلس الوصول إلى قرار فى أى من المشروعات الثلاثة وانفض فى المساء بعد اجتماعات استمرت ٣٥ يوما دون اتخاذ قرار فى الموضوع وأجل القضية لأجل غير مسمى مع الاحتفاظ بالنزاع المصرى ـ البريطانى فى جدول الأعمال .

وقامت المظاهرات فى مصر فى اليوم ذاته ضد بريطانيا احتجاجا .

* * *

اعترض المسئولون فى وزارة الخارجية الأمريكية على سياسة بريطانيا فى مصر .. وكان من بين المعارضين لهذه السياسة لوى هندرسون مدير إدارة أفريقيا والشرق الأدنى وجوردون ميريام رئيس قسم الشرق الأدنى والوزير الأمريكى المفوض فى مصر بنكنى تاك . وأبلغ هندرسون ذلك إلى السفارة البريطانية فى وشنطن .

وكتب مذكرة إلى وزير الخارجية الأمريكية قال فيها :

« وجود القوات البريطانية فى مصر يسمم ـ وبسرعة ـ مناخ منطقة الشرق الأوسط والأدنى كلها .

وإذا لم يتم الاعلان فى المستقبل القريب عن أنه سيتم سحب هذه القوات دون شرط فإن علاقات العالم العربى مع الدول الغربية ربما تتعرض لضرر بالغ خلال سنوات عديدة قادمة »

ويوجه مساعده جوردون ميريام نقدا للسياة البريطانية فى جنوب السودان .

ويفكر المسئولون فى أمريكا ، كما يفكر بيمن أيضا فى نقل القاعدة البريطانية من مصر إلى برقة ـ فى ليبيا ـ مع بقاء القوات البريطانية فى مصر حتى يتم ضمان القاعدة البديلة !

ويزور النقراشى وشنطن ويلتقى بجورج مارشال وزير الخارجية . والرئيس ترومان .

قال النقراشى للوزير الأمريكى :

ـ الدين الإسلامى يتعارض مع الشيوعية . ولكن استمرار بقاء القوات البريطانية فى مصر يثير استياء شعبنا ويوفر أرضا خصبة للتسلل الشيوعى .

وقال النقراشى :

ـ إذا لم تعامل الولايات المتحدة مصر على قدم المساواة وباعتبارها دولة مستقلة فان التأييد المصرى للدول الديمقراطية لن يكون متوقعا .

أعرب مارشال عن سروره الشخصى للاجتماع برئيس وزراء مصر ولكن أحدا من الرجلين لم ينجح فى اختراق تحفظ الآخر . فقد بقيا متباعدين .. كما قال مارشال وهو يصف نتيجة الاجتماع .

ويطلب النقراشى من الأمريكيين مساعدة اقتصادية وقرضا قدره ٨٠ مليون دولار وشراء القطن المصرى طويل التيلة وبعثة عسكرية أمريكية لتطوير الجيش والطيران المصرى وتدريب الضباط المصريين فى أمريكا ، وتشغيل المطارات العسكرية والمدنية وإقامة مصانع للاسلحة الصغيرة والذخيرة .

ولكن خاب أمل النقراشى فى الولايات المتحدة .

قال له الأمريكيون :

ـ لايوجود قانون أمريكى لتقديم مثل هذه المعونة .

. فلما ألح النقراشى اعترفوا له بأن الكونجرس يدرس قانونا للبعثات العسكرية . ولكن أى برنامج كبير للقوات المسلحة المصرية يحتاج إلى صناعة مصرية لتدعيمه .

وقالوا له :

ـ إذا نشأ لدى المصريين إنطباع بأنه يمكن الحصول على مساعدة أمريكية بمجرد طلبها فان ذلك يعتمد على التوصل إلى نهاية ناجحة للمفاوضات المصرية البريطانية .

وألقى الأمريكيون « ماء باردا » على طلب المساعدة الاقتصادية .

ولم يعرف النقراشى أن السبب هو التقارب الأمريكى البريطانى وأن البريطانيين قالوا للامريكيين :

- مانريده هو التعاون معكم فى الشرق الأوسط بدلا من أن تحلوا محلنا .
- أى تحركات من جانب الولايات المتحدة فى مصر . ستكون موضع استياء لندن .
- إقامة بعثة عسكرية أمريكية فى مصر بعد سنوات طويلة من النفوذ البريطانى إحراج قاس لبريطانيا قد يؤثر على العراق والدول العربية ويقلل من النفوذ البريطانى فى المنطقة .

* * *

وإذا كان النقراشى قد أراد اغراء الأمريكيين بأن مصر ضد الشيوعية وأن عدم الجلاء يساعد على انتشارها فى مصر . فإن حسن البنا . دُون اتفاق مع النقراشى ، وبدون علمه أيضا أراد استمالة السفارة الأمريكية فى القاهرة لأن الاخوان يستطيعون مساعدة الولايات المتحدة فى مكافحة الشيوعية التى قد تنتشر فى مصر .

وكان هدف البنا ، مثل النقراشى . محاولة التفرقة بين الانجليز والأمريكيين واقناع الولايات المتحدة بخطر الشيوعية التى قد تزحف على مصر .

وموقف الاخوان من الشيوعية واضح ، عبروا عنه فى مناسبات بأن الشيوعية والدين متناقضان . وقالت صحيفة « **الاخوان** » : « الشيوعية مذهب هدام يحرض على الثورة ويعتبرها الوسيلة الوحيدة لتنفيذ أغراضه ، ويسير مع هذا النظام الالحاد والاباحية .

وقال حسن البنا فى تصريحات علنية ان الحل الوحيد لتلافى اخطار الفكر الشيوعى الوافد هو الاتجاه إلى الصناعات الكبرى وتحديد الملكية الزراعية وزيادة الانتاج القومى والعودة إلى تعاليم الإسلام الحنيف .

وقال إن الأساليب البوليسية لمكافحة الشيوعية لن تجدى » .

طلب المرشد العام للمرة التانية مقابلة فيليب ايرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية بالقاهرة .

تم اللقاء بين المرشد العام وسكرتير السفارة الأمريكية فى بيت ايرلاند وحضره محمد الحلوجى من اعضاء الجماعة والدكتور محمود عساف مدير اعلانات صحيفة الاخوان .

احتسى المرشد زجاجة الكوكاكولا ـ كما قال محضر الاجتماع الذى كتبه ايرلاند ـ ثم قال :

ـ الشيوعية فى الشرق الأوسط خطر داهم على جميع الشعوب . والاخوان المسلمون يحاربون الشيوعية بكل الوسائل الممكنة . ومن الطبيعى أن يترك أعضاء الجماعة ، عملهم الأصلى لدخول الخلايا الشيوعية للحصول على المعلومات . وعندما يفعلون ذلك فإنهم يتركون وظائفهم ، وبذلك يفقدون مرتباتهم .

وإذا أمكن تعيينهم على أساس أنهم محققون وباحثون فإن هذه المشكلة يسهل حلها .

واقترح الشيخ البنا انشاء مكتب مستقل مشترك بين الاخوان والحكومة الأمريكية لمحاربة التيوعية .

وفهم ايرلاند من ذلك أن تتولى الولايات المتحدة إدارة المكتب بينما يكون اعضاؤه ـ فى أغلب الأحيان ـ من الاخوان .

أبدى المرشد العام تحفظا واحدا .

قال :

ـ أمريكا تؤيد حاليا أهداف الصهيونية . ولذلك يجب أن تكون للاخوان حرية الاعتراض على أمريكا فى هذه النقطة .

دارت مناقشات بين ايرلاند والشيخ الذى أحس أنه أعطى انطباعا بأنه

والجماعة اندفعوا وراء المعونات الأمريكية ـ كما يقول إيرلاند ـ فقال الشيخ :

ـ الجماعة لاترغب فى الحصول على سنت واحد من المال الأمريكى .

وسيكون المشروع بأكمله فى يد السفارة الأمريكية . ويسعد الاخوان امداد السفارة بالاشخاص المناسبين بالقدر الذى تراه السفارة ضروريا .

رفض ايرلاند العرض قائلا :

ـ لن ترحب الحكومة الأمريكية بمثل هذا العرض . إن معوناتنا لاتقدم للمنظمات الخاصة أو المنظمات شبه العلنية . ولكنها تقدم فقط للحكومات كما هو الحال بالنسبة لليونان وتركيا .

قال المرشد العام :

ـ لا أريد اجابة ولكنى ارغب فقط فى عرض الفكرة وسيجرى محمود عساف معك محادثات تفصيلية .

ولكن ..

فى اليوم التالى نشرت صحيفة « الاخوان المسلمون » مقالا عنوانه « أمريكا والعالم العربى » .. هاجمت فيه الولايات المتحدة الأمريكية .

قال الكاتب عمر عزمى :

« هذا القلم الذى بهرنى منظره واجتذبتنى بهرجته فاشتريته ثم ندمت على اقتنائه حسن المظهر سيئ الجوهر .. هذا القلم أمريكى .

وهذه القصة أو المجلة التى اعجبنى مجلدها واستهوتنى صورها أمريكية لأنها قصة فجة بلا حبكة ، ولا موضوع ولا أسلوب أدبى .

وهذه ربطة العنق المتعددة الألوان الفاقعة ، أمريكية لأنها ذات مادة رخيصة سرعان ما يذهب طلاؤها ويتمزق نسيجها .

وهذه السيارة الفارهة التى تخطف بصرك فى الشوارع بلونها الباهر وهيكلها الفاخر ، لاتلبث بعد فحص محركها إلا أن تلعن بائعها ، أمريكية .

وهذا الشاب الوسيم ذو المنظار الذهبي الذى يتنآى مظهره مع مايبطن من عربدة فى الأخلاق ، وجهل فى الثقافة العامة ، أمريكى ولكنه تلقى فنون الاحتيال على الطريقة الأمريكية ! !

وفى وسعنا أن ندرك كنه هذا الطابع وسره إذا رجعنا إلى تاريخ تكوين الولايات المتحدة الأمريكية ، فالشعب الأمريكى خليط من مختلف الاجناس التى هجرت أوطانها واتخذت من أمريكا وطنا لها .

وهؤلاء المهاجرون ماديون بنشأتهم ، أنانيون بطبعهم لايهمهم من الحياة إلا التنقيب عن الذهب واتخاذ دولارات منه يغرون بها العالم » .

ويزور ايرلاند صديقا له فيجىء الشيخ حسن البنا لزيارة ذلك الصديق .

وعلى الفور قال ايرلاند للشيخ :

ـ أشعر بالدهشة لأنك عرضت بذل جهود مشتركة بين الاخوان ، والسفارة وفى اليوم التالى مباشرة نشر عمر عزمى مقالا فى جريدة الاخوان حمل فيه بعنف على أمريكا وسياستها ووصفها بأنها مخادعة وهاجم نزاهة الأمريكيين عامة .

حاول الشيخ البنا أن يصور المقال بأنه ليست له أهمية وأنه نتيجة الغضب الذى يشعر به الاخوان تجاه أسلوب أمريكا فى فلسطين

ـ أترك مثل هذه الأمور لرئيس تحرير الصحيفة وربما سيحل محله شخص آخر . وآمل ألا يؤثر هذا الحادث على اقتراحاتى .

قال ايرلاند :

ـ من الصعب اتخاذ اجراءات عملية !

وتوجه محمود عساف ومحمد الحلوجى ـ بعد ذلك ـ لمقابلة ايرلاند وبحثا معه تفصيلات انشاء مكتب لمكافحة الشيوعية ولكن ايرلاند أبلغهما بأن هناك أملاً ضئيلاً فى تنفيذ المشروع .

* * *

ويفشل حسن البنا فى الاجتماع بابراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان ولكنه يلتقى بأحمد خشبه باشا رئيس الوزراء بالنيابة ليدعوه إلى تنسيق النضال المشترك .

وافق خشبه باشا ولكنه طلب إلى المرشد العام الانتظار حتى يعود النقراشى باشا من مجلس الأمن .

وتوجه صحيفة الاخوان نداء إلى الأمة يدعوها لضم الصفوف لتحقيق الحرية والاستقلال بدلا من الانفعال المؤقت ، وتوخى اليقظة والتأنى بدلا من المظاهرات الغاضبة ، وتطالب الجماعة بطرد الموظفين البريطانيين وعدم تأجير الشقق لهم أو التعامل معهم وإبعاد البريطانيين ورعايا الدول التى صوتت ضد مصر فى مجلس الأمن من البلاد !

ويستمر الاخوان فى حملتهم على الوفد فيصدرون يوم ٨ من سبتمبر مجلة باسم « الكشكول الجديد » تتخصص فى الهجوم على الوفد .

تولى رئاسة تحرير المجلة الدكتور محمود عساف مدير شركة اعلانات الاخوان الذى يستقيل من عضوية الهيئة التأسيسية للجماعة حتى لايقال إن الاخوان يهاجمون الوفد بنفس أسلوبه بل ينسب الهجوم إلى صحيفة لاتنتمى للجماعة .

ويشترك فى التحرير الشاعر محمد مصطفى حمام ..

وكانت قد صدرت فى مصر مجلة « الكشكول » لصاحبها سليمان فوزى لتهاجم سعد زغلول .

واتبعت « الكشكول الجديد » أسلوب « الكشكول » الأول القديم لتهاجم زعيم حزب الوفد الجديد مصطفى النحاس باشا .

ومن العدد الأول ، انتقدت المجلة زعيم الوفد الذى يحمل لقب « سير » من بريطانيا . وتهاوت المجلة فى هجومها على الوفد وزعيمه إلى مستوى جريدة « صوت الأمة » وغيرها من صحف الوفد.. فقد انحدرت صحف ذلك الزمان واندفع الاخوان والوفد بعنف فى الهجوم واللدد فى الخصومة .

* * *

عاد النقراشي إلى مصر يوم ٢١ من سبتمبر بعد غياب طويل فأعد له الاخوان استقبالاً حماسيا رائعا على أمل أن يسلك طريقهم فى الجهاد ضد الانجليز .

ولكن النقراشي كان قد فقد توازنه كما يرى سيريل كويليام مراسل صحيفة التايمس البريطانية الذى كتب يقول :

« أحس النقراشي بأن العالم يقف ضده . وأن مهمته فشلت فشلا كاملا » .

ولم يكن النقراشي وحده الذى يشعر بذلك بل غمرت هذه الأحاسيس مصر كلها .

وجدت مصر نفسها فى عزلة بعد قرار مجلس الأمن . وساعد قيام الحرب الباردة على زيادة مخاوف المصريين من قرب قيام حرب عالمية ثالثة . وبقاء القوات البريطانية إلى أجل غير مسمى فى مصر وعودتها إلى احتلال قلب المدن الكبرى .

وانتشر وباء الكوليرا ليضاعف السخط الشعبي . قتل الوباء ١٢ ألفا من المصريين . ولكن الحكومة ـ بعد ٣ شهور ـ نجحت فى القضاء عليه .

ودعا الاخوان إلى مقاطعة الأمم المتحدة والدول التى وقفت ضد مصر فى مجلس الأمن . وتظاهروا تحية لرئيس الوزراء وتأييدا له بينما حملت عليه الصحف الوفدية .

وطلبت الجماعة إلى شعب وادى النيل إعلان الجهاد قائلة إن ذلك ليس تعصبا وليس نضالا مؤقتا . ودعت النقراشي إلى قيادة الشعب فى الكفاح أو يفسح الطريق لوزارة ثورية مجاهدة .

وتجمعت المظاهرات بعنف ضد الانجليز فى الإسكندرية .

وتحرك الشيوعيون فحرضوا على أكبر اضراب فى مصانع الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى وشاركوا فى اضراب لعمال شبرا الخيمة .

* * *

حدد النقراشي سياسته وهى « تجاهل الانجليز تجاهلا تاما » ..

كان ذلك دون مطلب الاخوان . فبعثت الجماعة إليه برسالة قالت فيها :

« شعر الاخوان منذ عودتكم من أمريكا ، بعد تعليق القضية المصرية فى مجلس الأمن ، بأن تلك الحماسة الباهرة خبت جذوتها ولانت حدتها .

ولم يجد الاخوان أن الحكومة خطت بالأمة خطوة حازمة فى تحقيق مطالبها . أو نهجت نهجا واضحا فى الاصلاح الداخلى يقضى على مظاهر التحلل والفساد فى حياتها الاجتماعية .

وقد أصدرت الحكومة أمرها إلى رجالها بالوقوف فى طريق نشاط الاخوان .

ومنع حفل فرع هيئة وادى النيل العليا بالمنيا لإنقاذ فلسطين بمجرد أن تبينت الإدارة أن للاخوان يدًا فى اقامته . وقبض على بعض طلاب الجامعة من الاخوان وزج بهم فى السجن وعوملوا أسوأ معاملة » .

ويكتب بنكنى تاك القائم بالاعمال الأمريكى إلى وشنطن يصف حال مصر . قال :

« حكـومة النقراشى مستقرة والجامعات أجلت الدراسة . والوفديون هادئون عدا مقالات يكتبها محمود أبو الفتح فى صحيفة « المصرى » .. المتصلون بالقصر يقولون إن صاحب الجلالة يرى أنه لاداعى لسحب ثقته من النقراشى فالملك يكره النحاس ولا يريد عودته . والمفاوضات مع بريطانيا لن تستأنف إلا إذا انسحبوا من مصر أو وعدوا نهائيا بالانسحاب .

ولكن الانجليز لن يتفاوضوا مع رجـل انهال عليهم بالسوط فى مجلس الأمن ، وجعل العالم ينظر إليهم باحتقار

ومع ذلك فالنقراشى يعتبر رئيس الوزراء المثالى لعقد معاهدة مع بريطانيا فقد أظهر مشاعره المعادية لها . وربما يقبل الشعب معاهدة يوقعها النقراشى أكثر من معاهدة يوقعها النحاس »

كان النقراشي قد انتصر وهو لايدرى .

توقعت وزارة الخارجية البريطانية أن يعود إلى القاهرة من مجلس الأمن فيطلب التفاوض مع بريطانيا لإنهاء الأزمة . ويهدد بعرض نتيجة المفاوضات على المجلس ، والرأى العام العالمى ويثير المشاكل .

ولذلك أرسلت وزارة الخارجية إلى رؤساء أركان حرب القوات البريطانية تطلب منهم الوصول إلى حل يرضى مصر ويتفق مع المتطلبات العسكرية البريطانية فى الوقت نفسه .

وقالت وزارة الخارجية :

ـ نريد بداية جديدة للمفاوضات لاتعتمد على معاهدة ١٩٣٦ أو مشروع معاهدة صدقى ـ بيفن .

ولاتوجد فرصة للاتفاق مع مصر على وضع وحدات عسكرية أو نواة قيادة إقليمية للشرق الأوسط وقت السلم .

ولا توجد لدينا تسهيلات فى فلسطين ولكننا نمسك زمام الأمور فى برقة بليبيا .

وطلبت وزارة الخارجية من القادة العسكريين بذل كل جهد لتخفيض مطالبهم العسكرية من مصر وقت السلم وتمسكت بحق عودة القوات البريطانية إلى مصر عند الضرورة .

وقالت وزارة الخارجية للقادة :

ـ نريد تحسين فرصة الوصول إلى معاهدة مع مصر.

واستعملوا التسهيلات العسكرية فى مناطق ليست كثيفة السكان مثل سيناء وإقامة قواعد بديلة فى الدول المجاورة كالأردن بدلا من منطقة القناة ودلتا نهر النيل .

اجتمع رؤساء أركان الحرب وبعثوا إلى وزارة الخارجية فى ٢٠ من نوفمبر ١٩٤٧ يقولون :

« لا يمكن إقامة قواعد عسكرية مرضية فى سيناء والاردن مهما انفقنا من أموال طائلة . والأفضل العمل على تخفيض متطلباتنا وقت السلم

ولكن لايمكن الاستغناء عن مصر كقاعدة فى حالة نشوب حرب عامة فى الشرق الأوسط ولاتوجد منطقة أخرى لها نفس إمكانات مصر الصناعية وتسهيلات الموانى والطائرات والمنشآت الادارية والقوى العاملة

ومن الضرورى أن نحصل على حق إعادة دخول قواتنا وقت الحرب وضمان صيانة هذه التسهيلات وقت السلم

ولذلك يجب وجود فنيين بريطانيين فى مصر وقت السلم لأن المصريين لايستطيعون صيانة هذه المنشآت

وإذا أردنا سحب قواتنا بسرعة إلى سيناء فلا توجد بها إلا منشآت إدارية محدودة فى رفح ولابد من القيام بأعمال ضخمة لتوفير مصادر المياه ولا تتوفر عمالة كافية أو موان مجهزة ومستودعات »

وينتهى رأى رؤساء أركان الحرب إلى ضرورة إقامة القيادة المشتركة بمصر وقت الحرب .

ولكن رؤساء الأركان يخفضون مطالبهم إلى الحد الأدنى وقت السلم فيقترحون أن يبقى عدد محدود من الفنيين البريطانيين فى مصر بملابس مدنية وقت السلم لإدارة وصيانة المنشآت الإدارية لتكون صالحة للاستعمال والاحتفاظ بالحد الأدنى من التسهيلات الاستراتيجية فى منطقة القناة وقت السلم وحق إعادة دخول القوات البريطانية وقت الحرب .

ووافق القادة البريطانيون على أن يتولى المصريون مهمة حراسة المنشآت .

واقترحوا تدريب المصريين على الدفاع الجوى والقيام بطلعات إلى القواعد الجوية فى برقة وقبرص .

وهذه القرارات هى التى وافقت عليها مصر ، تقريبا ، فى اتفاقها مع بريطانيا ، بعد الثورة عام ١٩٥٤ .

ولكن النقراشى لم يكن يعلم بهذا كله .

ولم يكن الاخوان أو الوفد يعرفون .

* * *

فى تقارير المخابرات البريطانية أن ١٥ من الجماعات السياسية المتطرفة وحدت صفوفها فى سبتمبر من عام ١٩٤٧ لمقاومة البريطانيين تحت قيادة حسن البنا .

فقد أقامت منظمات الشباب الوطنى ـ الاخوان والشبان المسلمين ومصر الفتاة والحزب الوطنى وحزب مصر الفلاح الاشتراكى ـ جبهة متحدة على أساس وحدة وادى النيل وإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية السودان ١٨٩٩ وأبلغت السكرتير العام للأمم المتحدة بذلك .

ويكتب حسن البنا « إذا كانت الحكومة تثق بالأمة فعليها أن تتركها تجاهد » .

وترد الحكومة بتفتيش مقر صحيفة الجماعة ومركزها العام !

* * *

وفى أول يناير ١٩٤٨ قدم حسن البنا مذكرة إلى الملك فاروق طلب فيها إقالة وزارة النقراشى لسلبيتها بسبب تقاعسها عن المطالبة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وأتفاقية الحكم المشترك للسودان . واحتج على سياسة « السودنة » التى تطبق فى السودان واعتبر الحكومة المصرية مسئولة عنها !

وانتقد وقوف الحكومة مكتوفة الايدى منذ عودة رئيس الوزراء من مجلس الأمن : ودعا إلى تشكيل وزارة قوية قادرة .

وشكا من أن الحكومة أصدرت تعليمات إلى البوليس للحد من نشاط جماعة

الاخوان المسلمين منذ قدم الاخوان عريضتهم إلى الملك لإقالة الوزارة .

وحذر الشيخ من أن الاخوان لن يلتزموا الصمت أو يقفوا مكتوفى الأيدى . إذا أدت تصرفات الحكومة إلى ضياع حقوق البلاد .. غير أن الاخوان سيلتزمون بنصوص القانون والدستور فى معارضتهم !

وعارض البنا استئناف المفاوضات مؤكدا أن الكفاح المسلح هو الخيار الوحيد أمام مصر.

وقال إن شعب وادى النيل مستعد لتقديم جميع التضحيات ولايحتاج إلا إلى القيادة وحسن التنظيم .

واختتم البنا مذكرته ـ التى نشرتها صحيفة « الاخوان » ـ بالحديث عن المحنة الاقتصادية التى تواجهها مصر ودعا إلى تشكيل جبهة وطنية لتحقيق أمانى الأمة .

* * *

ويطرأ عنصر جديد فى الأزمات المتلاحقة بين الاخوان . والملك . والنقراشى ، يحول الأنظار عن مصر وعن كلمات النقراشى المدوية فى مجلس الأمن والتى سمعها الانجليز لأول مرة :

ـ أيها القراصنة .. أخرجوا من بلادنا ..

اتجهت مصر ولأول مرة منذ زمن بعيد إلى اليمن .

وكانت هناك أسباب قوية .. ولكنها كانت نقلة بعيدة !

ثورة .. ولكن بعيدة

أذيع فى عدن ـ يوم ١٤ من يناير ١٩٤٨ ـ أن ثورة قامت فى اليمن وأن الإمام يحيى حميد الدين قتل ، وأن عبد الله بن الوزير بويع بالإمامة .

وكان النبأ كاذبا فالإمام يجلس على كرسى العرش ، يحكم ، ويدير ، شئون البلاد !

ولكن النبأ جعل مصر كلها تتلفت حولها إلى اليمن ومايجرى فيه .. وإلى الاخوان المسلمين ودورهم فيه !

* * *

حكم الإمام يحيى بلاده منذ عام ١٩٠٤ وهو زعيم طائفة الزيدية التى تضم معظم السكان .

استطاع الإمام أن يجمع القوات لمحاربة العثمانيين الذين يحتلون اليمن . ووقع معهم معاهدة عام ١٩١١ حققت للبلاد الاستقلال الذى استكمل تماما بعد هزيمة الاتراك فى الحرب العالمية الأولى .

وعقد الإمام معاهدة مع إيطاليا اعترفت فيها باستقلال اليمن . وعقد مع السوفييت معاهدة تجارية .

واعترفت بريطانيا باستقلال اليمن عام ١٩٣٤ بمعاهدة ، كما وقع فى نفس السنة معاهدة مع السعودية لتعيين الحدود تنص على التحالف والمساعدة المتبادلة أثناء الحرب .

وفى عامى ٤٥ و٤٦ عقد معاهدتين مع كل من مصر والعراق .

وانضم للجامعة العربية وقبل عضوا فى الأمم المتحدة .

ولكن الإمام فرض سياسة العزلة تماما عن العالم الخارجى لخوفه الدائم من الأجانب ، بما فى ذلك العرب ، وما يتوقعه من تدخلهم فى شئون اليمن .

كان أول مافعله إغلاق المدارس ، وجعل مدرسة الصناعة سجنا ، وكان يعرض الجيش حافيا !

شكا الناس من ظلم الإمام ، وطلب وزراؤه زيادة المرتبات . رفض الإمام وقال للوزراء :

ــ قتل سلطان الجن ، وأصبحت حكومة الجن فى حالة فوضى . وإنى أحاول تعيين سلطان آخر بدلا من السلطان القتيل ، وعلى الناس الاحتماء ببيوتهم حتى يتم ذلك .

وأبلغ الإمام عماله بأن على الناس أن يستعملوا القطران فى بيوتهم وأبدانهم تحفظا من الجن !

صدّق الناس الإمام وأقبلوا على شراء القطران واختبأوا فى بيوتهم خائفين لأنهم ــ أى الجن ــ بلا سلطان يحكمهم .

اجتمع الإمام بوزرائه بعد أن سمع ذلك وقال لهم :

ــ مثل هذا الشعب لايمكن أن يثور على إمامه !

فى البرقية رقم ٥٧ وتاريخها ٣٠ من سبتمبر ١٩٥٤ قال وليم ساندز نائب القنصل الأمريكى فى عدن :

« يعتمد الإمام على الطابع الكهنوتى لسلطته . وهو أشبه بشخصيات الأمراء الذين ظهروا فى جنوب غرب ألمانيا فى العصور الوسطى .

وإدارة اليمن شخصية تماما .

الإمام هو السلطة التنفيذية ، والتشريعية ، والقضائية .

ويقال إنه ينسخ جلسات المحاكم بخط يده .

وأى طلب للحصول على أدوية من الصيدلية الملكية ، التى تحتكر هذه الأدوية ، يجب أن يصدق عليه أحد أمراء الأسرة المالكة .

وطلب الحصول على البنزين يجب أن يصدق عليه أمير آخر !

والأمن الداخلى على مايرام ، ولكن يتولى جنديان على الأقل ، من حرس القصر مراقبة كل زائر لليمن وينقلان تقاريرهما إلى الإمام مباشرة .

والميزانية وثروة الإمام الشخصية ، شئ واحد ، لا انفصال بينهما .

وتقدر ثروة الإمام الشخصية بـ ١٦٠ مليون ريال على الأقل ـ حوالى ٤٥ مليون جنيه استرلينى ـ وهذه الثروة مدفونة تحت بلاط قصره فى صفائح « جاز » .

ونظامه الضريبى « اغتصاب على نطاق واسع » .

وبسبب نظام الحكم انخفض الانتاج عما كان عليه منذ ثلاثين عاما .

والإمام فى الثامنة والسبعين من عمره . يصفه زواره بأنه شخصية جذابة ومؤثرة .

وأدت هذه الجاذبية إلى حمل الكثيرين ، ممن التقوا به ، على عدم تصديق أن هذا هو الرجل الذى سمعوا عنه الكثير جدا من الأشياء التى تحط من قدره !

وهناك شائعات بأن الإمام أصيب أخيرا بنوبة شلل .. وربما تكون هذه الشائعات نوعا من الأمنيات .

ومن النادر أن يغادر الإمام عاصمته .

وخلال السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية ، كان الإمام متهما على نطاق واسع بأنه موال لايطاليا لأن أوثق علاقاته مع الأجانب كانت مع الإيطاليين .

والأطباء الأربعة الذين لايوجد غيرهم فى اليمن .. إيطاليون .

والذين يعرفون اليمن جيدا يقولون إنه لم يكن مواليا لايطاليا ، ولكنه مناهض نشيط لبريطانيا .

وكان يرغب فى إدخال النفوذ الإيطالى إلى البحر الأحمر لموازنة النفوذ البريطانى .

وتأكد موقفه من عدم الثقة بالأجانب من خلال حوادث تعسة .

.. منذ بضع سنوات قيل إن غواصا يونانيا ، تلقى خمسين ألف ريال يمنى مقدما لتشييد بعض المنشآت فى ميناء الحديدة ، ثم اختفى .

ويحتل أبناء الإمام ، وهم « سيوف الإسلام » ، وعددهم تسعة ، معظم المراكز العليا فى الإدارة اليمنية .

أما إخوة الإمام الخمسة فقد طردهم جميعا من اليمن » .

وتنبأت برقية القنصل الأمريكى بالمستقبل . قالت :

« عين الإمام أبنه الأكبر أحمد ، وليا للعهد ، رغم أن شغل منصب الإمام يتم بالانتخاب لا بالوراثة .

وأحمد فى الثانية والخمسين من عمره . وهو نائب الملك فى تعز ، ويحمل أيضا لقب القائد العام .

وأكسبته أعماله ، التى اشتهرت بقسوة بالغة ، وخداع ، وانحراف ، لقب « النمر » .

وتجمع الآراء على أن حكمه سيكون أسوأ من حكم أبيه .

ولا يخلو حكم الإمام من عناصر المعارضة رغم الاجراءات القاسية . ومعظم المعارضين اللاجئين فى عدن ينتمون إلى « حزب الأحرار اليمنى » وهم شبان مثقفون تأثروا بالأفكار العصرية عن طريق مصر التى تروج لنزعات ديمقراطية تقدمية » .

* * *

وصفت صحيفة الاخوان المسلمين سوء الأحوال فى البلاد فقالت :

« يشعر الشعب اليمنى بأنه متخلف عن ركب الحياة ، يعيش فى مجاهل الظلام ،

بينه وبين الرقى والتقدم حجاب منيع من النظم والأوضاع التى لاتتفق مع مطالب العصر

وحاول المستنيرون من أبنائه أن يتقدموا بالنصيحة لجلالة الإمام . وطالبوا بالاصلاح الضرورى الذى لابد منه . فلم يجدوا إلا العنت والإرهاق مما اضطرهم إلى الهجرة والتشتت فى كل مكان وأطلقوا على أنفسهم « اليمنيين الأحرار » .

* * *

وصلت إلى اليمن بعثة فرنسية تطلب من الإمام يحيى السماح بمد سكة حديد من الحديدة إلى صنعاء فلم يوافق .

واتفقت شركة أمريكية مع اليمن على التنقيب عن البترول عام ١٩٤٦ . وبقى توقيع الإمام ولكنه رفض عندما علم أن أجر العامل فى الشركة ريال كل يوم فاستكثر الأجر بالنسبة لمرتب الجندى والعامل الحكومى كما أن أجر عشرة عمال للبناء أو الزراعة ريال واحد فى الشهر .

وفى كتابه « لمحات من ذكريات الطفولة » قال اللواء عبد الله جزيلان :

« نمى إلى علم ولى العهد أحمد أن أهالى تعز يحوزون صناديق الطرب « فونوغراف » فأمر العكفة — الحرس الخاص — باقتحام البيوت ومصادرة هذه الصناديق لأنها — كما تصور — سبب للفساد .

وهدد بهدم كل بيت يخفى شيئا من الصناديق ، أو الصحون « الاسطوانات » .

وهدمت بعض البيوت .. فعلا » .

وينتهز حسن البنا فرصة وجود صالح محسن سكرتير الإمام أحمد بالقاهرة . فيحمّله رسالة شخصية للإمام .. ثم يسلم القاضى العمرى رئيس الوزراء رسالة مماثلة

قال المرشد العام للإمام يحيى :

« لم يعد بد من أن تقوم فى اليمن حكومة إسلامية مسئولة ذات اختصاصات وسلطات واضحة يؤازرها مجلس شورى يمثل طبقات الشعب . ولن ينتقص ذلك شيئا من حقوق الإمامة وسلطانها الشرعى فلها الرأى الأعلى ولكنه تنظيم يرتفع معه شعور الأمة بحريتها وكرامتها الإنسانية .

وكان حرص جلالتكم على سلامة عقيدة الامة اليمنية وصيانة تقاليدها واستقلالها يحمل دائما على الحذر من التعجل بمطالب الاصلاح الذى لابد فيه من الخبراء الأجانب .

ونحمد الله على أنه وفق البلاد العربية إلى امتياز فى مضمار التقدم الاقتصادى يجعلها كفيلة بامداد اليمن بما تريده من الخبراء بمجرد اشارة من مولانا الإمام .

بقى أن أتقدم إلى جلالتكم مستأذنا فى شأن أبنائكم فى المهجر الذين دفعتهم الغيرة وحب الخير للدولة والأمة والله ، فتنادوا بالمطالب الاصلاحية ودعوا إلى الأخذ بأسباب التقدم العمرانى تدفعهم حماسة الشباب إلى شئ من التطرف » .

... وهكذا رأى الاخوان أن يكونوا واسطة بين الإمام وشعبه ، وحددوا للإمام دوره وما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم !

* * *

قدر عدد سكان اليمن بنحو خمسة ملايين يربط مدنها الكبرى خط تلغرافى حكومى ، ويدفع الأهالى ثمنا غاليا لبرقياتهم .

والتليفون للاتصالات الحكومية وحدها .

أما البريد فينقل بالجمال . ويملك اليمن باخرة واحدة ، وطائرة واحدة ، يستعملها الإمام .

وممنوع على الشعب أن يركب أية طائرة حتى لايطير يمنى فى السماء بينما الأمراء على الأرض !

وعدد السيارات ستون ! والطرق غير ممهدة .

وكانت لليمن إذاعة تعمل نصف ساعة ، بعد مغرب يوم الخميس من كل أسبوع ، لإذاعة الأخبار الرسمية ولا تقدم غناء أو برامج .

ولاتوجد ميزانية عامة للدولة !

ولم يكن بالبلاد بنك يمى أو أجنبى . والعملة المتداولة هى الريال الفضى النمسوى ، وعليه صورة إمرأة هى امبراطورة النمسا ماريا تريزا ، وقد تم صكه فى فيينا عام ١٧٨٥ !

ويعتمد الإمام يحيى على نظام الرهائن كما كان يفعل محمد على باشا والى مصر . فأتى إلى صنعاء بنحو ٤٠٠٠ من أبناء القبائل ليضمن ولاءها ويستخدم كل قبيلة ضد الأخرى .

وكان من الطبيعى أن ينظر اليمنيون إلى الإمام على أنه مبعث آلامهم وشقائهم وحرمانهم فبدأ الهجوم عليه فى ١٤ من مايو عام ١٩٤٤ عندما تحالف ضده أربعة من زعماء البلاد اللاجئين إلى عدن !

وعندما اشتدت الحملة أوفد الإمام يحيى ولى عهده الأمير أحمد إلى عدن فى ١١ من إبريل ١٩٤٦ فوعد بانشاء جمعية دستورية ولم ينفذ ذلك .

رأى معارضو الإمام التضامن ضده ، فاتحدت الجمعية اليمنية الكبرى التى يرأسها سيف الإسلام إبراهيم ــ الابن الثامن للإمام أحمد الذى أطلق عليه الناس لقب « سيف الحق » ــ مع حزب الاحرار فى ٢١ من نوفمبر وأصدروا فى عدن صحيفة جديدة « صوت اليمن » دفع لها التجار ٣٠ ألف ريال أى ما يعادل سبعة آلاف جنيه استرلينى للمطالبة بالاصلاح .

وكتب سيف الحق إبراهيم إلى أبيه يقول :

« أنا ضد حكمكم الذى لايعبر مطلقا عن حاجات الشعب بل يولد النقمة عليكم » !

وقام الأطباء فى عدن بفحص الإمام ، الذى بلغ الثامنة والسبعين ، فوجدوه ـ كما قالت صحيفة الاخوان المسلمين ـ مصابا بمرض لايستطيع معه أن يحكم على الأمور حكما صحيحا !

وقال فريق طبى ـ من البحرية الأمريكية ـ ، فحص الإمام فى مايو ١٩٤٧ ، بأنه يتوقع وفاته خلال شهور قليلة .

* * *

أثناء الحج التقى الشيخ حسن البنا بعبد الله الشماحى ـ المعارض اليمنى ـ وتلازما فى مكة والمدينة .

شرح الشماحى للمرشد العام الوضع باليمن . واتفقا على التعاون بين الاخوان والمنظمات الدينية اليمنية .

وعد البنا بمساعدة النضال اليمنى ، وفتح أبواب الجماعة للشباب اليمنى الذى جاء إلى القاهرة للدراسة .

قال الثائر اليمنى على ناصر العنسى :

«كنا ندرس فى الأزهر وبدأنا الاتصال بالاخوان المسلمين ، ومنهم حسن البنا الذى كان يرى أن اليمن أنسب بلاد استراتيجية ، ولها مناخ مناسب للاخوان وأخذ يهتم بنا اهتماما خاصا » .

وفى هذه اللقاءات كان الاخوان يقولون إنهم مقتنعون بأن الحكم فى اليمن « لا يمثل الإسلام بل يشوهه ولهذا فالاخوان ضده » .

وفى رسالة دكتوراه قدمت لجامعة بون عن « حركة المعارضة اليمنية » قال الدكتور أحمد قايد الصائدى :

« من خلال الطلاب اليمنيين فى مصر تحققت علاقة الاخوان بحركة المعارضة اليمنية . وهذه العلاقة ترجع بدايتها إلى أواخر الثلاثينات ، أو بداية الاربعينات » .

أعد المرشد العام خطة ذكية .

انتهز الأساتذة المصريون الذين يعملون باليمن فرصة وصول سيف الإسلام البدر ـ بن سيف الإسلام أحمد ولى العهد وحفيد الإمام يحيى ـ إلى القاهرة للعلاج فدعوه لحضور إحدى ندواتهم التى يقيموها فى المركز العام للجماعة .

وهناك تعرف البنا بالبدر وتم اللقاء مع الطلبة اليمنيين الذين يدرسون بالقاهرة .

وتوطدت العلاقة بين الجميع . وقام البنا بدعوتهم لقضاء يوم فى محافظة الفيوم .

وأثناء حضور إحدى الندوات تعرف الجميع على الفضيل الورتلانى وهو عالم ومجاهد جزائرى ـ فى الأربعين من عمره ـ اختير سكرتيرا عاما لجبهة الدفاع عن شمال أفريقيا . كافح ضد الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ثم هرب من فرنسا إلى سويسرا وأقام بمصر عندما علم أن الفرنسيين يزمعون قتله .

وكان الورتلانى يجتمع باليمنيين بعد انتهاء الندوات ويزورهم بالفندق ويتردد على سيف الإسلام البدر .

انضم إلى هذه المجموعة محمد سالم سالم صاحب شركة أتوبيس الشرقية ، وهو صديق للمرشد العام والعالم الأثرى الدكتور أحمد فخرى الذى زار اليمن من قبل وهو أيضا من الجماعة .

ومع تطور علاقة البدر بهذه الشخصيات نشأت فكرة سفر الفضيل الورتلانى إلى اليمن كمندوب عن محمد سالم لتأسيس شركة تجارية بها يرافقه الدكتور أحمد فخرى عالم الآثار. فقد استطاع البدر إقناع أبيه بأن الورتلانى على جانب كبير من العلم والدين .

* * *

وصل الورتلانى إلى صنعاء فى ابريل ١٩٤٧ . وقد ارتدى الجبة والعمامة !

نجح فى اكتساب ثقة الإمام وقدم إليه تقريرا عن الاصلاحات التى يجب القيام بها .

ونشرت صحيفة « الاخوان المسلمين » فى ٣ من أغسطس عام ١٩٤٧ هذا التقرير بمقدمة للشيخ البنا قال فيها :

« العالم العربى والإسلامى كله رجاء فى أن يسرع جلالة الإمام مؤيدا مشكورا باقرار النواحى الاصلاحية الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التى تنهض بشعبه حتى لايدع ثغرة ينفذ منها الاستعمار الأجنبى » .

* * *

مع قدوم الورتلانى ـ الذى أطلق عليه لقب « مهندس الثورة » ـ انتقلت رياحها إلى اليمن فقد اندفع الورتلانى فى اقامة الندوات والقاء المحاضرات فى المدارس والمساجد والحفلات فسربت روح الثورة إلى الشباب والضباط وطلاب المدارس .

وبسبب اعماله التجارية واتصالاته فى عدن ، وثقة الإمام فيه استطاع الورتلانى أن يقوم برحلات عدة إلى عدن دون أن يثير شكوك الإمام يحيى حوله ، ونتيجة لذلك أصبح الواسطة بين المعارضين المهاجرين والمنفيين فى عدن وبين قوى المعارضة داخل اليمن .

وفى كتاب « ثورة ١٩٤٨ » الذى أعده مركز الدراسات والبحوث اليمنى قال : « إن رسل الثورة ذهبت تحمل المعلومات إلى الثوار فى عدن وإلى البنا فى القاهرة وانتهت الاتصالات بالموافقة على أن يكون عبد الله الوزير إماما دستوريا لليمن على رأس حكومة دستورية » .

ونجح الورتلانى فى أن يؤلف بين كل المعارضين لإمام اليمن وجعلهم يوقعون « الميثاق الوطنى المقدس » فى ١٤ من سبتمبر ١٩٤٧ قائلا :

ـ هذا الميثاق تم بمعرفة واطلاع ومباركة زعيم الاخوان المسلمين الشيخ حسن البنا .

وأكد احمد حسن الشامى فى كتابه « رياح التغيير فى اليمن » : « وضع الورتلانى وحسن البنا الخطوط العريضة الأولى للميثاق لتكون اليمن نواة لدولة الإسلام ، إذا نشأت ، ونمت ، على مبادئ قرآنية .

وقد أيقنا أن اليمن أفضل من غيرها من البلاد العربية . ويمكن أن تكون منطلقا لدعوة إسلامية صادقة صحيحة بانشاء دولة تحكم بما أنزل الله وتستقطب زعماء وعلماء وعباقرة المسلمين »

وفى كتاب محمود عبد الحليم « الاخوان المسلمين : أحداث صنعت التاريخ » اعترف الكاتب بأن فكرة إعداد الشعب اليمنى للثورة نبتت فى المركز العام للجماعة !

وقال كتاب « ثورة ١٩٤٨ » :

« كان البنا يظن أن اصلاح المجتمعات العربية والإسلامية لايتحقق إلا فى ظل حكومة دينية أو خلافة إسلامية على نمط الخلفاء الراشدين ، مع اعتبار ما طرأ على العالم من نظم ونظريات وعلوم جديدة يؤخذ منها مايتلاءم مع أحكام الشريعة الإسلامية كنظام مزيج من القديم والحديث ليكون دستورا لحكومة خلافة إسلامية .

ورأى حسن البنا أن اليمن أنسب بلد عربى لتحقيق قيام دولته الدينية » .

ويقول الدكتور الصائدى :

« لم تقتصر علاقة الاخوان بحركة المعارضة على تقديم النصح والتوجيه ، وإنما تجاوزت ذلك إلى دعم مادى مكن هذه الحركة من النشاط الإعلامى ، فأصدرت صحفا ومنشورات علنية ، كما فتح الاخوان ، صدر صحفهم لشن حملات دعائية ضد الحكم القائم فى اليمن .

وهذه العلاقة تدخل ضمن المخطط العام للاخوان الطامح إلى إقامة دولة إسلامية تشمل العالم الإسلامى .

وقد لعب الاخوان دورا قياديا بارزا ، سواء فى تنشيط حركة المعارضة ،

وتحديد أهدافها السياسية ، أو فى الاعداد للانقلاب وتنفيذه ودعمه » .

* * *

أعدت فى عدن خطة الثورة والبيان الذى سيصدر بإعلانها وقام الاخوان بطبع هذا كله .

وكان حاكم عدن ـ ريجنالد شامبيون ـ يعرف القصة كاملة .. وقد رواها فى برقياته إلى لندن . قال :

« يوم ١٠ من يناير ١٩٤٨ تلقيت معلومات من مصدر أثق به أن رسولا وصل إلى عدن قادما من صنعاء يحمل انباء عن انقلاب وشيك فى العاصمة .

وأشارت المعلومات إلى أن هذا الانقلاب سوف ينفذ خلال أسبوع .

وحمل الرسول معه مشروع دستور ومسودة بيان لطبعها فى عدن بواسطة الصحافة اليمنية الحرة ونشره فى صحيفة « صوت اليمن » .

أوفد هذا الرسول إلى المندوب المحلى للمتآمرين فى عدن . وهو تاجر يمنى يتمتع بذكاء كبير ويملك قدرا من الثروة .

فور علم التاجر بالأنباء الواردة من صنعاء بعث لى ـ وهو فريسة لظن خاطئ بأنى سأوافق على مساعدة المؤامرة ـ يطلب أن أقدم طائرة تتولى إلقاء نسخ من بيان الثورة على نطاق واسع فوق اليمن لمنع إراقة الدماء وضمان الهدوء والثقة .

والبديل الآخر الذى طولبت بالموافقة عليه هو استئجار طائرة للقيام بمهمة حمل هذا البيان من عدن .

وثالثا . طلب تسهيلات لنقله شخصيا مع عدد قليل من رفاقه من عدن إلى هضبة معينة حيث يستطيعون الاتصال المباشر بالمركز اليمنى الاقليمى الهام (البيضاء)

وبطبيعة الحال . رفضت كل هذه الطلبات .

وعندئذ تم إبلاغى فقط باسم رئيس المؤامرة الذى اختير ليتولى الإمامة بعد وفاة الإمام يحيى وهو عبد الله الوزير.

وقال مصدرى إن المؤامرة واسعة الانتشار وقوية وأن المشتركين فيها من الشخصيات الهامة ذات النفوذ فى اليمن. وقيل إن عددا من أبناء الإمام شاركوا فيها بينهم على الأقل إبراهيم وعلى وإسماعيل.

أما «حزب اليمنيين الأحرار» فقد عرف أنه اشترك بطبع الكتيبات اللازمة.

وفى صباح ١٤ من يناير ١٩٤٨ ذكر لى مصدرى أن الإمام سيغتال فى ذلك اليوم أو فى يوم الجمعة ١٦ من يناير.

وبعد ذلك يعتزم القائمون بالعملية قتل ولى العهد سيف الإسلام أحمد فى «تعز»

وفى نفس الوقت تلقيت تحذيرا من مصدر موثوق به بأن ولى العهد قدم رشاوى ضخمة إلى مجموعة من رجال قبائل عدن لاستغلال الظروف المضطربة فى المحمية ـ عدن ـ لقتل سيف الإسلام إبراهيم والزعماء الآخرين لحركة اليمنيين الأحرار فى عدن واحراق مكاتبها وصحفها.

وتقع هذه المكاتب عند أطراف الحى اليهودى ويمكن تنفيذ مايريده ولى العهد بسهولة.

وطبقا لهذه المعلومات أصدرت تعليماتى إلى مدير الشرطة باتخاذ احتياطات خاصة عند مداخل الموقع المذكور.

وفى ظل تلك الظروف رأيت من الحكمة إلغاء الزيارة الرسمية للفرقاطة البريطانية «لوش كويش» لميناء الحديدة والتى كان مقررا لها يوم ١٦ من يناير خشية أن يساء فهم. أو تفسير. وجودها. فى يوم خطير كهذا سواء من جانب الإمام. فى حالة فشل المؤامرة. أو من جانب المتآمرين. فى حالة نجاحها.

وأبلغت الإمام برقيا أنه لابد من تأجيل الزيارة بسبب تغيير مفاجئ فى برنامج السفينة.

ووجدت هذه الحجة سندا لها من الاحداث فقد أرسلت السفينة بعد أيام قليلة على وجه السرعة إلى مقديشيو لوقوع اضطرابات هناك .

ولأسباب بديهية ، ألغيت أيضا زيارة كنت أعتزم القيام بها لجزيرة قران خلال الفترة من ١٥ إلى ١٨ من يناير . وكنت آمل خلالها إجراء مناقشات غير رسمية حول قضايا الحدود » .

* * *

فى صنعاء سلح رجل ونجح فى دخول القصر واقتحام غرفة نوم الإمام يحيى فى القصر. فاعتقد الثوار أن الخطة نجحت فأبرقوا بذلك إلى عدن فى ١٤ من يناير .

* * *

ويروى حاكم عدن ماجرى عنده . قال :

« فى ساعة مبكرة من صباح يوم ١٥ من يناير ١٩٤٨ أبلغنى مصدرى بأن صديقنا المشترك ــ التاجر خادم غالب الوجيه الوكيل التجارى للإمام يحيى فى عدن ــ تلقى فى ساعة متأخرة من الليلة السابقة برقية بالشفرة من صنعاء ــ من محمد على مرشد الوكيل التجارى لحكومة عدن فسّرها بأنها تعنى أن الإمام قتل .

وخلال يومين .. وصلت تقارير عديدة من مصادر موثوق بها تفيد أن الإمام قد مات .

وعلى الفور اصبحت عدن كلها مقتنعة تماما بذلك .

وكان سيف الإسلام إبراهيم على يقين من هذا النبأ إلى حد أنه أرسل برقية إلى عبد الله الوزير فى صنعاء لتهنئته بتوليه الخلافة ويلتمس منه الرأفة لأبناء الإمام يحيى .

وبعث سيف الإسلام إبراهيم بالنبأ إلى القاهرة وأماكن أخرى فى الشرق الأوسط مما أدى إلى صدور العديد من البيانات الصحفية والإذاعية » .

* * *

أذيع من عدن بيان الثورة وأن عبد الله بن الوزير بويع بالإمامة خلفا للإمام يحيي .

وعبد الله بن الوزير كان قائدا عاما لجيوش الإمام يحيي ومحافظا للحديدة وأصبح عضوا بارزا فى ديوانه - وهو سليل بيت إمامة وعلم ومن أسلافه المرتضى محمد بن إبراهيم مؤلف كتاب « ايثار الحق على الخلق » !

وأوفد حاكم عدن ضابط شرطة إلى سيف الإسلام إبراهيم لينقل إليه تعازيه الشخصية مما جعل الجميع يوقنون تماما بأن الإمام .. قد مات .

* * *

لم يعرف الثوار فى عدن حقيقة ماجرى فى قصر الإمام فى صنعاء .. فقد اعتقل « القاتل » قبل أن يقوم بمهمته فى اغتيال الإمام ، ولكنه ـ أى القاتل ـ استطاع الهرب فظن زملاؤه الذين رأوه يهرب أنه نجح فأذاعوا النبأ .

وعندما عرف حاكم عدن ذلك أسرع يبرق إلى لندن . قائلا :

« لم أقدم التعازى إلى سيف الإسلام إبراهيم . ولكن مدير الشرطة بعث إليه تحذيرا شخصيا من الاعتداء المنتظر من جانب أخيه سيف الإسلام أحمد . كما بعث إليه بجنود يحمونه من هذا الاعتداء وربما يكون الأمير قد أساء فهم ذلك بقصد .. أو بغير قصد » !

وظل الجميع زمنا يتبادلون الاتهامات حول الخبر الكاذب .. وأن الغرض من اذاعته « التوريط » .

قيل إن وكيل حكومة عدن التجارى فى الحديدة عرف بدخول « القاتل » إلى عرفة نوم الإمام يحيي فابرق بالنبأ إلى حاكم عدن الذى أبلغ به إذاعة لندن .

ولم ينتظر الثوار فى عدن مايصلهم من مصدرهم بل اكتسحتهم الفرحة ونشروا الخبر فى صحيفة « صوت اليمن » مع الميثاق وأذاعوا أيضا تشكيل حكومة الدستور .

وقيل إن ولى العهد أحمد هو الذى دبر تلك الاشاعة ليكشف أوراق المتآمرين .

ولكن الأقرب للمنطق فى ظل ظروف اليمن. فى ذلك الزمان أنه بمجرد دخول « المسلح » غرفة نوم الإمام ظن الجميع أن الإمام الذى يناهز الثمانين لن يستطيع مقاومة قاتله !

ولكن هذه الاشاعة أكدت لولى العهد أن مؤامرة تجرى للاطاحة به وأبيه فبقى بعيدا عن العاصمة ينتظر ويستعد .. متحفزا للمقاومة .

استدعى الإمام ، عبد الله بن الوزير وقال له :

ـ يا ولد ياعبد الله أنت تريد أن تكون إماما وهذه «تشعوبه » .. أى خيال !

استنكر عبد الله الوزير النبأ ووصفه بالإفك والبهتان وقال إن الجمعية اليمنية الكبرى استعملت اسمه لاثارة القلاقل فى صنعاء . وأكد بالإيمان المغلظة عدم علمه بشئ ..

ونشر ابن الوزير فى صحيفة « الإيمان » ـ التى تصدر بصنعاء ـ مقالا أكد فيه « ولاء لا تزعزعه العواصف للإمام يحيى وأن سيف الإسلام أحمد هو ولى العهد الشرعى الذى سبق أن بايعته بالخلافة ، القلوب ، قبل الأكف » !

تلقى حاكم عدن تقريرا من صنعاء يقول :

« كان الإمام يحيى مريضا جدا مرة أخرى فى ١٩ من يناير بسبب معاودة إصابته بمرضه المزمن ، وقد رفض أن يعالجه الأطباء (ليس هذا غريبا فى مثل هذه الظروف !) بيد أنه استجاب بطريقة جيدة لحقن المورفين التى كان ابنه سيف الإسلام الحسين يعطيها له »

وهذا التقرير يبين أن مرض الإمام فى الأيام التالية لمحاولة الانقلاب هو الذى أدى به إلى اتخاذ موقف سلبى ازاء عبد الله بن الوزير !

نشرت صحيفة الاخوان أحداث صنعاء بأسلوب آخر . قالت :

« مرض الإمام مرضا شديدا وتخلف عن شهود العرض الذى كان مقررا أن يحضره فى صنعاء ، وانطلقت الشائعات بوفاته . وتعجل الأحرار النبأ فأذاعوه فى عدن ، وأبرقوا إلى الدوائر العربية والإسلامية والصحف فى خارجها » .

فقد رأت الجماعة أنه من غير اللائق انخراطها فى مؤامرة تهدف إلى الاطاحة بملك .. بينما فاروق ملكا على مصر . ولذلك زعمت الجماعة عدم وجود معرفة مسبقة لديها عن المؤامرة . وأعلنت أنها تلقت انباء وفاة يحيى وخلافة الوزير له ونسخة من الميثاق المقدس عن طريق برقية من سيف الحق إبراهيم فى عدن !

* * *

تظاهر الإمام يحيى بالاطمئنان لموقف عبد الله بن الوزير ..

ولكنه أخذ يستعد لمقاومة الثورة القادمة فأمر أتباعه باخفاء عشرة ملايين جنيه من الذهب فى مكان سرى . وقتل الذين اشتركوا فى هذه العملية لضمان السرية الكاملة .

* * *

استمرت البلبلة شهرا ثارت خلاله عدة اسئلة عن بيان الثورة .. الصادر قبل موعده .

شرح حاكم عدن موقف الإمام يحيى خلال ذلك الشهر فقال :

« مازال الشيء الذى يحتاج إلى تفسير كيف أن مؤامرة واسعة النطاق بهذه الصورة لم يترتب عليها ـ إذا كانت قد فشلت حقا ـ توقيع عقوبات قاسية على العديد من زعماء المتآمرين .

وإذا كان الإمام يتمتع بحريته وقدراته فإنى استخلص أن المؤامرة قوية . لدرجة طاغية . والإمام عاجز عن التعامل معها . ومسموح له أن يعيش مجردا من القدرة على الاعتراض على أى شيء .

وإذا كان الإمام قد أصبح عاجزا فإن هذه الحقيقة تخفى بعناية .

والموقف غامض جدا . ويجب متابعة الأنباء بحرص والتعامل معها بتحفظ » .

* * *

كانت خطة الثورة في البداية انتظار موت الإمام يحيى موتا طبيعيا فهو مريض مسن .

ولكن رأى الثوار التعجيل بالثورة فقد كشفت ترتيباتهم . وبدأ الإمام ـ الذى شفى من مرضه ـ يمهد لضرب رجالات الثورة مما ولد حالة من الفزع فى صفوفهم إذ كانوا فى متناول قبضته . فلم يبق لديهم خيار فإما أن ينتظروا الضربة التى تقع أو أن يبادروا إلى تحاشيها بالقضاء على الإمام .

خرج الإمام يحيى يوم ١٧ من فبراير ١٩٤٨ فى سيارته إلى قرية « حريز » التى تبعد عشرة كيلو مترات عن صنعاء . وكانت عادة الإمام أن يخرج إلى الجبل يوميا ومعه حفيده .

أعد له كمين .

اعترضت موكبه إحدى سيارات الثورة ومعها مدفع رشاش وضع على عربة لورى فأطلقت منه رصاصات استقرت خمسون منها فى جسد الإمام المريض فمات فى الحال ومعه رئيس وزرائه القاضى عبد الله العمرى وخادمه .

وقتل ولداه الحسين ومحسن عندما أرادا مقاومة الثورة . وتركا بدون دفن ثمانية أيام كاملة كما قتل حفيد الإمام . واعتقل ثلاثة من أبنائه وهم القاسم وعلى وإسماعيل .

أبلغ زعماء القبائل والمحافظون فى أنحاء اليمن بأن الإمام توفى بالسكتة القلبية . ولكن خبر موته الدموى انتشر بين الناس ووصل إلى القرى مثيرا الشكوك تجاه الحكم الجديد .

فى القاهرة قالت صحيفة الاخوان :

« توفى حلالة الإمام إلى رحمة الله ، وحاول رئيس الحكومة السابقة مع بعض الأمراء أن يعارضوا الوضع الجديد فاعتدى عليه بعض أنصاره » !

* * *

لم تكن لبريطانيا ، أو الولايات المتحدة ، سفارة أو مفوضية فى صنعاء . وكانت بريطانيا تمارس علاقتها باليمن من خلال حاكم عدن .

قال تقرير لوزارة الخارجية البريطانية :

« هناك سخط شعبى نتيجة للحكم الطاغى والاستبداد لملك اليمن السابق .

وبعد محاولة فاشلة فى يناير لعبد الله الوزير كبير أسرة حاكمة فى اليمن ووزير الدولة السابق نجح مبدئيا فى القيام بثورة وأرسى قواعدها فى العاصمة ، وأجبر خصمه الأول سيف الإسلام أحمد ـ أكبر ابناء الإمام الراحل ـ على اللجوء إلى جنوب اليمن » .

أما الولايات المتحدة فعلاقتها باليمن عن طريق المفوضية الأمريكية فى جده .

فى برقية من ريفز شايلدز القائم بأعمال المفوضية الأمريكية فى جدة قال :

« قام بالاغتيال ضابطان يمنيان و ٢٦ جنديا . والضابط الرئيسى هو المقدم غالب سرى ـ من أصل تركى ومساعده ابن السلال ، من أصل يمى درس فى العراق ـ ودبر الاغتيال جمال جميل مدير الأمن العام فى اليمن . وهو عراقى » .

ولكن كتاب « ثورة ١٩٤٨ » يقول إن الشيخ اليمنى ناصر القردعى هو الذى قتل الإمام مع ١٥ رجلا .

وأعد كمين مشابه لولى العهد أحمد فى ضواحى تعز ولكنه تمكن من الهرب بعد أن تنكر فى ملابس الجنود .

* * *

بويع عبد الله بن الوزير أميرا للمؤمنين وإماما للمسلمين يوم ١٧ من فبراير عام ١٩٤٨

كان الإمام الجديد فى الستين من عمره

عرف بتمسكه بحقوق بلاده ودينه وعروبته .

وكان مشهورا بأنفته وشموخه وكثرة صمته مما جعل بعض الناس يتهمونه بالكبرياء .

قال أحمد الشامى فى كتابه « رياح التغيير فى اليمن » إن عبد الله الوزير كان روحانيا متصوفا . إذا لم يجد فى مجلسه من لايستحق الحضور معه بحسه وشعوره وفكره سبح فى عوالم أخرى . مفكرا أو مسبحا ومهللاً أو مستغفرا . أو متذكرا » ..

وكانت لهذه الصفات أثرها فى تغيير مصير الثورة اليمنية !

اختارت الثورة مصريا من أعضاء البعثة التعليمية المصرية فى اليمن من جماعة الاخوان وهو الدكتور مصطفى الشكعة ـ الذى أصبح بعد ذلك عميدا لكلية آداب جامعة عين شمس ـ ليكون مديرا للاذاعة فجعلها تعمل أربع ساعات يوميا .

وكان يقوم بدور المذيع والمقرئ والمطرب ومعد نشرات الأخبار والأحاديث !

ويقرر مجلس وزراء حكومة الثورة ، أو حكومة الدستور كما أطلق البعض عليها ، تعيين الورتلانى أول مستشار عام للدولة . ويطلب من الشيخ البنا والفريق عزيز المصرى أن يكونا من المستشارين العموميين للحكومة !

* * *

طلب الأمير إبراهيم من حاكم عدن « ريجنالد شامبيون » طائرة تابعة للسلاح الجوى الملكى البريطانى تقله إلى صنعاء . وطلب عبد الله بن الوزير من حاكم عدن المساعدة .

كان الحاكم يعرف مساوئ حكم الإمام يحيى ويميل لتأييد الثورة . ولكنه

تردد فى الاستجابة لهذه الخطوة فهى تعنى الاعتراف بالنظام الثورى الجديد فى اليمن .

بعث إلى لندن يطلب رأيها !

بحثت وزارة الخارجية البريطانية الموقف من جميع نواحيه وأعدت مذكرة جاء فيها :

« الشواهد لدينا غير كافية لنحدد ما إذا كان الحكم الجديد قد استقر كما يدعى . ولكن اثنين من أبناء الأمام السابق ـ وهما سيف الإسلام أحمد وسيف الإسلام الحسن ـ مازالا طليقين وقد يحاولان القيام بتمرد مضاد

وإذا كان عبد الله بن الوزير قد جاء ليبقى فهناك ميزات واضحة فى تبنى موقف ودى تجاهه فى الحال . وأية مساعدة تقدمها بريطانيا له ستترك انطباعا هائلا .. أما الحياد الفاتر فلن يكون لصالح بريطانيا فيما بعد

وإذا كان على بريطانيا مساعدة الثورة الآن والاعتراف بها فورا فعلينا أن نضرب الحديد وهو ساخن . ونطلب السماح بتمثيل دبلوماسى بريطانى فى صنعاء ورسم الحدود بين اليمن ومحمية عدن على أساس معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤

وإذا أيدنا من البداية نظام الحكم الجديد فستكون أمامنا فرصة أفضل لضمان موافقة يمنية على هذين الاقتراحين .

ومن ناحية أخرى إذا ألزمنا أنفسنا بالاعتراف بنظام حكم سوف ينهار فإننا ـ بطبيعة الحال ـ سنكون فى موقف أسوأ

ولما كان حاكم عدن هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا فينبغى أن نعتمد عليه لتفادى هذا الخطر . ولذلك يجب أن نترك له حرية الحركة مع التأكيد على الحذر فلابد من أن نكون على يقين من استقرار الثورة قبل عمل شىء قد يعتبر اعترافا ضمنيا بها » .

وافقت الحكومة البريطانية على هذه السياسة فقد وحدت « أن الثورة لم تستقر تماما » .

وطلبت من حاكم عدن أن يرفض طلب الأمير إبراهيم باعطائه طائرة وأن يتحسس ـ الحاكم ـ خطواته ببطء !

وكان القرار البريطانى يعنى الانتهارية .. والانتظار حتى تستقر الثورة !

ولكن الأمير إبراهيم لم ينتظر بل قام وزملاؤه بالسفر إلى صنعاء بطريق البر.

* * *

رفض سيف الإسلام عبد الله ـ شقيق الإمام أحمد ـ الاعتراف بعبد الله الوزير إماما .

وأبرق من باريس إلى صحافة القاهرة يقول :

« المأساة مفجعة . ولا يمكن أن تقوم مبايعة شرعية حرة تحت جو من الضغط . ولا يوجد من به دم يجرى ، وعرق ينبض ، إلا ويؤيد انتصار الحق وعودة الأمور إلى مجراها تحت راية الإمام الشرعى جلالة الإمام أحمد نصره الله .

ولابد من معاقبة المجرمين » .

وأسرع سيف الإسلام عبد الله إلى القاهرة يزور والترسمارت الوزير المفوض للشئون الشرقية بالسفارة البريطانية ليتأكد من حياد بريطانيا إزاء أحداث اليمن .

سأله :

ـ هل تساندون أو تنوون تأييد عبد الله بن الوزير؟

آمل صدور بيان حكومتكم بالتزام الحياد وألا تدخل أية سفينة حربية بريطانية المياه الاقليمية كما آمل ألا توجهوا أى تشجيع أو مساعدة لحزب الاحرار اليمنى فى عدن .

وقال :

ـ لقد افزعتنى أنباء صحفية تشير إلى قيام سفن حربية بريطانية بعمليات فى مضيق باب المندب .

رد والتر سمارت :

ـ لم تعترف الحكومة البريطانية بالإمام الوزير ، ولن تعترف بأى إمام فى اليمن حتى تهدأ الأمور ويستقر النظام !

النكسة

أعلن الاخوان المسلمون من اليوم الأول تأييدهم للثورة فى اليمن ونشطوا فى مصر وسوريا والعراق يحركون رجالهم لمطالبة دول الجامعة العربية بالاعتراف بعبد الله الوزير وحكومته .

وهنأ المركز العام وصحيفة الجماعة « الأمة اليمنية الشقيقة بنظامها الجديد وإمامها الصالح » .

وأبرق المرشد العام للإمام مهنئا فأذيعت برقيته من إذاعة صنعاء .

ووصفت صحيفة الأخوان الامام الجديد فقالت :

« عرف الإمام عبد الله بن الوزير الإمام الجديد بدينه وتقواه ، وفقهه وعلمه واجتهاده ، وأصالة الرأى ونضوج الفكر ، وعظيم الغيرة على الدولة وأنه فقيه اليمن وشيخها وعالمها وحفيد الائمة من آل الوزير » .

وقالت صحيفة الإخوان :

« لا ينتظر أن يحدث شيء من حروب أهلية ، أو ثورات داخلية فإن الوضع الجديد اختمر فى النفوس والرءوس من قبل ، وهو أمنية الجميع رؤساء ومرءوسين » .

ونشرت الصحيفة ـ بعد ٤٨ ساعة من قيام الثورة ـ « الميثاق الوطنى المقدس » للحكومة الدستورية الجديدة .

وقالت إنها « تنفرد بهذا النشر لا فى مصر وحدها ، بل فى جميع بلاد الأرض » !

وهذا يدل على أن الميثاق كان موجودا لدى الجماعة فى القاهرة ... فقد شاركت فى إعداده وارتبطت بالثورة قبل قيامها !

قال الدكتور الصائدى :

« لعب الفضيل الورتلانى دورا أساسيا فى وضع الترتيبات اللازمة لانتقال الإمامة بعد موت يحيى إلى عبد الله الوزير .

وقد شملت هذه الترتيبات تحديد أسماء اعضاء الحكومة والموظفين الثوريين ومديرى الوزارات » .

وأكدت صحيفة الاخوان تأييدها للثورة مرة أخرى يوم ٢٢ من فبراير سنة ١٩٤٨ .

قالت :

« ليس موقف الاخوان غامضا ولا غريبا فى هذه القضية من أولها إلى آخرها .

كان اليمنيون بالقاهرة يترددون على المركز العام ، فيجدون من الاخوان مشاركة فى مشاعرهم وعطفا على مطالبهم .

وقد فوضت الجمعية اليمنية الكبرى المرشد العام فى التحدث باسمها امام الجامعة العربية » .

- وأعلنت الصحيفة « أن النظام الثورى الجديد فى اليمن يلقى من الشعب كل تأييد ، وينال ثقته التامة . بل هى أمنيته وهدفه الذى لقى الاحرار فى سبيل الوصول إليه كل صنوف العنت والاضطهاد .

وهو نظام مطابق لما يقضى به المذهب الزيدى الذى لا يقر الإمامة بالوراثة بل تكون بالبيعة ورضاء الشعب .

وليس السيف أحمد ـ ولى العهد ـ بالشخص الذى ينال ثقة اليمنيين أو يجد فيهم أنصارا يحدثون شغبا من أجله

واليمن هادئة مطمئنة إلى عهد الشورى وإلى القائمين عليه ولا ينقصها – حتى تستعيد تاريخها المجيد – إلا أن تؤازرها الجامعة العربية ودولها » .

* * *

استأجر الاخوان طائرة خاصة أقلت عبد الحكيم عابدين السكرتير العام للجماعة وأمين اسماعيل سكرتير تحرير صحيفة الاخوان وعبد الرحمن نصر مدير وكالة الأنباء العربية .

وحمل الوفد معه مكبرات للصوت بهدف دعوة القبائل لتأييد الثورة .

كان فى انتظار وفد الجماعة بمطار صنعاء الأمير محمد البدر الابن الوحيد للسيف أحمد وحسين الكبسى وزير الخارجية وعدد من الوزراء مما يدل على اهتمام حكومة الثورة بالاخوان .

أصبح عبد الحكيم عابدين خطيب الانقلاب فى إذاعة صنعاء وكان يساعده فى الخطب ووضع برامج الاذاعة الاخوان المسلمون المصريون الذين يعملون مدرسين فى صنعاء .

عادت الطائرة إلى جدة تقل وفدا يمنيا للقاء ممثلى الجامعة العربية يتألف من نجل الامام الجديد عبد الله بن على بن الوزير ، والفضيل الورتلانى ، ووزير المعارف فى حكومة الثورة .. محمد محمود الزبيرى لشرح الموقف فى اليمن للملك عبد العزيز .

زار الوفد اليمنى « تروت » القائم بالاعمال البريطانى وكرر له طلب الدبابات والطائرات ولكن « تروت » اعتذر قائلا :

– لا أملك سلطة التصرف فيما يختص باليمن وأى طلب يجب أن يقدم إلى حاكم عدن فعلاقات اليمن ببريطانيا تتم عن طريقه .

وسأل الرجلين عن موت الامام الراحل فقالا إنه نتيجة للصراع القبلى .

وطلب الوفد ايمنى من الملك عبد العزيز دبابات وطائرات ولكن صاحب الجلالة أرجأ البت فى الأمر.

* * *

طلبت حكومة الثورة من دول الجامعة العربية الاعتراف بها ... ودعت وفدا من الجامعة لزيارة اليمن يرأسه عبد الرحمن عزام الأمين العام ليرى استقرار نظام الحكم الجديد فى البلاد.

ورأت دول الجامعة أن تطبق نفس السياسة الانتهازية البريطانية وإن اختلفت عنها فى بعض التفاصيل

قررت الجامعة إرسال لجنة تمهيدية إلى صنعاء للقيام بتحريات عن أحوالها ومعرفة طبيعة ما يجرى فى البلاد.

وعرض عبد الرحمن عزام أمين الجامعة على حكومة مصر أن تقتصر عضوية اللجنة على المصريين حتى تقوم مصر بتدبير الطائرة المقلة للجنة فرحبت مصر لتسبق غيرها من الدول العربية إلى عاصمة اليمن!

تولى رئاسة اللجنة عبد المنعم مصطفى أحد كبار موظفى وزارة الخارجية المصرية - الذى اختير فيما بعد أمينا مساعدا للجامعة العربية - وضمت اللجنة الدبلوماسى المصرى الدكتور حسن اسماعيل المستشار التجارى للمفوضية المصرية فى برن.

قاد الطائرة الحربية « الداكوتا » قائد السرب عبد اللطيف البغدادى الذى أصبح أحد أعضاء مجلس الثورة المصرى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

استغرقت الرحلة من القاهرة إلى صنعاء ٨ ساعات وتوقفت الطائرة فى جدة وفى جزيرة قران التى تبعد نحو ٩٠ كيلو مترا عن صنعاء.

وكان مستحيلا - فى تلك الأيام - أن تقطع الطائرة المسافة إلى صنعاء بلا توقف!

وصف البغدادى صنعاء فى ذلك الزمان فقال إنها قرية والمطار رملى يصلح بصعوبة ليكون مطارا .

وعندما هبطت الطائرة ــ يوم ٢٢ من فبراير ــ صفق بعض الاشخاص لنزولها سالمة . وكادت الطائرة أن تصدمهم فقد وقفوا أمامها لا يتحركون . ولولا أنه ــ أى البغدادى ــ انحرف بالطائرة لقتلهم جميعا !

وتبين من بين المستقبلين وزير الداخلية وبعض كبار الشخصيات ولكن لم يتعرف عليهم أحد لأن ملابسهم لا تختلف عن باقى العاملين فى المطار !

* * *

استقرت البعثة نحو أسبوعين فى صنعاء عرفت خلالها ــ كما يقول البغدادى ــ أن جماعة الاخوان وراء الثورة .

وكان حسن اسماعيل وهو من الاخوان المسلمين ، قد زار اليمن قبل ذلك فقال للبغدادى :

ــ توجد ثورة مضادة ونريد إلقاء منشورات على الأهالى فى تعز والحديدة وغيرهما من مدن اليمن لتأييد الثورة ودعوة اليمنيين إلى الهدوء والسكينة وتحكيم العقل .

وكانت المنشورات تنذر ولى العهد أحمد ورجاله بأن الثورة « ستصليهم ناراً حامية » !.

ومجدت المنشورات مبادئ الثورة فى الحرية والعدالة والدستور ، وأن الثورة قامت ضد الظلم والطغيان ، وإنقاذ البلاد من براثن الاستبداد والجهل والفقر .

ظن البغدادى أن تلك تعليمات عبد المنعم مصطفى فألقى من الطائرة بالمنشورات ثلاث مرات فى ثلاثة أيام ثم عرف بعد ذلك أن حسن اسماعيل يعمل للثورة فأبلغ عبد المنعم مصطفى بذلك قائلا :

ــ لقد أصبحنا طرفا فى خصومات اليمن وثورته .

ولكن صحيفة « الاخوان » فى القاهرة نشرت أن الطائرة قامت بالقاء مشورات للجامعة العربية وأخرى للحكومة فى انحاء اليمن !.

زعم البغدادى أن بالطائرة عطلا ولابد من الرحيل إلى عدن لاصلاحها. وكان هدفه من ذلك التوقف عن القاء المنشورات.

وعندما عاد إلى صنعاء وجد أن ولى العهد ورجاله يغيرون على صنعاء ليلا ويختفون نهارا وأن الطائرة يمكن أن تصاب بطلقات المهاجمين.

وقالوا له :

ـ إذا دخل ولى العهد صنعاء فإنه سيضع أعضاء الوفد فى برميل ملىء بالزيت المغلى !

عرض الأمر على عبد المنعم مصطفى قائلا :

ـ ليس لنا دور فى هذه العملية ويجب أن نرحل.

وفى اليوم التالى نزلت الأمطار وتبين أن بالطائرة عطلا فأصلحت.

ونصح اليمنيون البغدادى بعدم السفر فى تلك الظروف ولكنه رأى المخاطرة ونقل الوفد إلى جده ثم القاهرة.

* * *

أخذ الملك فاروق يعرقل سفر وفد الجامعة العربية من القاهرة وأصر على أن تقوم بنقله، بحرا، الطوافة « فاروق » بعد أن ضم إلى الوفد سكرتيره الخاص الدكتور حسين حسنى.

وأخيرا ـ فى ٢٩ من فبراير ـ غادر الوفد ميناء السويس يرأسه عبدالرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية وأعضاؤه الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودى ومظهر أرسلان باشا عن سوريا وعبد الجليل الراوى عن العراق وتقى الدين الصلح عن لبنان ومدحت جمعه عن الأردن.

ووصل الوفد إلى جده. وتأخر رحيله منها إلى اليمن ثم سافر إلى الرياض

بدعوة من الملك عبد العزيز للقائه يوم ٤ من مارس ثم عاد ليستقر فى جده يوم ١٢ من مارس .

ى الندوة التى عقدها مركز الدراسات اليمنية فى فبراير ٧٩ لتقييم ثورة ٤٨ قيل إن دعوة الملك عبد العزيز هدفت إلى منح الأمير أحمد الوقت الكافى لتعزيز قواته قبل وصول بعثة الجامعة العربية إلى اليمن !

انقسمت بعثة الجامعة العربية تجاه الثورة .

.. وقف ممثلو مصر والاردن والمملكة العربية السعودية موقفا معارضا للثورة بينما أبدى ممثلا لبنان وسوريا تعاطفا معها .

قال الشيخ يوسف ياسين للقائم بالأعمال البريطانى « تروت » :

ـ الملك عبد العزيز مصمم على عدم التورط شخصيا فى اليمن . ولكنه يرغب فى الحصول على معلومات دقيقة . وقد أتوجه إلى صنعاء .

* * *

اجتمع ريفز شايلدز الوزير الامريكى المفوض فى جده بالملك عبد العزيز . وحضر الاجتماع فؤاد حمزة مستشار العاهل السعودى .

سأل الوزير الامريكى صاحب الجلالة عن اليمن فقال صاحب الجلالة :

ـ ليست لدى أنباء جديدة ولا أعرف ما إذا كان الأمير أحمد ينوى الذهاب إلى صنعاء أم لا .

وأضاف :

ـ يعد عبد الله بن الوزير أقوى رجل فى اليمن باستثناء الامام الراحل .

وقال بحرص :

ـ القوة والسلوك الاخلاقى أمران مختلفان تماما . وبالرغم من معرفتى بكفاءة ابن الوزير فلا أستطيع الحكم على قدراته إلا بعد اتضاحها عمليا .

علق شايلدز قائلا :

ـ استشعرت سرور حكومتى ـ الامريكية ـ تجاه الأسلوب الذى اتبعته جلالتك بشأن الأحداث فى اليمن .

وقال محرضا :

ـ أعربت الحكومة الامريكية لى عن وجهة نظرها بأنه فى حالة حدوث اضطرابات فى اليمن يمكن لجلالتك انتهاز الفرصة والتقدم داخل اليمن .

واستطرد :

ـ قلت لهم إن ذلك لا يتفق مع سياسة جلالتك .

قال الملك عبد العزيز :

ـ الحق كذلك فليست لدى أية مخططات عدوانية ضد اليمن .

وأكثر من ذلك فبالرغم من عدم وجود أية مصالح للمملكة العربية السعودية فى تأييد الجامعة العربية إلا أنى شعرت أن ذلك مطلوب للمحافظة على التضامن بين الدول العربية .

وعبر الملك عبد العزيز عن سياسة بلاده فقال :

ـ فى الوقت الذى تسود فيه الاضطرابات جميع أنحاء العالم فمن الأفضل الاحتفاظ بعلاقات ودية مع كل البلاد العربية .

قال أحمد الشامى فى كتابه :

« لم يستسغ الملك عبد العزيز أن يصرع جاره الامام المريض العجوز بالرغم من أنه كان صديقا حميماً لعبد الله الوزير . وكان فى قرارة نفسه يفضل أن يتربع على العرش ، ولكن بطريقة بيعة شرعية دون سفك دماء .

وكان الملك عبد العزيز يعرف الأمير أحمد وشدة مراسه ويخشى من نزق سيفه على الكثير من رجالات اليمن . ويخشى أن تثور فتن تضر باستقلال البلاد والانجليز على الأبواب .

ولذلك أوعز إلى عزام باشا أمين عام الجامعة العربية بالتدخل وحسَّن ذلك لكل من الإمام عبد الله والإمام أحمد فحكّما الجامعة العربية .

ولجأ أحمد إلى الموافقة على تحكيم الجامعة العربية احتياطا ومكرا واستعدادا لكل الاحتمالات » !

* * *

ويجتمع مجلس الشورى لأول مرة فى تاريخ اليمن فيؤدى إمامه الجديد اليمين الدستورية ويقسم بالعمل على سعادة اليمن وأهلها فيبايعه الأمير بدر ـ حفيد الامام يحيى ونجل الأمير أحمد ـ لانقاذ حياته !

أفرجت الثورة عن أكثر من ثلاثة آلاف من المعتقلين .

وقال المتعلمون الذين درسوا فى مصر : «كنا نعيش فى سجن كبير أشبه بسجون القرون الوسطى ، لا حرية فى القول أو التجارة أو الكتابة » .

ووصفت صحيفة « الاخوان » الهدوء فى اليمن وازدحام صنعاء بزعماء القبائل ووفود المقاطعات « التى قدمت بيعتها إلى عبد الله بن الوزير وأنهم وضعوا تحت تصرف جلالته قواتهم وفرسانهم ليدكوا حصن الظلم والاستبداد » .

* * *

ويعلن الامام الجديد فى حديث لصحيفة « الاخوان المسلمين » أنه « فى غاية الشوق لرؤية المرشد العام . وأنه ـ وإن كان قد رآه بالقلب ـ إلا أنه يود أن يراه رؤية العين . ولكم يكون مسرورا لو زار الشيخ البنا اليمن فى عهد الشورى الدستورى ليستشيره ويستأنس برأيه تحقيقا لايجاد الحكم الاسلامى الكامل » .

وأبرق حسين الكبسى نائب رئيس وزراء اليمن ووزير خارجيتها إلى الشيخ البنا يقول :

« يرغب جلالة الامام فى وصولكم شخصيا ونرجو ذلك بالحاح » .

وقال

ـ الاسلام هو الصلة القوية التى لاتنفصم عراها أبد الآبدين ، وأخوّة الاسلام فوق كل أخوة .

ولكن الحكومة المصرية منعت سفر الشيخ البنا كما يقول كتاب « ثورة ٤٨ » ، وكما أكد ذلك عبد القادر عودة وكيل الجماعة فى مرافعته أمام محكمة الجنايات فى قضية اغتيال المرشد العام . قال « إن الحكومة المصرية نبهت على شركة مصر للطيران بمنع سفر المرشد العام . وعلل ذلك بالخوف من أن تنتهى الأمور فى اليمن بغير ما يتمنى الجبابرة الطغاة » .

وفى القاهرة يعلن سيف الاسلام عبد الله أنه تلقى برقية من شقيقه الأمير أحمد يعترض فيها على نشاط الاخوان المسلمين فى اليمن .

* * *

ارتكبت الثورة أخطاء كثيرة .. أولها اغتيال الإمام بطريقة وحشية وهو عاجز ـ تقريبا ـ عن الحركة ينتظر الموت .

ولم يتظاهر الثوار بمعاقبة مرتكبى القتل بل أسندوا المناصب الهامة إليهم .. مكافأة لهم .

وكان من العسير على ملوك العرب التعاطف مع نظام حكم يرتكب الاغتيال السياسى الأول من نوعه فى المنطقة .. بقتل ملك !

وانقسم الثوار على أنفسهم متزاحمين على المناصب .

وعجز عبد الله بن الوزير عن تدبير المال لدفع رواتب الجيش المتأخرة وتأمين ولاء القبائل بالمنح .

وتصل القبائل إلى صنعاء لمبايعة عبد الله الوزير ويبقى جانب من رجالها فى صنعاء لنهب وسلب الحى اليهودى ومحلات المسلمين التجارية .

ويحاول بعض الغوغاء استغلال الموقف فيهاجمون قصر الامام يريدون نهبه

ويصدهم عنه قائد الجيش جمال جميل ــ العراقى .

ويصبح الأهالى الذين منعوا من السرقة خصوما للثورة . وتفقد صنعاء وباقى اليمن جو الأمن الذى أحاط بنظام حكم الإمام يحيى بغض النظر عما كان عليه من قسوة .

وتعتقل الثورة سيوف الاسلام داخل القصر الملكى بينما تبقى على الحراس القدامى للقصر الذين يدينون لهؤلاء الأمراء بالولاء فيستميلونهم ويبعثون بهم رسلا إلى الأمير أحمد الذى استطاع أن يخدع الثوار جميعا . بعد أن نجا من خطة ثانية وضعتها الثورة لاغتياله .

ونشر سيف الإسلام أحمد الشائعات بأنه محاصر فى حجة على مسافة خمسين ميلا من صنعاء وأن القبائل ترفض الانضمام إليه !

واذاع أنه طلب من الملك عبد العزيز آل سعود السماح له باللجوء إلى المملكة العربية السعودية . وقال إنه يريد الهجرة إلى حرم الله ولم يعد يطيق البقاء فى اليمن بعد قتل أبيه واخوته ولايريد إثارة فتنة .

وافق العاهل السعودى ولكن ولى العهد كان يناور ونجح فى تأليب القبائل اليمنية ضد الثورة ورشا الجنود بمائة ألف ريال من الذهب .

وأعلن الأمير أحمد أن نظام الثورة يحظى بمساندة السلطات البريطانية وناشد الأمير ــ فى حجة ــ القبائل أن تهب ضد الملك الذى عينه البريطانيون ! .

وأطلق شائعات بأن الطائرات البريطانية حلقت فوق صنعاء بعد يوم من الاغتيال ، وأنها أسقطت منشورات ! .

قوبلت هذه الأنباء بالتصديق من سكان اليمن فإن رئيس الوزراء القتيل كان أكثر المسئولين تمتعا بحب الناس وقبيلته تعتبر أقوى القبائل فى شمال اليمن .

وكان الامام يحيى نفسه يتمتع بتبجيل عظيم لدى غالبية الشعب ! وجاء مصرعه صدمة للجميع فلم تكن نهايته بعيدة أو غير متوقعة مما جعل مسألة اغتياله

مثيرة للاشمئزاز ، وأقنعت عددا كبيرا من اليمنيين بأن حياتهم لن تكون آمنة فى ظل حكم يرأسه قتلة !

تولت صحيفة الاخوان المسلمين الدفاع عن اغتيال الامام فقالت :

« الذين يريدون أن يحمّلوا الحكومة الجديدة تبعة اغتيال الامام يظلمونها أشد الظلم فإن كثيرا من أقرب المقربين إلى الامام يحيى حاولوا إغتياله أكثر من مرة ولا يستطيع إنسان عاقل أن يتصور أن عبد الله بن الوزير فى ورعه ودينه وعلمه وتقواه وسنه وجلال منصبه وجميل صلته بالامام يكون له أدنى اتصال بهذا الحادث .

ومن الخير للعدالة ولليمن وللعرب والاسلام ألا يرفع قميص عثمان من جديد وأن تنصرف الجهود إلى ما يجب أن يكون عليه الحكم والوضع الاجتماعى ثم تأخذ العدالة مجراها ويؤخذ الجانى بجنايته » .

* * *

قالت السفارة البريطانية من القاهرة فى برقية إلى لندن :

« صحيفة « الاخوان المسلمون » هى الصحيفة الوحيدة هنا التى تقدم مساندة حارة وكاملة لنظام الحكم الجديد فى اليمن » .

وتحاول حكومة الثورة تأجير طائرتين مصريتين لنقل الجنود ولكن الطائرتين لا تستطيعان الهبوط فى اليمن .

* * *

فى البرقية رقم ٢ التى بعث بها ريفز القائم بأعمال المفوضية الامريكية فى جده قال :

«كان من الممكن أن يميل الملك عبد العزيز إلى تأييد الوزير لولا وسائل العنف التى وصل بها إلى الحكم .

وهناك اعتبار هام وبارز بالنسبة للمملكة العربية السعودية وهو أن تخطى

الأمير أحمد وتأييد حاكم وصل إلى السلطة بوسائل عنيفة يمكن أن يصبح سابقة ودافعا لأثارة بعض المجموعات أو الفئات أو حتى بعض أفراد الأسرة السعودية الساخطين .

وفاضل الملك عبد العزيز بين عبد الله الوزير وأحمد ورأى أن الأخير أقل استعدادا وخضوعا للضغط لإدخال حكومة دستورية وإصلاحات واسعة النطاق يمكن أن يؤدى إدخالها إلى إثارة المطالبة بمثيل لها فى المملكة السعودية .

ولا تستطيع مصادرى تقديم أى دليل إيجابى على ذلك ولكنهم جميعا يرون أن الملك بمختلف الوسائل المتاحة إليه استطاع إرسال مبعوثين إلى اليمن فورا لجمع التأييد لصالح أحمد وتدعيم المقاومة ضد عبد الله الوزير .

ويمارس الملك عبد العزيز نفوذا عظيما على سكان اليمن غير الشيعيين .

ويقال أن سلطته المعنوية عليهم عظيمة . إن لم تكن أكبر من نفوذ الاسرة الحاكمة الشيعية نفسها .

وهناك تلميحات بأن توزيع كمية صغيرة من النقود بصور حكيمة على الشخصيات الهامة باليمن . الموجودة فى موقع السلطة . يمكن أن تؤثر بدورها على عدد كبير من السكان .

ومن الدلائل التى تعزز التفسيرات المطروحة امتناع الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية السعودى عن السماح بعبور وفد الجامعة العربية الذى أرسل من القاهرة إلى اليمن فى الوقت الذى لم يكن فيه القتال قد حسم بين أحمد وعبد الله الوزير .

وسمح بذلك حين أصبح الموقف واضحا !

ويعتقد أن معارضة الشيخ يوسف ياسين لسفر الوفد برئاسة عزام باشا من جده، تأثر بالجهود التى تبذلها الحكومة السعودية لتحقيق انتصار سريع لأحمد بالوسائل غير المباشرة .

وكانت تصرفات الملك عبد العزيز بالغة الدهاء والحكمة ، فقد التزم بالقرار

الجماعى للجامعة العربية . وأقدم على هذه التدابير الاحتياطية باعتبارها ضرورية لتحقيق نجاح أحمد دون اتخاذ اجراءات علنية تعرض المملكة العربية السعودية للنقد بتدخلها فى الشئون الداخلية لدول اخرى أو لعدم ولائها للجامعة العربية » !

* * *

ويزحف الأمير أحمد إلى صنعاء ويحاصرها عشرة أيام حتى استطاع رجال القبائل المؤيدون له تسلق أسوار المدينة واقتحامها فى ١١ من مارس ١٩٤٨ .

وتفشل أول ثورة فى العالم الاسلامى . للاخوان دور فيها . بعد حكم لم يدم سوى ٢٦ يوما !

ويقتل خمسة آلاف من سكان صنعاء .

وعندما يدخلها ولى العهد فى ١٣ من مارس يعلن نفسه ملكا باسم « الناصر لدين الله » .

وتبرق السفارة البريطانية فى القاهرة إلى لندن قائلة :

« أيد الشيخ حسن البنا والاخوان المسلمون عبد الله بن الوزير رغم التقارير التى وردت عن فشله »

ويبرق الشيخ البنا إلى إمام اليمن المنتصر يطلب منه الانضمام إلى جامعة الدول العربية طبقا لدستور يستند على الميثاق القومى !

ويعلن البنا تأييده لانضمام قائد التمرد عبد الله الوزير إلى الحكومة الجديدة كرئيس لمجلس الشورى لتتأسس-بذلك فى اليمن حكومة دستورية . وفى الوقت نفسه يطلب من الجامعة العربية احضار عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة وأمين اسماعيل ممثل صحيفة الاخوان إلى القاهرة على نفقة الجماعة .

ويستنجد المرشد العام بعزام باشا فى جده لانقاذ الثورة وعبد الله بن الوزير .. قائلا :

« مهمة مندوب المركز العام للاخوان المسلمين بصنعاء اقناع رجال الحكومة اليمنية الجديدة بالعمل على اطفاء الفتنة بأية وسيلة وتوحيد كلمة الأمة اليمنية . واقناع المسئولين هناك بقبول تحكيم الجامعة العربية على أساس اعلان دستور يمنى على قواعد الميثاق القومى واصدار عفو عام عن كل السياسيين اليمنيين الاحرار وغيرهم ، وتأليف الدولة الجديدة من الأمير سيف الاسلام أحمد إماما دستوريا إذا بايعه أهل الحل والعقد وعبد الله بن الوزير رئيسا لمجلس الشورى وحكومة

[illegible]

حتى تستقر الأمور » !

* * *

اقتيد الثوار إلى حجة فأمر الامام الجديد أحمد باعدامهم فى ميدان عام بسيف كالساطور . وقام السياف بضرب عنق عبد الله الوزير عدة مرات بعد صلاة الجمعة يوم ٩ من إبريل ١٩٤٨ .

ويعفو الامام عن ابنه الامير البدر ويكتفى بسجن عبد الله السلال وحمود الجائفى وعبد الرحمن الايريانى وأحمد محمد نعمان .

ويصبح هؤلاء جميعا ـ فيما بعد ـ ثوارا ضد الامام أحمد وينجحون فى ثورتهم ضد ولى عهده الأمير البدر !

وينجو من الموت الفضيل الورتلانى الذى غادر صنعاء ، قبل سقوطها بثلاثة أيام ، إلى جده ، فسمح له الملك عبد العزيز بمغادرة البلاد ويستقل الباخرة « الزمالك » ولكن جميع الدول العربية ترفض السماح له بالدخول ، فيظل سجينا على ظهر الباخرة شهرين ..-وينجح الاخوان فى تهريبه إلى بيروت ومنها إلى

اجتمع المصريون باليمن فى منزل أحدهم واتخذوا منه حصنا لهم يتناوبون السهر دفاعا عنه ويتبادلون اطلاق الرصاص مع مهاجميهم وابرقوا إلى مصر يطلبون انقاذهم .

زارهم أحد سيوف الاسلام يحاول الحصول منهم على معلومات عن الثوار المختفين فاقنعوه بارسال برقية إلى القاهرة يشكرون فيها الامام وسيوف الاسلام وقالوا بجونا من الأحداث . أيامنا جميلة فى طرة ولياليا طيبة كليالى الزيتون .

ولم يدرك سيف الاسلام أن طرة سجن والزيتون معتقل !

ولكن الحكومة المصرية فهمت الشفرة !

* * *

استدعى الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية المصرى عبد اللطيف البغدادى إلى الوزارة بعد منتصف الليل وأطلعه على برقية أخرى بتوقيع « المصريون فى صنعاء » .

قالت البرقية :

« انقذونا وإلاّ ... فاللقاء فى الجنة » .

قال حيدر :

ـ هل تستطيع العودة إلى اليمن لإنقاذ المصريين هناك .

أجاب بالإيجاب قائلا :

ـ هذا واجبنا . ولكن لو أصر بعض اليمنيين على ركوب الطائرة فلن نستطيع منعهم . وفى هذه الحالة ننقل دفعات متتالية إلى جزيرة قمران .

قال حيدر أنه سيفكر .

وطلب من البغدادى مغادرة الغرفة ليجرى اتصالات ربما مع الملك أو مع النقراشى ثم استدعى البغدادى مرة أخرى ليقول له :

ـ ادهب إلى اليمن وحلق بالطائرة فوقها قليلا ثم عد مرة أخرى دون أن تهبط فى المطار أو تنقل أحدا . إنها مجرد مناورة .

قال البغدادى :

ـ لم لا تترك لنا تقدير الموقف . إدا وجدنا المطار مستعدا لاستقبالنا هبطنا فيه وسيعرف المصريون فى صنعاء ذلك فيسرعون إلى المطار .

ومرة أخرى طلب حيدر أن ينفرد بنفسه ليجرى اتصالاته بالمسئولين ثم عاد يقول :

ـ لا تهبط بالمطار بل طف حوله ثم اهبط فى جزيرة قمران وأبلغنا بالموقف وعندئذ نقرر خطة العمل .

فى مطار صنعاء وضعت براميل « وخوازيق » لمنع هبوط الطائرة وأطلقت عليها رصاصات أصابت جناحها فلم تهبط فى المطار وإنما عادت إلى جزيرة قمران ثم جده والقاهرة .

وكان واضحا من تعليمات حيدر باشا أن حكومة مصر لا تريد انقاذ الاخوان المسلمين فى صنعاء أو إنقاذ أحد من الثوار بل تريد أن تتظاهر بمحاولة الانقاذ فحسب !

ولكن النقراشى باشا طلب إلى سيف الإسلام عبد الله الاتصال بشقيقه الإمام أحمد لإطلاق سراح المصريين وهدده فأفرج عنهم وسمح لهم بالسفر إلى تعز وعدن ثم القاهرة .

قالت وزارة الخارجية البريطانية :

« أعرب حاكم عدن ـ وهو مصدرنا الوحيد للأنباء ـ عن شكوكه فى صحة ادعاءات الامام أحمد بأن اليمن اصبحت تحت سيطرته التامة ويرى الحاكم أن هناك توقعات بحدوث مقاومة ضده فى جنوب اليمن لعدم وجود شعبية لأحد هناك » .

وكان السبب فى ذلك استمرار التزام الانجليز بسياسة الحياد الحذر فى الصراع على السلطة فى اليمن .

سأل فيليب ايرلاند سكرتير السفارة الامريكية بالقاهرة سيف الاسلام عبد الله شقيق الامام الجديد أحمد عما إذا كان يعتقد بوجود أى تأثير خارجى أدى إلى اشتعال التمرد قال الأمير :

ـ يبدو أن الاخوان كانوا يتوقون إلى تغيير نظام الحكم فى اليمن .

وأضاف :

ـ كانت صحيفة « الاخوان المسلمين » أول من نشر الانباء المزيفة حول وفاة الامام يحيى فى يناير وقد دأبت على مواصلة الهجوم عليه وعلىّ .... أى على سيف الاسلام عبد الله .

وفى البرقية رقم ٢٣١ قال فيليب ايرلاند :

« لا يعتقد الأمير بأن هناك تأثيرا غير ملائم من أية مصادر أخرى » .

وقال :

« الميثاق الوطنى الذى أصدره عبد الله الوزير والدستور غير مناسبين بالمرة كأساس لحكم اليمن فى الوقت الحاضر.

وقد وضع الميثاق مجموعة من المتحمسين الذين حصلوا على بعض الأفكار المتقدمة نسبيا . ولكنهم أخفقوا فى فهم درجة التحصيل الثقافى بالبلاد ولم يدركوا أنها ليست مهيأة للحكم البرلمانى » !

* * *

كان الاخوان ، كما يقول كاتبهم محمود عبد الحليم ، **« يتمنون أن تنجح الثورة ليكون للاسلام فى هذا العالم دولة ، ولكنهم أحسوا بقوى الشر تتألب عليهم وتجمع شتاتها لتفترسهم »** .

واتهم سيف الاسلام عبد الله جريدة الاخوان بتأييد ابن الوزير.

وقال لصحيفة البلاغ إن حكومة الثورة أرسلت ١٠٠ ألف جنيه إلى جماعة الاخوان المسلمين .

نفى الاخوان أنهم تسلموا المبلغ وقالت مصادر منهم أن المبلغ كان سيستخدم لشراء أسلحة لحكومة الثورة .

أوصى مجلس الجامعة العربية بالاعتراف بالامام أحمد ملكا على اليمن فاعترفت به كل من مصر والاردن والعراق والمملكة العربية السعودية وتأخر كل من سوريا ولبنان فى ذلك .

وطلب الامام من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاعتراف به .

وكانت الولايات المتحدة متلهفة على الاعتراف وعلى اتباع مبادرة الجامعة العربية ولكن بريطانيا أبلغتها بضرورة الانتظار حتى تختار بين الطرفين المتنازعين من وجهة نظر مصالح هذه الدول فإن السيطرة على البلاد تعد شرطا أساسيا للاعتراف .

واتفقت الدول الثلاث على إعلان اعترافها بالامام أحمد فى وقت واحد ، وتم ذلك فى ٢١ من إبريل .

اشتدت حملة سيف الاسلام عبد الله من القاهرة على جماعة الاخوان . وندد بدورها فى الثورة ، فى الوقت الذى تحطمت فيه آمال المرشد العام فى إقامة حكومة اسلامية فى اليمن بعد أن قضى النمر أحمد على الثورة . وتولى الملك .

وبدأت رسائل المرشد العام تتوالى على الامام الجديد تحاول تخفيف آثار النكسة

فى البرقية الأولى رجا المرشد العام جلالة الإمام « التكرم بالاتصال بالأمير سيف الإسلام عبد الله فى القاهرة ليمنعه من التأثر بسياسة الأحزاب المصرية ومن إلقاء بيانات لا تفيد أحدا فى الأزمة الحالية » .

ونفى الشيخ البنا اتهامات الأمير عبد الله .

وبعث عبد الحكيم عابدين إلى الإمام يطلب السماح بلقائه. فرد الإمام أحمد

بأنه يفضل أن يمنح عبد الحكيم شرف اللقاء عندما يصل جلالته إلى صنعاء لأنه يرى أنه مشغول جدا فى الوقت الحاضر !

وفى رسالة إلى الأمير عبد الله جذب المرشد انتباه سيف الإسلام إلى أن التنافس بين الأحزاب السياسية فى مصر تصاعد لدرجة أنه يمكن أن يحطم أى مبدأ أخلاقى أو دينى .

ومن الأفضل لسموه وللاخوان علاج الأمور بمنتهى الحذر ، وأن يبقى مترفعا عن تلك الانفجارات وأن ينفى البيانات التى أذيعت باسمه وينتظر حتى تسطع شمس الحقيقة ، وهو يأمل فى ان براءة الاخوان المسلمين سوف تثبت بمشيئة الله .

وبعث الشيخ البنا إلى وزير خارجية مصر أحمد خشبه باشا وإلى عبد الرحمن عزام باشا أمين الجامعة العربية مشيرا إلى البيانات التى اتهم فيها سيف الاسلام عبد الله الاخوان

وأشار إلى عدم جدوى هذه البيانات لأنها لا تتفق مع الحقائق ، ولن تؤدى إلا إلى تعقيد الأمور .

وكان واضحا من كل محاولات الشيخ أنه يخشى أن تنتبه مصر إلى أن الاخوان دبروا ثورة اليمن مما يفسر على أنهم قد يدبرون انقلابا آخر فى مصر .

* * *

أصبح فاروق يخشى قيام ثورة ضده ، كما حدث فى اليمن .

وكان فاروق يعرف دور الاخوان فى ثورة اليمن . ولابد أنه قرأ الكلمات التى بدأ بها الميثاق الوطنى المقدس .

« صارت أحوال اليمن منحطة إلى حد بعيد بسبب الاستبداد والأنانية اللذين اشتهر بهما الإمام يحيى حميد الدين حتى صار الغرض المطلوب من الإمامة معدوما فى كل ناحية » .

وكان فاروق يدرك أن الاستبداد والأنانية ليسا مقصورين على إمام اليمن يحيى حميد الدين ! !

* * *

وسط أحداث اليمن اشتدت المظاهرات عنفا فى مصر ضد الملك فاروق نفسه .

فى ١٩ من يناير ١٩٤٨ مزق طلبة جامعة فاروق صور صاحب الجلالة وهم يهتفون :

ــ لا ملك إلا الله .

اشترك الشيوعيون فى هذا الاضراب .

وتظاهر الطلبة والعمال بالاسكندرية يهتفون بسقوط الملك .

وتدور معارك الشوارع بين الوفديين وأعضاء الاخوان فى بورسعيد .

وكان ذلك فوق ما يحتمل النقراشى فاعتقل بعض الطلاب من اعضاء الجماعة .

ويكتب السير رونالد كامبل السفير البريطانى إلى لندن يوم ٢٨ من فبراير :

« توالت خلال الاسبوع الماضى الدلائل على أن استقالة النقراشى قد تكون وشيكة .

وقد أخبر النقراشى بنفسه شخصية قيادية من الجالية البريطانية ، بأنه يفكر فى الاستقالة مادام لا يرى بارقة أمل فى تحقيق تقدم مع البريطانيين .

وبالأمس أبلغ مراسل « التايمز » السفارة ، بأن النقراشى قد يخرج خلال أيام .

وكثرت التقارير التى تؤكد أن خروج النقراشى وشيكا حتى أن المرء بدأت تساوره الشكوك فهذه الشائعات ملحة وقاطعة بشكل غير عادى »

ولكن النقراشي لا يستقيل

* * *

كتب تشابمان اندروز إلى لندن فى ٣١ من مارس ١٩٤٨ :

« مصرى عرفته جيدا منذ سنوات أبلغنى أن الموقف الداخلى فى مصر سيئ جدا بالفعل .

وقال إن حكومة النقراشى لن تستمر أكثر من شهر آخر على الأكثر

وقال إن الملك يريد الابقاء على النقراشى حتى يمكنه الحصول مقابله على تنازل ما من البريطانيين . ولو أمكنه الحصول على هذا التنازل فسيستبدل بالنقراشى شخصا آخر .

وإذا لم يحصل على ذلك التنازل فسيتخلص من النقراشى نتيجة ضغط سياسى . ولا شك أن مثل هذا الضغط قد تزايد نتيجة للأزمة مع البريطانيين .

وحتى الأحرار الدستوريون بزعامة هيكل باشا تحولوا الآن ضد النقراشى وضد الملك .

وعندما تحدث عن الملك قال إنه فقد كل شعبية يتمتع بها » !

ولكن وزارة النقراشى استمرت فى الحكم لتواجه أزمات متتالية ..

تقدم ضباط الشرطة إلى الحكومة يطلبون تحسين حالتهم وزيادة رواتبهم . ولكن الحكومة لم تستجب لهم.. فأضربوا فى جميع أنحاء البلاد يوم ٥ من إبريل ١٩٤٨ وانتهز الشيوعيون الفرصة فتجمعوا فى مظاهرات طافت شوارع القاهرة والاسكندرية تهتف « نريد الخبز والعمل »

نهب اللصوص بعض المحال فى الاسكندرية واضطرب الأمن فاضطر وزير الدفاع إلى إنزال قوات من الجيش لحفظ الأمن فى القاهرة والإسكندرية ... واستجاب النقراشى لمطالب المضربين بأمر من الملك !

واشتعلت النار فى مستشفى القصر العينى بعد إضراب الممرضين.

ومرة أخرى استعان النقراشى بالجيش والشرطة.

وبدأت المؤامرات داخل الجيش.

فى أواخر نوفمبر ضبط عدد من صغار الضباط واتهموا بتدبير مؤامرة لاغتيال النقراشى والفريق إبراهيم عطا الله باشا رئيس الاركان وبعض كبار الضباط.

* * *

وتعود لندن ـ بعد تدهور الموقف فى مصر ـ إلى الاهتمام بالاخوان.

قال تقرير للمخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط إن أحمد حسين ـ زعيم مصر الفتاة ـ يريد الاندماج مع جماعة الاخوان.

وقال تقرير آخر إن حسن البنا يطمع فى وضع الأحرار الدستوريين تحت قيادته أو الاتفاق معهم على برنامج عمل.

ومن ناحيتها أعلنت الجماعة أنها تعارض الحكومة لموقفها السلبى.

* * *

وهكذا أصبح الاخوان ضد الجميع. الملك والحكومة والوفد.. والانجليز!

وتكتب السفارة الأمريكية إلى وشنطن تقول:

« سيكون دور الاخوان المسلمين هاما فى إثارة المسلمين فى كل مكان ضد اليهود ومن يؤيدونهم وخاصة إذا أصبح النضال لانقاذ فلسطين دينيا بجانب كونه سياسيا ».

وتتابع الاحداث بسرعة لتنتقل إلى .... فلسطين!

متطوعون .. فى المقدمة

كانت قضية فلسطين نقطة التحول فى تاريخ جماعة الإخوان .

قالت السفارة البريطانية :

« دخل الاخوان معترك السياسة خلال الاضطرابات التى شهدتها فلسطين بين عامى ١٩٣٦ و١٩٣٩ عندما لعبوا دورا رئيسيا فى أعمال الإثارة المعادية لبريطانيا » .

* * *

أصدرت بريطانيا ــ الوعد الذى عرف باسم وزير خارجيتها بلفور ــ بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود فى ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ .

وقررت عصبة الأمم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى عام ١٩٢٢ .

ومع تولى هتلر منصب المستشار الألمانى ــ رئيس الوزراء ــ بدأت عملية اضطهاد اليهود ، فسارعوا بالهجرة من المانيا فى الوقت الذى زاد فيه أيضا عدد المهاجرين اليهود من شرق أوربا .

وبينما أعلن هتلر تأييده للعرب فإن اضطهاده لليهود جعلهم يزحفون إلى فلسطين فاتجه إليها ثلث المهاجرين من ألمانيا وأوربا الشرقية .

اشتعلت الثورة العربية الكبرى فى ٢٥ من ابريل ١٩٣٦ عندما ناشدت الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسينى ــ مفتى فلسطين ــ العمال ورجال الأعمال العرب الاضراب والامتناع عن العمل وعدم سداد الضرائب . وطالبت الهيئة بريطانيا بوقف هجرة اليهود .

استمر الاضراب نحو سبعة شهور شلت خلاله حركة المواصلات والنقل والزراعة العربية وهوجمت المستوطنات الاسرائيلية . وجاء المتطوعون العرب من الاخوان المسلمين وغيرهم ليشتركوا مع الثوار . وتدفقت التبرعات على عرب فلسطين .

فى هذه الفترة ظهر دور الاخوان المسلمين كما تقول السفارة البريطانية فقد **« أرسلو التبرعات المالية والأسلحة للثوار الفلسطينيين وصنعوا لهم القنابل اليدوية وقاموا بالدعاية للثورة . واتضح أن معظم المنشورات التى ظهرت فى الأسواق . عن فلسطين كتبها الاخوان المسلمون »** .

وكان بن جوريون ـ الذى هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦ . وقدر له بعد ذلك أن يكون أول رئيس لوزراء إسرائيل ـ ينصح اليهود فى ذلك الوقت ـ عام ١٩٣٦ ـ بالاستعداد لأن المواجهة المسلحة محتومة بين العرب وإسرائيل . وأن الدولة اليهودية يجب أن تقوم على فلسطين كلها .

ولم يعرف عرب فلسطين ولا الإخوان فى مصر أفكار بن جوريون . ولم يستعدوا لمقاومتها !

* * *

كتبت مجلة الإخوان فى يوليو ١٩٣٦ بعنوان « جرائم اليهود فى مصر : « اليهود هم الذين اقرضوا سعيد باشا بالربا . وأوقعوا إسماعيل فى مصيدة الدين . وكانوا وراء شراء نصيب مصر من أسهم قناة السويس » .

وأضافت : « يكفينا ماأصابنا من هؤلاء اليهود فى كل زمان ومكان » .

وفى منتصف أكتوبر عام ١٩٣٧ اشتعلت الثورة العربية فى فلسطين من جديد .

ومرة ثانية ظهر دور الإخوان مما لفت إليهم نظر السفارة البريطانية بالقاهرة فقالت :

« جعلت أنشطة الاخوان فى فلسطين الجماعة محط أنظار المخابرات البريطانية والألمانية .

وهناك دليل من الوثائق التى تم ضبطها مع عميل المانى على أن الاخوان تلقوا أموالا من الألمان »

قال الشيخ محمد صبرى عابدين أمين سر الهيئة العربية العليا إنه على إثر ثورة عرب فلسطين ضد الانجليز واليهود زار مصر وتعرف بالشيخ البنا .

أكد له المرشد العام بصراحة ووضوح أن قضية فلسطين هى قضية المسلمين والعرب أجمعين ويجب عليهم أن يقاوموا ، بكل قوتهم ، عدوان الانجليز واليهود ويحولوا دون مؤامراتهم لتهويدها وطمس عروبتها وإسلاميتها . وقد ناشد البنا المسئولين المصريين القيام بعمل جدى لنصرة قضية فلسطين .

وعندما أعلن محمد محمود باشا رئيس وزراء مصر عام ١٩٣٨ فى حديث لصحيفة بريطانية أنه « لن يتناول فى محادثاته مع الانجليز موضوع فلسطين وأنه رئيس وزراء مصر لا رئيس وزراء فلسطين »

قال صالح عشماوى وكيل عام الجماعة : « كان تأثير هذا التصريح أشد من القنبلة . إن لفلسطين أبطالا مجاهدين وليس من العدل ولا من الانصاف أن نجعلهم موضع مقارنة مع أى زعيم ووزير مصرى حتى ولو كان رئيس وزراء « مصر » !

ويهاجم صالح عشماوى اليهود المصريين « لعدم قيامهم بواجبهم القومى حيال حرب فلسطين مثل جمع التبرعات » .

وتشتد حملة الاخوان على يهود مصر فى ذلك العام فتقول « إنهم يحتكرون تجارة الذهب ، وبيدهم كبرى الفنادق ، ويضربون بسهم وافر فى شراء الأراضى والعقارات ، ويسيطرون على أسهم معظم البنوك والمصارف .. وأعمال الأوراق المالية والصيارفة كلهم يهود » !

* * *

كانت فلسطين تتبع وزارة المستعمرات البريطانية فى إدارتها وتتبع وزارة الخارجية بالنسبة لعلاقاتها الدولية . ويشترك رؤساء الأركان فى المسئولية باعتبار أن القوات البريطانية تدافع عن الشرق الأوسط كله .. بما فيه فلسطين .

وبعد الحرب العالمية الثانية كانت وزارة المستعمرات ووزيرها كريش جونز لاتعارض اليهود إن لم تكن تؤيدهم

أما وزارة الخارجية ويرأسها أرنست بيفن فكانت ـ إلى حد ما ـ تؤيد العرب وكذلك رؤساء الأركان .

وأرادت الولايات المتحدة تصفية الاستعمار البريطانى سلميا ، وكذلك الاتحاد السوفييتى ، أما بريطانيا فقد رغبت ، لا فى تصفية الامبراطورية ، بل فى تقليل الخسائر بالتحول من الحكم الرسمى المباشر لدى الشرق الأوسط ، بالعمل على أن يكون للندن نفوذ غير رسمى فى المنطقة كقوة إقليمية . وحرصت بريطانيا على أن تبدو وكأنها سيدة الموقف وكان ذلك بعيدا عن الحقيقة فى عالم مابعد الحرب العالمية الثانية .

* * *

تغير الموقف فى الولايات المتحدة فجأة بوفاة الرئيس روزفلت وتولى نائبه هارى ترومان منصب الرئاسة فى ١٢ من إبريل عام ١٩٤٥ .

كان ترومان فى الستين من عمره . فشل فى أن يكون رجل أعمال فتحول إلى السياسة .

أراد أن يبدو حاسما فأصدر خلال فترة رئاسته قرارات خطيرة أكثر مما فعل أى رئيس أمريكى آخر .

لم يكن يعلم شيئا عن التجارب النووية التى تجرى فى عهد سلفه ، ومع ذلك أصدر القرار بإلقاء القنبلة الذرية على كل من هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين فأنهى الحرب فى الشرق الأقصى .

ووافق على مشروع مارشال لمساعدة أوربا اقتصاديا .

وأنشأ حلف الاطلسى .

وطرد الجنرال ماك أرثر القائد الأمريكى المنتصر فى الشرق الأقصى .

وأرسل القوات الأمريكية والدولية لتحارب فى كوريا .

وعندما توفى الزعيم السوفييتى ستالين وجد تشرشل واتلى الزعيمان البريطانيان أن هذه مناسبة للتقارب بين الشرق والغرب فاقترحا وقف سباق التسلح . ولكن ترومان ضيع الفرصة .

وفى فلسطين ــ التى نتوقف عندها ــ كان ترومان مؤيدا تماما لليهود وفى أول عهده بالرئاسة ، وفى مؤتمر بوتسدام بألمانيا فى ١٧ من يوليه ١٩٤٥ ، طلب ترومان إلى تشرشل الغاء الحظر على هجرة اليهود إلى فلسطين وفتح أبواب الهجرة لهم . وأكد ذلك لاتلى الذى انتخب رئيسا لوزراء بريطانيا أثناء المؤتمر .

* * *

عرض حسن البنا ــ يوم ٨ من أكتوبر ١٩٤٥ ــ وضع عشرة آلاف شاب تحت تصرف الجامعة العربية للمساهمة فى تحرير فلسطين .

وأدلى بحديث إلى صحيفة « البلاغ » أعلن فيه أن « فلسطين قضية مصرية كما هى عربية »

وسافر وكيل الاخوان وقائد جوالتها « محمود لبيب » إلى فلسطين ليتسلم منصبه كقائد لمنظمة الشباب الفلسطينية العربية الموحدة .

وكانت هذه السلطات قد أبعدته عن مصر تسع سنوات كاملة !

* * *

عمل محمود لبيب ضابطا فى قوات سلاح الحدود المصرية التى ترابط فى الصحراء الغربية عام ١٩١٢ .

واستطاع مساعدة عدد من كبار الضباط الاتراك على الهرب بعد غزو ايطاليا لليبيا واشترك فى ثورة طرابلس ضد الايطاليين . ونجح فى الحصول على الشفرة السرية للجيش البريطانى وقاوم الانجليز فى الواحات عامين .

منع الانجليز دخوله مصر عام ١٩١٥ فهرب إلى تركيا ومنها إلى ألمانيا . وظل منفيا حتى عام ١٩٢٤ فعاد إلى مصر بعد أن تولى سعد زغلول رئاسة الوزارة .

انضم إلى الاخوان المسلمين ونظم فرق الجوالة على أسس عسكرية طبقا لما رآه فى ألمانيا .. فى بداية صعود هتلر .

وفى فلسطين بعث الروح العسكرية ونجح فى توحيد منظمتى « الفتوة » و « النجادة » واستطاع أن يبث فى الشباب العربى الروح العسكرية .

وتعرف السلطات البريطانية ماضى الصاغ لبيب فتبعده من فلسطين إلى مصر خلال ٢٤ ساعة .

* * *

سمح الانجليز ، بعد الحرب العالمية الثانية ، بهجرة ١٥٠٠ يهودى شهريا إلى فلسطين . ولكن الرئيس ترومان طلب من كلمنت اتلى رئيس وزراء بريطانيا فى أغسطس ١٩٤٥ السماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى آخرين فى أسرع وقت ممكن . ولم يعلن ترومان ذلك إلا فى ١٣ من نوفمبر عام ١٩٤٥ .

كانت قوة الجيش البريطانى فى فلسطين فى ذلك الوقت ٨٠ ألف جندى . ورأى رئيس وزراء بريطانيا كلمنت أتلى أن هذه القوة لاتكفى لحفظ الأمن والنظام وسط تصاعد الهجرة اليهودية والرفض العربى لها ولذلك لم يكن متحمسا لزيادة عدد المهاجرين .

وكان بيفن وزير الخارجية يرى استيعاب اليهود فى أوربا ، لا فى فلسطين ، باعتبار أنه يمكنهم الاندماج فى أوربا .

ناقش مجلس العموم البريطانى مشكلة فلسطين يوم ١٣ من نوفمبر ١٩٤٥ ــ أى

يوم إعلان رسالة ترومان ـ فقال أرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا :

ـ بريطانيا عليها التزام مزدوج تجاه اليهود من ناحية ، والعرب من ناحية أخرى .

والافتقار إلى تحديد واضح لهذا الالتزام المزدوج كان السبب الرئيسى للمتاعب التى حدثت فى فلسطين خلال الست والعشرين سنة الماضية .

وبذلت الحكومة جهوداً لوضع بعض الترتيبات التى تمكن العرب واليهود من أن يعيشوا معا فى سلام ويتعاونوا لصالح البلاد. ولكن هذه الجهود كانت غير مجدية ، وأية ترتيبات مقبولة من جانب أحد الطرفين ، رفضها الطرف الآخر .

وتاريخ فلسطين منذ الانتداب عبارة عن احتكاك مستمر بين العنصرين يصل إلى ذروته فى فترات متقطعة ويتحول إلى اضطرابات خطيرة .

وأعلن بيفن أن بريطانيا والولايات المتحدة اتفقتا على تشكيل لجنة تحقيق مشتركة فى فلسطين تحدد الهجرة اليهودية وتبحث أحوال يهود أوربا من ضحايا النازية .

قدمت لجنة التحقيق الانجليزية ـ الأمريكية تقريرها فى ٢٠ من إبريل ١٩٤٦ واقترحت فيه تهجير ١٠٠ ألف يهودى إلى ٤ مناطق فى فلسطين .

* * *

دعا الملك فاروق الملوك والرؤساء العرب إلى اجتماع فى حدائق انشاص يومى ٢٨ و ٢٩ من مايو ١٩٤٦ حضره عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية .

قرر المؤتمر رفض الهجرة الجديدة . وعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة والتصميم على العمل العسكرى والتلويح بالمقاطعة الاقتصادية .

وقرر مجلس جامعة الدول العربية فى اجتماعه بمدينة بلودان السورية يوم ١٤ من يونيو ١٩٤٦ إنشاء صندوق لمساعدة عرب فلسطين ومكتب للمقاطعة وتأليف

الهيئة العربية العليا لفلسطين لتضم الأحزاب الفلسطينية الرئيسية الستة ، واتخاذ الاحتياطات العسكرية .

ويصل إلى القاهرة يوم ١٩ من يونيه الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين .

* * *

.. ضاعف وجود المفتى من الحماس الشعبى المصرى للقضية الفلسطينية وزادت الصلة بينه وبين المرشد العام للاخوان وكان لذلك تأثيره فى مستقبل الجماعة .

أبرق الشيخ البنا إلى السفير البريطانى السير رونالد كامبل يطلب العفو عن السجناء الفلسطينيين السياسيين الذين أمضوا سنوات طويلة فى السجن فى جزيرة سيشل .

قال المرشد العام فى برقيته إنه صدر عفو بريطانى عن كثيرين بمناسبة انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء إلا المسجونين العرب .

وكانت قد صدرت أحكام فى فلسطين ضد ٣٧ عربيا منهم ٢٣ قضى بسجنهم مدى الحياة . وقد نفوا إلى جزيرة سيشل فأضرب بعضهم عن الطعام ومنهم حسن أبو السعود وصفوت الحسينى وموسى الحسينى .

حارت السفارة البريطانية فى أمر الرسالة وهل فى الرد عليها مايعتبر اعترافا بالاخوان .

وأخيرا وبعد عشرة أسابيع بعثت السفارة إلى حسن البنا تقول إن برقيته أرسلت إلى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن !

* * *

دعت بريطانيا العرب واليهود إلى مؤتمر عقد بلندن فى ١٠ من سبتمبر ١٩٤٦ واستمر حتى ٢٧ من يناير ١٩٤٧ لايجاد حل لمشكلة فلسطين .

ولكن الطرفين اتخذا موقفا متشددا فلم يجتمعا على مائدة واحدة ولم تجد المفاوضات نفعا فأعلن بيفن فشل المؤتمر. وقال فى مجلس العموم يوم ١٨ من فبراير إن بريطانيا قررت أن تتخلى عن الانتداب لاستحالة تنفيذه عمليا وإحالة المسألة الفلسطينية إلى دورة خاصة للأمم المتحدة. وقال:

ـ لا حل إلا بالأمم المتحدة والولايات المتحدة.

* * *

اجتمع رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية العرب بالقاهرة فى مارس، ووزراء الخارجية العرب بدمشق فى ابريل، لبحث الموقف بعد انتهاء الانتداب وقرروا مطالبة الجمعية العامة للأمم المتحدة بإقامة دولة مستقلة موحدة فى فلسطين.

وقررت اللجنة السياسية للجامعة العربية فى اجتماعها بصوفر ـ بلبنان ـ يوم ١٩ من سبتمبر ١٩٤٧ رفض قرارات لجنة التحقيق.

بدأ عرض قضية فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورة خاصة، عقدت بعد ستة أيام من فشل القضية المصرية فى مجلس الأمن. وحضرها كريش جونز وزير المستعمرات البريطانى ليشهد تصفية هذا الجزء من الامبراطورية!

قررت الجمعية العامة تشكيل لجنة من ١١ دولة أوصت فى ٣١ من أغسطس بتقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين مع قيام اتحاد اقتصادى بينهما. وكانت لجنة ملكية بريطانية، برئاسة اللورد بيل، قد اقترحت التقسيم عام ١٩٣٧.

أيد اليهود التقسيم إذ سيترتب عليه اقامة الدولة اليهودية.

وأعلن وزير المستعمرات البريطانى يوم ٢٦ من سبتمبر قرار بلاده بالانسحاب من فلسطين.

ونجح اليهود فى أن يجعلوا من عداء الدولتين ـ الولايات المتحدة والاتحاد

السوفييتى ـ ميزة لهم فوافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار التقسيم فى ٢٩ من نوفمبر بأغلبية ٣٣ صوتا بينها فرنسا وبلجيكا ضد ١٣ صوتا وامتناع عشر دول عن التصويت بينها بريطانيا واليونان والحبشة والصين الوطنية وكان صوت الاتحاد السوفييتى هو الذى رجح الموقف لصالح التقسيم !

كان عدد الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة ٥٧ دولة منها ٦ دول عربية .

ونص القرار على تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وتبقى القدس وبيت لحم خارج الدولتين .

* * *

كتب جيمس بوكر القائم بأعمال السفير البريطانى إلى لندن يقول :

« فوجئت الدوائر المصرية باعلان التأييد الروسى لمبدأ تقسيم فلسطين .

وعلقت الصحف ـ ككل ـ بمرارة على موقف الولايات المتحدة فى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وعبرت ثلاث من الصحف الموالية للحكومة عن شعور عميق بخيبة الأمل تجاه الاتحاد السوفييتى الذى كان ، فيما مضى ، يتخذ مواقف صديقة لمصر فى مجلس الأمن » .

قال الجنرال السير آلان كاننجهام المندوب السامى البريطانى فى فلسطين :

« التقسيم هو الحل الممكن للسلام بين العرب واليهود » .

ولكن كلاتون مدير الإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية البريطانية قال :

« لن يرى الصهاينة فى التقسيم حلا نهائيا » .

وأيد الرأى ذاته السير رونالد كامبل السفير البريطانى فى القاهرة قائلا :

« يرى العرب أن قرار التقسيم لن يكون نهاية المطاف . ويخاف جميع العرب من قيام دولة يهودية صغيرة على أرض فلسطين لأنه سيكون مجرد بداية صغيرة

لاختراق الدول العربية المحيطة بهذه الدولة . فيما بعد » !

ولكن الأمريكيين الذين يؤيدون التقسيم عبروا عن اقتناعهم به وأنه لن يثير ضجة ولن تكون له أية ردود فعل من جانب المصريين .

أيد الرئيس ترومان على الفور فكرة التقسيم

ولكن قدمت إلى ترومان تقارير بأن التقسيم يحتاج إلى تدخل أمريكى مسلح فى الوقت الذى يعارض فيه تدخل القوات الأمريكية عسكريا .

وقدرت القوات اللازمة لفرض التقسيم بـ ١٠٤ آلاف جندى أمريكى وبريطانى .

وقيل لترومان إن الولايات المتحدة ستحتاج إلى نصف مليون جندى لحفظ السلام فى فلسطين فرأى عدم تورط بلاده بإرسال هذا العدد إلى فلسطين وطلب أفكارا بديلة للتقسيم فاقترحت وزارة الخارجية الأمريكية وضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة بدلا من التقسيم . ولكن العرب واليهود رفضوا الفكرة فماتت قبل أسابيع من انسحاب بريطانيا .

* * *

قالت الولايات المتحدة إن بريطانيا ستمد العرب بالسلاح طبقا لمعاهداتها مع الدول العربية ، ففرضت ، الولايات المتحدة ، حظرا على تصدير السلاح لمنطقة الشرق الأوسط فى ديسمبر ١٩٤٧ وتبعتها بريطانيا بقرار حظر ثان .

وكتب لوى هندرسون مدير إدارة أفريقيا والشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية يقول :

« سيثير المصريون كثيرا من الضوضاء ولكنها بلا معنى .

وقد تشهد القاهرة والاسكندرية مظاهرات وأعمال شغب معادية للسامية لن تدوم طويلا » .

ولأول مرة يخطئ هندرسون فى تقدير رد فعل شعب مصر إزاء تقسيم فلسطين .

اشترك الاخوان فى هيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين للدعاية وجمع التبرعات للقضية .

وأعلنت الهيئة العربية العليا فى فلسطين الاضراب لمدة ثلاثة أيام .

وشهدت القاهرة مظاهرات الطلبة وهم يهتفون :

ـ أين السلاح يانقراشى ؟

وكتب جيمس بوكر الوزير البريطانى المفوض :

« أقام الاخوان مكاتب لتسجيل المتطوعين .

ولم تحاول الجماعة إخفاء طابعها العسكرى عندما طالبت بعمل حربى فى فلسطين .

ودعا حسن البنا أمين الجامعة العربية يوم أول ديسمبر إلى ضرورة الانسحاب من الأمم المتحدة ودعوة الدول الأخرى إلى التصرف بالمثل وحرمان مواطنيها اليهود من جنسيتهم إذا لم يؤيدوا قضية فلسطين العربية

وقال نداء إلى الحكومات العربية والإسلامية إن الأمم المتحدة انتحرت بيدها ، وسجلت على نفسها العجز وخراب الذمة وفساد الضمير .

وقال المرشد العام على الشعوب العربية والإسلامية أن تستعد وتتهيأ للدفاع عن فلسطين وإنقاذ عروبتها » .

* * *

قالت السفارة الأمريكية فى عدة برقيات لها من القاهرة إن صحيفة « الاخوان المسلمون » نشرت ابتداء من ١٩ من أكتوبر ١٩٤٧ وحتى ١٣ من يناير ١٩٤٨ كثيرا من الأخبار والمقالات المعادية للصهيونية ، مع صحف أخرى مصرية .

هاجمت الصحيفة قيام اليهود المصريين بجمع التبرعات للصهيونية .

ونشرت عن محاولات اليهود تسميم المياه فى العراق وسوريا . وأن انتشار الكوليرا فى سوريا وتزييف عملتها من فعل الصهاينة .. كما أبدت الصحيفة مخاوفها من قيام اليهود بتفجير المجارى فى القاهرة ! !

وأخذت الصحيفة تطالب حكومة مصر والعرب جميعا بدخول الحرب .

كتب صالح عشماوى يقول :

« إلى الرجال المسئولين ، كفى تفريطا فى حقوق فلسطين » .

ونقلت الصحيفة مقالا عن جريدة الفجر التى تصدر فى كراتشى بعنوان « تدخل مسلح بدون إبطاء .. وإلا » .

وقالت الصحيفة فى مقال آخر :

« مروا الجيوش تقتحم فلسطين من كل منفذ رضى الانجليز أو غضبوا »

ومقال بعنوان « دولة ميتة » !

وامتنعت الصحيفة عن قبول إعلانات الشركات اليهودية ودعت إلى مقاطعة هذه الشركات حتى تغير مسلكها من مؤازرة يهود فلسطين .

وتعددت مقالات الصحيفة مطالبة بدخول الجيوش النظامية فى حرب فلسطين .

وطلب الشيخ البنا إلى الحاخام حاييم ناحوم وكبار اليهود المصريين « إعلان مشاركتهم لمواطنيهم المصريين مشاركة مادية وأدبية وأنهم سيكونون فى مقدمة من يحمل علم الكفاح لانقاذ عروبة فلسطين » .

ولكن اليهود أصحاب الشركات والمحال التجارية الكبرى فى مصر منعوا الاعلانات عن مجلة « الكشكول الجديد » وأبلغ هنرى حاييم مدير شركة الاعلانات الشرقية إدارة المجلة بأن اليهود يرفضون الاعلان فى مطبوعات تهاجمهم فاضطرت المجلة للتوقف عن الصدور !

دعا الشيخ البنا شعب الجماعة الاستعداد للجهاد . وتوجهت أول كتيبة إلى الميدان يوم ٢٧ من أكتوبر ١٩٤٧ .

ويكتب السفير البريطانى السير رونالد كامبل :

« ينادى حسن البنا زعيم الاخوان المسلمين بالدماء . ويثير المتاعب أمام النقراشى باشا بسبب السياسة المتخاذلة التى انتهجتها الحكومة تجاه الأحداث فى فلسطين .

ويحتشد أكثر من ٢٠ ألفاً داخل الجامع الأزهر وحوله بعد صلاة الجمعة يوم ٥ من ديسمبر متحدين قرار النقراشى باشا رئيس الوزراء بمنع المظاهرات مطالبين بالعمل الحاسم لانقاذ فلسطين

ويكون الشيخ البنا وعبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية وصالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وأحمد حسين زعيم مصر الفتاة بين الخطباء » .

ونشر حسن البنا مقالا عنوانه « خيبة خيبر» دعا فيه إلى دخول الجيوش النظامية العربية فلسطين .

وقال إن فلسطين لايمكن إنقاذها إلا بالقوة .

وأكد من جديد عرضه بأن يضع تحت تصرف الجامعة العربية عشرة آلاف شاب كأول كتيبة للقتال فى سبيل فلسطين العربية .

كان الحماس يتردد فى كل الدول العربية .

قال تقرير للسفارة البريطانية :

« الحالة النفسية للجماهير فى صالح إعلان الحرب . فالروايات حول فظائع الصهيونية كثيرة » !

وتتصاعد حدة الموقف تمهيدا للحرب التى بدت نذرها فأصدر مجلس الأمن قرارا ــ فى ١٧ من إبريل ١٩٤٨ ــ يدعو إلى وقف أعمال العنف وكل نشاط عسكرى وعدم دخول قوات أو جلب أسلحة إلى فلسطين .

تطوع الاخوان للقتال فى فلسطين ودربهم الصباع محمود لبيب بمعسكر الجامعة العربية فى هاكستب باحدى ضواحى القاهرة .

قال فيليب ايرلاند سكرتير السفارة الأمريكية فى برقية إلى وشنطن :

« هناك شك فى مدى فاعلية جهود الإخوان فى مصر لتشكيل كتائب لإنقاذ فلسطين .

لقد وقع عدد ملحوظ من الشباب المصريين فى كافة أنحاء البلاد استمارات الانضمام لهذه الكتائب . ولكن هناك شك فيما إذا كان هؤلاء المجندون سيشتركون فى نضال من أجل فلسطين . وهناك جهل تام بالمصاعب والجهود التى تتطلبها الحملة فى تلال ووديان فلسطين ، كما أن معظم المجندين غير مجهزين بأى شىء سوى الحماس والتعبئة المعنوية » .

وقالت صحيفة مصر الفتاة إن ماتعده الجماعة من كتائب لمساعدة الفلسطينيين ليس إلا شعوذة ودجلا وضحكا على عقول المصريين ! .. فقد دخلت الحزبية كل شئ فى مصر .. بما فى ذلك قضية فلسطين !

* * *

عرفت الحكومة البريطانية بانشاء وحدات عسكرية غير نظامية فى البلاد العربية ، وأن قوات جيش التحرير بقيادة فوزى القاوقجى دخلت فلسطين من سوريا فى يناير والاخوان دخلوها ــ من مصرــ فى فبراير فبعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى سفرائها فى العالم العربى تطلب منهم إبلاغ الحكومات العربية باتخاذ خطوات فعالة لمنع مزيد من الانتهاكات فى فلسطين .

قابل تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض فى القاهرة أحمد خشبة باشا وزير الخارجية وقدم إليه مذكرة من حكومته تطلب فيها من مصر . والحكومات العربية ، تيسير عملية انسحاب القوات البريطانية من فلسطين وعدم إثارة متاعب حتى لاتضطر بريطانيا إلى استعمال القوة .

وبعث السير رونالد كامبل السفير البريطانى برسالة أخرى إلى وزير خارجية

مصر يوم ٧٠من إبريل قال فيها إن خطر وقوع أعمال عنف على نطاق واسع يزداد نتيجة ظهور تشكيلات عسكرية غير نظامية أفرادها مجندون من الدول العربية . وهناك خطر اشتباكها مع القوات البريطانية .

وطالبت الرسالة بمنع الجماعات المسلحة غير النظامية التى دخلت فلسطين من القيام بأية عمليات عسكرية .

ويعث رؤساء أركان حرب القوات البريطانية فى الشرق الأوسط إلى الحكومة البريطانية يطلبون تعليمات بشأن القوات العربية التى دخلت فلسطين من الدول العربية المجاورة .

وتساءل القواد :

ـ هل نقوم بهجمات جوية على نطاق واسع ضد العرب ؟

وكان جواب الحكومة البريطانية بالنفى .

قالت صراحة :

ـ لا .

وأرسلت وزارة الخارجية البريطانية إلى سفاراتها تعليمات تقول :

« يجب ألا يتخذ عمل ضد المجموعات التى دخلت من الحدود إلا إذا هاجموا المراكز البريطانية ، أو مراكز الاتصالات البريطانية ، أو المراكز اليهودية المدنية والمستوطنين اليهود .

وفى حالة الهجوم على المراكز البريطانية يقابلون بمقاومة بجميع الوسائل . وعلى مسئوليتهم وباستخدام الغارات الجوية

وفى حالة الهجوم على اليهود يكون تدخل القوات البريطانية ضد المهاجمين بعد الرجوع أولا إلى الحكومة البريطانية » .

وطبقا للسياسة البريطانية المناورة ، الماكرة ، والملتوية ، قالت وزارة الخارجية البريطانية لسفرائها :

« لاتخبر الدولة التى تمثلنا لديها بذلك وإلا اعتبرت هذه التعليمات دعوة لعبور الحدود إلى فلسطين » .

.. وكانت الدعوة فى الحقيقة لقتل اليهود العسكريين لا المدنيين أو البريطانيين .. ولكن العرب لايعلمون !

وكانت القوات البريطانية قد خسرت خلال الـ ١٨ شهرا السابقة على انسحابها ١٢٧ قتيلا و٣٣١ جريحا أثناء العمليات الإرهابية التى قامت بها عصابات اليهود .

* * *

تركز النشاط اليهودى فى الأرهاب على العرب لتفريغ فلسطين من أكبر عدد مهم وبالذات فى المناطق اليهودية التى يعيش فيها ٣٥٠ ألفاً من العرب

فى ٥ من يناير عام ١٩٤٨ نسف اليهود فندق سميرا ميس فى الحى العربى بالقدس بـ ١٧٥ رطلا من الديناميت فقتل ٢٣ من المدنيين بينهم القنصل الاسبانى .

وكانت هذه رسالة للعرب للرحيل من فلسطين .

وفى ٩ من أبريل دخل مائة من قوات عصابة « أرجون » الصهيونية قرية دير ياسين العربية والتى تقع عند مدخل مدينة القدس .

أذاع اليهود نداء بمكبرات الصوت إلى سكان القرية ـ وكلهم من العرب ـ لمغادرة منازلهم . وتكرر النداء عدة مرات .

خرج الجميع إلى الشوارع فحصدهم اليهود بالرصاص .

وبقروا بطون الحبالى من النساء .

وذبحوا الاطفال فى احضان أمهاتهم وأمام أعينهن !

ونسفت البيوت بالديناميت فقتل البعض بداخلها .

وأخذوا ١٥٠ من النساء أسرى فجردوهن من ثيابهن ، ووضعوهن فى

عربات لورى مفتوحة نقلتهن إلى القدس وطافوا بهن فى الشوارع عاريات ليقذفهن اليهود بالحجارة .

قتل فى هذه العملية ٢٥٠ أغلبهم من النساء والأطفال .

وألقيت الجثث فى بئر القرية وعثر ممثل الصليب الأحمر داخل البئر على ١٥٠ جثة مشوهة ومحترقة لنساء وأطفال .

لم يتدخل الجيش البريطانى لوقف المذبحة أو القبض على المجرمين .

وأعلن وزير المستعمرات البريطانى فى مجلس العموم أن هذا العدوان البربرى دليل على الوحشية ، تعجز الكلمات عن وصف ماتنطوى عليه من بواعث الاشمئزاز والحزن العميق .

واعترف الكاتب اليهودى الصهيونى جون كيمش بأن مذبحة دير ياسين نقطة سوداء فى سجل التاريخ اليهودى .

وأطلق عليها الكاتب اليهودى أرثر كويستلر العملية البربرية . وحمام الدم

واعترف قائد الهاجاناه فى القدس بأن دير ياسين كانت من أهدأ القرى فى المنطقة ويعيش أهلها فى سلام مع سكان المستعمرات اليهودية .

كان لهذه المذبحة و ٣٠ عملية عسكرية أخرى قام بها اليهود آثارها فى المناطق التى يسكنها العرب فى فلسطين والتى أعطيت لهم بمقتضى قرار التقسيم فهرب منها خلال عام ١٩٤٨ ــ ٧٢٠ ألفا من العرب !.

تسللت وحدات الاخوان المدربين إلى فلسطين بعد قرار التقسيم مباشرة وظلوا وحدهم فى الميدان زهاء خمسة شهور .

وزار الشيخ البنا فلسطين وأدى صلاة الجمعة فى خان يونس يوم ٢٠ من مارس ١٩٤٨ .

ورد الاخوان على مذبحة دير ياسين فهاجم فدائيوهم فى الساعة الثانية من صباح يوم ١٠ من إبريل، «كفار داروم» المستعمرة اليهودية الوحيدة فى السهل

الساحلى جنوب غزة وتشرف على الطريق الرئيسى بين رفح وغزة . عبروا حقول الألغام وازالوها ثم قطعوا الأسلاك الشائكة-وبثوا الألغام تحت مبانيها فانفجرت .

واعترفت الصحف اليهودية بأن المستعمرة تعرضت لهجوم عنيف وأن العرب هاجموها بالمدافع .

استشهد فى المعركة ١٢ من الاخوان وأصيب ستة آخرون .

احتفل الاخوان بتشييع شهدائهم ، واشترك معهم أهالى غزة وخان يونس ودير البلح . ودفن الأبطال فى مقبرة خاصة بهم فى قرية النوصيرات .

وكان ذلك أول اشتباك مع الصهاينة فى النقب قبل وصول متطوعى الجامعة العربية .

نشرت صحيفة الاخوان أسماء الشهداء

وكانت لكل منهم قصة بطولة رائعة . من حياته واستشهاده أيضا .

عبد الرحمن عبد الخالق ـ ٢١ سنة ـ بكالوريوس زراعة . بطل الجامعة فى المصارعة وكرة السلة . رفض أمر رئيسه بالانسحاب حتى استشهد .

ومحمد سلطان ـ ٢٠ سنة ـ الموظف بالرى وضع لغما حول بطنه وأشعل الفتيل لينفجر الاثنان معا فيدمران مركز حراسة يهودى .

وعمر عبد الرءوف ـ ٢٧ سنة ـ تاجر من ههيا أصابته رصاصة فقال قبل أن يلفظ أنفاسه : أولى الجنة .

وهذه مجرد نماذج والأمثلة كلها حافلة بمعانى التضحية .

نشرت صحيفة أخبار اليوم قصة أول معركة بين المصريين واليهود كتب مراسلها من الجبهة يقول :

« أتأمل القتلى واحدا واحدا . ليس بينهم واحد مصاب فى ظهره . بعضهم أصيب مرة ومرتين ومع ذلك بقى يحمل بندقيته ويضرب بها . دفنوا بغير غسل أو كفن ، فإن من تقاليد الإسلام أن يدفن الشهيد بملابس المعركة .

كان منظرا رائعا . هذا الدم المصرى يغطى أرض الصحراء المنبسطة ، هذه الأرض التى سارت فيها جيوش المارشال اللنبى وحققت انتصارها الأخير على الاتراك ، أصبحت نقطة البداية التى تطلق منها مصر رصاصها على مستعمرات اليهود .

لقد تصاعدت الاحداث أثناء جنازة الشهداء تبحث عن الحاج عبد الخالق .

أين هو الحاج عبد الخالق ؟ كان يحارب فى المعركة ومعه ابنه محمد عبد الخالق .

سقط ابنه قتيلا إلى جانبه فلم يبك عليه ، بل حمل بندقيته وراح يقتل بها الذين قتلوا ولده . ثم انتهت المعركة ولم ينتظر الحاج عبد الخالق ليشيع جنازة ولده مع المشيعين بل حمل ابن أخيه الجريح أحمد يوسف إلى غزة .

قال له اخوانه : اننا نعزيك !

قال : كلا .. هنئونى ! هنئونى ! سأبقى هنا لأنال بعض الشرف الذى ناله ابنى ..

قابلت الحاج عبد الخالق حسن يوسف من بلدة قويسنا بمديرية المنوفية . وقد وقف يتقبل تهانى المجاهدين وكأنه يزف ولده إلى عروس .

أصر الجنود على ان يستحموا قبل المعركة استعدادا للموت ، وصلّوا على أنفسهم صلاة الجنازة وتلوا جميعا آيات من كتاب الله .

رأى القائد البريطانى الشهداء وأطلعه قائد الاخوان على تفاصيل المعركة وكيف أن العرب لم يخسروا شيئا بل أنهم استعادوا أسلحة الشهداء والجرحى فدهش وذهب إلى حيث رقد الشهداء وانحنى رأسه قائلا :

ـ انى فى دهشة كيف استطعتم أن تفعلوا كل هذا ؟!

كنت فى فرقة الكوماندوس البريطانية ولم أشهد جرأة كالتى رأيتها الآن .. ولو كان معى ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين » !

والغريب فى الأمر أن المتطوعين كانوا من مديريات ــ محافظات ــ مصرية مختلفة وكأنهم جاءوا يمثلون مصر والاخوان جميعا فى أول عملية انتحارية .

وكان الشيخ البنا قد طلب إلى كل متطوع أن يترك صورته . ووضعت الجماعة ملفا لكل منهم لينشر يوم استشهاده فإن الجميع كانوا يعرفون أنهم لاينوون العودة بل طريقهم الجنة .

* * *

استولت العصابات الصهيونية على مدينة حيفا فى ٢٢ من إبريل ١٩٤٨ لأن الانجليز أبلغوا اليهود بموعد انسحابهم قبل أربعة أيام . ولم يبلغوا العرب إلا قبل ٢٤ ساعة من الساعة المحددة للانسحاب .

وظلت إسرائيل ــ على امتداد أربعين عاما ــ تزعم أن الهجرة الجماعية لـ ٤٠٠ ألف عربي من فلسطين بعد قرار التقسيم تمت بناء على طلب زعماء الفلسطينيين والقادة العرب .

ولكن فى أوائل عام ٨٦ نشر الباحث الاسرائيلى بن موريس فى مجلة « دراسات الشرق الأوسط » التى تصدر فى لندن ، وثيقة للمخابرات الاسرائيلية تقرر بأن السبب الحقيقى لهجرة سبعين فى المائة من عرب فلسطين يرجع إلى خوفهم من هجوم الجماعات الأرهابية اليهودية وتأثير مذبحة دير ياسين واختطاف خمسة زعماء عرب شمال تل أبيب والهمس الذى يردده اليهود لأصدقائهم العرب بأن هجوما قادما سيقع عليهم .

وكان من نتيجة هجرة العرب أن استولت الوكالة اليهودية على مبانيهم واستعملتها كمكاتب لها واستولى اليهود على أملاك العرب وأموالهم فى المصارف .

وكتب بن جوريون رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية يقول : « المفاجأة الوحيدة التى داهمتنى اكتشاف عيوب خلقية داخلنا « اقصد النهب الجماعى » !

.. وكأنه لم يكن يعلم !

فى أوائل أبريل هاجم خمسون من متطوعى الاخوان مستعمرة دير البلح ـ شمال خان يونس ـ ليلا وقطعوا الأسلاك وازالوا الالغام واقتحموا المستعمرة ولكن اليهود أحسوا بهم فأمطروهم بنيران المدافع .

وأغارت هذه القوات على المستوطنات الاسرائيلية فى مارس ونجحت فى إرغام جيش الهاجاناه اليهودى على تشتيت قواته وحراسة منشآته وطرق مواصلاته .

واستطاعت هذه الكتائب أن تجمع عناصر عربية فلسطينية لتحارب معها . وأرغمت قوات المستوطنات على البقاء محاصرة بداخلها تدافع عن نفسها .

وظلت كتائب الجماعة تغير على المستعمرات فى النقب وتدمر خطوط المواصلات بينها وبين تل أبيب .

ونجح العرب فى عزل الحى اليهودى فى القدس فى ٧ من مارس عام ١٩٤٨ . ووصل إلى فلسطين لقيادة هذه القوات يوم ٢٥ من إبريل البكباشى أحمد عبد العزيز يعاونه البكباشى عبد الجواد طبالة .

* * *

تتابعت اجتماعات الجامعة العربية لبحث الموقف ، بعد قرار بريطانيا بالانسحاب من فلسطين المحدد له يوم ١٥ من مايو ١٩٤٨ .

فى البداية كان التفكير فى اتخاذ اجراءات انتقامية ضد بريطانيا والولايات المتحدة .

وطلب صالح جبر رئيس وزراء العراق ـ فى اجتماع القاهرة ـ التدخل العربى المباشر ضد اليهود فى فلسطين .

وكانت وجهة النظر المصرية الرسمية أن التدخل العسكرى لايكون بواسطة قوات نظامية بل بمتطوعين .

ويقرر المجتمعون أن تقدم كل حكومة عربية للمقاتلين السلاح والعتاد ،

وتوزيع عشرة آلاف بندقية على قوات المقاومة بفلسطين ومدها بالمقاتلين.

وفى الوقت ذاته كان بن جوريون يؤكد لقوات الهاجاناه اليهودية أن الجيوش العربية ستشترك فى الهجوم على اليهود . ولن تقتصر المعارك على متطوعين من الدول العربية كما حدث عام ١٩٣٦ !

* * *

فى كتابه «حد السيف» قال الكولونيل نورك :

« أول مشاركة مصرية فى حرب فلسطين قام بها الاخوان المسلمون ، الذين يعتبرون الاستعمار والصهيونية ألد أعداء الإسلام .

وميزة الاخوان الشجاعة والاستهانة بالموت » .

قال الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته « بحلول نهاية عام ٤٨ نمت شعبية جماعة الاخوان بتأييدها للثورة الفلسطينية . فقد بادر فدائيو الجماعة بالتطوع معتبرين الحرب بين العرب واليهود حربا دينية، فاشتركوا فيها وخاضوا غمارها .

- وقوت الجماعة ، فى هذه الفترة ، الجهاز السرى بجمع السلاح والتدرب عليه وممارسة أعمال العنف » .

حـرب الفـيران

قال حسن يوسف وكيل الديوان الملكى إن الملك فاروق كان متحمسا لدخول الجيش المصرى في فلسطين بينما رأى النقراشى تدبر الأمر بسبب وجود القوات البريطانية فى منطقة القنال خلف قواتنا .

وأكد هذه الحقيقة الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية .

رفض محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء أن يلجأ إلى القوة العسكرية لمنع تنفيذ قرار الأمم المتحدة بإنشاء دولة إسرائيل .

وظل يردد فى اجتماع للجامعة العربية فى « عالية » بلبنان فى أكتوبر ١٩٤٧ أنه لن يدفع الجيش المصرى إلى حيث تكون القوات البريطانية مرابطة على قناة السويس وراء ظهره .

وظل موقف النقراشى ثابتا لا يتزحزح .

وكل ما وافق عليه النقراشى أن يرابط جزء من الجيش المصرى فى العريش بصفة احتياطية لحماية مصر إذا حدث هجوم عليها من العصابات الصهيونية .

سأله إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان :

ـ لماذا ؟

ـ أخشى أن نكون معرضين لخطر الغزو .

ـ ولكننا لم ندخل الحرب .

ـ ولم نفكر فى ذلك !

قال ادجار جلاد الصحفى وصاحب جريدتى الزمان والجورنال ديجبت

والمقرب من القصر الملكى للوزير البريطانى المفوض يوم ٦ من مايو عام ١٩٤٨ :

« ليس لدى النقراشى أية رغبة فى السماح للجيش المصرى النظامى بأن يكون له دور نشيط فى تحرير فلسطين ويريد السماح للمتطوعين فقط » .

وصرح النقراشى باشا بذلك فى مجالسه الخاصة .

* * *

قررت الدول العربية فى اجتماع عقد فى عمان - يوم ٢٩ من إبريل ١٩٤٨ رأسه الملك عبدالله - إعلان الحرب ضد اليهود ودخول القوات العربية فلسطين إثر انسحاب القوات البريطانية بعد منتصف ليلة ١٤ من مايو. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتخذ فيها العرب قرارا رسميا بإعلان الحرب ضد اليهود . وأقرت ذلك بصفة نهائية اللجنة السياسية للجامعة العربية يوم ١٢ من مايو ، قبل ثلاثة أيام فقط من بدء القتال !

وكان أهم العوامل الرئيسية التى رجحت فكرة تدخل الجيوش النظامية أن الدولة العربية لم تكن تعرف على وجه التحديد مدى قوة اليهود وكانت تظن الحرب نزهة تنتهى بالنصر خلال أيام .

وفى السجل التاريخى لوزارة الدفاع المصرية استعرضت الوزارة موقف كل دولة عربية فقال السجل :

« نلاحظ أن الساسة فى سوريا ولبنان زايدوا على قضية فلسطين بقصد الدعاية فى الداخل أكثر من الرغبة فى العمل الجدى .

أما الحكومة العراقية فكانت مستعدة للتعاون مع الملك عبد الله فى ضم الجزء العربى من فلسطين إلى مملكته . ولذلك نسقت أعمالها الحربية مع الأردن .

ولم يقف فى وجه هذا المخطط سوى مصر والسعودية اللتين صممتا على تحرير فلسطين ثم تسليمها لأصحابها العرب » .

رد اليهود بالاستيلاء على مدينة يافا أكبر المدن العربية .

كتب ثروت السفير البريطانى فى جدة إلى ارنست بيفن معلقا على قرار الجامعة العربية . قال :

« لم يشعر أى عربي بالمرارة عند خلق الدولة اليهودية فى فلسطين أكثر من الملك عبد العزيز بن سعود الذى لا يسمح لأى يهودى بدخول بلاده .

ولم يكن مثيرا للدهشة أن نسمع عن إرسال كميات من البنادق والسيارات ونقل المتطوعين تجاه الحدود الفلسطينية .

وعبر موقف الملك عن إصرار العربية السعودية على الاشتراك فى الدفاع عن فلسطين ، وحماية عروبتها ، والحيلولة دون تقسيمها ، ودون إقامة دولة يهودية . وأرسل ثلاث سرايا من المشاة للعمل تحت القيادة المصرية » .

* * *

اشتدت حملة الرأى العام المصرى للمطالبة باعلان الحرب على يهود فلسطين واشتراك الجيش .

وأصر الملك فاروق على دخول القوات المصرية فلسطين .

قال الوزير البريطانى المفوض :

ـ هناك أنباء صحفية بأن القوة المصرية ستبلغ ١٥ ألف رجل .

أومأ إدجار جلاد برأسه موافقا .

قال الوزير :

ـ آمل ألا يتم القيام بعمل قبل ١٥ من مايو .

رد جلاد :

ـ ليست هناك نية للتوغل فى فلسطين قبل ذلك التاريخ !

تلقى الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية المصرى وياور الملك أمرا مباشرا من صاحب الجلالة بدخول القوات المصرية فلسطين . دون أن يعلم النقراشى رئيس

الوزراء ودون انتظار قرار البرلمان أو قرار مجلس الوزراء .

وكان على النقراشي باشا كرئيس للوزراء أن يستقيل أو يتحمل المسئولية عن مـلك مصر . ورأى أن يتعرف أولا على حقيقة الموقف العسكرى فطلب الاجتماع بقيادات الجيش .

شهد الاجتماع ـ يوم ١٠ من مايو ١٩٤٨ ـ وزير الحربية الفريق محمد حيدر باشا واللواء عثمان المهدى رئيس الأركان واللواء موسى لطفى مدير العمليات وهيئة الأركان وبعض ضباط رئاسة الجيش واللواء أحمد على المواوى قائد القوات المصرية فى العريش . -

سأل رئيس الوزراء المواوى عن حالة الجيش وإمكان دخوله الحرب فى فلسطين .-

أجاب اللواء المواوى قائلا :

ـ الجيش لا يصلح مطلقا للدخول فى أية معركة مهما كانت حالتها ، ومهما قيل عن اليهود من ضعف فإن الجيش تنقصه كافة المعدات وأهمها الأسلحة .

ـ حالة البنادق سيئة لقدمها .

والرشاشات الخفيفة لا تقل عنها تلفا .

أما الأسلحة المضادة للدبابات ومدافع الهاون والجرارات فغير ميسورة .

والذخائر تكاد تكون معدومة .

ولم يتيسر للجيش تدريب جنوده التدريب السنوى الكامل، فأجرى تدريبا جزئيا بعشر طلقات بدلا من مائتى طلقة وكسور ! ولا يمكن للجندى أن يصل إلى الكفاءة المطلوبة منه فى الميدان .

إن البعثة العسكرية البريطانية التى اختارتها الحكومة لتدريب الجيش وضعت هدفا محددا لعملياته ، وهو أن هذا الجيش للأمن الداخلى فقط .

وهدمت البعثة المبدأ الأساسى لتكوين الجيش واعداد كفاءته للحرب .

أما عن الضباط فنقص ذخيرة الطبنجة حرمهم من التدريب عليها .

هذا عن الأسلحة والذخائر بسلاح المشاة ، والأمر أشد وأنكى فى المدفعية والفرسان .

وليس لدى الأسلحة المساعدة ـ كخدمة الجيش ـ وحدات تكفى لتحريك نصف كتيبة .

ومعدات مستشفى الميدان وتحركاته غير قادرة على شىء بالمرة .

رد النقراشي بطريقته الحازمة المعتادة :

ـ اسمع يا مواوى : مصر تتزعم الدول العربية . وهذه الدول أعلنت ، وعلى رأسها الملك عبد الله ، دخول فلسطين فكيف تقول إن جيشنا لا يصلح للحرب .

قال المواوى :

ـ إنى أشرح الحقيقة المرة التى عليها جيشنا .

قال النقراشي :

ـ يظهر أنك متهيب .

ـ إنى ضابط وحضرت معارك . وليست الحرب جديدة علىّ ولكنى أخشى فضيحة مصر وجيشها .

أراد النقراشي إنهاء المناقشة فقال :

ـ تأكد أننا سنمدك بكل شىء .

ووقف قائلا :

ـ هيا بنا نرى الموقف على الخريطة فى غرفة العمليات .

وأثناء خروج الجميع من قاعة الاجتماع وجدوا إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان ينتظر فى غرفة الياور بينما النقراشي يردد كلمات :

ـ يظهر أنك متهيب يا مواوى .

تدخل إبراهيم عبد الهادى قائلا :

ـ لا تتهيب فليس أمامك من اليهود ما يستحق الذكر !

وفى غرفة العمليات أخذ العقيد على الشافعى يشرح الموقف قائلا :

ـ اليهود ليسوا إلا عصابات مفككة !

* * *

لم يكن النقراشى أو كبار الضباط المصريون يعرفون حقيقة الموقف العسكرى لليهود .

فى ٩ من مايو ١٩٤٦ أى قبل عامين قدم رؤساء أركان حرب القياده المشتركة الأمريكية تقريرا عن القوات الاسرائيلية قدروا فيه عدد قوات الهاجاناه بأنها ٦٥ ألفا والاحتياطى ٤٠ ألفا منها ١٦ ألفا قوات متحركة ، ونحو ٦٠٠٠ قوة ضاربة مدربة تملك أسلحة اتوماتيكية . وكل مقاتل لديه سلاحه .

وفى كتاب ستيفن جرين « الإنحياز » وصف شامل لاستعدادات اليهود للحرب .

قال « إنهم عبأوا آلاف الأطنان من الأسلحة : طائرات ودبابات ومدفعية وعشرات الملايين من الدولارات بواسطة شبكة يهودية غطت شمال وجنوب أمريكا وجنوب أفريقيا وأوربا والصين .

وزحف آلاف الجنود المدربين والطيارين من الشرق والغرب ليحاربوا فى صفوف اليهود .

وكان لعصابة أرجون ٢٣ فرعا فى العالم تجمع التبرعات وتستأجر وتدرب وتشترى وتشحن إلى اسرائيل .

ومعظم الأسلحة التى وصلت إسرائيل ابتداء من عام ١٩٤٥ حتى رفع الحظر فى عام ١٩٤٩ جاء بطريقة سرية -بواسطة الأمريكيين الصهاينة .

وقدر هيكلمان فى كتابه عن « المتطوعين الامريكيين » ان المساعدة الخاصة من الامريكيين لليهود أثناء حرب فلسطين بلغت ١٣٠٠ متطوع و ١٥ أو ٢٠ مليون دولار .

وفى المعارك لم يقاتل العرب يهود فلسطين كما قال ستيفن جرين بل كانوا يحاربون مصادر التمويل المشتركة للمجتمع اليهودى الدولى وقواته .

وعلى سبيل المثال كان قائد جبهة القدس الاسرائيلية ضابطا أمريكيا هو الكولونيل دافيد ماركوس مساعد حاكم نيويورك السابق .

وساعد ماركوس على إعادة تنظيم القوات اليهودية وتحويلها إلى جيش نظامى .

ومن غريب المصادفات أن ماركوس لقى مصرعه برصاصة اسرائيلية خاطئة .

ودفع اليهود أجورا مرتفعة للضباط والجنود الامريكيين وكان الطيار الامريكى يحصل على ٦٠٠ دولار شهريا عدا المصروفات . وهذا الأجر يفوق ما يحصل عليه فى الولايات المتحدة .

وكان دافيد بن جوريون أول من قال بأن الجيوش العربية ستهاجم اليهود ، ولكن عصابة الهاجاناه ـ التى تحولت بعد ذلك إلى جيش الدفاع الاسرائيلى ـ لم تقتنع بذلك وكانت تظن أن العرب لن يتدخلوا عسكريا بل سيقدمون متطوعين كما حدث فى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ .

وقبل سبعة شهور من الحرب أيقنت الهاجاناه بأن الجيوش العربية ستحارب فى فلسطين بينما العرب لم يقرروا الهجوم ـ بصفة نهائية ـ إلا قبل ثلاثة أيام فقط من بدء المعارك ! !

وفى نوفمبر ٤٧ قالت المخابرات الحربية الامريكية إن قوة عرب فلسطين لا تتجاوز ٣٣ ألفا أسلحتهم ضعيفة .

وبعث القنصل الامريكى فى القدس إلى وشنطن يقول إن الانجليز عثروا على وثائق تثبت ارتباط زعماء عصابات شتيرن وأرجون الصهيونيتين بالمسئولين فى

سفارات الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية فى بيروت ، وأن مناحم بيجن زعيم ارجون قبل ، بصفة منتظمة ، أموالا من السكرتير الثانى للمفوضية السوفيتية فى بيروت .

وفى تقرير لأحمد فراج طايع قنصل مصر العام بالقدس تاريخه ٨ من ديسمبر ١٩٤٧ قال إن عرب فلسطين مجردون تقريبا من كل سلاح والتنظيم معدوم لديهم .

وفى ١٠ من يناير ١٩٤٨ اكتشف مدير المخابرات الحربية الأمريكية فى ألمانيا أسلحة وذخائر وقنابل يدوية من المعسكرات الأمريكية فى بافاريا .

وباعت هيئة مخلفات الجيش البريطانى ــ فى انجلترا ــ ٢١ طائرة استطلاع لشركة يهودية فى فلسطين .

وأبلغ الأدميرال هيلينكوبتر رئيس وكالة المخابرات المركزية الرئيس الأمريكى فى ١٢ من إبريل ١٩٤٨ بأن الطائرات الأمريكية والأطقم الأمريكية تشترك فى نقل الأسلحة التشيكية إلى اليهود وأن السلطات التشيكية الرسمية تحمى الأمريكيين الصهاينة .

وقالت تقارير المخابرات المركزية إن طائرات الخطوط الجوية التشيكية تنقل السلاح من براج إلى جنوب فرنسا . وذلك لحاجة تشيكوسلوفاكيا إلى العملة الصعبة .

وثبت ــ فيما بعد ــ أن تقدير مخابرات الهيئة العربية العليا عن الأسلحة التى يملكها اليهود تمثل ٨ فى المائة فقط من الحقيقة ، وأن أسلحة العرب نصف ما عند اليهود !

ولكن لا مصر ، ولا العرب ، ولا جماعة الاخوان كانوا يعرفون حقيقة وأبعاد هذا كله .

* * *

وافق مجلس الوزراء المصرى على دخول الحرب بالإجماع .

وطلب النقراشى باشا عقد جلستين سريتين لمجلس النواب والشيوخ- يوم ١٢ من مايو- ليطلب منهما إعلان الحرب على إسرائيل .

قال النقراشى للنواب والشيوخ إنه لا يصح أن نترك الدول العربية تدخل فلسطين وحدها وتبقى مصر لا تتحرك .

وقال إن الجيش المصرى مستعد ، وتستطيع القوات العربية سحق القوات الصهيونية .

وأكد الفريق محمد حيدر للمجلسين أن الجيش المصرى مستعد لدخول الحرب !

وافق مجلس النواب بالإجماع على التدخل العسكرى فى فلسطين فى الوقت المناسب ... لأن الحكومة لا تستطيع أن تذيع الموعد .

وكان الأعضاء مدفوعين إلى ذلك بالحماس الشعبى وإيمانهم بأن الحرب نزهة ولأن قرار الحرب كان قرار الملك !

فى مجلس الشيوخ اعترض عضو واحد وهو اسماعيل صدقى الرجل الذى تعلم من تجربته ، كرئيس للوزراء مرتين ، أنه لا ينبغى أن يوافق على أمر لا يقتنع به لمجرد أن يكون رجل الملك !

وتعلم من مفاوضاته السرية مع الانجليز عام ١٩٤٦ التى وقف ضدها الشعب أنه يجب أن يواجه المصريين بالحقائق الكاملة .

أعلن صدقى باشا رأيه فى الجلسة السرية لمجلس الشيوخ .

قال إنه كان رئيسا للوزراء إلى أواخر عام ١٩٤٦ ويعرف أن الجيش المصرى تنقصه الأسلحة والعتاد اللازمان للحرب .

وكرر صدقى فى الصحف اعتراضه على دخول الحرب فاتهمه الناس بالخيانة .

قالوا إنه عاد إلى الاعيبه القديمة وإن اليهود اشتروه بالمال أو بعضوية بعض الشركات وإنه صهيونى !

وعارض الدكتور وحيد رأفت مستشار الرأى لوزارة الخارجية التدخل العسكرى قال :

ـ يمكن أن يكون التدخل مستترا مقنعا فى شكل تطوع منتظم كما حدث فى الحرب الأهلية الأسبانية بين عامى ٣٦ و٣٩ .

وفى مذكراته قال الدكتور محمد حسين هيكل :

« ربما كان الوضع الداخلى من بين الأسباب التى دفعت إلى دخول الحرب ، فإن الالتجاء إلى الحرب لصرف الأنظار عن المشاكل الداخلية سياسة لجأت إليها الدول الديكتاتورية مرارا فى التاريخ القديم والحديث » !

* * *

رأى تشرشل ، وهو صهيونى معتدل ، كما يقول مؤرخو الانجليز إن القتال بين العرب واليهود قادم فقال :

ـ لن تضيرنا حرب محدودة .. إنها حرب الفيران !

* * *

دخلت قوات الدول العربية فلسطين فى ١٥ من مايو عام ١٩٤٨ وبذلك انتهت فترة قتال المتطوعين التى بدأت فى أول ديسمبر ١٩٤٧ .

وأذيع فى القاهرة بلاغ رسمى يقول :

« صدرت تعليمات إلى قوات الجيش المصرى بدخول فلسطين لإعادة الأمن والنظام فيها ولايقاف المذابح التى تقترفها العصابات الصهيونية ضد العرب وضد الانسانية » .

قالت المخابرات الأمريكية إنه « من الناحية العددية فإن نسبة المقاتلين اليهود للعرب ثلاثة إلى واحد فضلا عن أن اليهود يتمتعون بميزة القوة والتدريب والنظام والقيادة والتجربة والقتال واحتياطى الذخيرة والسلاح .

أما العرب فعندهم ميزات المدفعية والطيران وربما المدرعات » .

كان الانجليز يعتقدون بأن الجيوش العربية ستحقق النصر.

فى مذكرات سكرتير بيفن قال :

«كان بيفن يتوقع انتصار العرب» .

وعندما التقى وزير الخارجية البريطانى بزميله الوزير ريتشارد كروسمان قال بيفن :

ـ تعلم الألمان الوحشية من اليهود .

وكان مناحم بيجن يصف بيفن بأنه وحش معاد للسامية .

وقال القائد البريطانى مونتجومرى :

ـ لن يستطيع اليهود حماية خطوط مواصلاتهم .

وقال الجنرال السير جوردون ماكميلان قائد القوات البريطانية فى فلسطين فى تقاريره السرية .

ـ لن تجد الجيوش العربية صعوبة فى الاستيلاء على كل فلسطين .

وحذر بيفن وزير الخارجية الامريكى مارشال قائلا :

ـ سيذبح اليهود .

مع انتهاء الانتداب ورفع الحصار البحرى البريطانى عن السواحل الفلسطينية تدفق فيضان المتطوعين المدربين والسلاح والطائرات من أوربا الشرقية على إسرائيل .

* * *

قال السجل التاريخى لوزارة الدفاع المصرية :

« لم تطرأ أية زيادة تذكر على قوة الجيش المصرى اعتبارا من شهر ديسمبر ١٩٤٧ وحتى مايو ١٩٤٨ عندما أعلنت التعبئة ، وشكلت وحدات احتياطية للطوارئ .

كان مجموع القوات المصرية فى كل الأسلحة بما فيها الحدود وخفر السواحل فى ديسمبر ١٩٤٧ ـ ٢٦٨٤ ضابطاً و٥٥٤٢١ جنديا وفى مايو ٤٨ أصبح العدد ٢٦٤٤ ضابطا و٦٠٠٢٧ جنديا .

وكان عدد القوات المصرية المتمركزة فى العريش عندما أعلنت الحرب ٣٩٧ ضابطا و٨٨٩٥ من الجنود وهم الذين عبروا فجر ١٥ من مايو ، الحدود المصرية ـ الفلسطينية عند رفح على الطريق الساحلى الشمالى الممتد من غزة إلى فلسطين». وهو الطريق التقليدى الذى قطعته القوات المصرية أكثر من ٤٠ مرة عبر التاريخ .

وفى هذه المنطقة الجنوبية من فلسطين وصحراء النقب توجد ٢٧ مستعمرة يهودية موزعة فى أماكن متفرقة .

اجتمع مجلس الأمن فى اليوم نفسه وأصدر قرارا بوقف الأعمال الحربية فاجتمعت اللجنة السياسية فى دمشق ورفضت ذلك القرار لخلوه من أية ضمانات تطمئن إليها الدول العربية إذا تجددت المعارك .

* * *

وجه شيخ الأزهر مأمون الشناوى نداء إلى المجاهدين .

ووصف الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية يوم ١٥ من مايو بأنه يوم الملحمة وقال « ليكن شعارنا منذ اليوم فى مصر وسائر دول الشرق الأوسط كلمة فاروق الخالدة التاريخية : لن أقبل أن تقوم فى الشرق الأوسط دولة صهيونية على مقربة من حدود مصر» .

وأذاع الاخوان فى اليوم الأول للقتال بلاغا أعلنوا فيه أن « مجاهديهم فتكوا بقافلة يهودية كبيرة وظفروا بغنائم هائلة » .

ورحب الاخوان بدخول مصر الحرب .

نشرت صحيفتهم يوم ١٦ من مايو عنوانا كبيرا يقول « الجيش المصرى يثأر لعرب فلسطين » .

وكتب محب الدين الخطيب فى الصفحة الأولى من اليوم ذاته مقالا افتتاحيا عنوانه « من السياسة إلى الجهاد . أبرك تحول فى تاريخنا الحديث » قال فيه :

« الحكومة فى مصر وشقيقاتها كانت فيما مضى متخلفة عن شعوبها . لذلك كان القرار الرسمى نزولا من الحكومات العربية على إرادة شعوبها » .

ويوجه المرشد العام بصفته ممثلا لهيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين حديثا من إذاعة القاهرة عنوانه « ثمن الحياة » قال فيه :

« ليس فى العالم منذ فجر التاريخ قضية أعدل من قضية فلسطين ولا ظلم أفدح ولا أفظع من العدوان عليها .

اضطركم عدوان العصابات الصهيونية على عرب فلسطين إلى أن تهبوا لنجدتهم وتؤيدوا حق الروابط العزيزة التى تربطكم بها فبادروا إلى أداء الواجب كاملا غير منقوص » .

وتم التنسيق بين جيش مصر وكتائب الإخوان التى كانت تقوم بإشغال المستعمرات الاسرائيلية حتى لا تنقض من الخلف على الجيش المصرى .

* * *

أعلنت الولايات المتحدة أن الحالة فى فلسطين تهدد السلم وتنذر بالخطر وطلبت إلى مجلس الأمن وقف القتال .

وأيدت بريطانيا ذلك فوافق المجلس فى ٢٢ من مايو ، بعد أسبوع من بدء المعارك ، على وقف القتال وأن تبقى القوات فى أماكنها . ولا يحاول طرف تحسين وضعه العسكرى .. ولا تجرى تحركات للقوات والمعدات ولا تدخل قوات جديدة إلى ميدان القتال .

رفض العرب وقف القتال بينما قررت إسرائيل ـ على الفور ـ الاستجابة لنداء الهدنة .

قالت صحيفة الإخوان المسلمين :

« فيم الهدنة التى دعا إليها مجلس الأمن . إن الجيوش العربية استطاعت ، برغم مناعة استحكامات الصهيونيين، ومقاومتهم المستميتة ، أن تسيطر على زمام الموقف فى فلسطين سيطرة تامة وتوشك كماشتها أن تطبق على تل أبيب .

... وقف القتال فى هذه الآونة العصيبة معناه إتاحة الفرصة للعناصر الإرهابية اليهودية الإجرامية لتنتعش من جديد وتدعم من مراكزها ومواقعها .

وإصرار مجلس الأمن على فرض وقف القتال على القوات العربية فى هذا الظرف إعنات لا يمكن أن يحمل إلا على أنه خديعة مكشوفة يراد بها شل الجيوش العربية وإضاعة ثمرة تضحياتها ».

* * *

كانت المبادرة فى أولها من نصيب الجيوش العربية ، كما تقول وزارة الدفاع المصرية ، ولكن تمت جميع العمليات بلا تنسيق أو تعاون استراتيجى بين هذه الجيوش .. ورغم ذلك كانت جميع المعارك فى صالح العرب .

واستطاع الجيش المصرى دخول غزة فى اليوم التالى . واشتبك مع بعض المستعمرات اليهودية واحتل بعضها وترك وحدات تحاصر مستعمرات أخرى .

ووصل الجيش المصرى إلى المجدل ودخلت قوات المتطوعين المصريين بيت لحم التى لا تبعد عن القدس إلا خمسة أميال . وسقطت القدس العربية بعد ١١ يوما من القتال ورفع اليهود العلم الأبيض مستسلمين يوم ٢٨ من مايو .

وفى ٢٩ من مايو دخل الجيش المصرى أسدود .

وفى ٧ من يونيو كان الجيش المصرى قد احتل ثلث فلسطين وهدد بعزل القوات الإسرائيلية فى جنوب النقب وأصبح على بعد ١٦ ميلا من تل أبيب التى صارت على مرمى المدفعية المصرية تهدد خطوط دفاعها .

وأغارت الطائرات المصرية على المدينة وألقت عليها بعض القنابل فتحولت بعض شوارعها السكنية إلى أكوام من الأنقاض وأصاب الذعر السكان .

وكان الاستيلاء على تل أبيب التى يسكنها ربع مليون نسمة يعنى نهاية الحرب بالنسبة لإسرائيل .

ويعترف الإنجليز فى تقاريرهم السرية .

« لم تتضمن الحرب فى مراحلها الأولى أية إرهاق أو تضحيات كبيرة للقوات المصرية » .

وقال تقرير للسفير البريطانى فى القاهرة :

«كنا نلعب دور المتفرجين بالنسبة لتقدم الأعمال العسكرية » .

* * *

طلب بيفن إلى سفيره فى القاهرة إبلاغ الحكومة المصرية بأن الهجمات على الأهداف المدنية فى تل أبيب تسبب ضررا بالغا للقضية العربية لأنها تظهر العرب للعالم الخارجى .. كمعتدين .

وعقد اجتماع طويل بين السفير البريطانى وفاروق بعد ٤ أيام من القتال .

قال السفير رونالد كامبل :

ـ العرب يهاجمون المواقع اليهودية فى تل أبيب ويقصفونها بالمدافع .

قال فاروق متحديا :

ـ سيتعرض اليهود للهجوم فى أية مواقع محصنة .

قال السفير :

ـ وماذا سيكون رد العرب إذا اعتبرت الأمم المتحدة ذلك اعتداء ؟

قال الملك :

ـ العربُ مصممون على القتال حتى النهاية ، وإلى آخر رجل من قواتهم النظامية .

قال السفير :

ـ ربما يجتمع مجلس الأمن ليقرر وقف إطلاق النار وفرض عقوبات .

قال فاروق :

ـ يمكن لمصر أن تتحمل ثمانية أشهر دون أن تتأثر اقتصاديا . ولا أعتقد أن مجلس الأمن سيجتمع لوقف القتال .

وقال فاروق :

ـ أعتقد أن بريطانيا مثلى تكره بشدة أن ترى دولة صهيونية شيوعية تتأسس فى الشرق الأوسط .

قال السفير :

ـ ليس هناك شك فى مشاعرنا تجاه إقامة دولة شيوعية .

قال فاروق :

ـ أية دولة صهيونية ستكون شيوعية .

وأضاف صاحب الجلالة .

ـ ستجرى معارك ضارية . ولكن يوجد كثير من الحماس الدينى فى مصر ضد العمليات الوحشية التى تعرض لها المسلمون فى فلسطين. والناس العاديون متحمسون لدخول المعركة كأقصر طريق إلى الجنة .

وقال فاروق للسفير :

ـ هل تستطيع بريطانيا امدادى فى سرية تامة بأية مساعدة من الإمدادات العسكرية .... فإن بريطانيا تمسكت بقرار الحظر على تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط لمنع اتساع القتال .

وقال فاروق :

ـ تركيا مدينة لكم بالكثير فهل تستطيعون التلميح لها بمنع أية سفينة تابعة

لروسيا أو الدول الدائرة فى فلكها إذا كانت تحمل عتادا حربيا أو متطوعين إلى الصهاينة من عبور الممرات المائية .. البوسفور والدردنيل ؟

رد السفير :

ـ ليست هناك حالة حرب نظامية بالنسبة لتركيا للتدخل فى الملاحة . وستكون حريصة على عدم انتهاك المعاهدة وإثارة قضية الممرات .

قال السفير :

ـ ما موقفكم إذا رفعت الولايات المتحدة الحظر الذى فرضته على بيع السلاح للشرق الأوسط ؟

قال الملك :

ـ لن يكون ذلك ميزة للعرب . إن اليهود كانوا بدولاراتهم فى الولايات المتحدة ، ومصر لديها قليل من الدولارات . فهل تستطيعون مساعدتنا بالدولارات ؟

قال السفير :

ـ لا أجد فرصة ممكنة لذلك !

* * *

رغب النقراشى باشا والدكتور نجيب اسكندر وزير الصحة فى زيارة جبهة القتال فرفض حيدر !

وأعلن وزير الدفاع ـ بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ـ أن القصر الملكى كان يتدخل فى العمليات العسكرية ويأمر بتحرك القوات للاستيلاء على مناطق جديدة قبل تأمين المناطق الأولى .

وقال العسكريون المصريون ـ بعد الثورة وعزل فاروق ـ إن حيدر باشا كان على اتصال مباشر بالملك ، شديد الاعتزاز بذلك ويرفض أن يتصل بصاحب الجلالة أحد غيره فى شئون فلسطين .

نصح بيفن العرب بقبول قرار وقف القتال ، وأبلغ سفراؤه فى العواصم العربية هذه النصيحة للجميع .

قابل السفير البريطانى أحمد خشبة باشا وزير الخارجية لاقناعه بالمزايا التى تتحقق للدول العربية بإعلانها قبول قرار مجلس الأمن كما فعل اليهود .

قال الوزير :

ـ أعتقد أن الرد العربى سيكون على النحو التالى :

« لا ترغب الدول العربية فى مواصلة القتال ولا فى اراقة الدماء . وهى مستعدة للموافقة على وقف اطلاق النار إذا استطاعت القوى الكبرى أن تضمن عدم وصول تعزيزات من ـ أفراد واسلحة ـ إلى اليهود .

وأعرب الوزير عن عدم الثقة فى نزاهة اليهود » .

قال السفير :

ـ سيكون العرب فى وضع سيئ بالنسبة لليهود إذا كان قبولهم مشروطا ، وكان قبول اليهود غير مشروط .

قال خشبه باشا :

ـ الشرط العربى معقول لأن الخطر الذى يهدد العرب فادح وأكيد .

قال السفير :

ـ ساعدونا على تحقيق تسوية وفقا لمبادئ العدالة وتشجيعَ عناصر فى الولايات المتحدة ترغب فى إعادة السياسة الامريكية إلى الخط الصحيح .

قال الوزير :

ـ مصلحتنا فى رفض اقتراح وقف اطلاق النار ، لأن اليهود سيدعمون مواقفهم .

ولكن بيفن يبلغ الحكومات العربية الرسالة التالية :

« إنى أعتمد على رجال الدولة والاحساس الطيب للحكام العرب والسياسيين العرب . وأعرف أين تكون المصلحة الحقيقية للدول العربية . إن هذه لحظة حرجة بالنسبة للأسر المالكة والنظم السياسية فى البلاد العربية .

ويجب على الزعماء أن يختاروا بين إجراء وقتى مضلل للتحدى يتبعه الدمار والانقلاب السياسى . وبين التصرف كرجال دولة يقبلون الشروط التى أمكن لنا الحصول عليها فى مواجهة الضغوط المشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى » .

* * *

فكرت الولايات المتحدة فى رفع الحظر على توريد السلاح للمنطقة ... أى إسرائيل ومن هنا أخذ السفير البريطانى يعدد لوزير خارجية مصر مزايا وقف اطلاق النار :

* القرار لا يتجاوز حقوق ومطالب ومواقف أى من الجانبين .

* يأتى وقف اطلاق النار فى وقت عجزت فيه القوات العربية عن التقدم إلى حد كبير ، وكان اليهود يستعدون لهجوم مضاد قوى .

* يكفل القرار تعهدا من جانب اليهود بأنهم لن يدعموا قواتهم المسلحة ولن يؤثر ذلك على موقف العرب فهم لا يرغبون فى إحضار قوات مقاتلة إلى بلادهم من الخارج .

● استمرار فرض حظر تصدير السلاح للشرق الأوسط والا فإن فلسطين ستغرق فى فيضان من الأسلحة الامريكية القاتلة . وبالإضافة إلى ذلك فإن روسيا وأتباعها سيرسلون امدادات كبيرة من المواد الحربية . وسيشجع ذلك اليهود على غزو الأراضى المخصصة للعرب فى التقسيم .

* ينص القرار على إشراف محايد على وقف القتال .

وإذا قبل العرب القرار ونفذوه ، ولم يقبله اليهود ، أو قبلوه ولم ينفذوه فإن كل ثقل المشاعر والضغوط الدولية ستكون إلى جانب العرب .

ويعتبر ميزة للعرب انتهاك اليهود لتعهداتهم .

وهذه هى الفرصة الأخيرة لكسب الرأى العام الدولى لصفهم وكنا ـ أى الانجليز ـ نجاهد بمفردنا لضمان شروط معقولة للعرب .

وقد عرضنا للخطر علاقاتنا مع الولايات المتحدة فقد جعلناها توافق على ما نعتبره شروطا عادلة .

وإذا رفض العرب الفرصة فلن يكون بمقدورنا القيام بأية جهود جديدة نيابة عنهم وسنترك الأمور تسير فى مجراها .

وسيؤدى استمرار الصراع إلى تدهور فى موقف العرب العسكرى وإلى فقدان التأييد الدولى الذى يتمتعون به الآن ، وما يؤدى إليه تزايد الاجراءات الدولية القاسية ضدهم وتفكك أنظمتهم السياسية والاقتصادية .

إن هدنة الأسابيع الأربعة يمكن أن تستخدم كأفضل ما يكون فى محاولة حقيقية للوساطة وهذه أفضل الوسائل أمام العرب لتحقيق أهدافهم السياسية .

قالت صحيفة الاخوان إن الجماعة ترفض مُبدأ الهدنة من أساسه .

وكتب حسن البنا يقول :

« الجيوش العربية منتصرة مظفرة بيدها زمام الموقف ، والحقائق تفرض على الدول العربية أن ترفض كل اقتراح يشير إلى هدنة أو شبه هدنة إلا بعد أن تدخل جيوشها تل أبيب وتطرد العصابات الآثمة

وهل حقيقة ما يقال من أن بريطانيا أرادت الهدنة لتصل إلى ما تريد وأنها تلعب على الحبلين ، وتظن أنها أرضت العرب بتظاهرها بالوقوف إلى جانبهم حينا من الزمن ثم تحاول ارضاء اليهود بتشجيع الهدنة التى يستطيعون فى ظلها أن يتنفسوا مما هم فيه من ضيق

والصحيح أن قادة العرب أنفسهم هم الذين يريدون الهدنة بعد الاستيلاء على القدس القديمة »

وقال :

« ... هل صحيح أن حكام الشعوب العربية مازالوا مغرمين بالأساليب السياسية كارهين لكل ما يتصل بالحرب والجهاد » .

وأضاف :

« إننا متشائمون من هذه الهدنة لا نرضى بها ولا نوافق عليها . ونحمل الذين اختاروا هذا الطريق تبعة عملهم بين يدى الله والناس » .

دولة العصابات

كان بيفن يعانى ضغطا من الولايات المتحدة التى تؤيد اليهود بشدة. والسوفييت الذين اعترفوا بدولة إسرائيل.

وفى ذلك الوقت بدأ السوفييت حصار برلين الغربية .. بريا واتجهت جهود الولايات المتحدة وبريطانيا إلى هذه المدينة والموقف المتوتر فيها وضرورة مد سكانها بالطعام وكل مايحتاجون إليه بالطائرات.

وزادت مخاوف الدولتين من اشتعال حرب عالمية فجأة وكان يهمها استمرار التحالف بينهما.

اجتمع مجلس الأمن مرة أخرى يوم ٢٩ من مايو وقرر وقف القتال ملوحا بسلطته فى فرض الجزاءات على الجانب الذى يرفض القرار

وفى كل مرة كان اليهود يوافقون على الهدنة لموقفهم العسكرى السيء، أما العرب فكانوا يرفضون.

ولكن مع التهديد بالعقوبات والضغوط البريطانية تقرر أن يجتمع. رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية العرب فى عمان يوم أول يونيه ١٩٤٨.

أعتذر عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية عن عدم حضور الاجتماع بدعوى وعكة صحية وكان رأيه الذى عبر عنه لأحمد خشبة باشا وزير خارجية مصر رفض قرار مجلس الأمن، ومواصلة القتال خشية استغلال اسرائيل للهدنة المؤقتة لتعزيز مواقعها وإمكاناتها الحربية

واعتذر النقراشى باشا عن عدم مغادرة مصر فى تلك الظروف الحرجة. ومثل

مصر خشبة باشا الذى طار إلى عمان يرافقه وحيد رأفت مستشار الرأى بمجلس الدولة لوزارة الخارجية .

فى مذكرات وحيد رأفت وصف لما جرى فى الاجتماعين اللذين عقدتهما اللجنة السياسية فى عمان . قال :

« بدأت اللجنة بمراجعة تقارير ممثلى الدول العربية فى نيويورك . وقد أجمعت على أن الولايات المتحدة ستقوم بعمل لصالح إسرائيل إذا رفض العرب الهدنة .. مثل رفع الحظر على تصدير السلاح .. إلى إسرائيل .

ومن المحتمل أيضا أن يساعد الاتحاد السوفيتى إسرائيل بعد اعترافه بها ، كما أن بريطانيا لاتستطيع الوقوف مع الدول العربية خشية الصدام مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى خاصة بعد اتهام الدوائر الصهيونية للحكومة البريطانية علنا بمناصرة العرب .

ورأت اللجنة السياسية الوقوف على آراء القادة العسكريين قبل اتخاذ أى قرار ، وشكلت لجنة من رئيس وزراء الأردن توفيق أبو الهدى وأحمد خشبة باشا لسماع أقوال العسكريين .

وغضب سيف الإسلام عبد الله لعدم اختياره عضوا فى اللجنة وعزا ذلك إلى سابق اتهام البعض له بافشاء المداولات السرية !

استمعت اللجنة إلى الجنرال جلوب باشا قائد الجيش الأردنى وقائد القوات العراقية والعقيد سعد الدين صبور نيابة عن قائد القوات المصرية فى فلسطين .

قال القادة الثلاثة إن الجيوش العربية تنقصها الذخيرة . ولذلك فهى مضطرة لوقف القتال كما أن المعارك الحاسمة لم تبدأ بعد والمعاقل الحصينة مازالت بين الاسرائيليين .

وينتهى الاجتماع بالموافقة على وقف القتال مدة أربعة أسابيع مع تحفظات بمنع الهجرة اليهودية وتحديد مهمة الوسيط الدولى الكونت برنادوت وتشديد الرقابة على جميع منافذ فلسطين !

وعلقت الصحف البريطانية على الهدنة فقالت :

ـ إنها هدنة عسيرة التنفيذ وغير مأمونة !

ويكتب عمر عزمى فى صحيفة الاخوان :

«أيقنت الصهيونية أن احلامها تتبدد تحت ضربات الجيوش العربية الباسلة فراحت تلعب لعبتها فى مجال السياسة العالمية حتى أفلحت أخيرا فى حمل مجلس الأمن على الضغط على الدول العربية بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المشاكل الدولية فتوقف الجهاد العربى لإنقاذ أمل الصهيونية الدولية » .

* * *

توقف القتال على كل الجبهات فى ١١ من يونيو بعد معارك استمرت ٢٦ يوما لتبدأ مهمة الكونت برنادوت الوسيط الدولى الذى عينته الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٤ من مايو لحل مشكلة فلسطين

وكان الكونت برنادوت ـ ٥٣ سنة ـ وهو ابن عم جوستاف ملك السويد وسيطا بين النازيين الألمان والحلفاء فى أواخر شهور الحرب العالمية الثانية . وكان على برنادوت حل المشكلة فى خلال أسابيع الهدنة الأربعة .

قال مايكل رايت الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية :

ـ ستكون معجزة لو استطاع ذلك الوسيط الدولى !

قال السير جون تراوتبيك مدير المركز البريطانى فى الشرق الأوسط :

« على بريطانيا إقناع العرب بقبول دولة العصابات » !

* * *

لم يعرف العرب أن للهدنة أبعادا أكبر من مجرد وقف القتال .

كانت الهدنة تعنى كما قال السير رونالد كامبل السفير البريطانى « إن المرحلة الأولى فى ايجاد حل لمشكلة فلسطين .. قد تحققت » .

ولم يكن الحل مرضيا للعرب .. بحال .

قال السفير فى برقية طويلة إلى بيفن :

« **سيتعين على العرب أن يقرروا ما إذا كانوا سيذعنون للتقسيم أم سيستأنفون الأعمال الحربية .**

وسيكون زعماؤهم فى موقف خطير فإذا أذعنوا فإن كل كلماتهم الرائعة سترتد إلى وجوههم .

وسيتعين عليهم أن يشرحوا للرأى العام فى بلادهم أنهم ذهبوا إلى الحرب من أجل حلم كسول وأن الانتصارات الهائلة المسجلة فى بياناتهم اليومية لم تقدم شيئا .

ومن الناحية الأخرى إذا قرروا استئناف القتال فمن الواضح تماما أنهم سيلقون الهزيمة » .

وحذر السفير حكومته قائلا :

« **بدأت أسطورة جديدة تضرب جذورها بالفعل ، وهى أن الجيوش العربية كانت على وشك الانتصار الكامل ولكن لم يحل بينها وبين ذلك إلا :**

(ا) تدخلنا لفرض الهدنة .

(ب) رفضنا تسليم الأسلحة التى دفع ثمنها أو تم توقيع عقودها .

... ومعروف أن العرب يعانون من عجز شديد فى الذخيرة .

وأفضل خط يمكن أن ننتهجه أن نقول إننا شركاء فى المصيبة فى هذه المسألة فإقامة دولة يهودية ليس من مصلحتنا بأكثر مما هو ضد مصلحة العرب .

ويمكن أن نشير مخلصين إلى أنه لانحن ولا العرب ، سواء منفصلين أو متعاونين نستطيع الوقوف أمام القوة المجتمعة للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى .

وليس من مصلحة أحد أن تتحطم الأمم المتحدة على هذه الصخرة

ويمكن التخفيف من الأمر بتقديم تأكيدات من جانبنا للعرب بأننا سنساندهم إذا حاولت الدولة اليهودية التوسع أكثر فى الأراضى العربية » .

وكان الانجليز قد اقتنعوا نهائيا بقبول فكرة التقسيم .

وبنوا قرارهم على الموقف العسكرى الواقعى . وظنوا أن قيام دولة يهودية قد يدفع العرب للوحدة وراء الانجليز .

وآمنت بريطانيا بأن الدولة اليهودية لن تكون إلا دولة شيوعية فاللاجئون إما عملاء للسوفييت أو مهاجرون من دول شرق أوربا الشيوعية آمنوا بفلسفة الحكم فى روسيا وشرق أوربا .

واعتقد الانجليز أن العرب سيكرهون الشيوعية مادامت توجد دولة شيوعية متاخمة لهم .

وتوقع الانجليز أنه إذا لم يتوقف القتال فإن الاتحاد السوفييتى سيتدخل ويرسل أسلحة وقوات لاسرائيل من موانى البحر الأسود !

* * *

خرقت إسرائيل الهدنة بعد ساعات من قيامها قبل وصول مراقبى الأمم المتحدة لقطع خطوط المواصلات على العرب وقد عرفت حرب فلسطين باسم حرب « خطوط المواصلات » كما يقول إبراهيم محمد شكيب فى رسالة للدكتوراه عنوانها « مصر وحرب فلسطين عام ١٩٤٨ » .

وبلغ عدد المخالفات التى ارتكبتها إسرائيل لشروط الهدنة ١١ مخالفة فى اليوم الأول . أما المجموع خلال فترة الهدنة فقد بلغ ١٥٠ مخالفة رغم كل التأكيدات البريطانية .

ولكن الولايات المتحدة اتهمت العرب ، علانية ، فى مجلس الأمن بأنهم معتدون .

احتلت إسرائيل بلدة « العسلوج » . وقرية « الجسير » شمال الفالوجة التى أصبحت محاصرة .

ونجحت خلال ــ الأسابيع الأربعة ــ للهدنة فى تدعيم مواقعها شمال فلسطين . شرق الجليل وغربه .

وكان مقررا ــ طبقا للتقسيم ــ أن يكون غرب الجليل ضمن حدود الدولة الفلسطينية العربية .

وجاء السلاح الإسرائيلى من تشيكوسلوفاكيا ودول أخرى : دبابات ومدفعية وطائرات وأعادت إسرائيل تنظيم وتدريب قواتها واستيعاب الأسلحة الجديدة التى تدفقت عليها . وظهرت هذه الأسلحة فى الميدان !

ويبرق قنصلا الولايات المتحدة فى حيفا والقدس إلى واشنطن بأن شحنات ضخمة من الأسلحة وآلاف الجنود المدربين يتدفقون على إسرائيل من أوربا الشرقية ، كما أن إسرائيل ترغم أسرى الحرب على بناء التحصينات .

وفى كتاب « الانحياز » قال الكاتب الأمريكى ستيفن جرين : « إسرائيل لم تنتصر فى القتال بل كسب اليهود معركتهم خلال الهدنة الأولى » ! -

فشل العرب فى التنسيق بين قواتهم ووضع خطة موحدة أو تسوية خلافاتهم . وأمضت القوات العربية فترة الهدنة .. فى استرخاء !

كتبت صحيفة الاخوان تقول « إن عصابات اليهود تمضى فى خرق مايسمونه الهدنة بينما تبالغ الدول العربية فى الصبر » !

* * *

حاولت الولايات المتحدة وبريطانيا مد الهدنة .

اجتمعت الجامعة العربية فى القاهرة لبحث اقتراح مد الهدنة .

وتوجه رئيس وزراء العراق إلى السفارة البريطانية للاجتماع بالسفير البريطاني السير رونالد كامبل .

قال السفير :

ـ لايرغب أرنست بيفن فى إقامة دولة يهودية . ولكن أليس من الأسلم للعرب أن تكون لليهود دولة صغيرة داخل حدود معروفة بدقة وإذا حاولوا توسيعها أعتبر ذلك عدوانا ؟

واقترح السفير بناء على تعليمات حكومته أن تضم الدولة اليهودية الجليل الغربى مقابل ممر بين مصر والدول العربية فى آسيا

حذر السفير الوزير العراقى قائلا :

ـ فى استئناف العمليات العسكرية مخاطرة للعرب . واحتمال النصر مشكوك فيه للغاية لأن اليهود دعموا مواقعهم . ولا يمكن للعرب القضاء على الدولة اليهودية بالقوة .

وقال السفير :

ـ ستكون المسئولية على العرب إذا استؤنفت المعارك فى ٩ من يوليو .

رد رئيس وزراء العراق قائلا :

ـ هل ستكون الحكومة البريطانية مسئولة أمام العرب عن النتائج باعتبارهم حلفاء إذا وافقوا على هذه النصيحة .

تخلص السفير من الجواب قائلا .

ـ لا أعتقد أن الحكومة البريطانية تتعهد بذلك . ولكن إذا قبل العرب نصيحتها يستمر مستر بيفن فى تأييدهم بقوة والعمل على إيجاد حل أفضل . أما إذا ارتكبوا خطأ فلن نساعدهم .

رفض العرب مد الهدنة .

وطلب النقراشى من الانجليز تزويد مصر بالسلاح والمعدات العسكرية . ولكن بريطانيا تمسكت بالحظر الذى فرضه مجلس الأمن .

قال رئيس وزراء مصر وهو يبلغ السفير البريطانى رفض مد الهدنة :

ـ أذكرك بواجب مصر تجاه عرب فلسطين . جاءت أسابيع الهدنة الأربعة فى صالح اليهود عسكريا

ولكن السفير البريطانى يكتب لحكومته قائلا :

ـ النقراشي باشا يندفع خائفا من الظهور بمظهر الذى انصاع للضغوط البريطانية .

* * *

ويستمر تدفق الأسلحة الأمريكية على إسرائيل عن طريق أمريكا اللاتينية .

فى اليوم الأخير للهدنة ـ ٨ من يوليو ـ يقدم الادميرال هيلينكوبتر مدير المخابرات المركزية الأمريكية تقريرا للرئيس الأمريكى قال فيه :

« **هناك شك فى نجاح القوات العربية فى تعويض النقص الحاد فى ذخيرتها . وإذا لم يرغم العرب إسرائيل على تقديم تنازلات سياسية خلال شهرين فسيضطرون إلى سحب معظم وحداتهم العسكرية من فلسطين . فإن القوات الإسرائيلية أصبحت ضعف القوات العربية فى فلسطين والأراضى المجاورة لها** » .

استؤنف القتال فاستطاعت القوات الاسرائيلية التقدم فى ٣ جبهات أساسية

قامت بتطويق « اللد » و« الرملة » فانسحب الجيش الاردنى منهما ويقول « ستيفن جرين » : إن الفيلق العربى فى الأردن كان بلا ذخيرة ولا أمل لديه فى امدادات جديدة .

قالت وزارة الدفاع المصرية « ظهرت رغبة شرق الأردن فى الانسحاب من القتال وترك الجيوش الأخرى تتحمل الهجوم وحدها . وأصدر الجيش الأردنى أمرا لقواته فى ١٤ من يوليو بايقاف جميع العمليات الهجومية واتخاذ موقف الدفاع » .

وزاد الضغط على القوات المصرية التى أخذت تواجه مطالب الجيش

المصرى والجيش الأردنى وتحاول طرد إسرائيل من المواقع التى احتلتها ـ دون قتال ـ أثناء فترة الهدنة .

* * *

قام يادين قائد القوات الاسرائيلية بمحاصرة الجيش المصرى الذى يقف على مشارف تل أبيب وهاجم قواته من الخلف .

وقع اضطراب داخل الخطوط المصرية ولكن كان يمكن تدارك الموقف لولا الخدعة التى لجأ إليها يادين .

عقد مؤتمرا صحفيا اعلن فيه أنه « قطع خطوط إمدادات القوات المصرية بقوات إسرائيلية عارمة » .

صدقت ذلك القوات المصرية فى القاهرة ـ والأرجح أنه الملك ـ فطلب من محمد نجيب سحب قواته المتقدمة .. وكان من السهل على الجيش المصرى والقوات العربية احتلال فلسطين كلها فى تلك الأيام الأولى من الحرب .

وكان هذا الانسحاب من العوامل الحاسمة فى سير القتال لصالح إسرائيل .

استطاع اليهود فتح ممر إلى قواتهم فى جنوب النقب وتمكنت القوات المصرية فى آخر لحظة من استعادة بلدة العسلوج .

قال جوزيف ساتر ثويت مدير مكتب الشرق الأدنى بالخارجية الأمريكية :

« ربما تؤدى الهزائم العسكرية التى تتعرض لها الجيوش العربية إلى الاطاحة ببعض الحكومات العربية .. فإن العرب كانوا يرون النصر فى قبضتهم .

وستؤدى حالة الاضطراب السائدة إلى توفير التربة الصالحة لنمو الشيوعية . كما تفقد القوى الغربية المنشآت الاستراتيجية التابعة لها فى الشرق الأدنى وتؤول إلى الاتحاد السوفييتى »

* * *

فشلت إسرائيل فى الاستيلاء على الفالوجة مساء ١٧ من يوليو .

وفى اليوم التالى ـ ١٨ من يوليو ـ أوقف مجلس الأمن القتال بعد أن هدد بفرض عقوبات اقتصادية .

نجح اليهود خلال أيام القتال التسعة فى الحصول على ثلاثة أضعاف الأرض التى فازوا بها خلال الشهر الأول للمعارك

قالت المخابرات المركزية الأمريكية :

« نتج عن الهدنة تطور ضخم فى القدرات اليهودية إلى حد أن اليهود ربما وصلوا إلى درجة من القوة تمكنهم من شن هجوم واسع النطاق وطرد الجيوش العربية خارج فلسطين » .

* * *

فشل العرب مرة أخرى فى التنسيق فيما بينهم وتبادلوا الاتهامات كعادتهم .

.. السوريون يشكون فى أن العراقيين واللبنانيين لم يقدموا لهم مساعدات كافية .

والمصريون يتهمون الأردنيين بأنهم تخلوا عن اللد والرملة دون مقاومة جدية بينما كانوا ـ أى المصريين ـ فى حاجة إلى هجمات اردنية لتخفيف الضغط على الخطوط المصرية الطويلة .

وحاولت إسرائيل توسيع الممر المؤدى إلى جنوب النقب وفشلت فى ذلك كما فشلت فى اختراق الفالوجة أو « عراق المنشية » فقد نجحت القوات المصرية فى فتح طريق شرق العسلوج للمرور فيه حتى تكون خطوط المواصلات المصرية متصلة من العريش إلى رفح والعوجة ومنها إلى بير سبع .. ولكن يقتل المقدم أحمد عبد العزيز ـ يوم ٢٢ من أغسطس ـ برصاصة خاطئة من جندى مصرى .

ويخطب مناحم بيجن زعيم عصابة ارجون فى الاسرائيليين المحتشدين بميدان صهيون بالقدس يوم ٣ من أغسطس فيقول :

« القدس كلها ، لا القدس العربية وحدها ، يجب أن تكون جزءا من دولة إسرائيل » .

* * *

تمزقت الجبهات العربية .

كانت الأمم المتحدة تحمى اليهود فى بداية الهدنة . من القوات العربية القوية . وبالذات فى القدس . ولكن فى أغسطس ، تغير الموقف تماما .

فقد أخذ الاسرائيليون فى إطلاق النار على قوات الأمم المتحدة لأنها رأت فى الوسيط الدولى وقوات الهدنة عقبة تمنعها من الانتصار فى القدس ، وفى فلسطين كلها .

كتب جيمس ماكدونالد القنصل الأمريكى فى القدس : « ترى إسرائيل فى الكونت برنادوت وقواته عقبة لمنع غزوهم للقدس وربما باقى فلسطين »

كتب مارشال وزير الخارجية الأمريكى إلى ترومان فى ١٣ من أغسطس :

« سيفرض تجدد القتال بين الأردن وإسرائيل على بريطانيا احترام معاهدتها مع الأردن .. والنتيجة أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة ستعاون دولتين متحاربتين ولن يفيد إلا الاتحاد السوفيتى »

وأضاف مارشال :

« تخترق إسرائيل الهدنة بانتظام ، وتحرك قواتها ، وتطلق النار على المواقع العربية ، وتخالف قرار حظر تصدير السلاح .

لقد أصبحت إسرائيل معتدية »

ويبعث حسن البنا برسالة إلى النقراشى يوم ١٨ من أغسطس يستنكر فيها خرق إسرائيل للهدنة وانتقال عصابات أرجون شتيرن للقدس

قالت الرسالة : « يتيح مراقبو الهدنة لليهود الانتفاع بها لتقوية أنفسهم

وتحسين مراكزهم وافلات مائة ألف يهودى كانوا مهددين من الحصار وإمدادهم بالأسلحة والذخائر والرجال .

وقد توقف الجيش الأردنى عن القيام بأى عمل رغم مايتكرر أمام سمعه وبصره من الاعتداءات اليهودية ، مما يعنى أن اليهود رتبوا الهجوم المفاجئ على القدس فى أية لحظة لتشريد أهلها وهدم المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ».

وحمل المرشد العام جامعة الدول العربية والحكومة المصرية تبعة هذه النكبة المنتظرة التى لايستلزم دفع عارها عن الأمة العربية أكثر من تقوية حامية القدس وإمدادها بالمجاهدين والذخائر اللازمة .

* * *

بدأت مشكلة اللاجئين .

قالت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية :

« كان الشعب العربى واثقا من النصر كما أكد له زعماؤه .

وقد تنعكس المرارة التى تشعر بها الشعوب العربية على شكل أعمال عنف ضد حكوماتهم أو ضد القوى الغربية أو الاثنين معا .

وإذا صبت هذه الشعوب سخطها على قادتها فإن بعض الحكومات العربية قد تلجأ فى مواجهة ذلك إلى السعى لاستئناف الحرب فى فلسطين .

وعلى أية حال فإن الزعماء العرب سيبذلون قصارى جهدهم لتحويل غضب الشعوب ضد الأمم المتحدة والولايات المتحدة وبريطانيا بل ربما ضد بعضهم بعضا » .

قابل الكونت برنادوت الوسيط الدولى رئيس وزراء مصر .

قال النقراشى :

ـ لايمكن الموافقة بأى حال من الأحوال على دولة يهودية .

سأله الكونت :

ـ وكيف تمنع وجودها عمليا ؟

قال النقراشى :

ـ ستتجاهل مصر وجود الدولة اليهودية بكل الطرق الممكنة .

قال الكونت :

ـ أعتقد أن الأمم المتحدة ستقر وجود الدولة اليهودية .

ويطير الكونت برنادوت إلى رودس ليشترك فى اجتماعات سرية مع البريطانيين والأمريكيين يوم ١٣ من سبتمبر لمدة ٤٨ ساعة يتفق فيها على التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة مع إعطاء النقب للعرب والجليل لإسرائيل وتدويل القدس

وكان الهدف من هذه الاجتماعات أن يقدم برنادوت الحل للطرفين المتحاربين حتى يقال إن الحل « صنع فى السويد » ولم تصنعه وشنطن أو لندن !

عاد برنادوت إلى إسرائيل يوم ١٦ من سبتمبر فيتهمه موسى شاريت وزير خارجية إسرائيل ـ فى نفس اليوم ـ بالانحياز إلى العرب .

وتغتال العصابات الصهيونية الوسيط الدولى ـ بعد ٢٤ ساعة من اجتماعات رودس ـ داخل مدينة القدس يوم الجمعة ١٧ من سبتمبر .

اعترضت موكب الوسيط الدولى فى الخامسة والنصف مساء سيارة جيب يستقلها أربعة أشخاص أطلقوا النار ـ من مدفع ـ على رأسه فمات فى الحال ومع ذلك أطلقوا النار على قلبه وفر الأربعة .

وصرح متحدث باسم عصابة شتيرن أنه سعيد بالاغتيال وراض عنه .

وكانت إسرائيل ترى فى برنادوت أداة ومخلب قط للإنجليز .

وكان الرجل ، فى حقيقة الأمر ، يرى العدل مع العرب ولذلك كان متعاطفا

معهم ولكنه لم يفكر فى الحل العادل وحده .

ولاتنشر الصحف الأمريكية نبأ اغتيال برنادوت بإفاضة كما فعلت صحف أوربا .

ويتهم ماكدونالد القنصل الأمريكى بالقدس فى برقيته إلى واشنطن عصابة « شتيرن » بأنها مسئولة عن ارتكاب الجريمة .

وتقبض الحكومة الإسرائيلية على ٣٠ من أفراد « شتيرن » اتهموا بالاشتراك فى ارتكاب الجريمة . ولكن القنصلية التشيكية تمنحهم تأشيرات دخول مساء اليوم نفسه . وخلال يومين تسمح الحكومة الاسرائيلية للقتلة بالسفر سرا إلى براج .

ورجح الملحق الجوى الأمريكى فى عاصمة تشيكوسلوفاكيا أن عملية اغتيال برنادوت خططت وأعدت فى تشيكوسلوفاكيا وأن فرقة الاغتيال طارت إلى إسرائيل لهذا الغرض .

واعترفت اسرائيل ، فى ٣ من مايو ١٩٤٩ ، بأن القتلة افرج عنهم بعد أسبوعين من الحادث وباقى المتهمين صدر عنهم عفو عام فى ١٤ من فبراير ١٩٤٩ لأن القضاء العسكرى الاسرائيلى لم يتحقق من أن الجريمة تمت بأوامر من عصابة شتيرن .

ولم يحاكم القتلة .. أبدا .

ويذاع تقرير برنادوت بعد ثلاثة أيام من وفاته ، وفيه يقترح تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية .. على أن يأخذ العرب منطقة النقب ويأخذ اليهود منطقة الجليل .

* * *

استعدت القوات اليهودية للحرب مرة أخرى فقامت بضرب عراق المنشية والفالوجة وقامت بتحصين مواقعها القريبة من الخطوط المصرية .

دعا مجلس الأمن الطرفين إلى التوقف عن القتال ولكن استؤنف يوم ١٥ من أكتوبر على نطاق واسع فى الجبهة المصرية فقد أصبحت القوات الإسرائيلية فى النقب وحدها تعادل الجيش المصرى المحارب كله

وركز اليهود هحومهم لفتح طريق لتموين مستعمراتهم الجنوبية فى النقب لعزل القوات المصرية عن بعضها وقطع خطوط مواصلاتها وهاجموا طريق رفح ـ العوجة

وزادت شحنات الأسلحة والقوات من تشيكوسلوفاكيا فقالت الأمم المتحدة إن الرابطة التشيكية الصهيونية تمثل تدخلا من قوة أجنبية فى الشرق الأوسط .

رأت إسرائيل تحويل الأنظار عن الجسر الجوى الذى ينقل السلاح إليها من تشيكوسلوفاكيا فادعت أنها تتعرض لغزو من قوات بريطانية تتدفق من العراق والأردن وليبيا .

وكان النبأ مختلقا من أساسه

وفى نوفمبر لم تكن إسرائيل فى حاجة إلى السلاح التشيكى . قال الخبراء البريطانيون إن إسرائيل أصبحت تملك مابين ١٥٠ و ١٦٠ طائرة يقودها ـ جميعا ـ طيارون أجانب .

وأغارت الطائرات الاسرائيلية على غزة والمجدل والعريش . وأرغموا المصريين على الانسحاب جنوبا إلى غزة فقد كان الجيش المصرى ، وحده ، يحارب !

ويستمر القتال أسبوعا واحدا اخترقت إسرائيل خلاله النقب واحتلت مدينة الحليقات وبيرسبع ودخلت إيلات على خليج العقبة .

وانسحبت قوات الدول العربية نحو حدودها مما أتاح لليهود تحويل قواتهم إلى الجبهة المصرية .

واضطرت القوات المصرية إلى الانسحاب من أسدود والمجدل . وقطع اليهود خطوط الامدادات من مصر عن القوات المصرية فحوصر ٤٠٠٠ جندى

مصرى فى الفالوجة وعراق المنشية يقودهم العقيد سيد طه .. وكان نائبه البكباشى ـ المقدم ـ جمال عبد الناصر.

حاولت لجنة الهدنة إقناع إسرائيل السماح بتموين القوات المحاصرة بالطعام والماء . ورفضت إسرائيل السماح لهذه القوات بالخروج من الفالوجة .

ويوافق مجلس الأمن فى ٣ من نوفمبر على هدنة ، تنفذ اعتبارا من ١٣ من نوفمبر . ولكن إسرائيل توالى حصارها للفالوجة أربعة أشهر لم تستسلم خلالها القوات المصرية المحاصرة فى الفالوجة حتى وقعت اتفاقية الهدنة فى رودس فى ٢٤ من فبراير ١٩٤٩ .

قال الكاتب اليهودى جون كيمش : « هذه العملية أدت إلى قطع الأصبع المصرى الممتد إلى تل أبيب » !

وقبل أسبوعين من موعد انتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة أعلن توماس ديوى منافس الرئيس ترومان أنه يرفض مقترحات برنادوت التى التزمت بها الولايات المتحدة فى نوفمبر فاضطر ترومان إلى اتخاذ موقف أكثر تطرفا لمصلحة اسرائيل قبل أسبوع من يوم التصويت .

أعلن ترومان أنه يؤيد التقسيم كما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ويوافق على تعديل الحدود طبقا لما تقبله إسرائيل .. وبذلك نسف ترومان خطة برنادوت ، وأعطى إسرائيل ، بعد فوزه فى الانتخابات التى جرت فى نوفمبر ، شيكا دبلوماسيا على بياض !

ويبعث السير هيلم ممثل بريطانيا من تل أبيب يقول :

« ولدت إسرائيل عن طريق القوة التى فرضت بتصميم مجرد من الضمير ، من جانب شعب جعله إحساسه بعقدة النقص والاضطهاد شعبا عدوانيا يعمى عن مصالح الآخرين ، كما أن النجاح السهل الذى حققه هذا الشعب والذى يسرته الدول القوية فى العالم أكد ايمانهم بأنه بالنسبة لهم لم ينته عصر المعجزات » .

قال كلاتون رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية للويس دوجلاس السفير الأمريكى فى لندن :

ـ الهياج الأخير فى مصر بشأن فلسطين يستغله الاخوان والشيوعيون .

وأضاف ·

ـ يحتمل أن تذعن مصر لإنشاء إسرائيل . وستتعامل معها بمرور الوقت .

وقال :

ـ المصريون يعبرون عن إعجابهم المشوب بالحسد « للمهارة الشيطانية » التى أغرت بها بريطانيا الجيوش العربية على دخول فلسطين ثم تركتها تغرق !

وفى نظر المصريين أن هده المناورة البارعة تستحق احترام المصريين كما تستحق الولايات المتحدة قدرا من الاحترام لمساندتها للجانب الفائز !

* * *

لم تحترم إسرائيل قرار وقف إطلاق النار الثالث كما عبثت بالقرارين السابقين واستمرت تهاجم وتحتل مزيدا من الأراضى الفلسطينية وكان جيش إسرائيل قد وصل إلى رقم اسطورى وهو مائة ألف مقاتل ولديه السلاح ، وروح القوات عالية نتيجة للانتصارات

حاولت بريطانيا ـ دون جدوى ـ الاتفاق مع الولايات المتحدة على العودة إلى قرار التقسيم ولكن ترومان رفض .

وحاولت بريطانيا تطبيق خطة بانش ـ الذى خلف برنادوت كوسيط ـ بإعطاء الجليل لاسرائيل والنقب للعرب فرفض ترومان أيضا

واكتفت بريطانيا بأن تطلب أن يكون جنوب النقب للعرب أو منحهم ممرا يصل بين مصر والأردن

ولكن بن جوريون أبلغ ماكدونالد ممثل الولايات المتحدة فى تل أبيب بأنه

لن يوافق على انسحاب إسرائيل من النقب وعودة السيادة المصرية إلى بيرسبع أو أى جزء آخر من صحراء النقب .

ودعا الرئيس الإسرائيلى حاييم وايزمان ممثل الولايات المتحدة ماكدونالد إلى مأدبة غداء وطلب منه أن ينقل رسالة إلى ترومان وفيها يقول وايزمان :

ـ لن تستسلم إسرائيل على الاطلاق . وكل يهودى سيقاوم حتى الموت ، قرار النقب .

ولعب وايزمان دوره بمهارة فى ظل الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

قال :

ـ إن سياسة بريطانيا منذ اقتراح الرئيس ترومان توسيع نطاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام ١٩٤٥ قامت على أساس أن إسرائيل ألعوبة فى يد الروس .

وهذا الاتهام غير صحيح تماما لأن إسرائيل تتجه إلى الغرب .

وتؤمن بأنها لايمكن أن تنمو وتحتفظ بتجربتها إلا من خلال تعاونها مع الولايات المتحدة .

وإسرائيل ترحب بتأييد الروس لها فى الأمم المتحدة . وتتوجس خيفة من معانقتهم

ويمكن للنفوذ الروسى هنا أن يصبح خطيرا إدا ساندت كل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة إذلال إسرائيل والتضحية بها من أجل مصالح الامبريالية البريطانية .

واختتم وايزمان رسالته قائلا :

ـ أناشد الرئيس ترومان، الذى يحظى لدينا بمكانة لا تعادلها مكانة رجل دولة آخر أن ينقذنا مما أصابنا من يأس .

ويزكى ماكدونالد رسالة وايزمان فيشير إلى أهمية آرائه لأنه معتدل .

وتكون نتيجة الرسالة مزيدا من تأييد ترومان لاسرائيل !

* * *

طلبت بريطانيا إلى سفيرها فى وشنطن أوليفر فرانكس أن يتوجه إلى البيت الأبيض لمقابلة ترومان وإقناعه بضرورة تأييد قرار النقب . ولكن ترومان وبخ أوليفر فرانكس قائلا :

ــ لايوجد ما يدعو لانزعاج البريطانيين وقلقهم . إن هذه الأرض الصغيرة ، لايصح أن نختلف بشأنها معكم ولن أستسلم لبريطانيا فى مسألة يعطونها جانبا من الأهمية الاستراتيجية . ولن تؤثر فى استراتيجيتنا .

وقال جيمس ماكدونالد ، ممثل الولايات المتحدة فى تل أبيب :

ــ أمريكا تؤيد اسرائيل ولا تؤيد العدل .

قال أورم سارجنت الوكيل الدائم للخارجية البريطانية :

ــ ترومان صعيف ، عنيد كثير الشكوك .

ولكن بيفن عبر عن موقف بريطانيا فقال :

ــ لن يؤيدنا الرأى العام البريطانى إذا حاربنا فى النقب . وليست لدينا الوسائل ولا الامكانات لنحتفظ بالشرق الأوسط لأنفسنا ولابد من تعاون الولايات المتحدة معنا .

ولم يقل بيفن إنه صار على بريطانيا أن تتعامل مع إسرائيل بشروطها .

وأوضح بيفن فى مذكرات رسمية سياسة ترومان . قال :

ــ ترومان يرى أن تقوم دولة إسرائيل . وكل شىء ــ فيما عدا ذلك ــ يذهب للجحيم . والولايات المتحدة تريد السلام بأى ثمن ولتتوسع اسرائيل مهما كانت النتائج .

وقال السير جون تراوتبيك بنظرة واعية عميقة إلى المستقبل :

ـ أرجأت إسرائيل غزو قلب فلسطين . الضفة الغربية ـ وباقى القدس ـ أى القدس العربية ـ إلى موعد آخر !

قالت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى تقرير سرى :

« سياسة الولايات المتحدة فى قضية فلسطين تتلخص فى تأييد اليهود بدلا من الحذر منهم وكسبهم إلى صف الولايات المتحدة بدلاً من احتواء إسرائيل أو معاداتها .. ووقف التسلل الشيوعى والحيلولة دون هيمنة الاتحاد السوفيتى عليها وتوجيهها بعيدا عنه . إلى الغرب » .

ويقرر مجلس الأمن يوم ١٦ من نوفمبر إعلان الهدنة الدائمة فى جميع أنحاء فلسطين .

وتكتب السفارة البريطانية تقريرا عن الجيش المصرى فى هذه الحرب على ضوء النتائج النهائية للقتال .

قال التقرير :

« لم يكن الجيش مستعدا للحرب حتى على النطاق الصغير نسبيا الذى حدث .

وبغض النظر عن الافتقار لوجود أية تنظيم إدارى فلم توجد أى وحدات متكاملة أكبر من الكتيبة

وتم على عجل دفع لواء شكل حديثا أضيفت إليه بعض المدفعية .

وتحرك هذا التشكيل المفتقر لوسائل القوة الى سيناء دون وجود فكرة واضحة عما سيقوم به . وزادت مهمته صعوبة نتيجة الافتقار إلى التلاحم السياسى والعسكرى بين الجيوش العربية .

وكما بدأ على « الطريق الخطأ » فقد افتقد التوازن حتى النهاية وكان من حسن حظه أنه لم يصب بنكسة أسوأ من التى تكبدها بالفعل .

وفشل فى الاتصال بالفيلق العربى على يمينه وسمح للإسرائيليين بالوصول إلى

التلال فى الشرق واختراق الخطوط العربية .

وأدى ذلك إلى تخلى القوة المصرية عن جناحها الشرقى والارتداد إلى الحدود الدولية المصرية بعد أن تركت قطاعا ضيقا فقط حول غزة فى أيد مصرية غير ثابتة تماما .

وقال التقرير إن الفشل المصرى يعزى إلى :

١ ـ عدم الاستعداد للحرب على هذا النطاق .

٢ ـ الافتقار للإدارة فى القاعدة وخطوط المواصلات .

٣ ـ وجود قيادة غير مجربة .

٤ ـ الافتقار للتنسيق مع الحلفاء العرب .

٥ ـ محال المخابرات الضعيف .

٦ ـ التركيز الزائد فى القيادة .

وقال التقرير « إن إحدى الصعاب التى لافكاك منها تتمثل فى أن القيام بأية عملية على الحدود المصرية أو وراءها يتطلب خطوط مواصلات تمتد مئات الأميال عبر الصحراء .

وأدت النكسة الحقيقية والضربات التى وجهت للشرف العسكرى المصرى إلى التصويت على اعتماد ٥٠ مليون جنيه وافق عليها البرلمان خصصت للقوات المسلحة » .

قالت وزارة الدفاع المصرية «كانت الحرب بالنسبة لعدد كبير من ضباط الجيش المصرى ، تجربة من نوع مرير . فقد ذهب البعض إلى الجبهة يشوبه حماس متقد ، ثم عاد وقد انزاحت عنه الأوهام »

* * *

وكتب بيفن إلى سفيره بالقاهرة :

« من الأمور الكاذبة القول بأننا تركنا العرب يهزمون أو قصرنا فى الوفاء بأى التزام تجاههم .

نحن لم نحرضهم على التدخل بالقوة فى فلسطين . ولم نعدهم بالمساعدة إذا فعلوا ذلك .

لقد أقدموا على الأمر بمحض ارادتهم دون إبلاغنا بما عزموا عليه

ويبين النجاح العسكرى المحدود الذى حققوه أن قواتهم غير مجهزة . وغير قادرة . على القيام بالعمليات العسكرية الكبرى التى كانت ضرورية لتحقيق الهدف المعلن للدول العربية وهو القاء اليهود فى البحر

وأغرقت الحكومات العربية شعوبها فى أوهام » .

ولكن بيفن ، بعد توقيع الهدنة الدائمة بين العرب وإسرائيل . فضح موقف بلاده وانتهازيتها الكاملة إزاء القضية الفلسطينية .

قال فى مذكرة رسمية :

« تقبل الحكومة البريطانية دولة إسرائيل كحقيقة واقعة تنوى الاعتراف بها كدولة شرعية عندما تأتى أول لحظة مناسبة

وتعتبر الحكومة البريطانية أن اتجاه إسرائيل صوب الغرب وقيامها بدورها فى الدفاع عن الشرق الأوسط ضد التسلل الشيوعى والعدوان السوفييتى أمر على درجة كبيرة من الأهمية .

ولهذا الغرض فإن الحكومة البريطانية ستبذل قصارى جهدها فى تكوين علاقات صداقة ومنفعة متبادلة معها . أى مع دولة إسرائيل .

وفى الوقت نفسه تتجه إلى الاهتمام بصداقاتها وتحالفها القائم مع الدول العربية خاصة أن هذه الدول أكثر رغبة فى الوقت الحالى من إسرائيل فى الانضمام إلى المعسكر المعادى للشيوعية .

وسيكون ثمنا غاليا لصداقتنا مع إسرائيل أن تتعرض قاعدتنا فى مصر .

وواردانتا من بترول الشرق الأوسط للخطر إذا نفرنا العرب منا .

ولكن يمكننا القول بأن هذه المصالح مضمونة دائما فالحكومة تسعى بشدة لا إلى تنشيط السلام فحسب بين إسرائيل والدول العربية بل لاترى مانعا أمام تطوير علاقات تجارية طبيعية بين إسرائيل وجيرانها العرب على أساس من الاستقلال الكامل .

ولكن الحكومة البريطانية لاتعتبر من مصلحتها أن تحصل إسرائيل على مزيد من الأرض العربية دون مقابل أو أن تمضى فى علاقاتها الاقتصادية مع الدول العربية إلى حد السيطرة عليها اقتصاديا وربما سياسيا فتفرض أفكارها الخاصة على حياد العالم العربى .

والحكومة البريطانية فى موقف كهذا لن تقدم مساعدات لتحقيق هذه الطموحات بل وستقدم للعرب عونا حقيقيا لمعاونتهم على مواجهتها » .

ومعنى هذا أنه يكفى إسرائيل ماحصلت عليه !

رئيس الوزراء يبكى

فرضت الهزيمة فى فلسطين شروطها على السياسة الداخلية فى مصر.

بعث جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى فى ٣ من أغسطس ١٩٤٨ إلى واشنطن : « برقية رقم ١٠٨٩ ».

هناك شائعات تدل على عدم الاستقرار فى الموقت السياسى المصرى.

تقول هذه الشائعات إن الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية ، المشهور بفظاظته ، وقسوته ، سيستدعيه الملك ليخلف النقراشى باشا فالاضطراب الراهن يستدعى وجود يد أقوى من قبضة النقراشى.

إن الجيش يدين بالولاء أساسا للأسرة المالكة . ولكن من الخطر ترك العسكريين فى فلسطين إلى مالا نهاية.

ومن الخطر أيضا إعادتهم لمصر لاحتمال أن تثور رغبة لدى الضباط الذين تفيض روحهم بالطموح والاستياء ، ليعطوا أنفسهم فرصة أكبر من تلك التى يعطيها لهم الدستور.

« وهناك حاجة لرجل قوى مثل حيدر باشا ليتعامل معهم ».

وما تنبأ به القائم بالأعمال الأمريكى عن غضب العسكريين فى فلسطين تحقق بعد ٤ سنوات ! وإذا كان الجيش قد انتظر هذه الفترة فإن الطامعين فى الحكم من رجال السياسة ظلوا يوالون الاتصال بالسفارة البريطانية يطلبون وساطتها وتدخلها لإقالة النقراشى أو إرغامه على الاستقالة.

أبرق تشابمان أندروز إلى لندن :

« حسين سرى طموح جداً ويتطلع لأن يكون رئيسا للوزراء مرة أخرى ولو فى حكومة مؤقتة » .

أوضح لنا أكثر من مرة أن هناك حاجة للتدخل البريطانى .

... أى اقالة النقراشى . أو استقالته . وتعيين حسين سرى رئيسا للوزارة بدلا منه !

* * *

وفى ١٢ من أغسطس كتب أندرور إلى لندن :

« الأمور السياسية المتعلقة بالعلاقات الانجليزية ـ المصرية فى حالة جمود تام » .

ومن غير المجدى على الإطلاق أن أحاول . أنا أو أى شخص آخر ، مقابلة النقراشى إلا للدخول فى شجار ، ليس ممتعا إلى الحد الذى أسعى وراءه .

ونفس الشيء . وإن يكن بصورة مختلفة ينطبق على أحمد خشبة باشا وزير الخارجية ، فليس هناك مجال للشجار .

ولكن ما جدوى التعامل بأكثر مما هو مطلوب بالضبط مع وزير خارجية . لن يوافق زملاؤه على شيء يقرره !

ولذلك فالأمور متوقفة تماماً فى الوقت الراهن .

ولم يكن رصيد النقراشى فى البلاد منخفضا على الإطلاق كما هو الآن .

وأعتقد أن الملك والنقراشى والوزارة ودائرة المستشارين الصغيرة المحيطة بالملك ، على قناعة بأنه سيتعين عليهم الإذعان لقرار الأمم المتحدة بشأن فلسطين ، والذى يؤكد وجود دولة يهودية :

أقصد « الإذعان » وليس القبول .

ومشكلتهم كيفية جعل عامة الشعب يفكرون بنفس الطريقة ، دون أن يفقد الملك أو النقراشى ماء وجوههم بالكامل » .

ويلتقى فاروق بالسفير الأمريكى الجديد جيفرسون كافرى فيتحدث ملك مصر بحرارة عن رفض الأمريكيين مد جيشه بالسلاح .

قال :

ـ لقد رفضتم كل شىء طلبته .

وأضاف :

ـ فى الظروف التى حارب فيها الجيش فإنه قام بعمل عسكرى ممتاز . حاربوا بصدور عارية ضد الدبابات والعربات المدرعة .

وقال :

ـ فعل الجيش المصرى ذلك من أجلى وحدى .

ولم يدرك صاحب الجلالة أن ما فعله الجيش فى فلسطين ، وماجرى له هناك كان بداية التحرك ضده ... وحده !

* * *

قالت دراسة الضابط الكندى الكابتن ج . ب . هاردى عن جهد الإخوان المسلمين فى فلسطين :

« لا جدال فى أن متطوعى الاخوان فى هذه الحرب ، كانوا ـ بفضل نظامهم وتدريبهم ـ بين النجاحات البارزة للقوات العسكرية المصرية .

وكانت النجاحات العربية فى حرب فلسطين ضئيلة بصورة واضحة .

وتم رد القوات المصرية وأصيبت بخسائر فادحة .

وانتشرت إشاعة فى دوائر الاخوان بأن الحكومة السعدية هى المسئولة عمدا عن الخسائر فى قوات الإخوان لأنها بدأت تشعر بخطر هذه القوات على استقرار مصر » .

ويقول هاردى :

« ربما كان هناك بعض مايبرر هذا القول » .

وفى كتاب اسحق موسى الحسينى « الأخوان المسلمون : كبرى الحركات الإسلامية الحديثة » قال :

« اتاحت حرب فلسطين للإخوان التسلح والتمرن على القتال ، وكشفت عن مدى استعدادهم الحربى ومدى نفوذهم فخشيت حكومة النقراشى سطوتهم » .

وفى مذكراته قال صلاح نصر مدير المخابرات العامة المصرية :

« كنت معجبا بالتضحيات التى قدمها كثير من أفراد جماعة الاخوان المسلمين فى ميدان الكفاح المسلح على أرض فلسطين » .

والحقيقة أن دور الإخوان فى حرب فلسطين كان محل تقدير مصر والعالم العربى .

اشتركوا بثلاث كتائب .

وكانت الكتيبة الأولى بقيادة البكباشى ـ المقدم ـ أحمد عبد العزيز الذى عين قائداً لقوات الجامعة العربية . وقد وصل إلى العريش يوم ٢٥ من إبريل ١٩٤٨ .

وقاد البكباشى عبد الجواد طبالة الكتيبة الثانية .

وقاد الشيخ محمد فرغلى مجموعة من متطوعى الاخوان ، وقد حوكم محمد فرغلى أمام محكمة الثورة بعد ذلك وأعدم بتهمة الاشتراك فى محاولة اغتيال جمال عبد الناصر !

عزز الاخوان الدفاع عن القدس وبيت لحم قبل وبعد الهدنة الأولى .

وحاصروا المستعمرات اليهودية أثناء الهدنة .

وأغاروا على القوافل اليهودية وشبكات التموين وقطعوا المياه عن اليهود ومنعوهم من تسميم آبار المياه فى المناطق التى استولت عليها القوات المصرية ، ووفروا لهذه القوات الحماية أثناء انسحابها من فلسطين .

وساعدوا القوة المصرية المحاصرة فى الفالوجه مما جعلها تقاوم الحصار فقد أمدها الاخوان بالمؤن .

وقبل الإخوان أن يعملوا تحت قيادة الجامعة العربية ورغم ذلك لم يحصلوا على مرتبات ، ولم تصرف لهم ملابس !

قال أحمد عبد العزيز فى تقرير رسمى : «كانت للإخوان أفكار حربية وجيهة » .

وفى كتاب « الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين» روى قائدهم كامل الشريف ـ وهو مدنى ـ مئات البطولات عن معارك مستعمرة « تل بيوت» واقتحام « تبة اليمن » التى اسموها تبة الاخوان المسلمين و« التبة ٨٦ » جنوب دير البلح . ولولاهم لعزل الجيش المصرى فى غزة وقطعت المواصلات عنه .. وكذلك استيلاؤهم على قرية العسلوج ، والأبطال الذين كانوا يزحفون على الاشواك تحت تهديد الرصاص كيلومترات وأسماء كثيرة كثيرة عبد المنعم عبد الرءوف وخالد فوزى ومكاوى سليم ومحمد قارون وإبراهيم عبد الجواد وعبد الحميد بسيونى خطاب ويحيى عبد الحليم .. ومئات الأسماء .. الخ .. الخ .

وعندما كان لكل جندى من متطوعى الاخوان أربعة أرغفة كل يوم كانوا يقدمون واحدا منها للعرب المهاجرين .

وقد أتيح لأبطال الاخوان أن ينطقوا بكلمات قبل الشهادة .

كانوا يرددون :

ـ هبى ريح الجنة .. هبى .

ولكن إذا كانت الجيوش النظامية قد هزمت من إسرائيل فإن متطوعى الاخوان لاقوا الموت من إسرائيل والاضطهاد من حكومتهم !

* * *

ولكن ..

كان للحكومة المصرية رأى أخر فى دور الاخوان المسلمين فى حرب

فلسطين . عبرت عنه النيابة العامة فى مرافعتها فى قضية اغتيال النقراشى قالت :

« لما أخذت مشكلة فلسطين مظهرها الخطير وجد أعضاء الجمعية السرية ـ الجهاز السرى للإخوان ـ فرصة ذهبية للفت الأنظار إليهم . وإرهاب المصريين . وإظهار السلطات بمظهر العاجز عن حفظ الأمن وحماية أرواح المصريين والأجانب ... فدبروا سلسلة من الحوادث الارهابية أطلقوا فى بعضها الرصاص على اليهود . واستعملوا فى بعضها المواد المتفجرة لنسف محالهم » .

وفى مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل قال :

« اعتبر الاخوان الحرب بين العرب واليهود حربا دينية فتطوع عدد غير قليل منهم خاضوا غمارها .

وكان من متطوعيهم عدد من الشبان المتعلمين رأوا ما كان من عبث فى ميادين القتال .

وكيف كانت الأسلحة فاسدة والمدد غير منتظم ، وكيف أدى ذلك إلى اخفاق المجهود المصرى وإلى عقد الهدنة المؤقتة ثم إلى عقد الهدنة الدائمة ، فعادوا إلى وطنهم ساخطين على طريقة حكمه ، مؤمنين بأن اطراد الأمر على هذه الوتيرة يجر على الوطن أبلغ الضرر .

وكان من أثر هذه الحرب أن قويت شوكة جماعة الاخوان المسلمين » !

* * *

كتب تشابمان أندروز إلى لندن :

« حصلنا على لاشىء ، أو ما يقرب من اللاشىء ، من تعاملنا مع الحكومات العديدة التى تعتمد على البرلمان الحالى حتى مع المساعى الحميدة للملك فاروق .

ومن المؤكد أن الحالة الراهنة للأمور لا يمكن أن تستمر طويلا .

وأشك فيما إذا كان هناك وقت منذ ١٨٨٢ أذعن فيه المصريون بشكل

أكثر من حيث اللامبالاة. إزاء استمرار وجود حكومتهم. كما أشك فيما إذا كنا قد شهدنا حكومة أكثر في عدم شعبيتها من هذه الحكومة.

وإذا ظلت هذه الحكومة في السلطة لاجراء الانتخابات الجديدة فقد يقاطعها الوفد.

وإذا وجدت المجموعة القلقة الحالية نفسها في الحكم مرة أخرى. في مواجهة الاحتمال الكئيب: خمس سنوات من العقم فسيكون صعبا أن نتوقع من الشعب الاستمرار في الاذعان واللا مبالاة طوال هذه الفترة. بل سيكون هناك انفجار رهيب.

وما أخشاه أن القوى الناشئة عن مثل هذا الانفجار من حيث طبيعتها وقوتها ستكون مفاجئة للمصريين الذين يقفون على جانبي الهوة التي لا يمكن اجتيازها والتي تفصل بين القصر والوفد».

* * *

تدهورت سمعة الملك فاروق وكتب مراسل امريكي يقول:

«عندما توفي الملك فؤاد. والد فاروق. قبل ١٢ عاما. ترك لابنه الذي كان ــ في السادسة عشرة من عمره عندئذ ــ ثروة شخصية مقدارها ١٢٠ مليون دولار. وزيادة على ذلك تدفع له الحكومة المصرية ٤٠٠ ألف دولار سنويا.

وقد تولى الشاب العرش فوق موجة من الشعبية الشخصية التي نادرا ما تمتع بها ملك في العصر الحديث.

وفي سن السابعة عشرة تزوج فاروق الوسيم ذو المظهر الجذاب من مليكته فريدة التي كانت مصرية لطيفة ومحبوبة. وبدا أن الأسرة المالكة ينتظرها مستقبل سعيد.

ولسوء حظ مصر هجم على الملك الشاب جميع الطفيليين بالقصر وتمكنوا منه. وأصبح حلاقه الايطالي بوللي مستشاره وسكرتيره الخاص. ومنحه فاروق لقب «بك» وهي مساوية تقريبا للقب سير في انجلترا. وجعله رعية مصرية

لينقذه من السجن على أيدى البريطانيين أثناء الحرب .

وكان بوللى هو الذى قاد فاروق على طريق الملاهى الليلية .

قال إن الناس سيعتبرونه ديمقراطيا إذا خرج بينهم . ولكن الناس الذين يتكلم عنهم بوللى لا يخرجون من منازلهم قبل الظلام ولا يأوون إلى فراشهم قبل الفجر !

وسرعان مابدأ الملك يشاهد فى صحبة نساء لسن من ذوات المكانة . وكانت للملك مائدة محجوزة على الدوام فى علب الليل مثل « أوبرج الأهرام » وحديقة السطح فى فندق « سميراميس » ونادى « الأريزونا » وغير ذلك من الأماكن الساخنة !

وكانت له عادة مائدة كبيرة مستديرة بجوار حلبة الرقص ..

ومهما كانت الأماكن مزدحمة تبقى مائدة الملك فى انتظاره دائما .

وإذا أعجبت الملك امرأة ، على مائدة أخرى ، يدعوها بوللى للرقص مع جلالته .

فإذا رفضت طلبت منها الإدارة أن تنصرف ومن معها .

وبدأت الاشاعات تنتشر حول السلوك الشخصى للملك الذى لا يشاهد مع مليكته أبدا .

كان بعضها نتيجة لحملة همس بدأها حزب المعارضة الوفدى . ولم يكن هناك من ينكر أن الملك « يتصعلك » !

وطبقا لتقارير الدوائر السياسية فى القاهرة أعد الوفديون ملفا كاملا حول السلوك الاجتماعى للملك بما فى ذلك صور من يفضلهن لإقناع أعلى سلطة روحية فى العالم الإسلامى وهم كبار علماء الأزهر بأن الملك لا يتصرف بما يتفق مع التراث الإسلامى .

وأقنع الوفد عشرة من الأزهريين بأن يلبسوا ملابس أفرنجية بدلا من ملابسهم التقليدية ليتعقبوا الملك فى علب الليل !

وفى الوقت ذاته بدأت القصص تنتشر حول اهمال الملك لزوجته وأنه يعيش حياة عابثة فى قصر عابدين .

وأثناء الحرب العالمية الثانية كان فاروق يقود سيارته فى أنحاء القاهرة مرتديا « الشورت » والملاس الرياضية وعقد صداقات كثيرة مع الأمريكيين .

وعندما كان الماجور جنرال بنجامين جاليز ينظم سهرة بوكر كان فاروق يزوره ليجلس بجوار طاولة اللعب وينظر .. فيصيح به جايلز :

ـ هيا يا ملك !

وكان فاروق يراقب اللعب لبعض الوقت ثم ينصرف إلى المطبخ ليستكشف الثلاجة فيعد لنفسه ساندويتشا ويعب المشروبات الغازية فهو لا يحتسى المشروبات الكحولية .

وكانت للملك الشاب ـ عمره ٢٨ سنة ـ فى الأصل أحلام كبيرة :

أن يخلص بلاده من البريطانيين ويحقق استقلالها .

وأن يوحد البلاد العربية تحت قيادته .

وفى عام ١٩٤٢ حاصر البريطانيون قصره بالدبابات ودخل عليه السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ـ اللورد كيلرن ـ محاطا بالضباط والجنود وطلب إليه أن يعين النحاس باشا رئيسا للوزارة وإلا فإن طائرة تنتظر ، كما قالوا ، لتأخذ الملك فى رحلة طويلة !

وأطل الملك من إحدى النوافذ ورأى الدبابات .

استسلم ولكن المرارة ملأت فؤاده . رأى أنه ضحية لسياسة القوة ، سجين فى بلده فأصبح غليظا متشككا .

ومنذ تلك اللحظة ، كما يقول أصدقاؤه ، استسلم لملذاته .

إن رعاياه ـ المسلمين ـ شعب متعصب فهم غاضبون لتورط الملك فى حياة الليل بالقاهرة .

إن حياة فاروق تلقى ظلال الشك على مستقبله . وربما ينجو ولكن الأمر حطير فى نظر المراقبين الأكفاء فى القاهرة » .

* * *

ساعد على انهيار سمعة الملك والدته الملكة نازلى .

اتهمها فاروق بأن لها علاقة برئيس ديوانه الراحل أحمد حسنين وأنها تزوجته عرفيا .

سافرت صاحبة الجلالة إلى أوربا فى صيف عام ١٩٤٦ بعد وفاة أحمد حسنين ، وتنقلت بين عواصم العالم ثم استقرت فى الولايات المتحدة . ورفضت العودة إلى مصر .

وأخذ الناس يتناقلون روايات فضائح الملكة الأم التى ألحقت بخدمتها رياض غالى أمين المحفوظات السابق بالقنصلية المصرية فى مارسيليا كسكرتير ثم زوّجته ــ عام ١٩٥٠ ــ وهو مسيحى ــ من ابنتها فتحية شقيقة فاروق !

* * *

فى لقاء بين الملك فاروق والسفير البريطانى رونالد كامبل وصف فاروق مشاعره نحو حسن البنا .

قال :

ــ الشيخ فى حالة غير طبيعية من الإحساس بقوته . ويعتقد أنه مامن أحد يجرؤ على الاعتداء عليه .

وقد وصل الشيخ البنا إلى حد أنه يطلب من أتباعه أن يقسموا يمين الولاء له ، وأن يفعلوا مايأمرهم به ، وأن يمتنعوا عما ينهاهم عنه .

وطلب ذلك من ضباط الجيش الذين يرغبون فى الإنضمام إلى جماعته ولكنهم ، أو الأغلبية العظمى منهم ، رفضوا ذلك نظرا لليمين التى أقسموها بالولاء لملك مصر ولولا ذلك لكان كل ضباط الجيش قد انضموا للجماعة .

وأضاف فاروق :

ــ ليس عندى شك فى أن الاخوان المسلمين معادون للملكية بشكل مؤكد .

وكرر صاحب الجلالة القول :

ــ حسن البنا فى حالة غير طبيعية من الاحساس بقوته .

ولم يكن فاروق يدرى وهو يعلن اطمئنانه للجيش أن الإخوان حاولوا اختراق الجيش منذ عام ١٩٤٠ .

قال عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مذكراته :

«فى بداية عام ١٩٤٠ قمنا بعمل تنظيم سرى بين ضباط الطيران والجيش لمقاومة الاحتلال البريطانى . وتم الاتصال مع جماعة الاخوان للتعرف على مدى استعدادها للمشاركة فى تحقيق هدفنا وهو مقاومة الاحتلال البريطانى .

رحب الشيخ حسن البنا بالفكرة ولكنه اقترح إدماج تنظيمنا مع الاخوان المسلمين .

قال الشيخ البنا :

ــ لدينا الجنود وهم الأعضاء المنضمون للجمعية ويقدر عددهم بربع مليون ونحن فى حاجة إلى القادة القادرين على قيادة هؤلاء الجنود وستكونون القادة .

وأضاف :

ــ نحن ندعو إلى الدين لغرض سياسى نأمل تحقيقه ولسنا مشايخ طرق .

رفض البغدادى وزملاؤه الاندماج خوفا من أن تذوب منظمتهم ــ وهى فى بداية عهدها ــ داخل جماعة الاخوان فوافق الشيخ البنا على التعاون مع التنظيم فى عرقلة تقهقر الجيش البريطانى عند انسحابه من صحراء مصر الغربية أمام الألمان » .

* * *

وإذا كانت هذه المحاولة لاختراق الجيش قد فشلت فى تلك السنة فإنها نجحت عام ١٩٤٤ .

وكانت الخلية الأولى الرئيسية لرجال الجيش من أعضاء الجماعة تضم سبعة ضباط برئاسة محمود لبيب وكيل الاخوان .

وبين الضباط السبعة ثلاثة من الضباط الأحرار الذين قاموا بعد ذلك بثورة ٢٣ يوليو وأصبحوا أعضاء فى مجلس قيادتها وهم جمال عبد الناصر والملازم أول كمال الدين حسين والملازم أول خالد محيي الدين .

والأربعة الآخرون هم عبد المنعم عبد الرءوف وسعد حسن توفيق وحسين محمد أحمد حمودة وصلاح الدين خليفة ، وهم من الضباط الأحرار .

وظلت اجتماعات هذه الخلية تعقد سرا كل أسبوع ، خلال أربع سنوات وأربعة شهور ، فى منازل أعضاء مجلس الثورة الثلاثة وعبد المنعم عبد الرءوف .

وشكل هؤلاء الضباط خلايا فرعية يضم كل منها سبعة ضباط .

وبايعت الخلية الرئيسية عبد الرحمن السندى ـ قائد التنظيم السرى ـ فى أوائل عام ١٩٤٦ ، كما يقول حسين حمودة فى كتابه « أسرار حركة الضباط الأحرار والاخوان المسلمين » .

وقال خالد محيي الدين إن مراسم الانضمام كانت توحى بالسرية المطلقة فتتم البيعة فى غرفة مظلمة ويقسم الضباط على مصحف ومسدس .

وكان هؤلاء الضباط يقومون بتدريب أعضاء الجهاز السرى على استخدام السلاح .

وفى عام ١٩٤٨ كان عدد ضباط القوات المسلحة المصرية الأعضاء فى الاخوان المسلمين قد زاد ، فانضم إلى الجماعة كثيرون من الضباط الأحرار بينهم أنور السادات وعبد الحكيم عامر ، ورشاد مهنا ، وحسين الشافعى ، وحسن إبراهيم .

وفى مذكرات الشيخ الباقورى أن جبل المقطم كان ساحة للتدريب على استخدام الأسلحة لشباب النظام . وكان يقوم بتدريب التشكيلات الفدائية بعض ضباط القوات المسلحة من أعضاء النظام الخاص وبينهم جمال عبد الناصر الذى انضم للاخوان عن طريق الضابط الطيار عبد المنعم عبد الرءوف عام ١٩٤٣ عندما كان أركان حرب الكتيبة رقم ١٣ مشاة .

وارتبط جمال عبد الناصر بالنظام الخاص يعمل فى صفوفه يدرب أعضاءه . ويخرج معهم فى رحلاته . وكان عبد الناصر فى اتصالاته بالاخوان يتخذ لنفسه اسما مستعارا هو زغلول عبد القادر .

وبدأ عبد الناصر فى تحويل ولاء الضباط له فى عام ١٩٤٦ دون علم الصاغ محمود لبيب .

وعندما نقل عبد الرحمن السندى إلى مستشفى القصر العينى ــ وكان يعالج به أثناء قضاء عقوبة السجن فى قضية سيارة الجيب ــ زاره عبد الناصر وأصدر . بعد الثورة . عفوا عنه .

ولم تنقطع صلة عبد الناصر بالاخوان .

بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ زار قبر الشيخ البنا وقال للاخوان المسلمين :

« لا تظنوا أيها الاخوان المسلمون أنى أجنبى عنكم فإنى واحد منكم » .

* * *

بدأ تشابمان أندروز خطوة للتقارب مع فاروق .

دعا كريم ثابت المستشار الصحفى للملك إلى دار السفارة فى أوائل أكتوبر وطلب منه اقناع الملك بمنح تأييده السريع والقوى للتوصل إلى اتفاقية عسكرية بشروط معقولة مع بريطانيا وأن تتخذ مصر مواقف علنية مؤيدة لبريطانيا والقوى الغربية .

حمل كريم ثابت إلى الوزير المفوض يوم ١١ من أكتوبر رد فاروق. قال :

« قرر جلالة الملك بصفة نهائية الاستجابة إلى اقتراح مستر بيفن والذى تلقاه خشبه باشا ــ وزير الخارجية ــ فى باريس ويقضى بإجراء مفاوضات بين بريطانيا ومصر على مستوى المفاوضات التى تجرى بين وزراء دفاع الدول الغربية .

وطلب الملك وقف الدعاية المؤيدة لحياد مصر .

وقرر فاروق أن تنضم مصر بصورة علنية إلى جانب قوى الغرب . ويرغب فى أن يصبح على مصر نفس الواجبات والمسئوليات الملقاة على عاتق دول الحلف الغربى ... يعنى حلف الأطلسى .

وإذا كان النقراشى غير مستعد لتنفيذ مثل هذه السياسة فيجب البحث فورا عن رئيس وزراء آخر يقوم بهذه المهمة .

وقد أبلغ كل من إبراهيم عبد الهادى وحسن يوسف النقراشى باشا بذلك خلال اجتماع دام تسعين دقيقة .

وقد رد النقراشى قائلا :

ــ الملك هو المدبر للأمور وإذا كانت هذه إرادته فلابد أنه يسعى إلى غرض ما من وراء ذلك .

ووافق النقراشى على الفور على وقف سياسة إهانة بريطانيا ومضايقتها واستدعاء عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن للتشاور .

وعلق اندروز على ذلك قائلا :

« ينبغى علينا أن نكون حذرين للغاية فى معالجة هذا الأمر فلا يمكن ضمان سكوت الوفد والاخوان ورجال مكرم إلا عن طريق الرقابة الدقيقة على الصحافة .

وستكون هناك معارضة إذا تمكنت من تحقيق نجاح فى هذا الشأن ، كما تمكنت ، فى الماضى ، من قلب ميزان الأمور فى الدقيقة الأخيرة فإن الموقف سيكون أكثر صعوبة من ذى قبل وتصبح معالجته أمرا عسيرا .

ولن تكون هناك معارضة كبيرة للتوصل إلى شكل من أشكال الاتفاق مع بريطانيا ولكن المعارضة ستكون موجهة إلى أسلوب إجراء المفاوضات وتوقيع المعاهدة عن طريق حكومة تابعة للقصر ليست لها شعبية وتعتمد على الرقابة وفرض حالات الطوارئ لتنفيذ سياستها .

وفى رأيى التزام الحذر من الذهاب إلى ما وراء المحادثات العسكرية والدخول فى القضية المصرية بشكل عام إلا بعد إجراء انتخابات

وقد سبق لفؤاد سراج الدين . السكرتير العام للوفد . أن نصح بعدم الاقبال على هذه الخطوة

وأرسل لى فؤاد سراج الدين خطابا بأن أية محاولة للوصول إلى اتفاقية مع حكومة تابعة للقصر ستفشل لا محالة كما فشلت محاولات سابقة .

وقال أيضا أن صور الفشل المتتابعة جعلت من العسير على حكومة الوفد التى ستأتى لا محالة آجلا أو عاجلا التوصل إلى أية اتفاقية معنا » .

ولكن الاخوان من ناحيتهم كانوا يتوقعون سقوط كل الأحزاب

كتب جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى يقول :

« يؤمن الاخوان بأن أحزاب مصر على وشك السقوط . وستتحد البلاد حول البرنامج الإسلامى القومى » .

ويلتقى كلاتون مدير الإدارة الأفريقية بوزارة الخارجية البريطانية ـ فى باريس ـ يوم ٢٢ من سبتمبر بادجار جلاد يسأله عن الموقف فى مصر .

قال جلاد :

ـ الملك والجميع وافقوا على إبعاد النقراشى .

وقال إن خليفة النقراشى إما أحمد خشبه باشا وزير الخارجية . وهو رجل ضعيف ، على أن يتولى وزارة الداخلية إبراهيم عبد الهادى .

وأضاف :

ـ المطلوب حكومة ائتلافية ولكن الملك لن يقبل النحاس كرئيس للوزراء . وإذا حاولتم ـ أى الإنجليز ـ فرض النحاس على صاحب الجلالة فستقوم الاضطرابات .

وأطال جلاد فى الحديث بينما التزم كلاتون وزميل له الصمت.. وأخيرا قالا :

ـ تشكيل الحكومة مسألة داخلية مصرية محضة . ولن تتدخل فيها الحكومة البريطانية .

ولكنهما استدركا قائلين :

ـ كل الذى يحظى باهتمامنا أن نجد حكومة مصرية نستطيع التعامل معها . بدأ جلاد يهدد . قال :

ـ فى هذه الحالة سيلجأ الملك إلى الشعب . ويجدد تأييده للاخوان المسلمين الذين تخلى عنهم !

* * *

توجه تشابمان أندروز الوزير البريطانى المفوض لمقابلة النقراشى لابلاغه بإصرار بريطانيا والولايات المتحدة على ضرورة تنفيذ تقرير الوسيط الدولى بضرورة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

اضطر النقراشى للموافقة فهو يعلم حقيقة الموقف العسكرى والاقتصادى فى مصر . والموقف الدولى الذى يفرض على مصر.. الخضوع !

وبعد انصراف اندرور كانت الدموع تغطى وجه النقراشى .

ويعرف الوزير البريطانى ذلك من « صديق مصرى » .

ويكتب أندروز إلى لندن :

« لم أسمع من قبل أن النقراشى يبكى . رغم أن هؤلاء الناس يستسلمون فى لحظات الضيق والتوتر إلى التنفيس العاطفى .

ولابد أنه توصل إلى أن موقفه بلا أمل » !

الملك الجديد

كان يجب أن ينتبه صاحب الجلالة لخطورة الموقف فى مصر، ويتخذ إجراءات حاسمة حتى لا تتدهور الأمور بعد حرب فلسطين.

ولكن فاروق انطلق فى عبثه.

قصد تشابمان أندروز الوزير البريطانى المفوض إلى الاسكندرية ليتابع الملك فاروق ثم كتب هذه الرسالة إلى مايكل رايت الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية.

قال:

« أمضيت عدة ساعات على ظهر عوامة عبود باشا فى ميناء الاسكندرية التى ترسو قرب نادى اليخت الملكى برأس التين.

وأتيح لى بشكل مفاجئ أن أرى عن قرب أحوال صاحب الجلالة وهو يتنقل بصورة متقطعة بين يخته « المحروسة » و « فخر البحار » وعوامة قديمة أخرى ترسو على مسافة ليست بعيدة عن عوامة عبود. .

لقد تم نقل كل العوامات الأخرى بعيدا حوالى ٢٠٠ متر من هذا الركن.

وكان مقررا أن تبتعد عوامة عبود أيضا. لولا أن الملك ميزها وأشار من فوق « المحروسة » بأن تبقى كما هى.

ورغم ذلك تم إبعادها الآن.

وهكذا يمكن رؤية جلالته فى ماء البحر على نحو حذر مع فتاتين يونانيتين فى العوامة القديمة، أو يطوف الميناء فى زورقه السريع، عارى الصدر والرأس

بصحبة شخص يشبه بوللى وهو القواد ورفيق الملذات الإيطالى الذى أنعم عليه بالبكوية أخيرا .

وفى بعض الأحيان ، يخرج جلالته للصيد ليلا .

وفى أحيان أخرى ، يخرج للقمار ليلا .

وخلال العطلة ، قضى ليلتين بأكملها وهو يلعب « البكاراه » فى نادى السيارات الملكى ومع ذلك . فبعد هذه الليالى . يظهر فى الحادية عشرة صباحا . يطوف الميناء . وضحكاته تدوى فوق مياه البحر المتوسط

وهو قوى جسمانيا .

ومن الواضح أنه يستمتع بشكل طفولى بمهارته وجرأته فى التلاعب بزورقه السريع يتلوى به فى منحنيات دقيقة . ثم ينطلق به بأقصى سرعة فى اتجاه شىء معين . ثم يتفاداه قبل أن يصل إليه بعشر ياردات فقط .

وهذه الأعمال الجريئة موضع اعجاب بالغ من اطفالى الثلاثة ، الذين تتراوح أعمارهم بين خمس وعشر سنوات . فهم يجلسون مبهورين ، ويمنعون أنفسهم بصعوبة من الصياح والتهليل له بين الحين والآخر . وعندما يحدث ذلك . يستدير صاحب الجلالة ويلوح بشكل ودى .

وسمعت أن جلالته يفكر فى الآونة الأخيرة فى امكان طلاق الملكة فريدة فلن يكون مناسبا له أن يحتفظ بزوجتين على الرغم من أن الشريعة الإسلامية تسمح له بذلك .

وأعتقد أن المشكلة الرئيسية تتمثل فيما ستفعله الملكة إذا حصلت على حريتها .

فاتح الملك ـ وهو يضحك ـ الأمر مع الملكة .

قال لى جلاد :

ـ فى آخر مرة ناقش فيها الملك الأمر مع الملكة ، قالت إنها « ستذهب وتتزوج الخباز » .

والملك يأخذ هذه الفكاهة بجدية بالغة .

ولم ينجح بعد فى حل مشكلة كيف يحصل على حريته دون أن يحررها فى الوقت نفسه » !

أراد فاروق ألا تتزوج الملكة فريدة بعد طلاقها فقال لشيخ الأزهر :

ـ أريد أن تصدر فتوى بأنه لا يجوز لها أن تتزوج رجلا آخر .

قال شيخ الأزهر : المرأة بعد الطلاق وانقضاء العدة تستطيع أن تتزوج من تشاء طبقا للشريعة .

قال فاروق : ولكنها ملكة ؟

قال شيخ الأزهر : الدين لايفرق بين ملكة وامرأة من عامة الناس !

ولا يجد فاروق مفرا من طلاق زوجته الملكة فريدة فى ١٧ من نوفمبر١٩٤٨ دون أن يشترط عليها ألا تتزوج .

... وعلى أية حال فإنها لم تتزوج بعد طلاقها من صاحب الجلالة .. أو بعد وفاته !

* * *

وتستمر المحاولات للاطاحة بالنقراشى بعد أن قاطعته السفارة البريطانية تماما .

كتب تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض إلى لندن :

« قيل لى إن الملك يفكر من جديد فى التخلص من النقراشى بمجرد أن يدرك الشعب المصرى حقيقة الوضع فى فلسطين .

ووفقا لما يقوله أحمد عبود ـ المليونير ورجل الأعمال المصرى ـ فقد أرسل فاروق منذ بضعة أيام يستدعى حسين سرى ، وطلب منه تشكيل حكومة على أساس البرلمان الحالى .

وبعد أن فكر حسين سرى فى ذلك لفترة ما ، تخاذل ، وأبلغ الملك أنه لا يستطيع إلا إذا صار مفهوما أنها حكومة انتقالية تتولى السلطة بهدف اجراء انتخابات عامة .

ولم يقرر الملك ذلك وأعتقد أنه قد يقرره فى الخريف .

ومن المؤكد أن المرء لا يتلقى مطلقا أية كلمة طيبة من النقراشى والحكومة الحالية ، بينما يسمع المرء من جوانب عديدة أن الأمل الوحيد يتمثل فى عودة الوفد .

ويحثنى الناس باستمرار على اقناع وزارة الخارجية ـ البريطانية ـ بأن تتركنى أبلغ الملك بأنه لا يمكننا السماح بإستمرار الأوضاع كما هى فترة أطول مبينا أن الحفاظ على وضعنا الاستراتيجى هنا أمر حيوى . ويجب أن نحظى بحسن نوايا الشعب المصرى إلى جانب احتياجاتنا العسكرية الضرورية .

وتمضى الأمور من سيىء إلى أسوأ ولا يمكن أن نفكر فى محاولة تسيير أمورنا مع حكومة لا تتمتع بتأييد شعبى !

وأعتقد أن أفضل ما يمكن عمله فى الوقت الراهن أن نترك الكلاب النائمة ... نائمة !

وإذا تمكن المرء من إقامة صلة طيبة مع الملك فاروق بصورة شخصية بالشكل الذى يجعل التعامل معه بصراحة ممكنا وبطريقة غير رسمية ، فسيكون شيئا طيبا أن نحثه على اجراء انتخابات عامة مبكرة .

وأعترف بأنى لا أستطيع اختراق المجموعة المحيطة به ، الذين يكسبون معاشهم ، أو يحتفظون بمناصبهم ، من كونهم سماسرة .

وإذا أتيحت لى نصف فرصة سأنتهزها ، ولكن عدم تمكنى من مثل هذه الفرصة حتى الآن ، ولا السفير أيضا ، يبين أن الملك يعرف الاتجاه الذى يجب أن تسير فيه مثل هذه المحادثات ، ولا يريد سماع نصيحة لا يستسيغها » !

* * *

وتستمر المفاوضات من وراء ظهر النقراشي ـ للإطاحة به .

ويكون رسول الملك .. إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس الديوان الملكى الذى تولى الوزارة ٩ مرات ممثلا للحزب السعدى الذى كان يرأسه أحمد ماهر وبعده النقراشي .

ويكون رسول عبد الهادى للوفد المليونير أحمد عبود .

طلب سراج الدين من عبود استشارة تشابمان اندروز .

رد الوزير البريطانى المفوض قائلا :

ـ لن يخسر سراج الدين شيئاً من ابقاء القنوات مفتوحة !

* * *

قال فاروق لمستشاره الصحفى كريم ثابت إنه قرر اعفاء النقراشي من رئاسة الوزارة وأضاف :

ـ إنى غير آسف على تغييره فقد فشل على طول الخط . « وجاب لنا وجع الدماغ » من كل ناحية !

ويقع الاختيار على أحمد خشبه باشا وزير الخارجية الذى ينتمى إلى حزب الأحرار الدستوريين ليخلف النقراشي لأن خشبة محبوب من الجميع ، ويصلح لرئاسة وزارة مهمتها تهدئة الأحوال فى البلاد ، والتقريب بين مختلف الهيئات والجهات .

ويبعث فاروق بمستشاره الصحفى إلى خشبه يستطلع رأيه ، فوافق .

وبدأ فاروق يستطلع رأى الحزب السعدى الذى يرأسه النقراشي وهل يؤيد الوزارة الجديدة أم لا على أساس أن الأغلبية للسعديين فى البرلمان .

* * *

ويؤكد تشابمان اندروز الوزير المفوض للندن :

« الملك فاروق مصمم ـ هذه المرة ـ على التخلص من النقراشى . وأخشى استدعاء أحمد خشبة باشا ـ وزير الخارجية ـ بدعوى انه قادر على التوصل إلى اتفاقية معنا بشأن الدفاع والسودان ، مدعيا مركزه فى البلاد ومتيحا للحكومة الاستمرار .

وهو تصور خطير وأرجو ألا نشجع خشبه على الأمل فى النجاح . فسيكون ذلك ميكافيلليا .

وأؤيد تماما أن يصبح خشبه باشا رئيسا للوزراء لأنى مقتنع بأنه لن يستمر سوى بضعة أسابيع .

ولا أرغب أن يشعر المصريون أننا قد « سرحنا » به بشكل من الأشكال .

وبعد خشبه لا يمكن أن تقوم سوى حكومة محايدة قبل اجراء الانتخابات .

ويمكن أن يرأس حسين سرى الحكومة المحايدة . وهو يقبل المنصب لكنى أشك فيما إذا كان الملك سيعرضه عليه ، فقد ضاق به ، وطلب عدم ذكر اسمه مرة أخرى فى حضرته .

ومن الاحتمالات الاخرى بهى الدين بركات ، وشريف صبرى ، وحافظ عفيفى .

وقد أخبرنى حافظ عفيفى ليلة أمس أن قبوله رئاسة الوزارة تعنى الاستقالة من منصبه كعضو منتدب لبنك مصر ، وهو غير مستعد لذلك ، إلا بعد أن يتوافر له الوقت الكافى لتنفيذ برنامج فعّال للاصلاح الاجتماعى وطد نفسه عليه .

وقد يكون ذلك ممكنا فى ظل ظروف معينة ولكني لا أركن إلى تلك الظروف فى الوقت الحاضر» .

و هذه البرقية تبين أن الوزير المفوض البريطانى كان يساند خشبة باشا علانية فى القاهرة ويعارضه سرا فى لندن .

وتؤكد هذه البرقية أن عمر وزارة النقراشى لن يطول .

ولم يدرك أحد أن عمر النقراشى نفسه لن يطول

* * *

كان مقررا أن يفتتح صاحب الجلالة البرلمان فى ١٩ من نوفمبر ١٩٤٨ غير أنه تلقى تهديدات بالقتل . فأوفد فى اللحظة الأخيرة ابن عمه وولى عهده الأمير محمد على إلى البرلمان يفتتح الدورة نيابة عنه .

وجاء ذلك بعد اتخاذ تدابير أمنية لم يسبق لها مثيل ، على طول الطريق الذى كان مقررا أن يسلكه الملك .

فتشت المبانى تفتيشا دقيقا بما فى ذلك الجامعة الأمريكية .

وأبلغت الجامعة أن يبقى الطلاب فى قاعات المحاضرات بين العاشرة والنصف صباحًا حتى الواحدة والنصف بعد الظهر . وقد اعتبرت الجامعة ذلك اجراء غير عملى فعطلت الدراسة فى ذلك اليوم .

وحذر البوليس سكان المنازل على جانبى الطريق من استقبال الأجانب وأمروا بألا يلقوا زهورا أثناء مرور الموكب الملكى .

وامتنع الملك والوزراء عن الظهور فى أى مكان عام خوفا من رصاص الارهابيين .

* * *

أيّد الإخوان بأعمالهم شكوك الملك .. ضدهم .

ضاعفوا من حملتهم عليه .. واتجهوا بنقدهم إليه .

كتب صالح عشماوى وكيل الجماعة فى صحيفة الإخوان المسلمين يصف خطاب العرش :

« اشرأبت الأعناق وأرهفت الآذان لسماع ما يقوله خطاب العرش عن القضية الوطنية بعد أن طال عليها الركود ، ولكن كانت فجيعة للمصريين

والسودانيين على السواء حين لم يسمعوا جديدا يقطع الصمت أو يروا بصيصا من النور يبدد ما يحيط بالقضية من ظلام وغموض » .

قال مراسل « شيكاغو » ديلى تريبيون :

« يخشى الملك على سلامته الشخصية . والملاحظة التى تتردد فى القاهرة الآن هى :

النقراشى أولا

وفاروق ثانيا » !

* * *

أراد فاروق أن يتخذ خطوة للتقارب مع الإنجليز بعد الهزيمة فى فلسطين فقام بزيارة مفاجئة للسفير البريطانى بدار السفارة فى ٢٤ من نوفمبر ١٩٤٨ يرافقه عبد الفتاح عمرو باشا سفير مصر فى لندن وكريم ثابت المستشار الصحفى لصاحب الجلالة .

قال فاروق للسفير البريطانى :

ـ آمل أن تكون هذه الزيارة مناسبة لبداية علاقات طيبة بين البلدين .

وأضاف :

ـ تحدونى آمال عريضة فى أن نتوصل إلى اتفاق لصالح مصر وبريطانيا وهذه المنطقة من العالم ، ولكن ذلك لن يكون أمرا سهلا .

قال السير رونالد كامبل :

ـ اشارك صاحب الجلالة هذه الرغبة ، ولكن لابد أن يقتنع الجانبان بوجود احتمال حقيقى للنجاح قبل الدخول فى محادثات ، فالأمر لايحتمل أن نبدأ ثم نفشل .

وافق فاروق على رأى السفير الذى قال :

ـ إذا بدأت المفاوضات وكانت هناك رغبة فى نجاحها فمن الضرورى الحفاظ على المثابرة .

قال الملك :

ـ أرجو أن تبذلوا من جانبكم كل ما فى وسعكم لمساعدتى وتجنب تعقيد الأمور أمامى .

وأشار إلى المباحثات التى تجرى فى أنقرة بين الأمريكيين والبريطانيين والأتراك للدفاع عن الشرق الأوسط ، وقال إنها تجرى دون حضور مصر .

* * *

فى اليوم التالى لزيارة فاروق فسر عبد الفتاح عمرو باشا للسفير البريطانى مغزى الزيارة وتلميحات فاروق لمباحثات أنقرة فقال عمرو باشا :

ـ إن فاروق يشعر بضرر كبير لعدم اشتراك مصر فى هذه المحادثات . وهو ـ فاروق ـ مهتم بهذا الموضوع ويأمل فى استخدام نفوذه مع الدول المجاورة بقصد نشر شبكة من التعاون العسكرى مع البريطانيين فى منطقة الشرق الأوسط . وتضم الشبكة اليونان وتركيا .

وقال عمرو :

ـ يأمل صاحب الجلالة أن يبدأ هذا التعاون بين مصر وبريطانيا العظمى دون تأخير .

ويكتب السفير البريطانى إلى لندن يوم ٢٥ من نوفمبر يقول :

« هذه هى الزيارة الأولى التى يقوم بها الملك فاروق إلى سفارة جلالة الملك منذ وصولى أى منذ مارس عام ١٩٤٦ .

وهى تحتاج إلى بعض الشجاعة من جانبه .

وكان الهدف منها أن ينقل بوضوح إلى الحكومة البريطانية آماله ونواياه الصادقة وتعريف الرأى العام المصرى باتجاه سياسته » .

اتصل السفير بكبير ياوران الملك ليعرب له عن تقديره للزيارة فوجد كبير الياوران سعيدا يشعر بالرضا والارتياح لأن صاحب الجلالة قام بالزيارة .. أخيرا !

قال السفير فى برقيته إلى لندن :

« إن عمل الملك سيصبح رمزا لحالة نفسية جديدة بين المفكرين المصريين » .

وهكذا أصبح واضحا أن فاروق يريد تسوية الخلافات وتحسين العلاقات بين مصر وبريطانيا بعد الهزيمة فى مجلس الأمن ، وفى فلسطين .

وحدد فاروق أهدافه وهى معاهدة جديدة بين البلدين وموافقة مصر على الاشتراك مع الغرب فى الدفاع عن الشرق الأوسط .

ولكن كيف يمكن الوصول إلى ذلك كله .

يشرح السفير البريطانى الأمر فى برقيته إلى لندن . قال :

« سيكون من نتائج الزيارة إبعاد النقراشى الذى يكرهه الملك والذى سيتم استبداله فى أسرع وقت ممكن بشخص آخر. ولكنه لن يكون النحاس » .

ولكن بيفن ظل أكثر من عامين يرفض « عزل » النقراشى والتدخل فى الشئون الداخلية المصرية .

ويجتمع مجلسا البرلمان فى جلسة سرية أكثر من أربع ساعات مساء يوم ٣٠ من نوفمبر برئاسة الدكتور محمد حسين هيكل باشا رئيس مجلس الشيوخ لمناقشة الموقف فى فلسطين .

سئل النقراشى عن الخسائر التى تعرض لها الجيش المصرى فقال إنها ١,٥ ٪ فقط بينما بلغت الخسائر العادية فى الحروب ٦ ٪ ، وفى بعض ميادين الحرب العالمية الثانية بلغت ٢٢ ٪ .

ورفض أن يؤكد أو ينفى أن نسبة الخسائر تشمل القتلى فقط .

وأبى أن يجيب عن سؤال لحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى عن نسبة

الخسائر من الضباط والجنود فانسحب حافظ رمضان من الجلسة احتجاجا ,

وأعلن فؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام حزب الوفد أن الحرب كلفت مصر ٥٠ مليونا من الجنيهات .

وسأل رئيس الوزراء :

ـ لماذا لم تقم بتجهيز الامدادات اللازمة من الذخيرة قبل فرض الحظر مادامت لديك نية فى غزو فلسطين ، خاصة وقد انقضت سبعة أشهر بين اعلان البريطانيين قرارهم بالانسحاب من فلسطين وبين عبور الجيش المصرى للحدود فى ١٥ من مايو ؟ !

اعترف النقراشى بأن ما ذكره فؤاد سراج الدين حقيقة لا غبار عليها ، ولكنه قال :

ـ الأولى بك أن توجه هذا الكلام إلى نفسك .

يقصد أن سراج الدين وافق فى اجتماع البرلمان عند مناقشة الموضوع على دخول الحرب ، وأن حكومة الوفد لم تعد الجيش ، للحرب فى أثناء توليها الحكم !

وقال النقراشى إن قبول الهدنة ... « غلطة » !

أبرق السفير البريطانى يصف الجلسة . قال :

« وقع رئيس الوزراء فريسة لهجوم نارى .

وبالنسبة لهذه القضية فقد منحت الحكومة البريطانية ـ فى أوائل عام ١٩٤٦ ـ مصر نوعا من المعدات لتشكيل لواء مسلح ولكن المصريين أهملوا الافادة من هذه المنحة على الرغم من أنى قمت ـ حينئذ ـ بتذكير الملك فاروق ورئيس الوزراء بذلك .

وأقر رئيس الوزراء بمسئوليته الشخصية نحو قضية إمدادات السلاح .

وبهذا الخصوص سبق أن قال لى السفير المصرى فى لندن ـ عبد الفتاح

عمرو ـ بأنهم لن يسمحوا للنقراشي بالقاء تبعة فلسطين علينا .

وقد امتنع رئيس الوزراء عن ذلك بالفعل وتحمل المسئولية على عاتقه

وتعرض الفريق محمد حيدر باشا وزير الدفاع لهجوم عنيف من جانب المعارضة .

وكان رد فعله عنيفا أيضا .

اتهم بالأخفاق فى عمل الاستعدادات المناسبة قبل الاضطلاع بالحملة العسكرية وخيانة وطنه بتكليف الجيش بعمل لا يقدر عليه وبعدم ثقته ـ أى حيدر ـ فى الآخرين .

ودعى لوقف الخسائر فى الأرواح والأموال قبل أن تجئ بالخراب إلى مصر .

دافع حيدر بحرارة عن قراره الخاص بارسال القوات المصرية إلى فلسطين .

قال إن أى فشل فى تحقيق نصر سريع وكامل لا يرجع إلى خطأ من جانبه بل هو خطأ السياسيين الذين وضعوا العراقيل فى طريقه كوزير للحربية لبناء قوات قوية معدة إعدادا جيدا .

وقيل إنه فقد أعصابه تماما فى أثناء الرد وأنه لقب الذين نقدوه « بأولاد الكلاب » !

وفى نهاية المناقشة أصدر مجلس الشيوخ قرارا ، أعلن فيما بعد ، يمتدح كفاءة الجيش المصرى .

لم تكن لهجة القرار رنانة كتلك التى اعتادوا استخدامها فى وصف أعمال الجيش فى فلسطين .

وقد أعد مشروع القرار بعناية شديدة ـ من قبل ـ فى القصر الملكى بهدف اعلان الثناء ليكون له أطيب الأثر على معنويات الجيش .

ولم يكن مشروع القرار حافلا بالمديح حتى لا يرفضه مجلس الشيوخ الذى ينزع دائما إلى النقد » .

وهكذا نجد أن النقراشي تحمل النقد كله نيابة عن الملك والجيش والانجليز.

قال السفير البريطانى :

« بدا من الواضح أن النقراشى لم يستطع اقناع أولئك الذين انتقدوه » .

حقق النقراشي هدف الملك ولم يخذله أبدا فى تلك الفترة وبذلك حان الوقت لخروجه إرضاء لكل الأطراف .

ولكن صاحب الجلالة رأى أن يستمر النقراشي فى مهمته ليخلصه من عدوه الأكبر : الاخوان المسلمين !

فقد زاد نفوذ الجماعة السياسى إلى حدٍ كبير بعد أن حددت وأعلنت مبادئها فى كل الأمور واهمها :

* إعادة الخلافة .. وحتى لا يغضب الملك أو تزيد حدة غضبه على الجماعة ، قال المرشد العام إنه لابد من خطوات تمهيدية لها بالتعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى بين الشعوب .

* الوحدة العربية الإسلامية .

* إدماج الأحزاب فى هيئة واحدة لها برنامج إصلاحى تقوم على الإسلام لاستكمال الاستقلال والحرية .

* تطبيق نظرية الإسلام الاقتصادية أى على أساس ما جاء بالقرآن الكريم .

* اعادة النظرَ فىُ نظام الملكيات فى مصر بتحديد ، أو اختصار الملكيات الكبيرة وتعويض أصحابها وتشجيع الملكيات الصغيرة .

* تمصير الشركات وانتزاع المرافق العامة من الشركات الأجنبية .

* توزيع أملاك الحكومة فورا على صغار الزراع .

* فرضّ ضريبة الزكاة على رأس المال والربح لا على الربح وحده .

* الضرائب تصاعدية ويعفى منها الفقراء .

* تحريم الربا .

* العودة للأصول الكبرى : القرآن والسنة كمصدرين للتشريع .

* * *

أسقطت الجماعة أو ساهمت فى إسقاط ، وزارتين فى سنة واحدة : النقراشى فى أوائل عام ١٩٤٦ وصدقى فى أواخر ذلك العام .

وأصبحت قوية تضم ٦٠٠ ألف عامل والمؤازرون ضعف هذا العدد .

ولها ألفا شعبة فى مصر . وخمسون فى السودان ، وشُعب فى كل الدول العربية وأندونيسيا وسيلان وأفغانستان ، وتركيا ، وأوروبا ، وأمريكا .

وأنشأت الجماعة أعدادا كبيرة من المستوصفات والمدارس والأندية والجمعيات الاجتماعية .. ودارا للاعلانات ، وأخرى للطباعة ، وثالثة للنشر تصدر الصحيفة اليومية ، ومجلة أسبوعية ومجلتين شهريتين وكتبا اسلامية ، وعدة شركات منها ٤ شركات كبرى للمناجم والنسيج والتجارة واصلاح الأراضى بنجع حمادى .

قال هيوارث دان : إن هناك نوعاً من المهدية فى حركة الجماعة وأن المرشد العام هو « المهدى ».

* * *

وقال العميد أحمد كامل قومندان شرطة القصور الملكية :

«كان صاحب الجلالة يخاف الإخوان ويكرهم جدا . ويعتبر الشيخ حسن البنا خطرا عليه ويخشى على حياته من الإخوان حتى أنه كلفنى ــ أى أحمد كامل ــ بأن أشدد الحراسة عليه فى تنقلاته والأماكن التى يتردد عليها وملاحظة العمال والزوار فى القصور والتفاتيش ــ أى الأراضى الزراعية والعزب ــ الملكية .

وطلب إخراج الموظفين والعمال الذين ينتمون للإخوان المسلمين من القصور والتفاتيش .

وأمر بعمل حواجز حديدية على الأبواب الرئيسية لإجبار السيارات على الوقوف والتحقق ممن فيها » .

وقال حسن يوسف وكيل الديوان الملكى إن الملك رأى فى جماعة الإخوان خطرا على عرشه وأن السبيل الوحيد لوقف هذا الخطر هو التخلص من الجماعة .

وبعد ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ .. قال يوسف رشاد أيضا :

ـ كان الملك يبدى مخاوفه من الإخوان . وقد أبلغ أنهم ينادون بأن الملك بالمبايعة لا بالميراث ويهاجمونه وينتقدون ـ صراحة ـ تصرفاته وارتياده للاندية الليلية .. وظهوره مع بعض النساء . وأنهم يرون خلعه . وكان الملك يقول إنه يجب حل حزب الإخوان وتشتيته .

وقد تلقى الملك تقارير من جهات مختلفة بذلك .

وكان حسن البنا قد أعلن أن الملك لا يورث حسب الدين الإسلامى ويجب أن يتم اختيار الحاكم بطريق المبايعة لا بطريق الوراثة .

وأيد فكرة الخلافة .

ونشرت صحيفة « الزمان » المسائية التى يصدرها ادجار جلاد باشا ـ رجل الملك ـ :

« تآمرت مجموعة من ٨٠ فردا من الإخوان المسلمين لتنصيب الشيخ حسن البنا خليفة وتم وضع استعدادات تفصيلية لمسيرة فى القاهرة فى أثناء إجراء الانتخابات البرلمانية-القادمة لإعلان قيام حكومة إسلامية .

وتتجه نية الإخوان المسلمين إلى الدخول فى هدنة مع المجموعات الإرهابية الأخرى وبهذا تضمن تعاون العناصر الشيوعية » .

وقال وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار :

« استقر فى نفس الملك أن الجماعة تريد خلعه عن العرش وإقامة جمهورية

إسلامية تشمل مصر والدول الإسلامية ، والمرشح لرئاسة الجمهورية المرشد العام » .

* * *

استمرت المحاولات لتشويه صورة الإخوان أمام السفارات الغربية .

زار المركز الرئيسى للجماعة ثلاثة أسابيع متصلة كاتب أمريكى اسمه ديرونيان، يوقع كتبه باسم مستعار هو جون روى كارلسون ليؤلف كتابا عنوانه « الكشف عن المتآمرين » .

قدم كارلسون إلى السفارة الأمريكية صورة لأعضاء الجماعة فقال :

« يمكن رؤية مجموعة من أكبر قطاع الطرق ـ البلطجية ـ فى العالم ، يوحى منظرهم بالشراسة فى مقر جماعة الإخوان .

هم مجموعة من أصحاب اللحى ذات الملابس المتسخة للغاية منهم من أصابه الحول ، ملامحهم خشنة قاسية ، تجد بين صفوفهم أكثر المتعصبين قسوة ..

ويصعب التوصل إلى حل للألغاز الخاصة بهذه الجماعة ، فهم يعادون الأجانب . ويميلون للشك بدرجة كبيرة . ومحاولة الإتصال بقادتهم صعبة للغاية تكتنفها مخاطرات شخصية بل إن تحويل مجرى النيل أسهل من الوصول إليهم بسرعة !

وهناك من يبالغ فى تصوير القوة التى يتمتع بها الإخوان .

وهناك من يهون منها .

ولا أعتقد أن رقم نصف المليون عضو ينطوى على كثير من المبالغة إذا حسبنا الأتباع .. وأقارب الأعضاء !

وعلى سبيل المثال كنت أزور مطار الماظة فذهبت إلى مكتب شركة مصر للطيران .

وقلت إنى سأتوجه بعد ذلك لمقابلة حسن البنا فتطوع موظفون لمساعدتى .

وعندما اخطأ قائد سيارة الأجرة فى الالتزام باشارات المرور نهره أحد رجال الشرطة بصوت عال فقال السائق :

ـ إنى أنقل رجلا امريكيا إلى المقر الرئيسى لجماعة الإخوان .

عندما سمع الشرطى اسم الجماعة لم يكتف بالاعتذار بل وجه اليّ التحية » .

* * *

قال النقراشى لكريم ثابت المستشار الصحفى .

ـ قل للملك إن الإخوان المسلمين أعدوا شبكة لا سلكية تمكنهم من الاتصال بفروعهم فى جميع أنحاء البلاد فى اليوم الذى يقررون فيه قطع المواصلات .

إن الموضوع أخطر جدا مما كنت أتصور فى بادئ الأمر .

* * *

فوجئ كريم ثابت عند دخوله على الملك فاروق بصاحب الجلالة يفتح درجا وأخرج منه نتيجة من النتائج التى تطبعها مصلحة المساحة لتعلق على الجدران ، وفيها شهور السنة وأيامها ومواقيت الصلاة ، وقال :

ـ كان النقراشى على حق عندما أكد لى أن هؤلاء الناس ـ الإخوان ـ يريدون الحكم .

وأضاف فاروق :

ـ أتريد أن ترى صورة الملك الجديد .

ـ انظر.. صورة من هذه ؟

قال كريم ثابت :

ـ صورة حسن البنا .

وأضاف :

ـ كيف كان ذلك ؟

قال فاروق :

ـ هذه النتيجة التى تراها أمامك ليست سوى واحدة من مئات عثر عليها رجال المباحث فى دمنهور. وقد نزعت منها صورتى ، ووضعوا مكانها صورة حسن البنا .. إنه الملك الجديد !

الرعب

فى كتاباته ورسائله وخطبه قال الشيخ البنا إن أركان دعوة الجماعة هى : « العلم والتربية والجهاد » .

وقال :

« بدون استعداد كل فرد فى الجماعة للجندية لا يكون شيىء » .

وجعل للعضوية ست مراتب منها « المجاهد » .

واشترط أن يكون العضو « قادرا على الصبر والكتمان وحفظ السر » .

وحدد المرشد العام مظاهر النشاط الاسبوعى للأعضاء فأعلن أن منها « يوم المعسكر » ، أى يوم الجندية ، استعدادا للجهاد المقدس .

وقال لى الشيخ عمر التلمسانى المرشد العام السابق للإخوان المسلمين :

« الاسلام يتضمن فرض عين ، وفرض كفاية » .

.. الصلاة والصوم مثلا فرض عين يسأل عنهما الفرد .

أما فرض الكفاية فيتمثل فى الجهاد .. والزراعة الخ .

.. فإذا قام بعض المسلمين بفرض الكفاية سقطت المسئولية عن الباقين .. وإذا لم يقم أحد بذلك فإن المسلمين جميعا مسئولون .

فكر الشيخ حسن البنا فى الفرض الأخير ـ أى الجهاد ـ ورأى إنشاء قوة فى مصر ـ ميليشيا ـ تستطيع مقاومة الانجليز ومواجهة اليهود فى فلسطين خاصة وأن السلاح متوافر فى كل مكان .

وأكد الشيخ الباقورى « أن النظام الخاص أنشئ لتدريب الراغبين فى الجهاد

عن طريق العمل الفدائى فى فلسطين أولا ، ثم فى مصر ، ضد الاحتلال البريطانى لمنطقة قناة السويس . وكان التمويل من اشتراكات أفراد النظام » .

وقد انتقد البعض الاخوان وقالوا إنهم تحولوا من الاشتغال بالدين والتربية الاسلامية إلى العمل السياسى وهذا غير صحيح ، فقد فكر الشيخ البنا فى الجهاد عندما أنشأ الجماعة عام ١٩٢٨ .

وفكر فى إقامة النظام الخاص ـ الذى أطلق الناس عليه اسم النظام السرى أو الجهاز السرى ـ عندما فكر فى الدعوة .. أى منذ البداية .

ولدت الفكرة مع الدعوة وفى السنة الأولى منها ، ويرجع ذلك إلى أن البنا كان يرى أن الاستعداد بالتسليح والتدريب أمر ضرورى ليعرف الأعضاء معنى الجهاد ولاكتمال الدعوة وتنفيذ أمر الاسلام » .

وأضاف الشيخ التلمسانى :

ـ كل مسلم يجب أن يكون مستعدا للجهاد ويحسن استخدام السلاح .

وقال :

ـ النظام السرى لم يقم لقتل الوزراء أو قلب نظام الحكم بالقوة .

وقال لى فهمى أبو غدير المحامى ، الذى كان عضوا بمكتب الارشاد العام ، إن التنظيم الخاص بدأ صغيرا عام ١٩٣٥ فقد تأثر الشيخ البنا بالشيخ عز الدين القسام الفلسطينى الذى قتل ومعه ١٣ من أنصاره فى فلسطين فى معركة غير متكافئة ، فرأى إنشاء هذا الجهاز لإيمانه بأن أى حق فى الدنيا لا تحميه قوة يعتبر حقا ضائعا . ومهمة الجهاز فى رأيه القتال ضد الانجليز فى مصر وضد اليهود فى فلسطين .

ويقول الشيخ التلمسانى إن الجهاز أنشئ عام ١٩٣٦ .

واعترف اثنان من رجال الاخوان هما محمود عبد الحليم وصلاح شادى بأن المرشد أنشأ النظام الخاص عام ١٩٤٠ ـ فى سرية مطلقة ـ لتواجه به الجماعة مسئوليتها إزاء الانجليز فى الداخل والصهاينة فى فلسطين .

وقال الشيخ الباقورى «كان الشيخ البنا يعرف الشباب الذى انضم إلى النظام الخاص ـ فى صفوف الشعب والجيش والبوليس ـ بأعيانهم ، وأسمائهم ، وأسرهم التى ينتمون إليها وبلادهم التى يعيشون فيها» .

* * *

اختار الشيخ البنا صالح عشماوى وكيل عام الجماعة لرئاسة الجهاز فى البداية ثم أسند قيادته ـ بعد ذلك ـ إلى عبد الرحمن السندى وهو موظف كتابى بوزارة الزراعة لم يتم دراسته العليا ! وللسندى شقيق ميسور الحال عمدة لقرية بنى سند مركز منفلوط .

أدى السندى البيعة أمام المرشد العام وتعهد بألا يقدم على عمل إلا بعد الرجوع إلى لجنة القيادة وإلى المرشد شخصيا .

* * *

اعترف عبد الرحمن السندى بدوره فى الجهاز السرى ، عام ١٩٥٤ ، فكتب يقول :

«كان حسن البنا يعرف قدر الرجال فيعطى العاملين منهم الفرصة للعمل لخير الوطن والإسلام .

.. ما أن تعرف علّى وتوثقت رابطة الاخوة بيننا والثقة المتبادلة ، وعرضت عليه آمالى وأفكارى حتى أطلق يدى فى العمل لدعوة الله . ومكن لى من إعداد العدة لنصرة دين الله .

انطلقت بفكرتى أعد الشباب للجهاد ، وأصنع منهم الرجال المخلصين الأقوياء الذين لقى اعداء الله والوطن من مستعمرين وأذنابهم على أيديهم أشد ألوان العذاب والبلاء .

وكانوا خير الرجال الذين أقضوا مضاجع الكفر والاستعمار» .

* * *

تطور التنظيم على مراحل .

بدأ فى صورة نشاط رياضى كشفى ، وكان البنا قد ألف أول شعبها ، وتولى تدريبها بنفسه .

ومع انتقال المركز العام للإخوان من الإسماعيلية إلى القاهرة تطورت « فرق العمل » أو « فرق الرحلات » وتعددت أغراضها وأصبح أولها التدريب العسكرى .

.. وتغير اسم فرق الرحلات إلى (الجوالة) وزاد الاهتمام بها فى أعقاب مؤتمر الإخوان الثالث عام ١٩٣٥ فأصبح تنظيما مستقلا يتبع المركز العام مباشرة .

وفى عام ١٩٣٩ عين البنا محمود لبيب الضابط السابق بالجيش قائدا عاما لفرق الجوالة وكون لها مجلس قيادة من سبعة أشخاص ..

إن المرشد العام بهذا القرار رأى أن يبدأ الجيل الثانى من الإخوان عمله . وهو الجيل الذى يحارب وأن الجيل الأول : جيل المستعمين قد اكتمل .

قال عمر التلمسانى :

ـ لم يفكر حسن البنا والاخوان-فى اغتيال مصرى . بل كان يصيدون الانجليز .

ولكن الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ظل يردد :

ـ اليهود ليسوا فقط فى فلسطين ولكنهم فى مصر أيضا ، وفى كثير من البلاد التى لهم فيها نفوذ !

* * *

بدأت محاولة الاعتداء على البريطانيين عام ١٩٤٢ .

* قبض على اثنين من الإخوان هما جمال فكيه ومحمد عبد السلام فهمى فى ذلك العام بتهمة إعداد جيش لمحاربة الانجليز أثناء انسحابهم من مصر فى أعقاب تقدم قوات روميل فى الصحراء الغربية .

وطلبت النيابة الحكم عليهما بالاعدام .

* وقبض على نفيس حمدى الطالب وحسين عبد السميع فى السنة نفسها بتهمة إلقاء قنابل على النادى البريطانى أيام أعياد الميلاد :

وزاد نشاط الجهاز الخاص ضد الانجليز ابتداء من نوفمبر عام ١٩٤٤ .

وقد دفع صالح أبو رقيق ـ الذى أصبح فيما بعد من كبار قادة الجماعة ـ مهر عروسه للجهاز الخاص لشراء سيارة يحتاجون إليها فى الأعمال الفدائية ضد الانجليز فى القنال .

وتكررت عمليات ذلك الجهاز فى أواخر عام ١٩٤٥ .

واستمرت الاعتداءات فى فترات مختلفة . ولم يتم القبض على أحد بسبب نقص الأدلة والشهود .

ووقعت هجمات على اعداد كبيرة من البريطانيين فى سينما ميامى بالقاهرة يوم ١٠ من مارس عام ١٩٤٦ .

وقذفت إحدى السيارات قنبلة خارج مبنى جمعية الشبان المسيحية يوم ٥ من مايو فأصيب ١٦ من أفراد القوات المسلحة البريطانية بينهم سيدتان .

وألقيت قنبلة خارج ثكنات الجيش البريطانى بالعباسية فأصيبت سيدتان مصريتان .

وتتابعت القنابل على سينما « الامباير كلوب » الصيفية فى ٦ من يونيو .

وآخر حادث من هذا النوع كان على كوبرى قصر النيل فى ١٠ من يوليو .

ولم تلاحق الاتهامات الاخوان المسلمين فقط بل قبض على حسن عزت ـ من الضباط الأحرار ـ وخمسة آخرين !

وبدأ النظام الخاص باغتيال أحمد ماهر عام ١٩٤٥ ! ولكنه لم يشترك فى اغتيال أمين عثمان عام ١٩٤٦ .

وارتكبت فى يوليو ٤ حوادث ضد السيارات والأندية الليلية للقوات البريطانية .

ووضعت قنابل فى ستة من أقسام الشرطة بالقاهرة فى ٢ من ديسمبر ضد مشروع معاهدة صدقى ـ بيفن .

* وألقيت قنبلة ـ يوم ٣ من ديسمبر ـ على منزل الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ . ورصدت الحكومة مكافأة ٣٠٠٠ جنيه لمن يرشد عن المتهم .

وألقى أعضاء النظام القنابل على نادى الاتحاد المصرى ـ الانجليزى ليلة عيد الميلاد ، مساء ٢٤ من ديسمبر عام ١٩٤٦ ، فأصيب ٣ من المصريين . ولم يصب بريطانى واحد .

قبض على ثلاثة من الجماعة ووجدت مع أحدهم قنبلة يدوية .

ويقول التلمسانى إن السندى بث الفزع فى قلوب المحتلين بتوقيت ليلة عيد الميلاد واختيار النادى البريطانى الذى كان مكتظا بالجنود الانجليز وضباطهم ولكن لم يقتل أحد .

كتب السفير البريطانى إلى لندن يقول :

« يلقى الرأى العام والشرطة مسئولية حوادث الاعتداء بالقنابل والتى أفسدت احتفالات أعياد الميلاد على الإخوان المسلمين . ولكن البنا أعلن أن ذلك ليس من سياسة الاخوان .

وأضاف أن جميع المسلمين يحترمون هذه المناسبة وأهميتها الدينية » .

أبلغ النقراشى السفير البريطانى بالحادث تليفونيا وعرض أن يرسل إلى المستشفى أية مساعدات إضافية .

رد السفير :

ـ إنى على ثقة من إنك ستتخذ كل الاجراءات لاستئصال هذا النوع من الجرائم .

وتوجه السفير لزيارة النقراشى وقال له :

ـ أتحدث إليك بدون تعليمات ولكنى أنقل إليك قلقى الشخصى . إنى واثق من أن سلطات الأمن ، تحت قيادتك ، تبذل كل ما فى وسعها للقبض على مرتكبى هذه الأعمال الإجرامية .

وأضاف :

ـ الأمر الذى لابد أن يكون محبطا للشرطة ومشجعا للمجرمين هو التأخير فى الاجراءات الجنائية والافراج عن كثير من المتهمين بكفالات بسيطة .

قال النقراشى :

ـ ليس فى الامكان التدخل لدى القضاء فالمحافظة على مشاعرهم فى الاستقلال والأمان أمر جوهرى لتحقيق الممارسة الصحيحة للعدالة . ولا شك أن المحاكم المصرية لا تعمل بالسرعة المعتادة فى بريطانيا .

ولكن حيث يحتمل أن تصدر أحكام بالاعدام فإن أعضاء هيئة المحكمة يجب أن يكونوا مطمئنين ، للغاية ، إلى قراراتهم .

* * *

● ألقيت قنابل يدوية على قطار فلسطين فى يناير ١٩٤٧، وكان به بعض الجنود البريطانيين فأعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه مصرى لكل من يدلى بمعلومات حول الحادث .

ولم تسفر تحريات الشرطة المصرية عن أى دليل ضد المصريين الذين لا يعرفون أن قوات بريطانية مسافرة فى ذلك القطار بوجه خاص .

ويثير السفير السير رونالد كامبل الأمر مع النقراشى باشا الذى قال :

ـ أمل أن تؤدى المكافأة إلى نتائج . ومن المحتمل أن تكون الجريمة بفعل عناصر صهيونية .

قال السفير :

ـ بعض سلطات الأمن العسكرية البريطانية تميل إلى هذا الرأى . ويمكن أن يكون الصهاينة على علم بذلك نظرا لوجود بعضهم بين القوات البريطانية .

وفى هذه الحالة لا أتوقع ظهور معلومات نتيجة الاعلان عن المكافأة .

وبعثت وزارة الخارجية البريطانية إلى السفير تقول :

« يبدو أن الحكومة المصرية غير راغبة ، وأيضا خائفة ، من اتخاذ اجراء صارم ضد مرتكبى الاعتداءات » .

وطلبت الوزارة من السفير :

ـ عليك مواصلة الالحاح على رئيس الوزراء .

● وحاول أومباشى مصرى نسف فندق بالاسماعيلية ـ يوم ١٧ من يناير ١٩٤٧ ـ يقيم فيه الجنود البريطانيون .

● انفجرت قنبلة فى دار المعهد البريطانى بالقاهرة يوم ١٨ من مارس ١٩٤٧ .

ووجدت فى اليوم التالى قنبلة أخرى ، لم تنفجر ، بمبنى كلية فيكتوريا بالإسكندرية .

وتلقى القنصل البريطانى بالإسكندرية خطابات تهديد بنسف القنصلية بالقنابل من جماعة اطلقت على نفسها اسم « لجنة التحرير الوطنية » .

ويكتب السير رونالد كامبل :

« يمكن أن تكون هذه الانفجارات من تدبير عناصر فى الاخوان المسلمين ليس لها اتصال بقيادة الجماعة ، وتأثرت بقرار الحكومة بمنع الاجتماعات وفصل بعضهم . فوجدوا أن هذه الاعتداءات قد تكون فى صالح الجماعة فقاموا بها خاصة أنهم لم يتلقوا من القيادة أية تعليمات تفيد العكس .

واستمرت هذه الهجمات رغم تصريحات البنا لجميع الصحف . ولابد أن

يكون الاخوان المتمردون أو الذين لا يتصلون بقيادتهم قد اطلعوا عليها .

وقامت الشرطة بحملات واسعة النطاق على جميع المؤسسات والمنازل التى يعتقد أن لها صلة بالجماعة عقب اعتداءات أعياد الميلاد التى كانت موجهة ضد الاتحاد المصرى البريطانى والعديد من الملاهى التى يتردد عليها الجنود البريطانيون .

وألقت الشرطة القبض على عدد كبير للغاية منهم ثلاثة من أعضاء الجماعة كانوا متورطين ـ بكل تأكيد ـ فى هذه الاعتداءات بالقنابل .

وبصفة عامة فإن الاخوان المسلمين هم المتهم رقم ١ عندما يحدث اعتداء من هذا النوع سواء كانوا متورطين بالفعل ، أم غير متورطين ، ورغم عدم وجود دليل قوى يؤكد تورطهم .

ولكن هذه العادة التى دأب البعض على اتباعها وهى إلقاء التهمة على الاخوان المسلمين قد تؤدى إلى احتمالات خطيرة فى المستقبل .

وإذا لجأ الوفد أو حزب آخر يرغب فى إرباك الحكومة إلى الارهاب كسلاح سياسى فإن الاخوان سيكونون أول من تلقى عليهم مسئولية الارهاب .

ومن المحتمل أن تعتبر عناصر الشرطة الموالية للوفد إدانة الاخوان المسلمين فى هذه الحوادث على أنها أمر ثابت » .

● والقيت ٣ قنابل فى الاسماعيلية يوم ١٦ من إبريل .

● ودمرت أجزاء من مبانى سينما مترو فى القاهرة بالقنابل فى ٦ من مايو ١٩٤٧ فأعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه لمن يرشد على الفاعل . وقد اتهم الدكتور محمد حسين هيكل فى مذكراته الاخوان والجماعات اليسارية بإلقاء هذه القنابل .

ولكن صلاح شادى ـ من زعماء الإخوان ـ قال إن رابطة الشباب الوفدية هى التى ألقت تلك القنابل .

* تلقت المفوضية البرازيلية تهديدا بنسفها ، بعد تقديم البرازيل مشروعها فى

مجلس الأمن بأن يحل النزاع المصرى البريطانى بالتفاوض بين البلدين . وطالب خطاب التهديد بدفع خمسة ملايين جنيه تعويضا عن وقاحة البرازيل فى مجلس الامن والا أخذ وزيرها المفوض وجميع أعضاء الجالية رهائن .. وذبحوا .

وفى ٢٨ من أغسطس ١٩٤٧ ألقيت قنبلة على مقر المفوضية . واتهم ثلاثة شبان مجهولون بالجريمة .

وقال الماجور سانسوم ضابط أمن السفارة البريطانية إنه يشك فى قيام الاخوان المسلمين بالقاء القنبلة .

● وفى يناير ١٩٤٨ أعلنت الحكومة عن اكتشاف ١٦٥ قنبلة مع مجموعة من الأسلحة مع بعض شبان الاخوان فى تلال جبل المقطم ، أقر الشبان أنهم اشتروها من البدو استعدادا لفلسطين .

● وفى ٢٠ من فبراير ١٩٤٨ وقع إنفجار عنيف فى المركز العام للاخوان سمع صداه فى كل أنحاء العاصمة . ورغم ذلك فان تسعة فقط أصيبوا . ولم يكن المرشد العام فى مقر الجماعة .

وتبين أن أسلحة ومتفجرات نقلت من أحد الفنادق قبل أن يداهمه رجال الشرطة إلى المركز بموافقة الشيخ البنا الذى قال إن اثنين من الفلسطينين جاءا بالأسلحة وأنها لتحرير فلسطين .

واتصل المرشد العام بالحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين طالبا إليه التدخل فأفرج عن الاخوان وسلمت الشرطة الاسلحة للهيئة العربية العليا لفلسطين التى أعادتها بعد ذلك للفدائيين .. أى للنظام الخاص « .. كما تقول تقارير الأمن البريطانية » .

وفى تقرير السفارة البريطانية قالت « رضيت سلطات الأمن المصرية بتفسير أن الأسلحة لفلسطين أو تظاهرت هذه السلطات بالاقتناع » !

* * *

قالت تقارير الأمن العام لوزارة الداخلية المصرية :

«كانت للجهاز السرى محكمة تنعقد لمحاكمة من يعتبرهم الجهاز خصوما للاخوان أو خونة فى حق الوطن والدين . وحين تصدر هذه المحكمة حكمها فإنها تختار بضعة من الشباب تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة والعشرين .

وتعد حجرة تضاء بشموع قليلة ويطلق فيها البخور يعبق بالحجرة . وتنطلق فى أرجائها سحبه التى تضفى عليها رهبة المعبد وقداسته .

ويؤمر الشباب بدخول الحجرة عند منتصف الليل ، بعد أن يخلعوا نعالهم ، ليجدوا منصة مرتفعة قليلا عن الأرض مفروشة بالسجاد ، وعليها وسائد مغطاة بالسواد يتكئ عليها شيخ يرتدى قلنسوة سوداء ، عيناه نصف مغمضتين ، وبيده مسبحة طويلة فيجلسون أمامه .

يمضى الشيخ فى همهمته وتمتمته . ويدير حبات المسبحة والبخور ينطلق . والشيخ لا يزال مطرقا لا ينظر إليهم ، وعيون الشباب تختلس النظر إليه .

ويستمر الشيخ فى صلاته الخافتة قرابة نصف ساعة فتتعطل حواس الشباب عن التفكير فى أى شىء ، حتى ينسوا أنفسهم .

يفتح الشيخ عينيه ويحدق فيهم طويلا فتنحسر ـ من الرهبة ـ أبصارهم ، كأن له عينا يشع منها « مغنطيس » عجيب .. إن تحديقه فيهم يخدرهم ويسلبهم القدرة على الحركة. والبخور يدغدع إحساسهم وكأنه يدخل رءوسهم لتخيم سحبه على عقولهم .

ويقوم الشيخ متثاقلا ويقول لهم :

ـ حان وقت صلاة الفجر .

ويصلى معهم ذاكرا فى صلاته آيات الذين يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ، ويقتلون ، ولهم الجنة .

تنتهى الصلاة . ويصمت الشيخ برهة ثم تدوى منه صيحة عالية :

ـ هل أنتم على استعداد للاستشهاد فى سبيل الله ؟

يردون :

ـ نعم

يقول الشيخ :

ـ وهل أنتم مستعدون لقتل أعداء الله ؟

فيقولون :

ـ نعم .

يقول الشيخ :

ـ هل تقسمون على الوفاء بالعهد ؟

يقولون :

ـ نقسم .

يقدم الشيخ المصحف ليقسموا عليه . فيقول :

ـ استودعكم الله ، وموعدنا الجنة .

يخرجون وفى عزمهم شيء واحد القتل » .

وهذه المحكمة ـ كما تقول تقارير الأمن العام ! هي التي قررت اغتيال المستشار أحمد الخازندار !

* * *

ويقع انشقاق فى جماعة الاخوان فقد تحدى عبد الرحمن السندى المرشد العام وقرر القيام بأعمال دون الرجوع إليه .

كتب بعض الاخوان إلى الشيخ حسن البنا يسألونه :

ـ ما رأيكم دام فضلكم فى حاكم ظالم يحكم بغير ما أنزل الله ؟

رد المرشد العام كتابة بالآية الكريمة التي تقول :

« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » .

وكان عبد الرحمن السندى وراء طلب الفتوى دون الاعلان عن نفسه وهدفه منها ظهر يوم ٢٢ من مارس عام ١٩٤٨ عندما اغتال حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم ، وهما من الطلبة الأعضاء فى الجماعة ، المستشار أحمد الخازندار بينما كان يغادر منزله فى حلوان .

طارد رجال الشرطة القاتلين وقبضوا عليهما .

قالا إن الخازندار أصدر حكما بالسجن عشر سنوات على أخ فى الجماعة لمهاجمة مجموعة من الجنود البريطانيين فى أحد الملاهى الليلية بالاسكندرية عام ١٩٤٦ .

رأى الدكتور محمود عساف ، المرشد العام وهو يعاقب أو يحاكم السندى على إغتيال الخازندار .

وتعلل السندى بأن فتوى المرشد العام ضد الحاكم الظالم تجيز قتله .

قال الشيخ البنا :

ـ ربما كنت أقصد بالحاكم الظالم مثلا يزيد بن معاوية ..

وأضاف :

ـ الحاكم المسلم يطبق القانون . والقانون هو الظالم لا القاضى كما هو الحال بالنسبة للمستشار الخازندار .

وقال أيضا :

ـ الحاكم هو الذى يطبق القانون ولا تطبقه الرعية .

ويعترف الشيخ الباقورى بأن السندى اتخذ قرارا منفردا بقتل الخازندار .

ولكن من الواضح أن بعض الإخوان كانوا يؤيدون هذه العملية ضد

الخازندار نفسه ، وربما لإرهاب باقى رجال القضاء إذا قدم إليهم متهمون من أعضاء الجماعة .

قال لى فهمى أبو غدير المحامى :

ـ لو كنت فتيا قويا لقتلت الخازندار .

وأضاف :

ـ اعتدى رجل فى أسيوط على طفل اعتداء مشينا فحكم الخازندار على المتهم بالحبس سنة مع وقف التنفيذ .

وأصدر حكما بسجن أم ثلاث سنوات لأنها قتلت ابنتها التى رفضت مصاحبة أحد الأثرياء .

و .....

وهذه الأحكام الهينة تقابلها أحكام قاسية على الذين يريدون عزة مصر بقذف الانجليز بالقنابل . إن الخازندار يحل قتله .. فهو يقتل دعوة تضم الملايين !

ويضيف أبو غدير :

ـ إن مجلس إدارة الجهاز السرى وافق على الاغتيال .

قلت :

ـ وما موقف الشيخ البنا من هذه الجريمة ؟

قال :

نسب إلى الشيخ البنا أنه قال « ربنا يريحنا من الخازندار » أو « ربنا ينتقم منه » وذلك بعد إصدار الأحكام العنيفة ضد شباب الإخوان .

واضاف :

ـ ولكن الشيخ لم يأمر ابدا بقتل الخازندار ، ولم يعلم به قبل وقوعه .

* * *

استجوب المرشد العام فى التحقيق ثلاث ساعات .

قال الشيخ البنا إنه لم يأمر بالجريمة ولم يشر بها ، ولم يشجع عليها ، أو رضى عنها فى تصريح أو تلميح .

قال التلمسانى :

ـ كان الشيخ البنا فى المركز العام للاخوان بالحلمية الجديدة يوم اغتيال الخازندار . وقد تألم كثيرا عندما سمع بالحادث وأحس بالضيق لأن هذا الطيش ينعكس على الإخوان ويعطى للعالم صورة سيئة عنهم .

وأجمعت قيادات الإخوان على أن الغضب والألم أخذا من المرشد كل مأخذ بعد إغتيال الخازندار . قال إنها جريمة بشعة تؤدى إلى تدمير الجماعة التى قضى عمره فى بنائها وأن الرصاصات التى أطلقت على الخازندار إنما اطلقت على صدره هو . وهى نفس كلمات سعد زغلول عندما سمع باطلاق الرصاص على السردار البريطانى السير لى ستاك ... فإن اغتيال السردار أدى إلى استقالة وزارة سعد زغلول وسحب الجيش المصرى من السودان .

حكم على المتهمين باغتيال الخازندار بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وتتابعت الانفجارات .

- فى ٢٥ من إبريل جرت محاولة لنسف بيت مصطفى النحاس .

وقالت تقارير المخابرات البريطانية :

« **هناك شئ من الشك حول ما إذا كان الاخوان متورطين فى هذا الحادث** » .

وثبت فيما بعد أن رجال الملك السابق هم الذين قاموا بهذه المحاولة .

* * *

أعلنت الأحكام العرفية يوم ١٣ من مايو ١٩٤٨ وفى ١٥ من مايو دخلت القوات العربية فلسطين .

● ووقع الحادث الأول من سلسلة الانفجارات فى الممتلكات اليهودية فى ٢٠ من يونيو فى الحى اليهودى بالقاهرة فاشتعلت النار فى بعض منازل الحى ردا على مذبحة دير ياسين بفلسطين فى ٩ من إبريل .

ويبعث تشابمان أندروز إلى لندن بعد ٤٨ ساعة يقول :

« **يبحث رجال الشرطة عن حسن البنا زعيم الإخوان لسؤاله عن هذا الانفجار** » .

... مما يدل على شكوك السفارة والشرطة فى دور الإخوان .. خاصة أن تقارير المخابرات البريطانية قالت إن أسرة غير يهودية تقيم فى الحى حذرت ، وأنذرت قبل الحادث بيوم كامل وتركت المنطقة .

● وفى ٦ من يوليو اكتشف مستودع من الجلجنايت مزود بجهاز تفجير زمنى تحت السلم فى مكتب وكالة حكومة السودان .. التابعة للانجليز.

وقالت المخابرات البريطانية :

« **ربما يكون الإخوان هم الذين قاموا بذلك** » .

● وفى ٩ من يوليو استئونف القتال بعد انتهاء الهدنة الأولى فنسفت محلات يهوديين . « شيكوريل » و « أركو » فى اليوم ذاته .

● وفى ٢٨ من يوليو وقع انفجار بمحلات « داود عدس » للأقمشة بشارع عماد الدين .

● وفى أول أغسطس نسفت محلات يهودية أخرى « بنزايون » بشارع قصر النيل و « جاتينيو » بشارع محمد فريد ، وجرح ٢٨ .

● وفى ٣ من أغسطس انفجر مبنى شركة أراضى الدلتا بالمعادى فى ضواحى القاهرة ومحطة تلغراف ماركونى التى أعتبرت مركزا للاتصالات اليهودية ، ردا على قرار الهدنة فأصيب ثلاثة .

بعث جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الامريكى إلى وشنطن يوم ١٣ من أغسطس يقول :

« يذكر حيدر باشا أحيانا على أنه المسئول عن حوادث الانفجار . ولكن لا يوجد دليل إيجابى يؤكد ذلك » .

● وقع انفجار يوم ٢٤ من أغسطس فى مطار الإسكندرية بينما كانت طائرة النقراشى القادمة من القاهرة تستعد للهبوط ولم ينشر النبأ فى الصحف ولكن السفارة البريطانية سجلت الحادث فى برقياتها .

● وفى ٢٢ من سبتمبر تعرض الحى اليهودى ــ حارة اليهود ــ مرة أخرى لانفجار عنيف قتل ٢٠ وأصيب ٦١ .

● وفى ٢٨ من سبتمبر وقع انفجار بمصنع للزجاج بحلمية الزيتون تملكه « محلات شيكوريل » .

● وفى ٨ من أكتوبر ضبط مخزن أسلحة فى عزبة الشيخ محمد فرغلى قائد كتائب الاخوان عند الاسماعيلية .

قالت القنصلية البريطانية فى بور سعيد :

« لم يعثر على أسلحة فى مقار الإخوان فى بور سعيد أو الإسماعيلية . ولكن رجال خفر السواحل كانوا يفتشون العزب القريبة من الإسماعيلية بحثا عن الحشيش فوجدوا كمية كبيرة من الأسلحة والمتفجرات فى عزبة الشيخ محمد فرغلى على بعد ١٤ كيلو مترا من الإسماعيلية .

وكانت الأسلحة فى مخبأ تحت الأرض مبنى بالخرسانة .

وتعتقد سلطات الأمن المصرية أنه يوجد عدد من مخابئ السلاح المماثلة فى أنحاء مختلفة من مصر » .

وعلى الفور صدر أمر عسكرى فى ٢٨ من أكتوبر بحل شعبتى الجماعة فى الإسماعيلية ــ مهد الحركة ــ وبور سعيد وإغلاق مقار الإخوان بهما .

● وانتاب البوليس الشك أيضا فى أن الإخوان ألقوا قنبلتين يدويتين على منزل عبد الفتاح عمرو باشا فى ٢ من نوفمبر..

● قبض رجال الشرطة على ٣٥٠ من أعضاء الجماعة فى القاهرة يوم ٤ من نوفمبر لمنعهم من القيام بمظاهرة احتجاجا على اغلاق شعبتى الجماعة فى الإسماعيلية وبور سعيد .

● وألقيت قنابل على مكاتب الصحف الأجنبية فى مصر يوم ١١ من نوفمبر ١٩٤٨

ومن البداية ـ طبقا لما يقوله تقرير المخابرات البريطانية ـ تشكك البوليس المصرى فى الإخوان المسلمين منذ اللحظة الأولى التى اتضح فيها أن مصر ستقوم بشن حرب ضد دولة اسرائيل لم يضع الإخوان أية فرصة للتنديد العنيف باليهود ... وحاولوا بكل الطرق إثارة الشعب ضدهم .

وكان ذلك واضحا بصفة خاصة بعد الغارة الجوية التى وقعت فى ١٥ من يوليو ١٩٤٨ حين سقطت قنابل من طائرة معادية وأصابت عددا من الضحايا .. بعضهم إصابته قاتلة بين السكان المصريين فى القاهرة .

وبعد الغارة الجوية بفترة قصيرة ـ طبقا لتقارير المخابرات البريطانية ـ تلقى الحاخام الأكبر مكالمة تليفونية من شخص ـ يعتقد أنه من الإخوان ـ يحذره من أن الإخوان قرروا الانتقام من كل المؤسسات اليهودية فى مصر.

وينتاب مصر كلها .. الرعب !

ساعة المواجهة

نفذ الاخوان ـ كما قال رجال الشرطة ـ تهديداتهم ضد أكبر وأخطر المؤسسات اليهودية فى مصر .

* فى ١٢ من نوفمبر ١٩٤٨ أمر السندى بنسف مكاتب مطابع الشركة الشرقية للاعلان التى يملكها اليهود ، ويرأسها يهودى ... هنرى حاييم .

كان الانفجار عنيفا فاهتزت المبانى المجاورة للشركة .

واعترف مؤلفو الاخوان ـ بعد ذلك ـ بأن الجماعة مسئولة عن نسف شركة الاعلانات الشرقية وقالوا إن عبد الرحمن السندى هو الذى أمر بالنسف . وحاولوا تخفيف المسئولية فقالوا إن النسف تم وقت الراحة حتى لايصاب أحد .

واعترفوا بأن الاخوان فجروا المخازن السرية للمفرقعات فى حارة اليهود

وبرر فهمى أبو عدير هذه الأحداث بعد وقوعها بأكثر من ثلاثين عاما فقال :

ـ شركة الاعلانات شركة يهودية وكل ماتفعله تشكيك الناس فى الإسلام !

وعرض النقراشى مكافأة ١٠ آلاف جنيه لمن يرشد عن مرتكبى الانفجارات على دور الأعمال اليهودية ولكن الفاعلين ظلوا مطلقى السراح كما يقول تشابمان اندروز .

قال الكاتب السوفييتى سيرانيان . «اشتعلت نيران حرب حقيقية بين الحكومة والجماعة .

ودبر الاخوان عدة هجمات فى القاهرة ، فى وقت واحد ، على مكاتب

ومراكز المراسلين الصحفيين لبعض الصحف الأجنبية ، وفجروا العديد من المبانى فى أحياء القاهرة المختلفة مما نجم عنه الكثير من الضحايا الأبرياء والخسائر المادية الفادحة » .

ورأت السلطات المصرية والبريطانية أن توجه اهتماما أكبر لنشاط الاخوان .

وتمكن البوليس المصرى من تأكيد شكوكه حول مسئولية الجماعة وكانت نقطة التحول سيارة « جيب » !

* * *

بدأ رجال الشرطة يفتشون بيوت الاخوان المشتبه فيهم عقب حادث انفجار شركة الاعلانات الشرقية التى يملكها اليهود فخاف قادة الجهاز السرى ، ووضعوا كل الأوراق والمستندات فوق سيارة « جيب » اتجهت مساء اليوم التالى ـ ١٣ من نوفمبر ١٩٤٨ ـ إلى بيت أحد أعضاء الجهاز فى حى العباسية وكان مراقبا .

رأى جندى شرطة أربعة شبان يرتدون الملابس المدنية داخل السيارة التى لاتحمل أرقاما فاقترب من السيارة .

ارتاع أحدهم وهو السائق فترك السيارة وفر هاربا فاخذ الجندى يصرخ قائلا :

ـ يهودى . صهيونى .

تجمع الناس وأخذوا فى ضرب من بالسيارة ثم قبضوا على الشبان الثلاثة .

وبتفتيش سيارة الجيب بواسطة البوليس اتضح أنها تحمل ٢٨ مسدسا ورشاشا ومدفعا « برن » و ٢٧٠٠ قطعة من الذخيرة و ٤٨ قنبلة يدوية وصندوقين من الجلجنايت .. (أحدهما مرتبط بجهاز تفجير زمنى) وكمية من الخناجر .

وأدى استجواب الشبان الثلاثة ، ورابعهم الذى تم القبض عليه بعد فترة قصيرة ، إلى العثور على عدد من الوثائق شملت رسوم وخرائط المبانى المختلفة مثل السفارات الأمريكية والفرنسية والبريطانية ومنازل النحاس والنقراشى

وإسماعيل صدقى وشريف صبرى ومكرم عبيد وعبد الرحمن عمار وعبد الفتاح عمرو وحسن فهمى رفعت وكيل الداخلية السابق وكل أقسام الشرطة وتم العثور على خريطة الشركة الشرقية للاعلان ومبانيها .

ووجدت بالسيارة شفرة الاخوان وخططهم السرية والأهداف التى يزمعون مهاجمتها أو تفجيرها .

السفارة الفرنسية : كان مقررا إلقاء القنابل عليها يوم ١٥ من نوفمبر.

السفارة البريطانية : ١٩ من نوفمبر.

السفارة الأمريكية : ٢١ أو ٢٢ من نوفمبر.

وثبت من الوثائق المضبوطة أن الاخوان المسلمين هم المسئولون عن حوادث الانفجارات التى وقعت فى القاهرة خلال الشهور الستة الأخيرة .

واعترف الشبان بأنهم نفذوا الهجمات التى تعرضت لها بعض المنشآت .

وأظهرت هذه الوثائق اسماء أعضاء التنظيم الخاص ورئيسه عبد الرحمن السندى وتولى سيد فايز قيادة التنظيم بصفة مؤقتة .

لم تعلن الحكومة عن ضبط سيارة الجيب إلا بعد ٤٨ ساعة حتى استطاعت القبض ـ خلال تلك الساعات ـ على ٣٢ من قيادات التنظيم وبينهم السندى . وانكشف النظام الخاص بسقوط سيارة الجيب فى قبضة رجال الأمن العام .

* * *

بعث جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى إلى وشنطن البرقية رقم ١١ قال :

« صودر بيان وجد ضمن الوثائق التى عثر عليها فى عربة تحتوى على أسلحة ومفرقعات فى مؤامرة تضم مجموعة من ضباط الجيش يعتقد أنهم كانوا يتآمرون ضد الحكومة .

وليس معروفا ، إذا كان هذا البيان الذى يحمل توقيع « ضباط الجيش » هو

فعلا من وضع ضباط الجيش ، أم من عناصر أخرى .

يقول البيان تحت عنوان « اللهم اعطنا القوة والنصر والوحدة » . إن حملة فلسطين أظهرت « الحاجة مستقبلا إلى الاهتمام وبذل الجهود لتقوية الجيش » .

ويهاجم البيان النقراشى باشا لأنه « لم يكن يميل للحرب » ، كما يهاجم بشدة اللواء المواوى بك القائد المصرى السابق فى الميدان ، وينتقده لخسارته المعركة ، وتركه الجيش فى حالة يؤسف لها .

ويرى كاتب البيان أن هناك دليلا على وجود موظفين يهود فى سكرتارية الوفد المصرى فى الأمم المتحدة يتصلون باليهود الصهاينة لتأخير المعلومات ، وفى عدم مصادرة ممتلكات بعض اليهود المصريين قبل فوات الأوان ، وفى دعوة أحد أعضاء مجلس الشيوخ المصرى لعقد سلام منفصل ـ وهى إشارة لرئيس الوزراء السابق إسماعيل صدقى .

أما حالات الفشل الأخرى « التى يتحملها الساسة المصريون الذين صنعتهم الامبريالية فتتضمن : الضرائب غير الملائمة والسيطرة غير الكافية على الصحافة المصرية » .

ويمضى البيان قائلا : «إننا سنعارض ونحارب الانجليز واليهود وأدواتهم.. لتأمين مستقبل مصر من أن يتلاعب به أولئك الذين لم يمنعهم كبرسهم من بيع مصر وخيانتها » .

ويتوجه فيليب ايرلاند السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية إلى عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية يسأله يوم ١٩ من نوفمبر ، عن الحوادث الأخيرة فقال عمار :

ـ عرف البوليس ، منذ فترة ، طبيعة العنف السياسى للاخوان المسلمين . ولكن الذى عرقل حركة الشرطة أن عددا كبيرا من موظفى الحكومة انضموا إلى الجماعة ، أو قدموا الحماية لها .

وقال عمار إنه مقتنع بأن الاخوان هم المسئولون عن حوادث الانفجارات التى وقعت فى العامين الأخيرين .

وقال إن الشيوعيين توغلوا فى صفوف الاخوان ومصر الفتاة والوفد .

ويمول السوفييت الاخوان بالمال وإن كانت الجماعة تزعم لأعضائها أن السلاح اشترى بالأموال التى جمعت من اشتراكاتهم .

ويعرف رجال الشرطة أن الاخوان ومصر الفتاة قاموا بتخزين كميات ضخمة من السلاح .

ومن المحتمل أن الاخوان استخدموا خبراء أجانب فى المفرقعات .

وقال إنه حذر الشيخ عدة مرات ليكبح جماح اعضاء الجماعة .

وقالت تقارير المخابرات البريطانية :

« الاخوان مسئولون إلى حد كبير عن إثارة الهجمات التى تعرض لها الاجانب .

وقد اختلفت الوسائل التى تمت بها الانفجارات .. ولكن بشكل طفيف .

كان يتم نقل شحنة من الديناميت إلى المنطقة المختارة بواسطة تاكسى أو سيارة أو وسائل النقل الأخرى مثل « الترسايكل » وتترك بجهاز تفجير زمنى مرتبط بها .. وفى كل حالة كان الجناة يجدون وقتا كافيا للهرب » .

* * *

عاد الشيخ حسن البنا من الحج يوم ٢٨ من نوفمبر فقصد إلى القصر الملكى وقيد اسمه فى سجل التشريفات معتقدا أنه يستطيع تسوية الأمور !

ولكن البوليس حقق مع البنا فيما نسبته إليه وثائق سيارة الجيب .

وكتب السفير البريطانى إلى لندن :

« عندما تنتهى التحقيقات سيكون ممكنا تكوين رأى محدد فيما إذا كان

الارهابيون مجموعة من المجرمين المتهورين الذين تصادف كونهم أعضاء فى الجماعة ، أو أنهم يعملون من تلقاء أنفسهم ، أم أن أنشطتهم كانت بايعاز مباشر من زعيم الاخوان ومستشاريه ، وأن تنفيذها كان نيابة عنهم ؟ » .

* * *

تصاعدت الأحداث ..

فى أول ديسمبر سأل الوزير البريطانى المفوض مصدرا مسئولا فى وزارة الداخلية :

ـ هل صحيح أن حسن البنا قد أعتقل ؟

أجاب المصدر بأن النقراشى أصدر قرارا بذلك ولكنه سحبه خشية العواقب .

ويبعث السفير البريطانى السير رونالد كامبل إلى لندن برقية طويلة يوم الجمعة ٣ من ديسمبر ١٩٤٨ يقول فيها :

« ليس من المرجح اعتقال حسن البنا إذ تخشى السلطات احتمال صدور رد فعل بالغ العنف من جانب أنصاره .

وتأكد ـ الآن ـ بما لايدع مجالا للشك ـ أن أعضاء الاخوان مسئولون عن كل المحاولات التى جرت لنسف المنشآت اليهودية »

* * *

كتب حسن البنا فى اليوم ذاته فى صحيفة « الاخوان المسلمون » يقول :

« الأمة الإسلامية اليوم بين منحة ومحنة . إن صبرت على الشدة وواصلت السير فى قوة إلى الغاية فهى واصلة بإذن الله تبارك وتعالى إلى ماتريد مهما أرعد برقها وعظم هولها .

سمعت أحدهم بالأمس يخاطبنى فى حماسة فيقول :

ـ إننا لسنا مجهولين إلا فى وطننا ، فعلينا أن نرحل »

ويختم حسن البنا مقاله :

« ستنكشف الغمة . وتزول المحنة . فاصبروا وصابروا ورابطوا » .

وأبلغ أحد المحامين.. المستشار الشرقى للسفارة البريطانية أنه سمع فى الإسكندرية أن تحركا خطيرا سيحدث فى القاهرة وأن كلمة « ثورة » قد استخدمت .

وتكتب السفارة البريطانية إلى لندن :

« يوم ٤ من ديسمبر ألقى طلاب جامعة فؤاد الأول الأحجار والقنابل على رجال البوليس » .

واعتصم طلبة الطب بسطح مبنى الكلية وأشعلوا النار فى أماكن متفرقة منها وألقوا قنبلة على اللواء سليم زكى حكمدار القاهرة فقتلوه ثم اسرعوا بالتراجع داخل المبنى . ومعظم الإصابات فى صفوف الطلاب نتج عن مقاومتهم عند القبض عليهم .

ولم يكتف الطلبة بترديد الشعارات ضد النقراشى وحول السودان ، بل كانوا يهتفون أيضا «يسقط فاروق الفاسق» و«عاشت الملكة فريدة» و «أين أم فاروق » ؟.. إشارة إلى غياب الملكة نازلى الطويل والمستمر عن مصر» .

أغلقت الحكومة جامعة القاهرة ، بما فيها كلية الطب ، إلى أجل غير مسمى .

قال اللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة « أمن الدولة » فى كتابه « فى خدمة الأمن السياسى» إنه ثَبتَ إقدام أفراد الجهاز السرى للجماعة على اغتيال اللواء سليم زكى !

* * *

زار إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى السفير البريطانى وقال له :

ـ إن حكمدار شرطة القاهرة سليم زكى لم يقم بأى تحرك ضد الطلبة .

لم يفعل أكثر من أنه نصحهم بالتزام الهدوء .. وأنهم أحرار فى مواصلة الإضراب أو مغادرة الجامعة .

وفى هذا الوقت ألقيت عليه القنبلة .

وأضاف :

ـ استغل الشيوعيون الاضطرابات التى بدأها الاخوان . ولم ينضم الشيوعيون إلى الاخوان للتستر وراءهم ، كما يقال . فهم أكثر ذكاء من أن يفعلوا ذلك . وهم يعرفون أن الاخوان يقفون ضدهم .

أبرقت السفارة الأمريكية إلى واشنطن تؤكد « المسئولية الأولى فى المظاهرات ومصرع سليم زكى تقع على عاتق الاخوان المسلمين ، وأن الحكومة المصرية اتهمتهم بذلك علنا » .

وقالت السفارة « إن ضابط شرطة قتل واصيب ثمانية من الضباط و ٥٤ من الجنود ومائة طالب » .

ولكنّ ادجار جلاد قال للقائم بالأعمال الأمريكى :

ـ يعتبر الطلبة سليم زكى أحد أعمدة النظام الحاضر ، وهذا من أسباب عدائهم له .

وأخذ جلاد يتحسر على الماضى أمام جيفرسون باترسون قائلا :

ـ عندما كان السير توماس راسل باشا الحكمدار البريطانى لشرطة القاهرة يسير بحصانه الأبيض أمام المتظاهرين كانوا يتراجعون .. متفرقين !

ويعترف جلاد باشا لباترسون قائلاً :

ـ من أسباب السخط العميق كراهية الشعب للملك . .

قال لى فهمى أبو غدير المحامى والذى كان عضوا بمكتب الإرشاد ممثلا لطلبة الجامعة عام ١٩٣٧ إن الإخوان لم يقتلوا سليم زكى وإنما قتله طالب بكلية الطب إسمه مصطفى أمين ليس عضوا فى الجماعة .

ولم يكن مصرع حكمدار الشرطة بتدبير .

أحس الشيخ البنا بخطورة الحادث فأوفد أبو غدير والشيخ أحمد شريت فى اليوم نفسه ـ ٤ من ديسمبر ـ إلى حامد جودة رئيس مجلس النواب يطلبان منه التوسط لدى النقراشى لبدء صفحة جديدة بين الحكومة والجماعة .

قال الرجلان :

ـ نحن نبرأ إلى الله مما حدث اليوم . ونرجو أن تكون حمامة السلام بين الاخوان والحكومة .

رفض حامد جودة باصرار وقال :

ـ الجماعة قتلت اليوم سليم زكى ومابينها وبين الحكومة لايمكن الوساطة فيه أبدا ..

حمل الرجلان هذا الجواب إلى المرشد العام الذى ادرك خطورة الموقف فإن حامد جوده توسط للافراج عنه من المعتقل فى عهد حسين سرى يوم كان يعلم أن هناك مجالا للتوفيق .

قصد « تشابمان أندروز » الوزير البريطانى المفوض إلى وزارة الخارجية يوم ٥ من ديسمبر ليلتقى بوزير الخارجية بالنيابة إبراهيم الدسوقى أباظه باشا .

سأل « أندروز » الوزير عن الاضطرابات التى وقعت فى اليوم السابق واغتيال سليم زكى .

رد دسوقى أباظة قائلا :

ـ احداث الأمس ذات طبيعة يمكن أن تحدث فى أى مكان . فالمشاعر العامة فى حالة التهاب بسبب موضوع السودان . وكانت العناصر الساخطة فى الاحزاب السياسية ، البعيدة عن الحكم ، مستعدة تماما للإستفادة من الموقف

ويرفع دسوقى باشا سماعة التليفون ـ أمام الوزير البريطانى ـ ليسأل مدير الأمن العام عن الخسائر .

قال مدير الأمن العام :

ـ أصيب سبعة من رجال البوليس وتسعة من الطلبة والمارة بجراح فى الجيزة ولم تكن هناك خسائر فى الأرواح .

وفى كلية الطب (القصر العينى) إلى جانب مصرع سليم زكى بك ، لقى شخص آخر مصرعه وهو مساعد معمل كان يعاون ويحرض الطلبة المتمردين .

وأصيب ٥٦ من رجال البوليس ، بينهم سبعة ضباط ، كما أصيب ٧٤ طالبا .

وقال مدير الأمن العام أيضا إن الاخوان المسلمين مسئولون . عن اندلاع أعمال العنف ، وأنهم الذين جاءوا بالأسلحة والقنابل اليدوية .

ولكن عندما بدأت أعمال الشغب ، عاونتهم جماعات سياسية أخرى . أبرزها الوفديون .

وعلى أية حالة فإن سبب أعمال الشغب كان يتمثل فى التحريض بشأن السودان وكان الشعار الذى رفعه الطلبة هو « تسقط الحكومة التى باعت السودان » .

قبل أن ينصرف « تشابمان اندروز » أخد يذكر وزير خارجية مصر بالنيابة ، بمسئولية الحكومة المصرية عن تأمين وممتلكات الأجانب .

ولم يكتف « أندروز » بذلك بل تحدث طويلا عن أحداث الشغب التى وقعت فى يوليو والتى أسفرت عن مصرع عدد من الأجانب وأصابة كثيرين .

وأعرب عن قلق بريطانيا البالغ إزاء حالة الأمن العام فى مصر وطلب تأكيدا بأن تبذل الحكومة المصرية كل ماهو ممكن لاقرار القانون والنظام .

* * *

ويتوجه الوزير البريطانى مباشرة إلى القصر الملكى ليقابل حسن يوسف وكيل الديوان ويوجه إليه نفس الأسئلة ونفس التحذير .

ويردد وكيل الديوان نفس المعلومات عن الخسائر للوزير البريطانى ويضيف أن الطلبة كانوا يهتفون « يسقط النقراشى » .

... إشارة إلى ماحدث قبل ثلاث سنوات ، عندما أمر النقراشى بفتح كوبرى عباس بينما كانت مظاهرة طلابية تعبره ، مما أدى إلى حالة من الذعر وأشيع أنه سقط عدد من القتلى . وقال :

ـ القنبلة اليدوية التى قتلت حكمدار البوليس كان مقصودا بها النقراشى إذا ظهر ليلقى خطبة فى الطلاب ، كما كانوا يتوقعون .

وقال حسن يوسف إن السلطات المصرية تحاول تحديد مكان محطة إذاعة تروج الشائعات الأخيرة بأن الأمير محمد على قد مات ، وإن إسماعيل صدقى باشا مات فى شائعة أخرى .

والهدف من هذه الأنباء خلق حالة من التوتر .

* * *

تجمع طلبة المدرسة الخديوية الثانوية فى الفناء ـ يوم ٦ من ديسمبر ـ يهتفون ضد الملك ، ولصالح الملكة ، وألقوا قنبلتين على الشرطة خارج الأسوار فأفلت عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية .. بأعجوبة .

وقالت السفارة الأمريكية إن رجال الشرطة فى القاهرة لايزيد عددهم على الألف ، وقد أصبحوا مرهقين لأنهم يعملون ٢٤ ساعة كل يوم .. ويوجد خوف من أن تتكرر الاضطرابات التى وقعت فى فبراير ١٩٤٦ وأدت إلى استقالة النقراشى !

منعت الحكومة صحيفة الاخوان المسلمين من الصدور .

واتهمت صحيفة « النداء » الوفدية التى يصدرها يس سراج الدين ـ شقيق سكرتير عام الوفد ـ الاخوان بأنهم وراء الانفجارات الأخيرة .

قالت « النداء » :

« تلقى المركز العام للاخوان المسلمين آلوف الاستقالات من شتى جهات القطر » .

وصورت « النداء » مجموعة من القنابل اليدوية وخلفها صورة ترمز إلى شخصية المرشد العام للاخوان المسلمين .

علقت النداء على ذلك كله بتوقيع « المصرى أفندى » الذى يبدى اعجابه ودهشته لأن « تلك القنابل لها ذقن » ! !

وردت صحيفة الاخوان بأن « النحاحسة » ـ إشارة إلى مصطفى النحاس رئيس الوفد ـ لايتورعون عن إلقاء الاتهامات تمشيا مع أخلاقهم .

قال مرتضى المراغى مدير الأمن العام :

« عجزت قيادة الاخوان عن وضع التنظيم المارد ـ أى التنظيم السرى ـ فى القمقم بعد خروجه وانطلاقه .

لقد أصبحت الهيئة العليا للاخوان بلا حول ولا طول إزاء هذا التنظيم . وكان الشيخ البنا غير قادر على الحد من قوة الجهاز السرى والتسلط عليه » .

ويعترف المستشار صالح أبو رقيق ـ عضو مكتب الإرشاد ـ فى مقال نشره بجريدة الأحرار المصرية فى ١١ من أغسطس عام ١٩٨٦ بأنه لا يستطيع إنكار ماقام به الاخوان من أعمال صاحبها العنف ، ولكنه يبرر ذلك بأنها كانت كلها وطنية تتجلى فيها الفدائية .

ومن هذه الأعمال ماوقع يوم الجلاء عن القاهرة والإسكندرية وتسف حارة اليهود ومحل جاتينيو ومحل شيكوريل وإن كان يقرر أن الحادث الأخير وقع فى النصف الأخير من الليل .

أما أهم الأخطاء التى وقع فيها الاخوان ـ كما يرى صالح أبو رقيق ـ فهى قتل المستشار الخازندار .

ويعترف صلاح شادى ـ أحد كبار المسئولين فى الجماعة ـ بأنه لايمكن إعفاء

قيادة الاخوان من مسئولية عدم مساءلة عبد الرحمن السندى . وكان من المحتم إبعاده عن منصبه ولو تم ذلك لتجنبت الجماعة الهزة التى حدثت فى صفوفها .

ويقول التلمسانى :

ـ إن عبد الرحمن السندى تمرد على قيادته وأخذ الشيخ حسن يطاول . ويعالج !

وكان عبد الرحمن السندى يشعر باستقلاله عن سلطان الجماعة . ولم يكن من حق أحد من اخوان النظام الخاص أن يتصل بالمرشد العام إلا عن طريقه . وبذلك عزل النظام عن قيادة الدعوة .

واعترف عبد الرحمن السندى بقيام النظام الخاص بقتل الانجليز والصهاينة فى البداية ثم ارتكاب الانفجارات داخل مصر وقتل المصريين .

ويقول صلاح شادى إن المرشد عاجلته منيته قبل أن يقرر تقويم رئيس النظام الخاص أو نزع سلطاته .

ويعترف التلمسانى بأن النظام الخاص اخطأ وإن فسّره بأن بعض الشباب كان يأخذ المسائل بعنف وبغير فهم أو دراسة للقانون كما حدث فى إغتيال الخازندار .

ويقول الشيخ الباقورى :

« حسن البنا أتعبته بطانته ، أو بعض بطانته . ولو قدر له أن تبتعد عنه هذه البطانه السيئة لكان قد بلغ مانحب لأمثاله » !

* * *

ويبقى سؤال :

ـ هل كان الشيخ البنا يعلم بجرائم النظام الخاص ؟

والجواب فى رأى فتحى رضوان والتلمسانى ومنير الدلة وغيرهم من زعماء الاخوان الذين عاصروا الأحداث بأن الشيخ البنا شكّل ذلك النظام ولكن قيادته تمّردت على المرشد العام .

وفى رأى الشيخ الباقورى أن قيادة النظام بزعامة السندى ارتكبت تلك التصرفات الضارة والحوادث الفاجعة دون الرجوع إلى المرشد العام الذى كان وحده المسئول أمام الاخوان والرأى العام .

وفى الحكم الذى أصدره أحمد كامل رئيس محكمة الجنايات فى قضية « سيارة الجيب » قال :

« إن بعض أعضاء الجماعة فقدوا توازنهم وتنكبوا السبيل الذى سلكه رعماء الجماعة لتحقيق أهدافها » .

* * *

أصبح الصدام محتوما بين الجماعة والنقراشي نتيجة لانتشار الاخوان . . وقوة الجهاز الخاص !

ولم يكن لحزب من الاحزاب ـ علنى أو سرى كالشيوعيين ـ ذلك التنظيم المسلح .

ويجتمع عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن بروبالد فاى رئيس جمعية إخوان الحرية التى انشأها البريطانيون فى مصر والعالم العربى لتنشر الدعاية للانجليز ومقاومة الاخوان فقال عمار :

ـ الاخوان المسلمون جمعية خطرة ويجب إغلاقها .

ويلتقى ادجار جلاد بك ـ صاحب جريدتى « الزمان » و « الجورنال ديجيبت » وأحد رجال الملك فاروق ـ بتشابمان أندروز الوزير البريطانى المفوض فيقول له :

ـ يتردد النقراشى فى حل الاخوان على أساس أنهم أقوياء بينما الجيش فى فلسطين ، ولكن الملك يحاول التغلب على تردد رئيس الوزراء .

* * *

قالت المخابرات البريطانية فى مصر :

« إن محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء أصدر فى ١٨ من نوفمبر١٩٤٨ أمرا باغلاق كل شعب الاخوان .

ولكن رئيس الوزراء رأى تأجيل اتخاذ هذه الخطوة حتى تنتهى التحقيقات فى الانفجارات وتتضح أبعاد مؤامرة الاخوان ويتم القبض على زعمائهم »

وقالت هذه التقارير :

« إن السلطات المصرية راضية تماما عن تقدم التحقيقات ولكن تشعب القضية يتطلب استمرار التحقيقات شهرا أو أكثر» .

ومن هذه التقارير يتضح أن قرار حل الجماعة اتخذ سرا ولكن كان لابد أن يسبقه اعتقال كل زعماء الجهاز السرى .

* * *

انطلقت صيحات التهدئة هنا وهناك خوفا من خطر المواجهة القادمة .

حذر عمر حسن من كبار رجال وزارة الداخلية النقراشى من الحل قائلا :

ـ أخشى أن تتحول الجماعة إلى عصابات خطرة !

وقصد فؤاد شيرين محافظ القاهرة إلى قصر عابدين ليلتقى بحسن يوسف وكيل الديوان الملكى قائلا :

ـ من المصلحة تعاون القصر والاخوان .

وأضاف :

ـ إن لحل الجماعة نتائج سيئة فإن للإخوان هيئة يرجعون إليها فى تصرفاتها . فإذا حلت الهيئة لم يعد أفرادها يخشون أحدا .

تخلص حسن يوسف . وقال :

ـ هذه المهمة تعتبر من المسائل السياسية .

.. أى أن وكيل الديوان لاشأن له بالسياسة !

ونقل حسن يوسف إلى الملك نص الحديث فقال صاحب الجلالة لوكيل ديوانه :

ـ هذا الرد فى محلة !

وإن صاحب الجلالة كان يسعى إلى حل الجماعة .

سأل فيليب ايرلاند سكرتير السفارة الأمريكية عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية عن مستقبل الاخوان وهل سيصدر قرار بحلهم .

قال عمار :

ـ النقراشى باشا لم يوقع قرارا بدلك حتى الآن . وهناك رأيان :

الأول يقول بأنه من الحكمة عدم حل الجماعة أو القبض على حسن البنا حتى لاتتحول إلى جهاز سرى .

والثانى يقول بتحطيم الجماعة .

وقال عمار لفيليب ايرلاند :

ـ من رأيى عدم الحل !

* * *

ويرى الشيخ الباقورى أن حادث سيارة الجيب جعل الحكومة تتنفس الصعداء فأخذت تعد قرارها بحل الاخوان .

ولكن المرشد لم يكن يعلم بفكرة الحل وأنها مثار بحث جدى بين الحكومة والقصر .

ولو أنه كان يعلم فربما فكر أن المواجهة قد حانت . ولكن الواضح أنه كان يرى ألا يبدأ بالصدام وأن يؤخرـ قدر الطاقة ـ ساعة المواجهة !

الضحيــة

فكر النقراشي باشا جديا فى حل الجماعة فقد اقتنع أن بامكانه ـ عن طريق الاجراءات الصارمة ـ إحباط القدرة المتزايدة للإخوان وتصفيتهم كقوة سياسية واقعية لتستقر أوضاع الأمن فى البلاد .

سأل إبراهيم عبد الهادي رئيس الديوان الذى رأى عدم حل الجماعة لتحارب الوفد .

وسأل عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية ، فنصحه بعدم الحل .

وقيل له :

ـ يمكن أن تصل إلى ماتريد بغير حل الجماعة .

ولكن النقراشي رفض كل النصائح والتحذيرات . قال :

ـ إنى لا أعرف السياسة . ولا أعرف أن ألف وأدور . وأرى واجبى يحتم علىّ اتخاذ العمل الصارم .

لقد جاءنى وزراء يقولون إنهم يخافون علىّ من نتائج القرار . إنى لا أستطيع البقاء رئيسا للوزراء وأسمح بوجود جمعية الإخوان المسلمين .

وقرر النقراشي حل الجماعة .. ولكن على دفعات .

بعد اغتيال سليم زكى باشا حكمدار شرطة القاهرة أصدر عبد الرحمن عمار ـ يوم ٤ من ديسمبر ١٩٤٨ ـ بصفته الرقيب العام ـ أمرا بتعطيل جريدة الإخوان إلى أجل غير مسمى .

ولم يدرك الإخوان أن هذه مقدمة لقرار الحل وأن اجراءات الحكومة لن

تقتصر على تعطيل صوت الجماعة . وطلب النقراشي إلى المستشار القضائى إعداد الأمر العسكرى بحل الجماعة .

* * *

فشل المرشد العام فى مقابلة الملك

وحاول مرتين أن يقابل إبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى ولكن رئيس الديوان اعتذر .

وبعث حسن البنا لصاحب الجلالة برسالة عن طريق أحمد مرتضى المراغى مدير الأمن العام .

اجتمع به فى منزله بحلوان وقال له :

ـ عندى رسالة شفوية أرجو أن توصلها إلى القصر. يريد رئيس الحكومة حل الجماعة وهذا قرار بالغ الخطورة . وقد يكون له عواقب وخيمة ولابد أن يقع بيننا وبين الحكومة صدام عنيف

ونحن الإخوان نشعر أن النقراشي باشا جر الملك فاروق إلى خصومتنا .

قال المراغى :

ـ هل تأذن لى أن ادبر لك مقابلة مع النقراشي باشا لعلك تستطيع بلباقتك وحكمتك أن تصفى الجو بينه وبينكم .

رفع حسن البنا يديه وقال :

ـ لا أمل فى الوفاق معه . أعرف طباعه . إنه عنيد . وإذا ركب رأسه فلن يلوى على شىء وسينفذ رأيه .

وانقلب الشيخ الوديع نمرا هائجا وقدحت عيناه شررا ، كما وصفه المراغى . قال :

ـ إنها جريمة نكراء يريد النقراشي ارتكابها . هل يظن أننا لعبة يستطيع تحطيمها بسهولة .

قال المراغى :

ـ رسالتك خطيرة وسأبلغها إلى الملك . وسأنقل رأيك فى حل الإخوان وخطورة عاقبته إلى النقراشى .

قابل المراغى رئيس الوزراء فى اليوم التالى وروى له الرواية .

قال النقراشى :

ـ هل تريد أن تقر الارهاب . وتريد أن تعترف بشرعيتهم . وهل تسمح لهذه الجماعة أن تتمادى ؟ لابد من حلها .

وهز النقراشى باشا رأسه استخفافا وقال :

ـ كان أحسن لو لم تقابله !

* * *

فكر الشيخ فيما قاله المراغى ورأى تهدئة الموقف فتوجه إلى وزارة الداخلية للقاء عبد الرحمن عمار .

ـ أريد مقابلة النقراشى باشا للتفاهم معه حتى يعدل عن عزمه على حل الجمعية .

وأضاف :

ـ سيقتصر نشاط الجمعية على الشئون الدينية البحتة ولن نتدخل فى السياسة .

توجه الرجلان إلى رئاسة مجلس الوزراء فبقى الشيخ حسن فى غرفة الانتظار بينما دخل عمار إلى مكتب النقراشى يعرض عليه الأمر .

ولكن النقراشى باشا رفض لقاء البنا .

وتقدم الإخوان بالتماس إلى القصر الملكى يشكون فيه من حملة الاعتقالات

التى يتعرضون لها والتهم التى يواجهونها ، بلا تحريات جدية ، أو تحقيقات تتولاها النيابة .

ولكن الالتماس لا ينشر بسبب الرقابة على الصحف .

* * *

ويلتقى اندروز بأحمد مرتضى المراغى مدير الأمن العام الذى يقول له :

ـ هناك مجموعات كبيرة من الشيوعيين فى الجامعة . وقد انضمت أعداد إلى الاخوان المسلمين والوفد كستار عندما بدأت حملة الحكومة ضد الشيوعيين منذ شهور .

ويلتقى المراغى برئيس الوزراء ويحذره من حل الاخوان قائلا :

ـ العواقب خطيرة .

ويهتاج النقراشى ويربد وجهه .

وفى هذه اللحظة يدخل عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية فيقاطع الاجتماع قائلا :

ـ المسألة منتهية ، فقد وضعت قرار حل الجماعة . وسأعرضه غدا على دولتكم لتوقيعه .

هال الأمر مدير الأمن العام فقال :

ـ أرجو أن تتمهل فى إصدار القرار. الإخوان يشكلون منظمات وخلايا سرية لا علم لوزارة الداخلية بأسماء أعضائها . وقد يكون بعضهم داخل الوزارة ، وحرس الأمن . وأعلم أن كثيرين من ضباط الجيش من الجماعة .

ولكن النقراشى رأى أن الهزيمة العسكرية فى فلسطين واضطراب الأمن ينهى استقرار النظام كله . ووجد فى الاخوان تهديدا للحكم بعد أن فقد الثقة فيهم نتيجة اكتشاف حجم الجهاز السرى سواء كان يتلقى التعليمات من المرشد العام أو أن هذا الجهاز فقد الانضباط وأصبح مستقلا عن قيادة الجماعة .

وقال رجال الأمن للنقراشى .

ـ لقد أصبح القرآن هو الشفرة السرية التى يستعملها الجهاز السرى .. وكلمة المصحف . فى هذه الشفرة معناها السلاح !

* * *

قال كلايتون رجل المخابرات البريطانية فى مصر للدبلوماسى المصرى يحيى نامق :

ـ إذا أجريت انتخابات فى مصر . فمن ينجح . النحاس والوفد . أم النقراشى والحكومة . أم حسن البنا وأنصاره ؟

وهذا السؤال يدل على إدراك الانجليز لقوة الإخوان أو مخاوفهم منها

ومن هنا زاد الضغط البريطانى ضدهم .

مضى الوزير البريطانى تشابمان أندروز فى تحذيراته للقصر الملكى ضد الجماعة .

قال لحسن يوسف بالحرف الواحد كما تقول برقيته رقم ١٦٧٩ التى بعث بها إلى لندن :

« هذه الأحداث ـ أى الإنفجارات والاغتيالات ـ هى النتيجة الطبيعية للسماح لمنظمات مثل الإخوان المسلمين بالخروج عن نطاق السيطرة . وعدم اتخاذ عمل سريع جاد يسمح به القانون ضد أولئك المذنبين فى مؤامرة الإغتيال . وقتل أناس مثل أمين عثمان باشا والمستشار الخازندار بك .

ومن المعروف للجميع أن الإخوان المسلمين والحاج أمين الحسيني مفتى القدس السابق يملكون مخازن كبيرة من المتفجرات والأسلحة ، لاستخدامها فى فلسطين ، ظاهريا ، وسماح أية حكومة بمثل هذا الوضع يعتبر بمثابة دعوة لحدوث متاعب من هذا النوع .

وتستطيع الحكومة بالتأكيد أن تقوم بعمل فعّال ، حتى الآن ، لتحطيم هذه المنظمات » .

رد حسن يوسف بأنه يخشى أن يكون الاخوان المسلمون قد صاروا أقوى من أن يتم تحطيمهم بهذا الشكل .

سأله الوزير البريطانى عما يقترح عمله .

هز حسن يوسف كتفيه يائسا .

أعد القسم الشرقى فى وزارة الخارجية البريطانية مذكرة قال :

« لا شك أن الشغب فى مصر يقوده طلبة الجامعة عموما ، وصبيان المدارس والسوقة مستعدون للانضمام للشغب من أجل النهب .

ويجب ألاَّ ينظر إليهم بجدية كتعبير عن الرأى العام ، ولكنهم يكشفون عن عجز الحكومة عن الحفاظ على الأمن فيشجعون غيرهم ممن يهددون السلام ويفتحون الطريق أمام التغلغل الشيوعى مستقبلا » .

وتعد وزارة الخارجية البريطانية مذكرة عن الموقف فى مصر بصفة عامة .

قالت المذكرة :

« يجب أن يكون خطنا الترقب لنرى ما إذا كان المصريون سيلجأون إلينا حين يسوء الموقف .

وقد أظهر الملك ما يدل على أنه يريد ذلك .

وكان واضحا منذ وقت طويل مضى ، أنه ما لم يتلق الزعماء المصريون والقوميون العرب الآخرون ، وخاصة الجامعة العربية ، صدمة بالغة الشدة ، من نوع ما ، تخرجهم من إطارهم الفكرى ، المتبجح والمدعى ، فسوف تستمر الأمور فى الشرق الأوسط فى تدهور .

وهناك بالطبع مخاطر بالغة من أن يكون تأثير الصدمة أشد مما ينبغى . وستنهار النظم الاقتصادية ، بل والنظم السياسية أيضا .

ويجب ألا تكون سياستنا الجرى وراء العرب بل نظهر لهم أننا مازلنا أصدقاءهم وبوسعهم إذا وضعوا أيديهم فى أيدينا ، وإذا اتبعوا سياسة متبصرة أن يحققوا الإستقرار وينجزوا التقدم الاقتصادى والاجتماعى ويصبحوا شركاء فى ترتيبات دفاعية معقولة » .

.. أى معاهدة دفاع مسترك مع بريطانيا .

ويكون تاريخ هذه المذكرة يوم ٨ من ديسمبر اليوم الحاسم فى تاريخ الإخوان المسلمين !

* * *

فى ذلك الصباح نشرت مجلة آخر ساعة خبرا غامضا يشير إلى أن قرار حل الجماعة سيصدر فى اليوم نفسه .

ومرة اخرى لم يدرك الإخوان ذلك ولم يفطنوا إلى أنه إذا كان فى نيتهم اتخاذ عمل حاسم ضد الحكومة فهذه فرصتهم الأخيره .

قال صالح عشماوى وكيل الجماعة إنه عندما مر النصف الأول من اليوم ولم يصدر قرار الحل عاد إلى منزله وقد ظن أن الحكومة ستعدل عن قرارها .

وتوجه بعد صلاة المغرب إلى منزل المرشد العام فوجد عنده بعض أعضاء الجماعة ورآه فى حالة نفسية قلقة فقد وصلته أنباء من « مصدر ثقة » أن اجتماعا عقد بعد الظهر فى وزارة الداخلية بين فريقين من كبار المسئولين وغير المسئولين، ودارت مناقشة حامية طويلة بين مؤيدى قرار الحل ومعارضيه انتهت بترجيح الرأى القائل بالحل .

اتصل المرشد العام بإبراهيم عبد الهادى لإقناعه بالتدخل لمنع صدور القرار

ولكن رئيس الديوان أخذ يراوغ ويماطل ثم طلب من المرشد العام الذهاب إلى عبد الرحمن عمار فى وزارة الداخلية .

اعترض صالح عشماوى وقال للمرشد :

ـ ركب القوم رءوسهم، والغرض من هذه المقابلة كسب الوقت فضلا عما فيها من الاذلال .

ولكن المرشد رأى أنه مكره غير مخير فاستقل سيارته إلى وزارة الداخلية ليلتقى بعبد الرحمن عمار .

قال الشيخ :

ـ ستنصرف الجماعة إلى رسالتها الدينية

لم يقل عمار للمرشد العام ما ذكره لسكرتير السفارة الأمريكية من أن هذا الوعد جاء متأخرا بل وعده بصدور قرار فى المساء يخفف التوتر

ويطول الحوار خلال الاجتماع الذى لم ينته إلا فى العاشرة مساء . فعاد المرشد إلى صالح عشماوى وعبده قاسم اللذين كانا فى انتظاره ليقول :

ـ روح عبد الرحمن عمار طيبة . وقد أبلغنى أن حل الإخوان هدم لصرح الإسلام فى هذا العصر . ووعدنى بإبلاغ النقراشى باشا وأن الأمر سينتهى إلى خير .

وطلب الشيخ البنا إلى الإخوان المجتمعين فى المركز العام الانصراف وبشرهم بحل الأزمة .

* * *

حملت نشرة أنباء الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٨ من ديسمبر ١٩٤٨ القرار الذى يخفف التوتر بالنسبة للحكومة لا للإخوان المسلمين .

بدأت النشرة بإذاعة أمر عسكرى أصدره محمود فهمى النقراشى باشا رئيس الوزراء بصفته الحاكم العسكرى بحل جماعة الإخوان المسلمين وجميع شعبها فى مصر . وإغلاق الأمكنة المخصصة لنشاطها وضبط أوراقها وسجلاتها وأموالها وممتلكاتها . وحظر اجتماع خمسة أشخاص أو أكثر من أعضائها . وتسليم كل

وثائق الجمعية وأموالها لأقسام الشرطة لأن الجماعة ـ كما قال الأمر العسكرى ـ أمعنت فى شرورها بحيث أصبح وجودها يهدد الأمن العام والنظام تهديدا بالغ الخطر. وبات من الضرورى وقف نشاط الجماعة التى تروع الأمن لضمان سلامة أهل البلاد فى الداخل وجيوشها فى الخارج .

وحدد الأمر العسكرى عقوبة المخالفين بالحبس مدة تتراوح بين ستة شهور وعامين وغرامة بين مائتى جنيه وألف جنيه .

وقال الأمر العسكرى إن الموظف أو الطالب الذى يخالف الأمر يفصل من عمله أو معهده .

وأذيعت مع القرار أسباب الحل فى مذكرة تفسيرية قدمها عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية .

تضمنت المذكرة تاريخ الجمعية التى « تألفت كهيئة دينية واجتماعية ثم أسفر القائمون عليها عن اغراضهم التى يحرمها الدستور والقانون فانغمسوا فى تيار النضال السياسى لتغيير النظم الأساسية للمجتمع بالقوة والارهاب لقلب نظام الحكم » .

واستند الحل إلى « أن الجماعة اتخذت طابع العنف فدربت الشباب فى الجوالة وأنشأت مراكز رياضية للتدريب العسكرى مستترة وراء الرياضة » .

وجمعت الأسلحة والقنابل والمفرقعات وقامت بتخزينها . وساعدها فى ذلك ما تقوم به بعض الهيئات من جمع الأسلحة والعتاد بمناسبة قضية فلسطين .

ووجه عبد الرحمن عمار إتهاما للإخوان باتخاذ الإجرام وسيلة لتنفيذ مراميهم . وحدد ١٣ نشاطا إجراميا لهم بدأت عام ١٩٤٢ وانتهت فى ١٥ من نوفمبر عام ١٩٤٨ . من بينها :

- إلقاء القنابل فى مدينة القاهرة بتاريخ ٢٤ من ديسمبر من ١٩٤٦ .
- الاعتداءات على رجال الشرطة فى ٢٩ من يونيو ١٩٤٧ .
- تهديد الشركات والمحال التجارية وابتزاز أموالها .

- إلقاء قنبلة على فندق الملك جورج بالإسماعيلية فى السنة نفسها .

- اعتداءات على خصوم الجماعة فى قرية كوم النور مركز ميت غمر وحرق أحطاب أحد الملاك فى كفر بدواى ، وقتل شيخ خفراء البلدة واطلاق النار على رجال الشرطة فى قرية البرامون ، وتحريض الفلاحين على زيادة أجورهم وتحريض عمال تفتيش زراعة محلة موسى التابعة لوزارة الزراعة على المطالبة بتملك أراضى التفتيش .

- ضبط كميات ضخمة من القنابل والمفرقعات والبنادق والمسدسات والمدافع ووثائق فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٤٨ تقطع بأن الجماعة تعد العدة للقيام بأعمال إرهابية واسعة النطاق .

- افساد النشء ببذر بذور الإجرام وسط الطلبة والتلاميذ فانقلبت معاهد التعليم مسرحا للشغب والاخلال بالأمن وميدانا للمعارك والجرائم .

- قتل المستشار أحمد الخازندار بك وكيل محكمة استئناف مصر باستخدام القنابل لارهاب القضاة وثبت أن أحد القاتلين كان سكرتيرا خاصا للشيخ حسن البنا .

- نسف شركة الإعلانات الشرقية يوم ١٢ من نوفمبر ١٩٤٨ .

ولم تشر المذكرة التفسيرية للأمر العسكرى إلى القنابل التى اتهم اعضاء الجماعة بالقائها على معسكرات الانجليز أو منشآت اليهود .

قال الضابط الكندى هاردى إن النقراشى انتهز فرصة الشغب العنيف الذى وقع فى القاهرة يوم ٤ من ديسمبر ليصدر قرار الحل .

* * *

أسرع أعضاء الجماعة وأشقاء الشيخ حسن وهم عبد الرحمن وعبد الباسط ومحمد إلى دار المركز العام بالحلمية الجديدة فوجدوا الشيخ البنا فى مكتبه ومعه صفوة من الاخوان لم تكن قد انصرفت بعد

مضت دقائق معدودة لتجيء السيارات المصفحة تحاصر الدار من كل جانب . ثم تقتحمها وكأنها تقتحم حصنا منيعا يعج بالجنود والسلاح . وعلى رأس القوة ضابط شاهر مسدسه مثبت بصره وحواسه فى شخص المرشد العام . قال :

ـ عندى أمر بالقبض على من بالدار عدا فضيلة المرشد العام .

وأخذ يرجو فضيلته أن يسهل مهمته لأنه « عبد المأمور » !

قبض رجال الشرطة على كل من وجدوهم من الأعضاء فى المركز العام

ورأى سعد الدين الوليلى ـ سكرتير المرشد العام ـ الذى أعتقل أيضا ـ . الشيخ البنا يصعد سلم إحدى سيارات اللورى فمنعه رجال الشرطة من الصعود

تشبث بالسيارة ولكن الضابط أكد أنه لم تصدر أوامر باعتقاله .

إزداد البنا تشبثا بالسيارة واعتلى أولى درجات سلمها وهو يصيح :

ـ لا تأخدوا هؤلاء بجريرتى فأنا أولى منهم بالاعتقال .. وإذا كان الإخوان عصابة إجرامية فأنا رئيسها !

تحركت السيارة بالمعتقلين وبالشيخ إلى دار المحافظة ولكن رجال الشرطة رفضوا اعتقاله .

وهناك احتالوا عليه فجاءه أحد الضباط يرجوه أن يقابل الحكمدار للتفاهم معه .

نزل المرشد العام من السيارة واتجه إلى مكتب الحكمدار بينما تحركت السيارة بالأعضاء وأشقاء الشيخ إلى المعتقل . وكان هذا آخر عهدهم بالشيخ حسن البنا !

* * *

نشرت صحيفة « المصرى » ما فعله رجال الشرطة فى ذلك المساء ـ ٨

من ديسمبر ـ عقب إذاعة قرار الحل ، مما يدل على أن الفترة التى انقضت منذ ١٨ من نوفمبر كانت مرحلة استعداد كاملة .

قالت الصحيفة الوفدية :

« عند الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة اخترقت قوات البوليس بسياراتها القاهرة فى طريقها إلى المركز العام لجماعة الإخوان .

وعند وصول القوات كان هناك بعض شباب الإخوان مجتمعين فى فناء المركز العام فاقتحم البوليس الدار وألقى القبض عليهم جميعا ونقلهم ، بعد تفتيشهم ، إلى قسم الخليفة توطئة لإرسالهم إلى المعتقل .

وقام رجال البوليس بعد ذلك بالتفتيش فلم يتركوا ركنا فى حجرة إلا فتشوه ولم يهملوا دولابا دون أن تمتد إليه أيديهم بالبحث والتنقيب .

ووضع رجال البوليس جميع الأوراق التى ضبطت فى الدار ، أو مع الشباب المقبوض عليهم فى جوالات وأرسلت إلى قسم الخليفة لحفظها بمعرفة المختص .

وشاهد مندوب « المصرى » عددا كبيرا من السيارات المصفحة يستقلها بعض الضباط فى طريقهم إلى باقى شعب الإخوان المسلمين .

وكان الجنود يرتدون الخوذات الحديدية ومزودين بالأسلحة والمدافع الرشاشة .

واستمرت القوات تواصل تفتيشها واعتقالاتها حتى تم تنفيذ جميع الإجراءات وأغلقت جميع الشعب والفروع التابعة للجمعية بالشمع الأحمر »

* * *

كان عبد الرحمن عمار ، فى فترة نفوذ الجماعه وقوتها ، يخطب فى صلاة الجمعة فى بها متحدثا باسم الإخوان . وكان يقبل يد المرشد العام ويدعوه بشيخه وأستاذه ويناديه قائلا :

ـ سيدى الأستاذ البنا .

ولكن عبد الرحمن عمار تغير تماما عندما رأى اتجاه الحكومة ضد الجماعة علق على قرار الحل قائلا :

ـ إذا كانت الحكومة قد خطت هذه الخطوة الجريئة التى أحجمت عنها حكومات سابقة فلأنها رأت أنه ليس هناك بد من العمل بحزم وعزم للقضاء على عناصر الشغب ودعاة الفتنة وأهل السوء ، قضاء مبرما فى غير تردد ، وبلا شفقة ولا رحمة .

* * *

بعد قيام ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ والقبض على عبد الرحمن عمار ، حاول أن يتنصل من مسئولية الحل ومن المذكرة التفسيرية ، تماما كما يفعل كبار الموظفين فى أعقاب الثورات والانقلابات وتغيير أنظمة الحكم واتجاهاته فى مصر والدول النامية .

قال عمار :

ـ إدارة الأمن العام هى التى أعدت مذكرة الحل بناء على طلب النقراشى . وقد وقعت عليها طبقا للاجراءات الحكومية بصفتى وكيلا لوزارة الداخلية !

* * *

علق المسئولون فى وزارة الخارجية البريطانية فى مذكراتهم الرسمية السرية على الأمر العسكرى فقالوا :

« شكلت الأنشطة الأخيرة للمنظمة تهديدا للأمن العام بحيازتها لكميات ضخمة من الأسلحة والمتفجرات ، ومن الواضح تماما أنها ملك المنظمة نفسها لا لأعضاء فيها . وهذا صلب الموضوع وجوهره لاختلاف هذه المنظمة عن الحزب السياسى العادى .

وجاء قرار الحل متأخرا عن موعده وهناك ارتياح عام إزاء حل الجماعة .

وقد أبدى البوليس حرصا جديرا بالثناء فى تنفيذ قرار الحل .

ولكن ذلك لا يعنى بالضرورة نهاية النشاط الإرهابى من جانب أعضاء الجماعة المتورطين فى أعمال الإرهاب

ومن المحتمل أن تستمر أقلية من الإرهابيين فى العمل السرى لأنهم يعرفون مخابئ الأسلحة والذخائر التى لا تعلم بها سلطات الأمن

وستحتاج سلطات الأمن إلى درجة عالية من العزم والمثابرة والكفاءة » .

* * *

اكتفت معظم الصحف المستقلة « الأهرام » و « المصرى » و « الزمان » و « المقطم » بنشر قرار حل الجماعة والأحداث التى تلته بدون تعليق .

أما صحيفة « صوت الأمة » التى هاجمت من قبل ، وبعنف ، الشيخ البنا وجماعة الاخوان فقد تجاهلت قرار الحل تماما ، لم تنشره ولم تعقب عليه .

ونشرت الكتلة صحيفة مكرم عبيد وحزبه النبأ دون إبراز.

ولكن مجلة « الحوادث » ـ التى تعبر عن الوفد ـ رحبت بقرار الحل تحت عنوان ـ « لا حرية لأعداء الشعب » .

نشرت المجلة تصريحا أدلى به النقراشى باشا وقال فيه : « الجماعة مرض استثنائى فكان من الطبيعى أن تعالج بطريقة استثنائية وحاسمة » .

وقالت الحوادث :

« نام رفعة النحاس باشا نوما هادئا عندما وصل إليه قرار الحل » .

وأضافت :

« يجب اعتبار يوم الحل عيدا للديموقراطية يحتفل به كما تحتفل أوربا بزوال كابوس الفاشية وحل الإخوان إجراء ديموقراطى ويجب على المصريين أن يهللوا طويلا لهذا الاجراء .. وقد أنقذ النقراشى البلاد من عار ملفوف فى ثياب الفضيلة » .

وأيدت صحيفة مصر الفتاة الحل وقالت :

« لم تأخذ حركة الإخوان طابعا معينا ولكنها تشكلت وتطورت لتجارى كل فكر ، وكل ظن ، وكل أمل .. وكنا نتوقع ذلك المصير بأسلوب أو بآخر ولم نتصور أبدا أن النهاية ستجىء سريعا » .

وقالت صحيفة « أخبار اليوم » إن قرار الحل أحدث صدى قويا فى لندن وساد الدوائر الرسمية شعور بالارتياح .

ووصفت الدوائر المطلعة فى لندن القرار بأنه أقوى من قرار حكومة محمد محمود بحل فرق « القمصان الزرقاء » .

واكتفت الصحف التى تصدر فى مصر بلغات أجنبية بتعليقات قصيرة وهى « البروجريه » و « البورص » اللتان تصدرهما شركة الاعلانات الشرقية التى ألقيت عليها قنابل الاخوان .

ولكن صحيفة « الاجيبتيان جازيت » التى تصدرها نفس الشركة أيدت قرار الحل واتهمت الجماعة بالإرهاب « وأنها تخلت عن أهدافها الإسلامية والاجتماعية وطلبت من الحكومة التحقيق لمعرفة المسئولين عن الإنفجارات حتى لا يستمر الفاعلون فى العمل السرى تحت الأرض » .

وفى سوريا حملت صحيفة « المنار » الناطقة بلسان الإخوان على قرار الحل قالت :

« ضاعف البريطانيون من حملتهم على الجماعة . ووزعت مكاتب الاستعلامات البريطانية فى العالم كله أنباء بأن السلطات المصرية وجدت منشورات شيوعية فى مكاتب الجماعة وهكذا نجح البريطانيون فى إقناع حكومة مصر بإغلاق شعب الإخوان » .

وقالت السفارة الأمريكية إنه طلب إلى الشيخ البنا أن يلزم داره فى اليوم التالى لحل الجماعة لأنه لم ينفذ وعوده الشفوية لعبد الرحمن عمار بمنع المظاهرات .

ويبدو أن هذا القرار نفذ لفترة قصيرة » .

ولكن « الأساس » صحيفة الحزب السعدى الحاكم قالت إن الأمر العسكرى صدر بمناسبة استقبال الورارة لعامها الثالث

ونشرت الأساس أنه « تم فى ذلك المساء إغلاق ٥٥ شعبة وأن المدارس الإلزامية تحولت إلى فصول لتعليم الشيوعية! وأن كل المدارس سلمت لوزارة المعارف والمستوصفات ضمت لوزارة الصحة والشركات وضعت تحت اشراف وزارة الداخلية للانفاق منها بمعرفة وزارة الشئون الاجتماعية .. على الأعمال الخيرية » .

وقالت الأساس « إن الشيوعيين اتخذوا من شعب الإخوان أوكارا لهم » !

* * *

طلب الأمير محمد على ولى العهد إلى تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض أن يزوره فى قصره بالمنيل فجاء الوزير ليسمع رأى الأمير فى قرار حل الجماعة .

قال ولى العهد :

ـ دعم النقراشى موقفه بحل الإخوان . ولكن البلاد . بصفة عامة ، غير راضية ، والملك والحكومة ليسا محبوبين .

* * *

تجمع كتّاب مصر مؤيدين لقرار الحكومة ضدَ الإخوان المسلمين وكان العقاد على رأسهم ، وفى مقدمتهم . وأعنفهم فى الهجوم .

قال تحت عنوان « مدرسة الجريمة » :

«كانت الجماعة المشئومة التى طلعت على هذا البلد المسكين تغذى الاغرار من أتباعها بصنوف شتى من الغذاء المسموم .

فكل نفوذ أدبى فى هذا الوطن مهدد عندهم أو مستباح .

يذكر إمامهم « شيخ الإسلام » فيقولون بل « ناظر مدرسة » ولا شأن له بإمامة الدين ويذكرهم العلماء ذلك فيقولون إنهم لا يعلمون . ويذكرهم « سعد

زغلول » فيقولون ، بل يكتبون ، إنه ليس بزعيم الأمة ، ولكنه صنيعة الانجليز .

ويذكر لهم رجالات مصر والشرق واحدا واحدا فيلصقون بكل منهم تهما لا تبقى له محلا من الإحترام .

فإذا كانت الأسرة المختلة مدرسة الجريمة ، فهذه ، قبحها الله ، جامعة الجريمة » .

واتهم العقاد الإخوان بأنهم عملاء للأجانب تحت عنوان « جماعة الإخوان فتنة أجنبية » .

قال :

« ما من أحد يحتاج إلى تعب ليعلم أن جماعة المجرمين فتنة أجنبية يزودها بالمال والسلاح أناس لا يريدون خيرا بالإسلام والمسلمين » .

واشترك كثير من الكتاب المصريين فى الهجوم على الإخوان .

وكتب محمد توفيق دياب :

« فعلت البذور السامة فعلها المشئوم فى فئات من الطلاب والتلاميذ فإذا معاهد التربية والتعليم فى أعينهم ثكنات جيش وميدان قتال ، وإذا كتبهم وأدواتهم مسدسات وقنابل ، وإذا عدوهم ـ الذى يقاتلونه ويقتلونه ـ إخوان لهم مصريون من رعاة الأمن والعلمانية » .

وقال محمد التابعى :

« شبان سذج .. آلات وأدوات سهلة طيعة .. تناولها زعماء الإخوان وقادتها وصاغوها فى القالب الذى أرادوه .. وأخرجوا منها آلات خرساء صماء ، وتتحرك بلا إرادة وتنفذ مشيئة سواها بلا تعقيب نزولا على حكم السمع والطاعة .. وأن طاعة القيادة من طاعة الله » !

ولم تكتب كلمة واحدة دفاعا عن الجماعة لأن كتابها معتقلون ولأن الرقابة على الصحف كانت قائمة !

قال أحد المتهمين فى حوادث الاعتداء بالقنابل لوكيل النيابة أثناء التحقيق معه :

ـ لماذا اعتقلتمونا بسبب نسف المحلات التجارية اليهودية بينما كانت الحكومة تشجعنا على ذلك .

ومضى يقول :

ـ كانت السلطات تعيد إلينا كل المتفجرات التى عثر عليها عندما زعمنا أنها تتجه إلى فلسطين !

* * *

قصد مندوب صحيفة « المصرى » إلى الشيخ حسن البنا يسأله رأيه فى حل الجماعة .

فقال :

« لا يمكن بالتحديد حصر الأسباب التى دعت الذين أصدروا هذا القرار إلى اصداره ولكن يقال إن من هذه الأسباب .. التحول الذى طرأ ـ أو فى النية أن يطرأ ـ على اتجاهات السياسة البريطانية فى الشرق .

ومن المعلوم أن بريطانيا تعتبر الإخوان المسلمين قوة وطنية متطرفة وتعزو إلى دعايتهم تعطيل الاتفاق مع مصر .

وكذلك الحزبية التى تصاحب قرب موعد الانتخابات النيابية .. لأن الحزب السعدى يريد أن يظفر بأغلبية برلمانية تمكنه من الإستمرار فى الحكم . والإخوان المسلمون قوة شعبية ينتظر منها الصمود فى هذا الموقف .

ومن « التكتيك الحزبى » أن يشوه موقفهم بمثل هذا العمل قبل حلول موعد الانتخابات فى أكتوبر ١٩٤٩ ، ورغبة الحكومات العربية فى إنهاء قضية فلسطين ، ولو على غير ما تريد الشعوب .

وهناك من الضغوط الأجنبية ما لم تستطع معه الحكومة المصرية إلا ان تتخذ هذا الإجراء .

وعلى كل حال فهو موقف يؤسف له ، وما لم يعدل فى وقت قريب . فإن الأمور فى الداخل والخارج لا يمكن أن تستقر على هذا الأساس من الضغط والظلم والتحدى » .

ولم ينشر حديث الشيخ ـ الا فى ٩ من أكتوبر ١٩٤٩ بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى ... بسبب الرقابة على الصحف .

* * *

قالت صحيفة « شيكاغو ديلى تريبيون » :

« حلت جماعة الإخوان المسلمين بأوامر شخصية من الملك عندما علم أنها تخطط للاطاحة به والاستيلاء على الحكم » .

* * *

على الجبهة المصرية كانت توجد مأساة اخرى ...

مساء ٧ من ديسمبر اقتحم اللواء البردينى القائد الثانى للقوات المصرية فى فلسطين معسكر الإخوان ليبلغ قائد الجماعة كامل الشريف أن الحكومة قررت حل الجماعة ، وسيعلن ذلك فى اليوم التالى . وقال :

ـ الحكومة المصرية تخشى أن يقوم الإخوان بحركات انتقامية فى الميدان .

أجاب كامل الشريف :

ـ لن يختم الإخوان جهادهم بضرب المؤمنين من إخوانهم وزملائهم .

ويجتمع اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية فى فلسطين بالإخوان فيعلن حسن دوح أنهم قرروا البقاء ومواصلة الجهاد .

ويبعث المرشد العام برسالة إليهم يقول فيها :

« مادام فى فلسطين يهودى واحد يقاتل فإن مهمتكم لم تنته بعد .

ويستمر الإخوان .. يقاتلون .

وتماطل الحكومة فى منح الشجعان أوسمة .. وعندما تمنحها لبعضهم تسميهم « جماعة المتطوعين المصريين » .

* * *

وتحلل وزارة الخارجية البريطانية الموقف بعد حل الإخوان .

قالت الوزارة :

« حدث تدهور خطير للغاية فى الأمن العام . وتكمن خطورة الموقف الراهن فى أسبابه أن المصريين ينفسون عن مشاعرهم ، بهذه الطريقة ، من وقت لآخر ، ولا شك أن الإنفجار الأخير كان نتيجة لتصاعد الشعور بالإحباط .

والجمهور المصرى يدرك ، فى المقام الأول ، أن مغامراتهم فى فلسطين قد فشلت .

ويدرك المصريون أيضا حماقة الحكومة المصرية إذ أحجمت عن التصديق على اتفاق كامبل ـ خشبة حول السودان .

ويدركون عزلتهم الاستراتيجية فى مواجهة موقف دولى متدهور .

وهم يعترضون على سلوك ملكهم ومازالوا ينتظرون حدوث شىء ملموس باتجاه الاصلاح الاجتماعى .

كل هذه المصادر التى ينبع منها السخط زادت حدتها فى الأسابيع القليلة الماضية .

وحدثت اضطرابات فوضوية مماثلة فى سوريا فى الأسبوع الماضى .

وقد تكون أخطر عناصر هذه الاضطرابات أنها تخلق الموقف الملائم تماما الذى ينتظره الشيوعيون .

ومقارنة بالشرق الأقصى وأفريقيا أظن أن التسلل السوفييتى للشرق الأوسط لم يكن نشيطا كما يجب .

وربما يكون الأمر أن السوفييت ينتظرون سقوط الحكومات العربية وهو ما توقعوه عقب الفشل العربى فى حل المشكلة الفلسطينية .

ولا يوجد لدينا الكثير مما يمكن أن نفعله فى مواجهة هذه السياسة السوفيتية سوى أن نفهم الحكومات العربية ضرورة الحفاظ على النظام العام وتشجيعها مرة أخرى على اتخاذ خطوات أكثر إيجابية باتجاه الإصلاح الاجتماعى » .

* * *

وهكذا نجد أن بريطانيا خافت من أن يؤدى تدهور الأمن إلى سقوط مصر فى أيدى الشيوعيين ومن هنا كان الضغط البريطانى ضد الإخوان .

أما السوفييت فرأوا أن الفشل العربى فى فلسطين سيؤدى إلى سقوط الحكومات العربية وسقوط مصر فى أيدى الشيوعيين .

وكان الإخوان هم الضحية !

الصامتــون

كانت اللجنة العليا للحزب الوطنى ـ التى يرأسها فتحى رضوان المحامى وتضم شباب الحزب الوطنى ـ الهيئة الوحيدة التى احتجت على قرار حل جماعة الإخوان المسلمين .

قالت فى بيان لها :

« القرار ثورة على الدستور ، وخروج بسلطة الأحكام العرفية ، عن الغرض الذى أعدت له .

إن النقراشى باشا الحاكم العسكرى فى فترة الحرب مع الصهاينة ، هو الذى يحل هيئة الاخوان المسلمين الذين حاربوا فى فلسطين ضد الصهاينة كأشجع وأقوى ما يكون المحاربون .

وإذا كان ما نسب إليهم صحيحا فهو لا يعدو اعتداء على المحال اليهودية أو على افراد من اليهود مما يجعل النظر فيه من اختصاص المحاكم العادية ويخرجه عن سلطة الحاكم العسكرى تماما .

ولا يملك الحاكم العسكرى أن يحل حزبا بأسره يختلف معه فى الرأى وينافسه فى الانتخابات القريبة ، ويصادر أمواله ، ويستولى على عقاراته ، ويوقف نشاطه ؛ لأن الدستور وقانون العقوبات لا يسمحان بشىء من ذلك حتى فى حق من تثبت عليهم قضايا ارتكاب جرائم الخيانة العظمى أو التطاول على مقام جلالة الملك وهى جرائم مهددة لكيان الدولة .

ولا يوجد مسوغ للاستيلاء على دور الإخوان والتصرف نهائيا فى أموالهم لأن ذلك لا يحقق الا غرضاً واحدا وهو التنكيل بالإخوان .

إن بريطانيا وصحفها أبدت ارتياحا للحل مما يكشف جانبا من جوانب الخطر فى هذا الاجراء » .

وقال البيان :

« إن المنطق الذى أخذ به الحاكم العسكرى ، فى محاربة الإخوان ، ترفّع اللورد اللنبى وبريطانيا عن الأخذ به فى معاملة المصريين .

لقد أعتبرت بريطانيا حوادث الاغتيال فى المدة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤ عملا وفديا بحتا وأن سعد زغلول هو المسئول عن هذه الجرائم .. ومع ذلك لم توعز بريطانيا بحل حزب الوفد وكانت تملك أن تفعل . فهل يكون المصريون أكثر جرأة على الدستور وأمعن فى محاربة الحقوق الأساسية للناس من بريطانيا والبريطانيين »

لم ينشر هذا البيان عقب صدوره لأن الرقابة على الصحف كانت قائمة ونشر جانبا منه فتحى رضوان ـ فى جريدة المصرى فى ٢٨ من فبراير ١٩٥٠ ـ فى عهد وزارة الوفد الأخيرة ولكنى وجدت هذا البيان ضمن الوثائق البريطانية المحفوظة فى مركز الوثائق العامة فى لندن !

* * *

واستنكر صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين قرار الحل . قال :

« لم يجازف الانجليز بحل الوفد المصرى رغم اتهام بعض اعضائه باغتيال السردار السير لى ستاك باشا حاكم السودان والحكم عليهم بالاعدام ورغم حوادث الاغتيال المتعددة التى نسبها الانجليز للوفد المصرى وأعتقل بسببها مكرم عبيد والدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى وإبراهيم عبد الهادى وغيرهم .

على الرغم من ذلك كله .. فقد بقى الوفد المصرى ولم يحل ولكن السعديين المصريين حلوا جميعية الإخوان » .

.... لم تنشر كلمات صالح حرب إلا فى ١٩ من نوفمبر عام ١٩٤٩ فى جريدة « الكتلة » التى انطلقت قبل غيرها ، ودون غيرها ، لفترة طويلة ، فى الدفاع عن الإخوان ... بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى وتولى حسين سرى باشا رئاسة الوزارة .

* * *

ولكن باقى الأحزاب المصرية استقبلت قرار الحاكم العسكرى فى صمت .. لم تستنكره مع أن قرار الحل قد يلاحقها .. ولم تؤيد القرار لأنه يخلصها من أقوى اعدائها .

وفى بيان فتحى رضوان إشارة إلى ذلك . قال :

« إن التأييد الضمنى » أو الصريح ، الذى لقيه الحاكم العسكرى من بعض المعارضين له يرجع إلى أن الحاكم العسكرى تحمل ـ دون معارضيه ـ وزر خطوة لم يجدوا عندهم الشجاعة عليها »

وتوجه بعض رجال الأزهر إلى مكتب عبد الرحمن عمار يهنئون بقرار الحل قائلين :

ـ هؤلاء إخوان الشياطين . والحمد لله على خلاص البلاد من شرهم .

وأيد بعضهم قرار الحل فى أحاديث قدمتها الإذاعة المصرية .

وأكدت المفوضية الأمريكية ذلك فى برقية إلى وشنطن قالت : « ربما قررت أحزاب المعارضة الامتناع عن تأييد قرار الحل على أمل تأييد الجماعة لهذه الأحزاب فى الانتخابات القادمة » .

وقد تبين صدق هذه النبوءة فيما بعد !

وقالت صحيفة « أخبار اليوم » . .. « أدلى النحاس باشا بحديث إلى صحيفة « الأهرام » أيد فيه قرار الحل ولكن فؤاد سراج الدين سكرتير عام الوفد أوقف النشر .. لأن الحديث ليس للنشر » !

قالت مجلة آخر ساعة تحت عنوان « المعارضون يصفقون ويبكون لحل الإخوان المسلمين » :

« أبدى المعارضون ارتياحهم لهذا القرار سرا فقد تخلصوا من جمعية كانت تعتبر من أقوى خصومهم . ولم تكن هذه الجمعية حزبا فقط بل كانت أشبه بدولة لها جيش ومستشفيات ومدارس ومصانع وشركات .

أما عن العلن فقد رفضت صحف المعارضة أن تعلق بكلمة واكتفى المعارضون فى أحاديثهم مع الشيخ حسن البنا بإبداء الأسف والسخط .

وتحدث مكرم عبيد مستنكرا هذا التصرف حتى ظن الشيخ حسن أن مكرم باشا أصبح هو الآخر أخا مسلما » !

* * *

علقت السفارة البريطانية على البيان بأن فتحى رضوان محام من طراز وطنى متطرف وداعية يثير الفتن والقلاقل .

وقالت تقارير السفارة :

« أراد الإخوان الاندماج فى اللجنة العليا للحزب الوطنى ويعتزمون مواصلة النشاط السرى تحت حماية هذه اللجنة ورعايتها .

وأثير اقتراح بأن يتولى الحزب الوطنى النشاط السياسى للجماعة بينما يقتصر نشاط قادتها على متابعة رسالتهم الدينية والاجتماعية » .

وفكر الشيخ البنا - كما يقول الباقورى - فى ان يستبدل باسم جماعة الإخوان اسم « رابطة المصحف » حتى يتفرغ للتربية الدينية التى هى أصل الأصول فى جماعات الاصلاح .

قال زكى على باشا وكيل جمعية الشبان المسلمين إن المرشد العام أراد الإندماج فى جمعية الشبان المسلمين .

خاف أعضاء جمعية الشبان المسلمين على أنفسهم من عنت الدولة فاعترض

وكيل الجمعية محمد زكى على باشا على حضور الشيخ .

ولكن صالح حرب باشا رئيس الجمعية زار المرشد العام فى بيته وقال له :

ـ اعتبر دار الشبان دار الاخوان ... دارك ومفتوحة لك دائما .

عرفت الحكومة بذلك فاتصل المسئولون بصالح حرب وقالوا له :

ـ هذا تحد لأمر الحل .

رفض صالح حرب الخضوع قائلا :

ـ هذه دار المسلمين جميعا . لن يوصد بابها فى وجه مسلم . ومن باب أولى لايوصد فى وجه حسن البنا وستظل داره مادام راغبا فى زيارتها .

وقال لمحمد الليثى :

ـ اخل مكتبك للاستاذ البنا .. وحاول ألا تجمع معه فى المكتب أكثر من ثلاثة أشخاص حتى لاينطبق عليه قرار الحل .

وهمس صالح حرب فى أذن الليثى قائلا :

ـ لاتدع الشيخ يعلم بشىء مما دار بيننا وبين الحكومة بشأنه .

وقال الدكتور يحيى الدرديرى مراقب الجمعية للأعضاء :

ـ الشيخ حسن يحضر إلى الجمعية كرجل مسلم وكضيف . وقد تقرر ألا يعقد فى « الشبان المسلمين » اجتماعات ولا يلتقى بأعضاء .

وهكذا أصبحت جمعية الشبان المسلمين المكان الوحيد الذى يتردد عليه حسن البنا فدفع اشتراك ٥ سنوات سابقة لم يسدد عنها الاشتراك من قبل .

وكتب بخط يده فى ٤ من فبراير طلبا ليكون عضوا فى الجمعية . وقال إنه صحفى هدفه تحقيق اغراضها فتقرر أن يعرض طلب الالتحاق على مجلس الإدارة يوم ١٨ من فبراير لاتخاذ قرار فيه .

وقيل إنه سيكون رئيسا للجمعية وبذلك تتحول لتصبح بديلا للاخوان !

وفى كتاب محمود عبد الحليم قال : « إنه لا يستبعد رغبة الشيخ البنا فى نقل نشاط الجماعة والاندماج هنا أو هناك فيجد لدعوته منفذا مؤقتا قبل أن تطبق عليها الغيوم اطباقا كاملا ، وليدخل الطمأنينة إلى نفس الملك » .

ولكن أخفق الشيخ البنا فى التماس المنفذ !

وزار الشيخ البنا رئيس الحزب الوطنى حافظ رمضان باشا يسأله فيما إذا كان من الأفضل إثارة موضوع الحل فى البرلمان .

قال حافظ رمضان :

ـ اللجوء إلى الهيئات النيابية قد يضر ضررا بليغا إذا وافقت تلك الهيئات على قرار الحل .

وكان حافظ رمضان يعرف أن الأغلبية ، فى مجلس النواب ، للحكومة . ومن الطبيعى أن يؤيد النواب قرارها .

أفضى الشيخ إلى فتحى رضوان بأنه يود أن يكل إلى هيئة من رجال السياسة المصريين حزبيين ومستقلين وبعض المشتغلين بالشئون العربية والإسلامية ـ بينهم وهيب دوس بك المحامى القبطى وصادق المجددى سفير الأفغان بالقاهرة ـ أمر الوساطة بين الاخوان وحكومة النقراشى .

وكان يأمل أن تنجح وساطة هؤلاء الكبار فى أن تخفف الحكومة من شدة اجراءات الإعتقال وأن تدع نشاط الإخوان الخيرى والدينى وأن تعفى من المصادرة والحل الشركات التى تمارس نشاطا اقتصاديا .

وحمل عبد العزيز الصوفانى سكرتير الحزب الوطنى قائمة بالأسماء المقترحة للهيئة وعرضها على حافظ رمضان باشا قائلا :

ـ يطمع الشيخ البنا فى أن تقوم بدعوة هذه اللجنة للاجتماع فى دارك .

قال حافظ رمضان للصوفانى :

ـ أنصحك بصرف النظر عن المشروع كله !

ويلتقى الشيخ البنا بفتحى رضوان فيقول له .

ـ ماذا فعل الباشا ـ يقصد حافظ رمضان ـ لنا وبنا . نسينا أم غضب علينا ؟

أجاب فتحى رضوان :

ـ الخلاف بينك وبين الحكومة خلاف مبدئى لا تنفع فيه وساطة الوسطاء .

رد الشيخ معللا النفس بالأمانى :

ـ هذا باب مفتوح يجب أن نطرقه حتى لا نكون قد قصرنا فى شيء !

* * *

أقام الشيخ دعوى أمام مجلس الدولة يطلب فيها الغاء قرار الحل . وتوجه مع صهره عبد الكريم منصور إلى المجلس فجاء شرطى فتش المرشد تفتيشا دقيقا وكأنه يريد أن يعرف ما إذا كان الشيخ يلبس درعا أم لا .

وقال منشور سرى كتبه حسن البنا عنوانه « قضيتنا » :

« طلبت السفارة البريطانية من النحاس باشا عام ١٩٤٢ ، والحرب العالمية على أشدها والألمان على الأبواب ، حل الإخوان المسلمين وتعطيل نشاطهم ، فأبى أن يجيبها إلى ذلك ، واكتفى بإغلاق الشعب كلها مع بقاء المركز العام إلى حين !

إن الدافع الحقيقى للحل هو انتهاز الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطراب السياسة الدولية ، وقلق الموقف فى فلسطين ، وتردى سياسة مصر بين الإقدام والإحجام فشددوا الضغط على الحكومة . وكان فى وسع رئيس الوزراء أن يزجرهم عن مثل هذا التدخل فى شأن داخلى » .

ونسب الشيخ البنا أسباب الحل إلى ما يشاع عن قرب الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية والموقف الحزبى والتأهب للانتخابات القادمة .

وقال الشيخ البنا :

« اعتقل ألف شخص ليسوا متهمين فى شىء ، وهم بين أستاذ الجامعة كالأستاذ حسين كمال الدين ، أو فى الأزهر كالأستاذ بهى الخولى ، أو فى المعاهد العليا كالأستاذ عبد العزيز كامل وأحمد كامل سليم ، أو فى دار العلوم كالأستاذ أحمد عبد العزيز جلال .

ومنهم المحامون الكبار ، أو التجار الفضلاء والعمال والطلاب وليس فيهم أبدا متهم ولا مجرم .

وفصلت الحكومة أكثر من ١٥٠ موظفا من الموظفين الصغار الذين لا يستطيعون مقاضاتها أمام مجلس الدولة .

وشردت من القاهرة وحدها إلى الوجه القبلى ٥٠٠ موظف .

وصدرت الأوامر العسكرية بمصادرة مرتبات عدد كبير من الموظفين ، وأموالهم وشركات هى :

شركة « الإخوان للتجارة » بميت غمر . و« المناجم والمحاجر العربية » و« الإخوان للنسيج » و« الاخاء الاسلامى بفرشوط » و« دار الإخوان للطباعة » و« دار الإخوان للصحافة » وكلها لا صلة لها بهيئة الإخوان ولكنها وضعت هذا الإسم من باب الدعاية التجارية .

وقال الشيخ البنا « إن كل ما يطلبه من الحكومة أمرين اثنين .

(أ) دفع المظالم ألتى وقعت على الناس بلا سبب .

(ب) إطلاق حرية الدعوة فى الوقت المناسب بالأسلوب الذى لا ينال من هيبة الحكومة ولا يعطل من نشاط الإخوان .

وفى نظير دلك يتعهد المرشد العام ورؤساء الإخوان أن يكونوا أعوانا صادقين للحكومة فى استقرار الأمن واستتباب النظام » .

ولكن الحكومة اكتفت بمصادرة المنشور واعتقال موزعيه وحائزيه !

وأذاع الشيخ البنا بيانا آخر رد فيه على مذكرة عبد الرحمن عمار عن الجماعة فند فيه كل أسباب الحل .

ولكن الحكومة أيضا صادرت هذا البيان وأعتقلت موزعيه وحائزيه وتركت كاتبه الشيخ البنا . حرا !

وقال الإخوان : « إن سفراء بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا اجتمعوا يوم ٢٠ من نوفمبر ١٩٤٨ فى معسكرات القوات البريطانية بفايد قرب الإسماعيلية وقرروا أن يتقدم السفير البريطانى ـ باسمهم ـ يطلب حل الجماعة .

وفى ٢٠ من نوفمبر ١٩٤٨ أرسل الكولونيل ماك درموت ، رئيس إدارة المخابرات فى قيادة القوات البريطانية ، إلى مدير إدارة المخابرات يبلغه بأن السفارة البريطانية أخطرت القيادة البريطانية رسميا بأن خطوات دبلوماسية تتخذ لإقناع السلطات المصرية بحل الجماعة فى أقرب وقت مستطاع

وقال عبد الرحمن عمار فى أثناء محاكمة المتهم باغتيال النقراشى إن الإخوان ادعوا ذلك لإيهام الناس بأن النقراشى حين قرر حل الإخوان كان تحت ضغوط أجنبية .

ونشر الإخوان نصوص الرسائل المتبادلة فى العدد الأول من مجلة الدعوة الصادرة فى ٣١ من يناير عام ١٩٥١ .

وأشاروا إليها فى اثناء محاكمة المتهمين باغتيال حسن البنا .

ضاق الانجليز بذلك فزار تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض إبراهيم عبد الهادى باشا فى منزله وقال له :

ـ هذه الوثائق مزورة . وإنى أطلب منك أن تعلن ذلك باعتبارك رئيس الوزارة التى قبض فى عهدها على بعض المتهمين فى سارة الجيب وغيرها ـ

وأضاف « أندروز » :

ـ إذا وجدت حرجا فى النشر بالصحف أو الأتصال بالقضاء فإن السفارة البريطانية على استعداد لإعلان ذلك رسميا .

اعتذر رئيس الوزراء السابق فبعث مورى جراهام المستشار القانونى للسفارة البريطانية إلى وحيد رأفت مستشار الرأى لوزارة الخارجية المصرية رسالة قال فيها :

« إن أمر حل الإخوان المسلمين لم يكن محل حديث بين السفارة والحكومة المصرية » وقدمت النيابة هذه الرسالة للمحكمة فى قاعة الجلسة .

وكان مورى يكذب فإن مقابلات السفير البريطانى السير رونالد كامبل لرجال الملك والوزراء تقطع بأن السفير ألح على ضرورة الحل .

* * *

كتبت السفارة البريطانية إلى لندن بعد يومين من قرار الحل :

« تجتاح الأمة المصرية حاليا موجة من الغضب بسبب الروح التى أبدتها الأحزاب السياسية المختلفة .

ويعيب الشعب على السلطات سلوكها تجاه الإخوان والذين استخدموا فى نفس الوقت كأدوات ضد الوفد .

ويتهم الرأى العام جميع الأحزاب بالاهتمام بمصالحها الخاصة .

ويواجه الإخوان حاليا أبشع التهم دون اجراء الحد الأدنى من التحريات للتحقيق فيها » .

* * *

تلقت وزارة الخارجية المصرية وديوان المحاسبة ومجلس الدولة رسائل تهديد بنسفها .

وقالت المفوضية الأمريكية أنه وجدت متفجرات فى مكتب وكيل وزارة الأشغال .

وأعلنت الحكومة عن مكافأة لمن يرشد عن مستودعات السلاح ونشرت كميات وأعداد الأسلحة المضبوطة .

حرم الشيخ البنا على نفسه الطعام الطيب ليشارك الإخوان فيما يتحملونه فى السجون والمعتقلات .

وكان يستيقظ ليلا قائلا :

ـ اسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم فى المعتقلات .

وأصدر النقراشى باشا بصفته الحاكم العسكرى العام أمرا بمنع الطلبة من الإشتراك فى النشاط السياسى للأحزاب أو الأندية السياسية .

ولم تنشر أنباء الاعتقالات فى الصحف نتيجة للرقابة مما ترك أسوأ انطباع لدى الإخوان كما تقول السفارة البريطانية .

رد الإخوان بطبع منشورات توضح موقفهم ، وموقف الحكومة تجاه الحركة الوطنية .

* * *

تلقى وزراء حزب الأحرار الدستوريين منشورا وقع باسم «كتاب النضال المقدس لتحرير الإسلام» .

احتج المنشور على قرار الحل وقال إن أعداء الجماعة غيروا ـ بدهاء ـ طبيعتها الحقيقية . فقد قام الإخوان لإنقاذ الأمة بتعليم مبادئ الاسلام والعمل بالقرآن وتنفيذ إرادة الله .

وقال المنشور إن موقعيه من الإخوان وإنهم يختلفون مع زعيم الجماعة حسن البنا فى أسلوب إعادة حقوق الجماعة وسيتبعون طريقا خاصا لذلك فالعدوان يرد بالعدوان وهم مرغمون على رد السهام التى وجهت إليهم .

وطالب المنشور الحاكم العسكرى « بعلاج الإجراءات الظالمة التى لا ترضى الله والملك والدستور أو الشعب وأنهم سينفذون إرادة الله أو يموتون شهداء » .

علقت المفوضية الأمريكية على ذلك بأن أسلوب المنشور يدل على أن كاتبه

هو المرشد العام أو أحد خلصائه بهدف آخر وهو إقناع الحكومة بأن البنا ليس مسئولا عن أعمال الإرهاب.

وقالت المفوضية إن صدور هذا المنشور وتوزيعه دليل على أن الحكومة لم تعتقل ، بعد ، كل الإرهابيين !

* * *

حاول البنا لقاء النقراشى والوصول إلى تفاهم يوقف اندفاع شباب الجماعة .

وأراد أن يبين له أن تطرف بعض الشباب لا يجب أن ينعكس على الإخوان جميعا .

وكان البنا يرغب فى أن يشكو إلى رئيس الوزراء من أن بعض الشركات المصادرة ليست لها علاقة بالإخوان كما تم استيلاء العمد والمشايخ على أراض زراعية بدعوى أنها مملوكة للاخوان !

ولكن النقراشى رفض لقاءه فكتب إليه المرشد العام رسالة بأن الإخوان يعتزمون الهدوء وسيعاونون على اقرار الامن .

* * *

واجتمع الشيخ البنا وإبراهيم باشا عبد الهادى رئيس الديوان الملكى . قدم البنا لرئيس الديوان رسالة بأن الاخوان يعتزمون التزام الهدوء .

رد رئيس الديوان .

ـ تحدد خط الحكومة بشكل مؤكد . فإما أن ترضخ أو تتحمل العواقب .

رأى المرشد العام أن يبين موقفه لكل المحيطين بالملك فاجتمع بكريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق ، يشكو إليه قسوة تدابير حل الإخوان واتساع نطاق موجة الإعتقالات .

قال :

ـ إن انحراف الإخوان المسلمين إلى الاشتغال بالسياسة كان خطأ كبيرا . وكان

أحرى بهم أن يتجنبوها وأن يقصروا رسالتهم على خدمة الدين . والدعوة إلى مكارم الأخلاق . والهداية إلى آداب الإسلام وهو الأصل فى تكوين الجماعة .

وإنى أطلب إليك أن تنقل إلى الملك فحوى هذا الحديث ليتدخل لتخفيف تدابير الحل والمصادرة . ويبقى على الإخوان كهيئة دينية تنصرف إلى تأدية رسالتها دون أن تجاوزها بحال .

وأضاف الشيخ حسن البنا :

ـ سيكون الإخوان المسلمون كهيئة دينية عونا كبيرا للملك والعرش فى مقاومة الشيوعية والمبادئ الهدامة .

وإذا وافق الملك فإنى مستعد ـ تسهيلا لمهمة الحكومة ـ أن أذيع بيانا أعلن فيه أن الإخوان لن يشتغلوا بالسياسة . وأنهم من الآن فصاعدا سيوجهون جهودهم إلى الأغراض الدينية وحدها

وظل حسن البنا يردد فى أحاديثه للسياسيين ورجال الصحافة : « إن ولاءنا للعرش لا ينكره إلا كل مكابر » .

وقال : « الإسلام لا يتعارض مع النظم الملكية » .

وأعلن أن الإخوان يلتزمون بقول الحسن البصرى : « لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان فإن الله يصلح بصلاحه خلقًا كثيرًا » .

قالت تقارير المخابرات البريطانية بعد أسبوع من الحل « إن اضطرابات عنيفة وقعت فى مدرسة الزقازيق الثانوية وأن ثلاثة من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ألقوا قنبلة على رجال الشرطة مما أدى إلى إصابة ثلاثة منهم . ووجدت قنبلة أخرى لم تنفجر .

وعثرت الشرطة خلال التفتيش على خطاب يتهم حسن البنا بالتقاعس إزاء قرار الحل » .

* * *

قصد ثلاثة من رجال الملك فاروق إلى السفارة البريطانية بعد حل الإخوان .

قال السير رونالد كامبل السفير البريطانى لإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الذى زار السفارة بعد ٤٨ ساعة من القرار :

ـ أعتقد أن الحكومة تأخرت أكثر من اللازم فى اتخاذ قرار الحل .

قال رئيس الديوان :

ـ لا أظن ذلك وقمعهم سيستمر بقوة .

قال السفير :

ـ هل حسن البنا مخلص فى رسالته بالتزام الهدوء أم انه يحاول كسب الوقت للتحضير لعودة الإخوان ؟

أجاب عبد الهادى :

ـ لا يمكننى تحديد الدافع وراء الرسالة لأن عقلية الشيخ مراوغة ... والحكومة تعتزم القضاء عليهم .

وقال حسن يوسف وكيل الديوان الملكى لتشابمان أندروز الوزير البريطانى المفوض :

ـ كان الاجراء الذى اتخذته الحكومة عقب حل الجماعة اجراء سلميا وناجحا إلى حد كبير .

تم الاستيلاء على جميع مقارهم فى انحاء البلاد وإستخدم بعضها كنقط اضافية .

وصودرت كميات كبيرة من الذخائر والمفرقعات ... والأموال .

واختتم حسن يوسف حديثه قائلا :

ـ نحن نشكر النقراشى على اتخاذ تلك الاجراءات وهناك رجلان فى مصر لديهما القدرة على أداء مثل هذه المهمة .. إسماعيل صدقى . والنقراشى .

كان ادجار جلاد هو الرجل الثالث الذى ذهب ليتناول الشاى مع اندروز

وادجار جلاد كان يصدر جريدتى « الزمان » العربية المسائية و « الجورنال ديجيبت » الفرنسية الصباحية .

قال جلاد وكأنه يلقى بنكتة :

ـ أدى الملك فاروق خدمة جليلة إلى الحلفاء فى الحرب القادمة باتخاد إجراءات ضد هؤلاء الناس .

بدا على اندروز انه لم يفهم ما يقصده جلاد بك فأخذ الصحفى يشرح وجهة نظره الشخصية . قال :

ـ كان الإخوان سيقفون بالتأكيد ضد أى محاولة للتفاهم مع بريطانيا من الناحية العسكرية .

ويمثلون شوكة فى حلق بريطانيا خلال الحرب .

أجاب اندروز :

ـ من الطبيعى أن تجمع الآراء على سلامة تصرف الملك ولكن بصرف النظر تماما عن موضوع الحرب القادمة فإن هذا الاجراء القوى جاء فى موعده المناسب لصالح الأمن الداخلى .

قال جلاد :

ـ لابد من الاعتراف ، بأن النقراشى نفذ المهمة بنجاح إلى أقصى حد ، وهذا يعنى بالطبع أن يبقى فى منصبه بأى ثمن حتى يتم انجاز المهمة .

وزاد مركزه قوة فى البلاد نتيجة لذلك ، فالاخوان لم تكن لهم شعبية رغم قوتهم وعددهم .

سأله اندروز :

ـ هل تعتقد أن الحكومة وضعت يدها على جميع مخازن الأسلحة ولن يثير الإخوان متاعب أخرى ؟ .

قال جلاد ·

ـ أعتقد أن عناصر متفرقة من الإخوان المسلمين ستقوم ببعض أعمال العنف بصورة متقطعة . وسبق للإخوان أن حذروا الجميع من أنهم سيلجأون للعمل السرى تحت الأرض .

وقال حسن يوسف باشا وكيل الديوان الملكى لفؤاد شيرين باشا محافظ القاهرة :

ـ حلينا الجماعة ولم يحدث شىء !

* * *

ويبدأ التفكير فى تغيير النقراشى مادام قد حقق مهمته فى حل الجماعة

قصد السفير البريطانى إلى وزارة الخارجية المصرية ليزور أحمد خشبة باشا بعد أسبوع بالضبط من قرار الحل .

قال وزير خارجية مصر :

ـ السبب الذى من أجله يحبنى صاحب الجلالة هو ادراكه إنى أستطيع التعاون معكم . وهو السبب أيضا فى اختيارى رئيسا لوفد مصر فى الأمم المتحدة بباريس . وهو دليل على عزم جلالته التوصل إلى اتفاق معكم .

وأضاف :

ـ كيف تسير الأمور ؟

قال السفير :

ـ قام الملك بزيارة السفارة ولكن الأهم أن يظهر جلالته الاستمرار

قال خشبة باشا :

ـ يخشى الملك إذا تخلص من النقراشى للوصول إلى اتفاق معكم أن تتدخلوا فى شكل الوزارة وتأليفها من أشخاص بالذات مثل فلان وعلان وأن تلبسوا تدخلكم ثوب النصيحة !

.. يقصد بذلك إرغامه على تشكيل وزارة برئاسة النحاس.

قال السفير:

ـ لقد نفى مستر بيفن وزير الخارجية أية نية للتدخل فى شئون مصر. ومهما أكدت للملك أننا لن نتدخل فإن الفكرة تظل تؤرقه وتطارده.

قال خشبة:

ـ أعتقد أنه لن يكون هناك تحسن دون اجراء تغيير فى الوزارة. ولن تخف حدة اضطرابات السودان دون اجراء هذا التغيير.

وقال وزير الخارجية:

ـ الملك يتعجل إجراء التغيير.

وعاد الوزير يكرر مرة أخرى:

ـ يخشى الملك أن يفرض عليه نوع التغيير الوزارى وشكله.

ويكتب السفير البريطانى قائلا:

« ينتظر منا خشبة باشا كلمة تجعله رئيسا للوزراء »!

* * *

استمر النقراشى فى اعتقال أعضاء الجهاز السرى خوفا من وقوع اضطرابات. وكان من نتيجة ذلك أن قطعت الصلة بين البنا وقادة الجهاز، وبين القادة واتباعهم.

قال الشيخ الباقورى « إن قرار النقراشى بتصفية موجودات الإخوان وممتلكاتهم، نفذ بأسلوب يثير الحفائظ ويوقظ الضغائن فى صدور المتحمسين من شباب الإخوان.

وكان من شأن هذا التصرف أن يحمل هؤلاء الشبان على أن يلقوا السيئة بسيئة مثلها. أو أكثر منها سوءا، فقد تصوروا النقراشى معتديا على الإسلام

ومعلنا الحرب على المسلمين فقرر نظامهم الخاص أن يثأروا لأنفسهم أو لجماعتهم » .

* * *

لم يتحقق ما رجاه صاحب الجلالة من أن الحل لم يعقبه شيء .

وكان السفير البريطانى وحده الذى تنبأ بما جرى عندما قال إن الإخوان سيلجأون إلى أعمال العنف .

وكان النقراشى نفسه يعرف الحقيقة .

.... عندما حذره مرتضى المراغى من حل الجماعة قال رئيس الوزراء وهو يضحك :

ـ أعرف ديتها . رصاصة أو رصاصتان فى صدرى .

وبعد عشرين يوما من حل الجماعة تحققت النبوءة كاملة !

الدم .. بالدم

وصل النقراشي باشا إلى وزارة الداخلية فى العاشرة وخمس دقائق من صباح الثلاثاء ٢٨ من ديسمبر ١٩٤٨ يحيط به ضباط الشرطة يحرسونه وهو يتجه إلى المصعد فى طريقه إلى مكتبه بالدور الثانى .

تقدم منه شاب يرتدى ملابس ضابط شرطة برتبة ملازم أول وأطلق عليه فى ظهره رصاصتين فسقط قتيلا بعد عشرين يوما من صدور الأمر العسكرى بحل الاخوان .

لم يحاول القاتل الهرب فقبض عليه الرائد عبد الحميد خيرت ياور رئيس الوزراء واليوزباشى مصطفى علوان الضابط بإدارة المباحث الجنائية . وقد أسند إلى الضابطين ـ بعد ربع قرن تقريبا ـ منصب محافظى سوهاج وأسوان .

قال القاتل إن اسمه عبد المجيد أحمد حسن وأنه طالب بكلية الطب البيطرى . واعترف بأنه ارتكب الجريمة لأن النقراشى خائن للوطن .

وحدد أسباب الجريمة قائلا :

- لم يقم النقراشى بأىّ عمل إيجابى فى موضوع السودان .
- فلسطين ضاعت أخذها اليهود . وهذا يرجع إلى تهاون النقراشى .
- اعتدى على الإسلام . شرد طلبة الكليات وحل جماعة الاخوان المسلمين وشركاتها .

وقد أبعدت من كلية الطب البيطرى مع أن هذه الكلية لم تشترك فى اضطرابات كلية الطب .

ولم يضف عبد المجيد أحمد حسن إلى اعترافاته جديدا خلال الستة عشر يوما التالية رغم التعذيب الوحشى الذى عاناه ، وقاسته أسرته معه .

ولكن تغير هذا الشاب القاتل العنيد فجأة عندما قدم إليه النائب العام محمود منصور صباح يوم ١١ من يناير ١٩٤٩ صحف الصباح وفيها « بيان للناس » كتبه الشيخ حسن البنا .

وكان الشيخ البنا قد كتب هذا البيان بهدف إقناع الحكومة بأن الجماعة ليست طرفا فى جريمة اغتيال النقراشى وليست محرضة عليها .

وكان الشيخ البنا يريد تهدئة الموقف مع الحكومة وإقناعها بالافراج عن المعتقلين وعدم تعذيبهم .

ولم يدرك الشيخ البنا أن أحد أهداف الحكومة من البيان إقناع ذلك القاتل العنيد بأنه حان الوقت ليخون الاخوان ... كما خانوه .. وليخدعهم كما خدعوه ... وليقدمهم إلى القضاء والسجن والتعذيب ليعانوا كما عانى ويلقوا بعض مالقى من هوان !

تكلم عبد المجيد أحمد حسن فى نفس اليوم . ربما نتيجة التعذيب . وربما لأن البيان يعطيه فرصة الاستسلام والانهيار وإلقاء اللوم على المرشد العام أو الذين خدعوه باسم المرشد العام .

قال :

ـ عجبت كل العجب بعد أن قرأت « بيان للناس » وعلمت أن هيئة كبار العلماء أصدرت بيانا عن هذا الحادث فاطلعت عليه .

وعقب ذلك أردت أن أعلن جميع أفراد النظام الخاص بأنه غرر بنا ولست وحدى .

كان نفس التأثير الذى وقع علىّ واقعا عليهم

ولا أعلم إن كان هذا التأثير لايزال واقعاً عليهم إلى الآن أم لا

وكنت أعتقد ، بحسب تعاليم هذا النظام الخاص أن كل أمر ، يكلف بارتكابه أفراد نظامنا ، يوافق عليه حسن البنا شخصيا بصفته القائد لهذا النظام

وأعتقد أن المسئول الأول عن جميع هذه الحوادث هو حسن البنا بشخصه ، ولكنى لا أملك سوى أدلة سماعية فقط .

... توالت اعترافات عبد المجيد أحمد حسن عن النظام الخاص الذى التحق به فى أواخر عام ١٩٤٥ وتدرج فيه حتى أقسم على البيعة فى صيف عام ١٩٤٩ .

قال إن خطة اغتيال رئيس الوزراء وضعت يوم ١٨ من ديسمبر واتفق على التنفيذ فى ٢٣ من ديسمبر أى بعد أسبوعين من قرار الحل . ثم أرجئ التنفيذ إلى أن تتخذ التدابير لحماية الشيخ حسن البنا إن اتجه التفكير إلى قتله انتقاما لاغتيال النقراشى .

وقال إن أحد أعضاء الجماعة واسمه محمد مالك ـ الموظف بمطار الماظة ـ قال له إن قرار الحل يعتبر تحديا للجماعة وجرحا لهيبتها وجرأة من جانب الدولة . ولابد من أن تغسل ، بالدم ، هذه الأهانه والجرأة .

وقال له مالك أيضا :

ـ الناس ينتظرون عملا يقوم به الاخوان ضد من حل الجماعة .

فاقترح أحد اعضاء الجهاز مهاجمة منزل النقراشى فرد مالك قائلا :

ـ الشيخ البنا لايريد أن يضحى بأكثر من واحد مقابل اغتيال النقراشى .

أدت اعترافات عبد المجيد أحمد حسن إلى القبض على خمسة من الاخوان المسلمين بتهمة الاشتراك والاتفاق والتحريض والمساعدة بينهم الشيخ سيد سابق الذى أخذ يقنعه بأن القتل حلال فى سبيل الله فالنقراشى اعتدى على الإسلام بحل الجمعية .

واستشهد الشيخ سابق ببعض الآيات القرآنية .

واعترف عبد المجيد ، بعد ذلك ، على تسعة آخرين .

قال إنه عندما دخل وحده غرفة مظلمة ليؤدى قسم البيعة للنظام الخاص وجد شخصا ملثما يتلقى البيعة ، وعرف من صوته وحجمه وهيئته العامة ـ إذ كان ملتحيا ـ أنه صالح عشماوى وكيل جماعة الاخوان ومدير صحيفتها .

ولكن الشيخ صالح عشماوى لم يسأل فى قضية اغتيال النقراشى ولم يحقق معه وبالتالى لم يقدم إلى المحكمة ! رغم أن صلاح شادى قال فى كتابه إن صالح عشماوى كان يعتبر رأسا من رءوس النظام الخاص .

واعترف عبد المجيد على ضابط الشرطة أحمد فؤاد الذى أعد كل الاستعدادات للجريمة ، وكان مقررا أن يقوم بنفسه باغتيال النقراشى .. وقد انتحر هذا الضابط عند محاولة القبض عليه .

ولكن فهمى أبو غدير المحامى يقول :

ـ الحقيقة أن أحمد فؤاد قتل بيد ضابط شرطة ولكن الحكومة ادعت أنه انتحر . ولم يكن فى استطاعة أحد فى ذلك الحين تكذيب الحكومة أو الاصرار على تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة !

* * *

قالت صحيفة « المصرى » الناطقة باسم حزب الوفد :

«كان النقراشى مثالا للنزاهة . وكان وطنيا مخلصا لوطنه . عاش ومات فقيرا » .

ودافع عباس محمود العقاد عن النقراشى ورد على اتهامات الاخوان لرئيس الوزراء الراحل .

كتب فى جريدة الأساس :

« إن خصوم النقراشى وأصدقاءه لم يجمعوا على صفة من صفاته كما أجمعوا على نزاهته وطهارة يديه .

فلماذا يسوغ فى عقل من العقول أن يتهم هذا الرجل بالتواطؤ مع اليهود ؟

ألمصلحة وزارية ؟ إن مصلحته ومصلحة وزارته ومصلحة النظام إنما هى تحقيق النصر واجتناب الهزيمة .

فهل من مصلحة مالية ؟

إن ماضى الرجل كله لايسوغ هذه التهمة ولانقول ماالدليل عليها » .

* * *

قال حسن البنا إنه لايعرف هوية القاتل . ولم يره قبل ذلك . ولايعرف إذا كان من الاخوان أم لا . وأنه فوجئ بمقتل النقراشى كأى إنسان آخر .

وقال للصحفى أبو الخير نجيب :

ـ اتصلت بمن أستطيع الاتصال بهم فإذا بهم يتنكرون لى ، ويتهربون من محادثتى ويعدوننى كل الخير. ولكنهم لم يتحركوا قيد أنملة .

ولو أتيح لى الاتصال بأنصارى حتى أبصرهم بما يفيد وما يضر ، لما وقع هذا الحادث .

قال والد الشيخ حسن البنا إن ابنه ظل يردد أن اغتيال النقراشى ليس من مبادئ الجمعية وأن الاغتيال تم على غير رغبته وبدون علمه وكان يستنكره بشدة .

وقال كثيرون من كتاب الاخوان إن المرشد العام لم يعلم ابدا بنية اغتيال النقراشى وأن عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز كان صامتا لايتكلم ولايعلن نواياه .. أبدا !

وقال الشيخ عمر التلمسانى :

ـ عندما قتل النقراشى فإن الاخوان ، الذين لايقرون الاغتيال ، استقبلوا النبأ مع الرضا تماما كما حدث عند اغتيال السادات . إن ديننا لايسمح بذلك ولكن طغيان النقراشى فى أواخر أيامه جعل الناس يستريحون لأى عمل ضده.

وأضاف :

ـ دوافع قتل النقراشي نفسية محضة .

عبد المجيد حسن كان فردا فى الجماعة ورأى النقراشي يحلها ويعتقل أفرادها ويعذبهم ويصادر أموالهم ويجمد ممتلكاتها فاندفع ، وبعض الشباب معه ، لارتكاب مثل هذا التصرف والنقراشي هو الذى قتل نفسه بسبب ما اقترفه فى حق هذا البلد !

قال فهمى أبو غدير :

ـ كان للتنظيم الخاص هيئة تأسيسية توافق على كل عملية . بين أعضائها مصطفى مشهور وأحمد حسنين وأحمد زكى .

وقال :

ـ لايستطيع أحد ـ السندى أو غيره ـ أن يتمرد على المرشد العام . ولكن يمكن القول إن هذه الهيئة ، أو بعض أفرادها ، ربما فهموا أن الشيخ البنا راض عن عملية الإغتيال .

وقال أبو غدير :

ـ قتل النقراشي والجماعة بلا قيادة وعبد الرحمن السندى فى السجن .

ويبقى سؤال :

ـ من حرض على قتل النقراشي ؟

قال الضابط الكندى هاردى فى بحثه دفاعا عن المرشد العام :

« يدعى المصريون المعارضون للاخوان أن الجماعة ذاتها « سواء كان البنا جزءا من المؤامرة أم لا مسئولة عن اغتيال النقراشي .

ولكن المرشد العام شديد الذكاء . ومن المستبعد أن يكون قد تخيل أن مثل هذه الخطوة يمكن أن تسفر عن تقدم لجماعته » .

وقال هاردى :

« تخيل البنا أنه يستطيع تهدئة الموقف ولكن آماله تحطمت عندما أغتيل النقراشى » .

* * *

ويصدر حسن البنا كتيبا صغيرا عنوانه « القول الفصل » وزعه سرا عرض فيه وجهة نظر الاخوان . قال :

« إن الضغط الأجنبي هو الذى أدى إلى قرار الحل

والأسلحة كانت بعلم الحكومة لقضية فلسطين . والانفجارات لم ترتكب بأمر قيادة الاخوان وعلى فرض أن الاخوان قاموا بها فالجماعة ليست مسئولة عن أعمال نفر من أعضائها .

وأبدى أسفه لقتل المستشار أحمد الخازندار واغتيال محمود فهمى النقراشى . وقال إنه بالنسبة لمصرع رئيس الوزراء فإن قادة الجماعة كانوا معتقلين أو مراقبين وكان ذلك رد فعل لقرارات الحكومة » !

* * *

أكد كثيرون :

ـ إن موقف حسن البنا من اغتيال النقراشى يشبه موقف سعد زغلول من اغتيال السردار البريطانى السير لى ستاك .

إن سعدا لم يأمر باغتيال السردار فإنه كان يعلم عواقب هذه الجريمة .. وكذلك الحال بالنسبة للمرشد العام ومصرع النقراشى .. فالأقرب للعقل والمنطق أن تكون الجريمة قد تمت بغير علم الشيخ البنا وإن كان القاتل ينتمى إلى الجهاز الذى أنشاه وشكله الشيخ .

* * *

وصف السير رونالد كامبل السفير البريطانى رد فعل مصر إزاء اغتيال النقراشى .

قال فى أول برقية بعث بها إلى لندن فى عام ١٩٤٩ .

«لم يكن النقراشى باشا رئيس وزراء شعبياً .. ومع ذلك فإن اغتياله يحظى بالرثاء على نطاق واسع بوصفه حلقة أخرى من سلسلة الأعمال الإجرامية التى أعلنت على العالم افتقار مصر للنضج السياسى والاستقرار .

ومن وجهة النظر الداخلية البحتة فإن الحادث كشف الاحساس بالاشمئزاز لدى المواطن المصرى العادى بالنسبة لاحتمال استمرار النظام .

وهناك إحساس بالانهيار المستمر فى الشئون الداخلية والمغامرات المكثفة فى الخارج » .

... يقصد حرب فلسطين .

* * *

اشترك الملك فاروق فى تشييع جنازة النقراشى . وصلى على الجثمان فى جامع الكخيا . ثم قصد إلى منزل النقراشى بمصر الجديدة ليعزى أسرته . وعاد إلى قصر عابدين ليجتمع بإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى وحسن يوسف وكيل الديوان ومحمد حيدر باشا وزير الدفاع وكريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق .

قال الملك لعبد الهادى :

ـ قررت أن تكون رئيسا للوزراء .

ثم سأل الحاضرين عن آرائهم فقال حسن يوسف :

ـ الموقف يتطلب وزارة كبيرة .

وأيد حيدر هذا الرأى .

لم يدرك صاحب الجلالة المعنى الذى يقصده وكيل الديوان وظنه يقصد عدد الوزراء فقال :

ـ لامانع من أن يكون عدد الوزراء أكتر من المعتاد .

قال كريم ثابت :

ـ إن حسن يوسف وحيدر يعنيان أن تكون الورارة ائتلافية .

قال فاروق :

ـ لا مانع

قال حيدر :

ـ كده كويس . الحمد لله .

قال كريم ثات :

ـ لا أرى دعوة الوفديين إلى الاشتراك فى الحكم الآن لأن دعوتهم فى هذه الظروف معناها أننا صعفاء ونريد أن نتقوى بهم . أو أننا خائفون ونريد أن نتشجع بهم .

وأعتقد أنهم لن يقبلوا الدعوة فنكون قد خسرنا كثيرا ولم نكسب شيئا .

وكان كريم ثابت الوسيط بين الوفد والانجلير ولكنه كان يتكلم أمام الوفد بلسان وأمام الانجليز بلسان آخر وأمام صاحب الجلالة بوجه ثالث !. وكان هدفه فى كل الأحوال أن يظل وسيطا وأن يكون له دور . وقد استمر وسيطا . حتى قيام الثورة . بين كل الأطراف السياسية فى مصر !

قال حيدر باشا :

ـ إنى واثق من قبول الوفد دخول الوزارة .

قال كريم ثابت مراوغا :

ـ أما وحيدر يؤكد ان الوفديين سيقبلون فلابد أن لديه أسبابا تبرر هذا

التأكيد فإني أسحب كلامي . وأوافق على أن يتصل بالوفديين حتى لانندم يوما .

قال فاروق :

ـ يبقى حيدر اللى يتصل بالوفد .

سأل حيدر الملك :

ـ هل لدى جلالتك رغبة معينة بخصوص أشخاص الوزراء الوفديين ؟

قال فاروق :

ـ لا .. خلليهم يرشحوا اللى عاوزينه

قال حيدر :

ـ أرجوا اعطائى ساعتين

قال فاروق :

ـ خذ ساعتين . خذ ثلاثة مايهمنيش . بس اللى يهمى أن تتألف الوزارة الجديدة الليلة . سامع يابراهيم

وتكلم إبراهيم عبد الهادى الذى لم ينطق بكلمة واحدة خلال الاجتماع وهو يرى وزارته تتشكل أمامه :

ـ حاضر.. يا أفندم !

وفى خطابه إلى إبراهيم عبد الهادى لتشكيل الوزارة طلب إليه صاحب الجلالة أن « يعمل على توحيد الصفوف وتركيز الجهود لمواجهة الظروف الداخلية والخارجية » .

اجتمع الفريق محمد حيدر باشا وزير الحربية ـ باسم الملك ـ بفؤاد سراج الدين باشا وعرض عليه تناسى كل الخلافات الماضية واشتراك الوفد فى وزارة ائتلافية .

غاب حيدر باشا وبعد ساعتين طلب ساعتين جديدتين فأجيب إلى طلبه .

وفى الرابعة بعد الظهر تكلم مرة أخرى وطلب مد المهلة ساعتين أخريين فقد اعتذر فؤاد سراج الدين عن الرد العاجل .

قال كريم ثابت الذى وصف الاجتماع فى مذكراته بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ :

« تلقى فاروق الرد النهائى وكانت الساعة تقترب من السادسة مساء وهو أن الوفديين يعتذرون » .

واعتذر أحمد خشبة باشا عن قبول منصب وزير الخارجية وبرر ذلك بحاجته إلى الراحة .

ولم يقل خشبة باشا إنه كان يطمع فى رئاسة الوزارة . وكان يتطلع إليها وينتظرها وإنه خدع من الجميع وأن الرصاصات التى أطلقها طالب الطب البيطرى عبد المجيد أحمد حسن على النقراشى قد أطاحت بآمال خشبة باشا أيضا !

استغاث عبد الهادى بكريم ثابت الذى أسرع يلتقى بخشبة باشا قائلا :

ــ أرجو أن تقدر الموقف الذى واجهه الملك بمقتل النقراشى . لقد اضطر صاحب الجلالة إلى تعديل خططه .

كرر خشبة باشا الاعتذار فقد أحس بأن جرحه عميق !

أخذ كريم ثابت يلح على خشبة فى قبول المنصب قائلا :

ــ إن إبراهيم عبد الهادى قبل أن يكون وزيرا للداخلية فى الوزارة التى كان سيعهد إليك برئاستها . فلا أقل من أن ترد له التحية بقبولك العمل فى وزارته .

أبى خشبة أن يحيد عن قراره ، وأصر على الاعتذار ، ولم يقبل المنصب إلا بعد شهور عندما تبخرت آماله نهائيا فى رئاسة الوزارة !

ويشكل إبراهيم عبد الهادى الوزارة فى ساعة متأخرة من الليل يوم وفاة النقراشى لظروف الأمن التى إقتضت السرعة

ويبرر تشابمان اندروز السرعة التى تم بها تأليف الوزارة والأسباب الحقيقية

لابعاد أحمد خشبة باشا عن تولى المنصب . ولماذا اعتذر عن دخول الوزارة .

قال :

« أملت الأزمة التعجيل بتشكيل حكومة جديدة دون تأخير . خشية أن يؤدى الفراغ الوزارى إلى تجمع قوى الشغب والاضطراب التى دعت إلى صدور قرار حل جماعة الاخوان المسلمين .. وهو القرار القمعى الحاسم الذى صدر بعد تأخير .

وأظهر الملك فاروق باختيار إبراهيم عبد الهادى أن تفكيره الأول يتركز فى استمرار السياسة الحالية رغم أنه قد يحدث بعض التعديل فى الأسلوب

وهناك اعتراف بالحاجة لتحقيق استقرار الأمن العام منذ وافقت الحكومة ـ حسبما يقول مصدر فى القصر ـ على متابعة السياسة الصريحة المعلنة ضد الاخوان المسلمين .

وهذا يوضح أسباب عدم دعوة أحمد خشبة باشا لتشكيل الوزارة وكان مرشحا لرئاستها بعد أن اقنع حسن البنا المرشد العام خشبة باشا بفائدة التوصل إلى حل وسط مع الاخوان المسلمين تحت شعار الوحدة والائتلاف الوطنى .

ومن هنا قرر خشبة باشا ـ وهو من الاحرار الدستوريين ـ أنه من الافضل التخلى عن دخول الوزارة كلية » .

وعلمت من نفس المصدر أن الملك فاروق عازم على التعامل بشدة مع الاخوان »

وهذه البرقية تكشف أن الملك والانجليز تخلوا عن خشبة باشا لأنه يريد التصالح مع الاخوان !

وتؤكد البرقية من ناحية أخرى . أن القصر كان المحرض الأساسى لحل الجماعة .

* * *

دعا إبراهيم عبد الهادى إلى منزله فؤاد سراج الدين وعرض عليه فكرة الوزارة الائتلافية فاجتمع الوفد يوم ٥ من يناير وطالب برئيس وزراء محايد .

وكانت هذه خطوة من جانب الوفد بقبول الاشتراك فى وزارة ائتلافية ولكن لاتسند رئاستها إلى إبراهيم عبد الهادى باشا !

ووجهة نظر فؤاد سراج الدين التى ذكرها للوزير البريطانى المفوض هى :

« الوفد لايثق فى عبد الهادى فقد كان نائبا وفديا وتخلى عن تأييد الوفد عام ١٩٣٧ ، عندما كان النحاس رئيسا للوزراء يبحث عن وكيل وزارة ولذلك اختار ممدوح رياض بدلا من عبد الهادى .

وقبل احتفال أقيم بالقصر لمؤتمر البرلمانيين الدولى اقنع عبد الهادى فؤاد سراج الدين بالذهاب إلى مكتبه الخاص وتبادل معه الأفكار بصورة شخصية وغير رسمية .

وبذل عبد الهادى جهودا مضنية لاقناع سراج الدين بالطبيعة السرية والشخصية لحديثهما فلم يبلغ سراج الدين النحاس باللقاء .

وفى يوم السبت التالى ، نشرت أخبار اليوم « تقريرا كاملا عن اللقاء مماسبب حرجا بالغا لفؤاد سراج الدين . ولذلك فإن سراج الدين يعرف أنه لايستطيع الثقة فى عبد الهادى » .

وكتب تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض يقول : « إن الاتصالات بين إبراهيم عبد الهادى والوفد عن طريق فؤاد سراج الدين . ولكن القصر لايريد اشتراك النحاس باشا شخصيا فى الحكم » .

وتحاول بريطانيا بكل الطرق اقناع الوفد بدخول الوزارة .

قال اندروز :

« لم يغلق الباب ـ بعد ـ أمام احتمال اشتراك الوفد . وقد يتم ذلك فى اجتماع للوفد . يعقد قريبا .

وسياسة القصر إحداث انشقاق داخل الحزب وإضعاف سلطة النحاس باشا » .

ويلتقى اندروز بكريم ثابت باشا فى محاولة جديدة حتى يساهم الوفد مع إبراهيم عبد الهادى فى تحطيم الاخوان .

قال كريم ثابت :

ـ عبد الهادى باشا أفضل رجل لوزارة الداخلية وقد ينجح فى تحطيم الاخوان .

قال اندروز وهو يتمنى للباشا حظا سعيدا :

ـ لست متأكدا تماما من أنه سينجح . وإذا فشل فسيقع جانب كبير من اللوم على كاهل الملك لأنه ترك عبد الهادى يواجه الاخوان دون أن يكون الوفد معه .

ولو كان قد أشرك الوفد لوفر فرصة أفضل كثيرا للنجاح .

وأضاف اندروز :

ـ المهمة الرئيسية للحكومة الحالية هى تحطيم الاخوان !

* * *

فى اليوم التالى لوفاة النقراشى وصل تشابمان أندروز الوزير البريطانى المفوض إلى أرمنت ـ قرب الأقصر ـ ليقضى أياما فى عزبة رجل الأعمال أحمد عبود . وكان هنالك عدد من اصدقاء الطرفين .

وصف أندروز رد فعل هذه المجموعة من أثرياء المصريين إزاء اغتيال رئيس وزراء مصر .

قال :

« بين الحاضرين فى أرمنت حسين سرى باشا ـ رئيس الوزراء السابق ـ وزوجته وحرم « محمود يونس بك » التشريفاتى الرابع للملك فاروق ، ومحمود

القشيرى بك وزوجته وهو ابن أخت قرينة سرى باشا .

استقبل الجميع نبأ اغتيال رئيس الوزراء بتهلل وارتياح . ولم يخفوا ذلك .

وامتنع سرى باشا وحده عن الادلاء بأى تعليق عدا الاعراب عن اعتقاده بأن النقراشى باشا كان رجل دولة طيبا لديه مثل عليا ولكنه كان عاجزا ، أو لا يصر ، على أن يقتدى به زملاؤه الوزراء فى الأمانة والشرف !

وحين أعلن تعيين إبراهيم عبد الهادى باشا - رئيسا للوزراء - أعرب الجميع عن خيبة أملهم المريرة . وكان التعليق العام أنه نفس الرجل .. أى مثل النقراشى .

وكان من رأى عبود باشا وحرم سرى باشا أن عبد الهادى باشا سيتبع خطوات النقراشى .

ومالم يسمح الملك فاروق بحكومة وفدية يرأسها النحاس باشا وتتولى السلطة .. فإن حياة الملك ستكون عرضة للخطر البالغ .

وقال عبود فى حديث صريح جدا إنه يعتقد أننا - أى الانجليز - نمارس سياسة خاطئة تماما فى مصر .

.. حكمنا البلاد وكنا الموجه لها لأكثر من خمسين عاما .. وبعد أن أعطيناها استقلالها .. نتوقع أن تمضى وحدها دون تدخل من جانبنا .

وبالتفاوض مع الحكومة الحالية والملك فاروق فإننا نعطى تأييدنا لحكومة لاتمثل إلا الأقلية فى البلاد ..

ونحن نشجع الملك على أن يصبح حاكما ديكتاتوريا .

وأعرب عبود باشا عن اعتقاده بأننا يجب أن ندين الحكومة الحالية علنا .. ونعلن أننا لن نتفاوض مع مصر حتى يتم اجراء انتخابات عامة فيها .

وأكد لى أننا إذا فعلنا ذلك فسنحوز تأييد الأغلبية الكبرى من الشعب المصرى ومن زعماء الوفد على وجه الخصوص .

وقال الباشا إن المصيبة الكبرى هى أن حادث ٤ فبراير لم يمض إلى نهايته المنطقية »

.. أى إرغام الملك على التنازل عن العرش .

وهذا الحديث يكشف حقائق كثيرة عن آراء بعض قادة السياسة والاقتصاد فى مصر :

* حسين سرى يصر على عودة الوفد إلى الحكم .

* وأحمد عبود باشا كان يتمنى لو أن الانجليز عزلوا الملك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ !

* * *

وبينما كان تشابمان اندروز يعرف رأى حسين سرى وعبود فى إبراهيم عبد الهادى خليفة النقراشى .. كان ارنست بيفن وزير خارجية بريطانية يعرف رأى ملك مصر بالنسبة للاخوان .

وكان السفير المصرى فى لندن حريصا على أن يبدى الانجليز بعض مشاعر الود نحو صاحب الجلالة !

قصد السفير المصرى عبد الفتاح عمرو إلى وزارة الخارجية البريطانية ليلتقى بأرنست بيفن وزير الخارجية فى اليوم التالى لاغتيال النقراشى .

قال عمرو باشا وهو يتحدث عن الاخوان المسلمين :

ـ الحكومة مصرة على التصدى لهذه الأثارة المستمرة للمشاعر المعادية للبريطانيين فى مصر ، وعلى تمهيد الطريق لاجراء مناقشات فنية ، على الأقل ، مع بريطانيا فى وقت قريب .

سأله بيفن عن القاعدة الحقيقية للاخوان المسلمين وعن سبب اتباعهم لطريق الإرهاب .

قال السفير :

ـ هناك أدلة على أن الاخوان يتلقون أموالا طائلة من روسيا ، وأنهم احرزوا تقدما كبيرا ، بفضل الأموال والمنشورات بين الفلاحين .

لقد أصبحوا خطرا حقيقيا والحكومة مصممة على القضاء عليهم .

وصودرت كل أموال الاخوان . وأغلقت مراكزهم . وعبد الهادى باشا سيوالى قمعهم حتى النهاية .

وينتهز عمرو باشا الفرصة فيطلب من وزير الخارجية البريطانى توجيه رسالة ما إلى الملك فاروق .

قال بيفن :

ـ سأفكر فى ذلك .

وتعهد الوزير بأن يجتمع السفير البريطانى فى القاهرة مع رئيس الوزراء الجديد فى أقرب وقت ممكن .

وأثار السفير المصرى امكان استئناف بدء المفاوضات بين مصر وبريطانيا ولكن قال :

ـ ليس الوقت مواتيا بعد ، فقد يحدث انطباع خاطئ لأن مصر تمر بصعوبات ، وخاصة عقب اغتيال النقراشى ومن الأفضل الانتظار قليلا !

* * *

اتصل رجال الصحافة بالمرشد العام تليفونيا وأبلغوه بوفاة النقراشى .

وسمع أمين إسماعيل عضو الجماعة بالاغتيال فتوجه إلى بيت الشيخ البنا الذى دعاه لتناول الغداء معه .

وصف أمين إسماعيل حال المرشد العام فى ذلك اليوم فقال :

لم يأكل الشيخ البنا غير لقمتين لا ثالثة لهما . وابتسم قائلا ،

ـ إيه يا أمين سيرموننا بكل تهمة وسيقولون عنا كل شىء و... و.... وسيعلقون لنا المشانق فى الشوارع !

وأبلغ أحد الاخوان الشيخ ما يؤكد ظنونه . قال :

ـ كوّن محمد كامل الدماطى مدير مكتب النقراشى عصابة من سبعة أفراد حلفوا برأس النقراشى أن يقتلوا المرشد العام .

وظلت تتردد فى أذهان الاخوان تلك الصيحات التى رددها شباب الحزب السعدى أثناء جنازة النقراشى قائلين :

ـ رأس البنا برأس النقراشى .

وتهتف :

ـ الدم .. بالدم !

حوافر العدو

انتهزت إسرائيل فرصة التوتر الذى ساد مصر بعد اغتيال النقراشى فأرادت أن تطوق الجيش المصرى فى سيناء وغزة وحصاره .

اكتشف ايجال يادين قائد القوات الإسرائيلية على الجبهة المصرية طريقا يونانيا ـ رومانيا قديما يصل جنوب أبو عجيلة فأرسل قوتين إلى غزة ، وبير عسلوج ، والعوجة ، لشغل القوات المصرية فلم تنتبه إلى القوات الاسرائيلية المدرعة التى جاءت تغزو أبو عجيلة لتدخلها وتتوغل عشرة أميال داخل الأراضى المصرية لأول مرة ، وقامت بحركة التفاف واسعة لعزل الجيش المصرى شرق مدينة العريش ، وقطع خطوط تموينه ، ومواصلاته مع قاعدة هذا الجيش فى مصر للقضاء عليه فأصيب الجيش المصرى كله بالشلل فى سيناء وغزة .

فى اليوم التالى لوفاة النقراشى احتلت إسرائيل التلال المطلة على رفح وأصبح على بريطانيا ـ بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ ـ التدخل ضد إسرائيل للدفاع عن مصر وطرد القوات المعتدية منها .

توغلت القوات الغازية إلى مسافة ستة كيلومترات ـ أو أقل ـ من العريش .. المدينة التى تضم القاعدة الجوية المصرية الأمامية .

طلب وزير الحربية المصرى من بريطانيا ـ بصورة عاجلة ـ ٢٠ من خزانات الوقود طويلة المدى لتمكين الطائرات المصرية من طراز « سبيتفاير » من الطيران من مطارات منطقة القنال البعيدة عن الحدود .

وطلب الوزير أيضا تسهيلات لصعود وهبوط الطائرات المصرية فى المطارات التى تحتلها القوات البريطانية فى منطقة القنال . -

استغاثت وزارة الحربية المصرية بالانجليز ، وأبلغت الأمر إلى الملحق الجوى للسفارة البريطانية فى القاهرة فلم تكن مصر فى حالة تسمح لها القيام بأى عمل إلا الالتجاء لبريطانيا .

سارعت وزارة الخارجية البريطانية بابلاغ الحكومة الأمريكية فى وشنطن بطلبات حيدر باشا .

قالت :

« أرسلت التعليمات إلى سلاح الجو الملكى البريطانى فى مصر للقيام باستطلاع فورى والتحقق من الوضع .

وإذا قامت القوات اليهودية بمهاجمة الأراضى المصرية فإن التزاماتنا بموجب معاهدة ١٩٣٦ الانجليزية ـ المصرية ستكون سارية بالطبع »

وصف السفير البريطانى الموقف العسكرى المصرى اليائس داخل حدود البلاد الشرقية فى اليوم التالى لوفاة النقراشى ـ ٢٩ من ديسمبر .

قال :

« يقوم الجيش المصرى بهجمات مضادة من العريش ورفح فى محاولة لوقف طوابير المدرعات اليهودية التى تتقدم صوب هاتين المدينتين .

ومالم نقم نحن البريطانيين بشئ فعال وفورى لمساعدة الجيش المصرى . فإنه يتمزق خلال وقت قصير جدا إلى مجموعات صغيرة معزولة فى العريش ورفح وغزة والفالوجة والخليل دون أى غطاء جوى وبلا امكان للإمدادات أو الإغاثة .

ومن المؤكد أن هذه المجموعات الصغيرة لن تكون قادرة على المقاومة لمدة طويلة .

ولن يكون ممكنا إخفاء حجم الكارثة عن الرأى العام المصرى .

ولايمكن تقدير العواقب السياسية الناجمة عن ذلك . من الناحية الداخلية المصرية أو من زاوية العلاقات المستقبلة مع بريطانيا .

ولذلك فإن مخاطر السماح لحدوث مزيد من التدهور فى الموقف العسكرى المصرى أكبر من أن نستطيع تحملها

وقد بدأت الطائرات المقاتلة المصرية فى الهبوط فى المطارات التى يسيطر عليها البريطانيون فى منطقة القناة وفايد بعد نفاد وقودها .

إن البدائل العملية المتاحة لنا سواء بموجب المعاهدة أو خارج نطاقها هى :

(أ) إمداد القوات المصرية بالعتاد الحربى فى منطقة القناة .

أو

(ب) القيام بأنفسنا بعمل عسكرى. بعد انذار الغزاة. بهدف محدود وهو انسحاب قواتهم إلى ماوراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين .

وبين هذين البديلين . أعتقد أن الثانى هو الأفضل ، إذا كان ممكنا من الناحية العسكرية للاسباب الآتية :

(أ) إذا سمح لليهود بالاستقرار فى الأراضى المصرية سيصبح من الصعب، بصورة متزايدة . إخراجهم بالوسائل السياسية فقط . أو حتى بالعقوبات الاقتصادية مع مضى الوقت (إذ أنهم سيميلون لتدعيم موقفهم . كما حدث فى فلسطين) .

(ب) سيكون من الصعب فى وقت لاحق إيجاد مبرر سليم للتدخل العسكرى البريطانى .

(جـ) إن المصريين، حتى بالعتاد الحربى الذى نستطيع تقديمه إليهم، سيبقى ممكنا هزيمتهم ، وسيكون الموقف الناشئ عن ذلك أكثر سوءا .

(د) لانستطيع بالتأكيد أن نرفض استخدام سلاح الطيران المصرى للمطارات والمنشآت التى يسيطر عليها البريطانيون فى منطقة القناة وهذا يورطنا بصورة آلية فى الصراع . لأن هذه المطارات من المفترض أن تتعرض للقصف من جانب اليهود .

وفى الوقت نفسه ، وحتى إذا قررت حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا القيام بعمل عسكرى ، فأعتقد أن من الأهمية أن نزود المصريين ببعض العتاد الحربى لتمكينهم من التعاون معنا ومن الإحساس بأنهم يفعلون ذلك .

وإذا أثبتنا فى هذه المناسبة قدرتنا ، على القيام بعمل فعّال لتأمين إخراج اليهود من الأراضى المصرية دون تأخير ، فإن مكانتنا ستعزز ، ليس هنا فقط ، وإنما فى البلاد العربية الأخرى أيضا .

وسنصبح فى وضع أقوى فى التأثير على مصر وغيرها لإقرار تسوية .

واعتقد أن ذلك سيكون صحيحا بوجه خاص إذا أمكن إجبار اليهود على التراجع إلى المواقع التى كانوا يحتلونها فى النقب فى ١٤ من أكتوبر كما كان يتعين عليهم بالفعل بموجب قرار مجلس الأمن الصادر فى ٤ من نوفمبر .

أرى بالاضافة إلى ذلك أنه لاشىء أقل ، إن لم يكن أكثر ، من إنذار سيكون مطلوبا لضمان انسحاب اليهود من الأراضى المصرية .

ولكن مسألة إغاثة القوات المصرية المحاصرة فى فلسطين ستظل قائمة» .

عندما يزداد تدهور الموقف العسكرى يسرع السفير البريطانى فيكتب فى اليوم ذاته إلى حكومته البرقية رقم ١٨٠٥ وفيها يقول :

« تشعر السلطات المصرية بقلق بالغ .

ولايمكن كتمان أية هزيمة كبرى تقع للجيش المصرى

وستكون لها آثار خطيرة على الاستقرار الداخلى ويمكن أن تصل هذه الآثار إلى أقصى درجات خطورتها إذا عاد الجيش المهزوم إلى المناطق الآهلة بالسكان

ويزيد الأمر خطورة بصورة كبيرة وجود جماعة الإخوان المسلمين والموقف المضطرب الناشئ عن اغتيال النقراشى

ومن ناحيتى أعلم الرغبة العميقة لحكومة جلالة ملك بريطانيا فى الحفاظ على الاستقرار فى هذا الجزء من العالم .

ويمكن أن تتأثر علاقتنا المستقبلية بمصر إذا وقفنا موقف اللامبالاة حيال غزو خارجى تتعرض له مصر ولم تقدم لها أية مساعدة بينما ترابط قواتنا على أراضيها »

وتقيم الولايات المتحدة الموقف من تل أبيب فتقول :

« تتمثل خطة إسرائيل فى الاغارة على العريش . ومهاجمة رفح لتحييدها ، ثم الانسحاب لفتح الطريق أمام ١٨ ألف مقاتل مصرى متناثرين فى غزة ومحاصرين للخروج ، أو الهرب ، إلى مصر.

وقد اتخذت القاعدة الجوية المصرية فى رفح خلال الشهور الستة الماضية أهبتها لشن هجمات جوية مدمرة وهجمات أخرى ضد إسرائيل » .

أصبح وضع القوات الاسرائيلية عائقا يمنع عودة القوات المصرية إلى بلادها كما تركت رفح معزولة تماما .

أنذرت بريطانيا إسرائيل بالانسحاب وإلا تدخلت القوات البريطانية لطرد إسرائيل تطبيقا لمعاهدة ١٩٣٦ التى تلزم بريطانيا بالدفاع عن مصر فى مواجهة العدوان .

خشيت الولايات المتحدة التدخل العسكرى البريطانى فاجتمع مجلس الأمن فى اليوم نفسه ـ ٢٩ من ديسمبر ـ ليقرر وقف القتال وإعلان الهدنة فى جميع المناطق بفلسطين .

فى اليوم التالى توجه جيمس ماكدونالد ممثل الولايات المتحدة فى تل أبيب إلى دافيد بن جوريون رئيس وزرائها قال :

ـ ستعيد الولايات المتحدة تقييم موقفها إلا إذا أثبتت إسرائيل أنها دولة محبة للسلام .

.. أى تنسحب من الأراضى المصرية .

أبدى بن جوريون دهشته من الرسالة قال :

ـ لم أعتد تسلم رسائل من الولايات المتحدة يمكن أن يكتبها أرنست بيفن !

وسلم ماكدونالد الرسالة نفسها إلى حاييم وايزمان رئيس اسرائيل فبعث ردا إلى ترومان قال فيه :

ـ هذه حرب دفاعية ضد العرب .

أما موسى شيرتوك ـ موسى شاريت ـ وزير خارجية إسرائيل فأمسك بالقلم فى حدة وابيض وجهه وهو يقرأ الرسالة .

ولم تكن الرسالة إنذارا بل كانت توبيخا حذرا من الرئيس الأمريكى .

ولكن إسرائيل لم تنسحب فقامت أربع طائرات بريطانية استطلاع يوم ٤ من يناير ١٩٤٩ فتعرضت لها طائرات إسرائيلية من طراز « مسرشميت » وأسقطتها .. مما يعطى بريطانيا سندا لقتال إسرائيل ، وكانت بريطانيا على وشك التدخل .

... ولكنها لم تفعل !

* * *

قصد الفريق محمد حيدر وزير الحربية إلى إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء يشكو من تدهور الموقف فى فلسطين .

قال رئيس الوزراء :

ـ ماذا تطلب ؟

ـ صلح سياسى . حل سياسى فورا .

وأضاف حيدر :

ـ نريد وقف القتال نريد إيقاف الكارثة . إن الجيش المصرى يتحمل المعركة وحده والضغط واقع عليه .

اتصل إبراهيم عبد الهادى بمستشار السفارة الأمريكية ـ لغياب السفير ـ وقال له :

ـ اسرائيل مدللة . ولاتطلبون الهدنة من الدول العربية إلا حين تكون الحالة محرجة . -

ـ هل تقبلون وقف القتال لو عرضناه ؟

ـ لو عرضتموه جديا بشرط ألا تفاجئنا إسرائيل .

جاء الرد الأمريكى ـ كما يقول إبراهيم عبد الهادى ـ خلال ساعة فاجتمع مجلس الوزراء المصرى يوم ٦ من يناير وقرر الموافقة .

خاف ديفيد بن جوريون من مواجهة بريطانيا .. وقرر مجلس الأمن مرة أخرى ، يوم ٧ من يناير ، وقف إطلاق النار !

* * *

اندر بيفن إسرائيل مرة أخرى ووجهت مصر انذارا ثانيا يوم ١٢ من يناير ١٩٤٩ . بالانسحاب بعد أن توقف القتال .

أسرع يادين إلى تل أبيب يرجو بن جوريون أن يسمح لقواته بالبقاء فى سيناء .

ولكن بن جوريون وجد أن إسرائيل طردت القوات المصرية واحتلت ٦٠٠ ميل من الأراضى الفلسطينية أكثر مما أعطاه لها قرار التقسيم فأصدر قرار الانسحاب خاصة وأنه يخشى انحيازا أمريكيا ضدها أو قيام تحالف انجلو- أمريكى يحقق ذلك .

وكتب بن جوريون إلى وشنطن يؤكد أنه « لايوجد حافر إسرائيلى واحد فوق أرض مصر »

ويكتب جيمس ماكدونالد إلى وزير خارجيته فى واشنطن مطالبا بمزيد من الدعم لاسرائيل . قال :

« لا نرى وجود أى تعارض بين تأييد الولايات المتحدة لقيام فلسطين مستقلة ، قوية وبين كافة المصالح المشروعة لبريطانيا فى مصر » .

انتشرت الاشاعات فى القاهرة حول قرب إعلان الجمهورية فى مصر

قال تشايمان اندروز :

« الفريق عزيز المصرى باشا متورط فى مؤامرة وله صلة باكتشاف كميات كبيرة من المفرقعات

قبض على عزيز المصرى يوم ١٥ من يناير ١٩٤٩

ولايخفى المفتش العام السابق للجيش المصرى ترحيبه بحدوث ثورة ضد الملك والحكومة » .

وتعلق وزارة الخارجية البريطانية على اعتقال عزيز المصرى بأنه ربما يكون قد تمكن من بجمع حفنة قليلة من ضباط الجيش حوله ولكن لايسود الاعتقاد بأنه يحظى بتأييد كاف فى الجيش للقيام بمحاولة خطيرة لقلب نظام الحكم .

ولكن قد يكون فى الجيش آخرون يفكرون فى قلب نظام الحكم ولكنهم أكثر اتباعا من عزيز المصرى » ! !

* * *

قال اللواء حسن طلعت مدير مباحث أمن الدولة إن الاخوان تعجلوا الاستيلاء على السلطة .

وقال الشيخ الباقورى إن القواعد التى وضعها الشيخ البنا تدور فى أقطاب ثلاثة أحدها لايعنى إلا الاستيلاء على الحكم بالقوة القاهرة ، والثورة الظافرة ، التى يخطط لها فلاسفة مؤمنون وينفذها شجعان صادقون .

وبناء على ذلك هناك شعب لها غاية واحدة وكل يعمل فى مجاله غير حريص على الظهور .

شعبة فى الجيش قوامها الضباط والجنود لهم رئيس مسئول عنهم

وشعبة فى الشرطة لهم رئيس مسئول عنهم أيضا .

وشعبة الدعاة القادرين على البحث والدرس

ورؤساء الشعب الثلاثة مسئولون أمام المرشد العام للاخوان المسلمين .

وقال الكاتب السوفييتى « سيرانيان » :

« استعد الاخوان ، تمام الاستعداد للاستيلاء على السلطة » .

وفى كتاب ريتشارد ميتشيل « الاخوان المسلمين » قال : « كانت الجماعة تخطط سرا للقيام بثورة » .

وفى بحث الضابط الكندى هاردى قال إنه وضعت خطة عام ٤٨ لتدبير انقلاب وإعلان البنا خليفة للمسلمين . ومن المؤكد أن هذا الانقلاب نوقش بعد اغتيال النقراشى .

* * *

استقبل الملك ـ يوم ١٩ من يناير ١٩٤٩ ـ اللورد دوجلاس قائد سلاح الطيران البريطانى الذى وصل إلى مصر بدعوة من فاروق .

خرج اللورد من الحضرة الملكية إلى دار السفارة البريطانية لينقل إلى السفير السير رونالد كامبل نص الحديث الملكى كما تقول هذه البرقية التى بعث بها السفير إلى لندن :

« برقية رقم ١٠٦

من السير رونالد كامبل .

بتاريخ ١٩ من يناير ١٩٤٩

١ ـ أبلغنى لورد دوجلاس اليوم فى سريه تامة بالمعلومات التالية التى استقاها من جلالة الملك .

٢ ـ تم اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم فى الفترة بين يومى ١٨ ، ٣١ من يناير تبدأ باغتيال الملك .

وتم إلقاء القبض على عدد من الأشخاص لكن الملك يتوقع أن تستمر محاولات اغتياله .

٣ـ تشير معلوماتنا من مصادر أخرى إلى احتمال انتشار الجماعات المتآمرة بين ضباط الجيش خاصة الذين اشتركوا فى العمليات الفلسطينية والذين تردد ـ بشكل عام ـ أنهم متذمرون للغاية وأنهم يوجهون تذمرهم نحو الملك بشكل خاص .

وألقى القبض على الفريق عزيز المصرى الذى كان ضابطا كبيرا بالجيش .

وعلمنا نبأ اعتقال اثنين من صغار ضباط الجيش وعثر معهما على منشورات سياسية ومتفجرات .

٤ ـ وفى حين أن الملك نفسه لايبدو قلقا . ولايزال يقوم بجولاته فى النوادى الليلية فى القاهرة كالمعتاد . فلا يمكننا تجاهل احتمال حدوث محاولة لاغتياله وإقامة ديكتاتورية عسكرية .

ومن العسير للغاية تقدير احتمالات نجاح ذلك دون معرفة المزيد عما يجرى فى الجيش المصرى حاليا .

ونحن نواصل تحرياتنا وسنبرق بأى جديد يمكننا التوصل إليه » .

* * *

وينقل حديث اللورد دوجلاس إلى السفارة الأمريكية فى القاهرة التى تبرق بدورها إلى واشنطن عن احتمالات قيام الثورة .

قالت برقية فيليب سكرتير هذه السفارة :

« لست متشائما تماما مثل المسئول البريطانى حول احتمالات حدوث « ثورة » فى مصر .

ورغم أن الإمكانات المادية لحدوث ثورة . والتى تنبع من الصراع بين « من

يملكون » و « من لايملكون » هى امكانات قائمة بالتأكيد

وتتزايد حدة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية فى البلاد ولكن العناصر الأساسية فى الموقف ظلت قائمة لفترة من الوقت دون أن يحدث ذلك انفجارا

وإنى أميل إلى الاعتقاد بأنه مالم تتوافر شرارة إشعال . فإن هذا « الديناميت » قد يظل ساكنا لفترة من الزمن

وإذا طرأت عوامل أخرى . فربما لاينفجر أبدا . ويصبح من الممكن تحسن الموقف إلى الدرجة التى يصبح فيها مستقرا نسبيا

ويمكن أن ينتج ذلك عن تسوية قضية فلسطين . التى يبدو أن الرأى العام المصرى قد تعب منها كثيرا . وعن فرصة للمشاركة فى تنمية اقتصادية حقيقية للشرق الأوسط .

أما إذا حدثت ثورة . فالأرجح انها ستكون من نوع الانقلاب . أو النوع الشائع فى أمريكا الجنوبية . أكثر من كونها عملا جماهيريا عريضا

ومالم يتم اغتيال الملك . فإنى اشعر أن الملك يمكن . كحل أخير . أن يدعو الوفد لتشكيل حكومة . قبل أن تحدث الاطاحة الكاملة بالنظام

ومالم نكن مضللين أو مفتقرين إلى المعلومات . فلا يبدو أن هناك كثيرا من « الرجال الأقوياء » فى الأفق فى مصر ممن يمكن أن يستولوا على السلطة نتيجة لتدبير انتفاضة .

وفى اعتقادى أن استيلاء الوفد على السلطة لن يسفر عن أية تغييرات كبيرة جدا فى الهيكل الاقتصادى والاجتماعى . ففى الحكومات السابقة التى سيطر عليها الوفد ، لم يظهر اهتمامًا كبيرًا بالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى ، كما اتسمت حكومته الأخيرة بالفساد .

أما قيام ديكتاتورية عسكرية ، على النحو الذى تشير إليه مؤامرة عزيز المصرى أو الشائعات التى تقول إن حيدر باشا ــ وزير الحربية ــ قد يرغب فى

الاستيلاء على السلطة ، فإنها ستعتمد مثل النظام الحالى على نفس طبقة كبار الملاك والمؤجرين للحصول على تأييد .

وبالمثل ، فإن الاخوان المسلمين ومصر الفتاة يبدوان محافظين من حيث الجوهر إن لم يكونا فاشيين جديدين فى لهجتهما ، فالجماعة الأولى تدعو إلى الجامعة الإسلامية بينما الحزب الأخير متشدد فى طابعه .

واشتراك أى من الجماعتين فى حكم مصر سيسفر عن ميول أكثر يمينية وربما لايحدث تغييرا كبيرا فى الهيكل الاجتماعى والاقتصادى من حيث الجوهر . ولكن حكومة يسيطر عليها الاخوان أو مصر الفتاة ستكون أكثر تشددا تجاه المصالح والرعايا الأجانب إذا حكمنا بمواقف هاتين الجماعتين .

إن كثيرا جدا من زعماء المعارضة الفعليين أو المحتملين يملكون ، أو يسعون لامتلاك نصيب من ثروة البلاد مما لا يرجح حدوث تغيير كبير فى الاستعمار الداخلى لاستغلال الفلاحين الذين يشكلون ٨٠٪ من السكان . والذين يبدو حاليا أن المشاعر الثورية اليمينية واليسارية مفتقدة بينهم .

ومن الممكن أن تكون الحكومة ـ باستمرارها فى التحركات غير الحكيمة مثل عدم توفير المرتبات والمعاملة المناسبة للبوليس ، ورفع رسوم الجمارك على الضروريات ، وعدم تنفيذ اصلاحات كافية لمواجهة مزاعم المنتقدين ـ تسرع بحدوث انتفاضة قد تسيطر عليها عناصر ثورية . فى المرحلة الأولى أو بعد أن تمضى المتاعب قدما .

ولايبدو أن الجماعات الشيوعية مستعدة لمثل هذا الجهد

وفى الوقت الراهن ، على الأقل ، لايبدو أن مصر تحتل موقفا بارزا فى قائمة أولويات الكومنترن .

ومن الناحية الأخرى ، فقد تنجح الحكومة الحالية فى تحطيم الإرهابيين ، بما فيهم الاخوان .

ويبدو أن عبد الهادى باشا يقوم بمهامه بصورة أفضل مما كان متوقعا ، وإذا

اتيحت له الفرصة للاستمرار مع تقلص أهمية قضية فلسطين فى أعين المصريين ، فقد يكون بمقدوره أن يشق طريقه فى جو أهدأ » .

* * *

كان صاحب الجلالة يوم ١٠ من فبراير ١٩٤٩ ـ أى قبل ٢٤ ساعة من عيد مولده ـ شديد الاهتمام بأمر واحد وهو ماتنشره الصحف الأجنبية عنه ، وعن الاخوان المسلمين .

توجه حسن يوسف وكيل الديوان الملكى فى المساء إلى دار السفارة البريطانية ليلتقى بالسفير السير رونالد كامبل ويخرج وكيل الديوان من جيبه ملخصا للصحافة العالمية تذيعه وكالة دى كورس .

قال :

ـ هل يليق أن ينشر فى بريطانيا شىء كهذا عن ملك مصر؟

أجاب السفير :

ـ إنى آسف .

قال حسن يوسف :

ـ ألا يمكن عمل شىء؟

قال السفير :

ـ يبدو أنه لايمكن عمل أى شىء.. انظر مايكتبونه عن الأسرة المالكة عندنا فى بريطانيا .

هدأ حسن يوسف تماما كما قالت برقية السفير ، ولكن صاحب الجلالة ملك مصر لم يهدأ ..

أعاد قراءة المقال الذى يقول :

« مصر فى أزمة »

« اتضح بشكل متزايد ، خلال العامين الماضيين ، لكل المراقبين فى مصر أن أزمة داخلية كبرى توشك أن تنفجر .

وجه النبيل عباس حليم ابن عم الملك الذى سجنه الانجليز اثناء الحرب العالمية الثانية ، وهو الآن زعيم حزب العمال فى البلاد ، تحذيراً للملك وللحكومة فى ١٩٤٦ بأنه مالم تجر اصلاحات جذرية فإن النظام يتهدده السقوط .

لقد اعترفت مصر فى ١٩٤٣ ، تحت ضغط من بريطانيا العظمى ، بالاتحاد السوفييتى للمرة الأولى .

وأدى انشاء بعثة سوفييتية إلى اقتراب مصر خطوة أخرى من يوم الحساب .

بدأت البعثة السوفييتية ذات العدد الكبير من الموظفين ، على الفور ، حملة دعاية ضخمة ، فوزعت منشورات فى المدن ، وأثارت الطلاب وأقامت حفلات شاى لخدم الباشوات .

فقد الملك شعبيته . استفز سلوكه فى حياته العامة والخاصة كثيرا من المسلمين ، ووجدت العناصر المنشقة فرصة مواتية لتصويره كرمز للقهر والانحلال .

وسرعان ماتحطمت الآمال فى استعادة التاج لاحترامه بحملة عسكرية ناجحة ، بعد تراجع الجيش فى النقب بشكل خطير .

وكان فاروق المضلل بشكل يدعو لليأس يظن أن اليهود سيلاقون هزيمة نكراء .

وكان ينوى أن يعلن نفسه وهو على رأس جيشه المنتصر ، خليفة للمسلمين . غير أن المصريين ، لايزالون يتلقون تقارير زائفة ومضللة عن نجاح جيوشهم .

ولن يتيسر الاستمرار فى اخفاء الحقائق الواقعية .

وقد أثبت الارهاب والاغتيال السياسى انهما سلاحان فعالان .

واكتسبت الدهماء ، بالتدريج ، مزيدا من القوة وارتفاع الصوت ، يغذيها السوفييت بالدعاية والذهب .

فجماعة الاخوان المسلمين المتعصبة ، التى تضم نصف مليون عصو ، أكثر نشاطا من أى وقت مضى .

ويصعب أن يتصور المرء كيف ستتجنب الحكومة انفجار أزمة واسعة النطاق .

وعندما تبين حقيقة الموقف العسكرى سينهار النظام .

ولن ينقذه إلا شيء واحد . التدخل البريطانى الحاسم واعادة فرض المشورة البريطانية كشرط للمساندة .

وإذا رفض الملك فاروق شروطا كهذه فقد يقبلها ابن عمه ـ ولى العهد ـ محمد على . بل وقد تكون مقبولة من الوفد .

وعندئذ يمكن تنظيف الإدارة المصرية بالكامل . وإقامة العدالة الاجتماعية والسياسية . بهذه الكيفية فقط يمكن خلق الاستقرار

والبديل هو مصر الشيوعية تحت النفوذ السوفييتى وهو احتمال كئيب حقا بما له من تأثيرات حتمية على شمال أفريقيا كله .

* * *

وأخذ الملك فاروق يفكر فى هؤلاء الاخوان الذين وصلت أعدادهم إلى نصف المليون !

سألت الشيخ عمر التلمسانى :

ـ هل فكر الاخوان فى القيام بثورة فى هذا الوقت ؟

أجاب بالنفى . وقال إن الاخوان لم يفكروا فى عمل عنيف بعد حل جماعتهم . ولم يجتمعوا بأحد من ضباط الجيش لإشعال ثورة .

إن الثورة التى توقعها فاروق تأخرت ثلاث سنوات .. إلى ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ !

* * *

كتب مراسل صحيفة شيكاغو ديلى تريبيون تحت عنوان « فاروق الذى كان فتى عابثا يخشى الاغتيال الآن » قال الصحفى :

« هناك تقارير غير مؤكدة ، وإن كانت واسعة الانتشار ، فى القاهرة ، حول رصاصتين أطلقتا على الملك فى مارس الماضى » .

* * *

أحس البنا بالخطر يقترب . أخذ يتردد على الوزراء فى مكاتبهم ومنازلهم ، فكانوا يتهربون من لقائه .

واتصل صالح حرب باشا رئيس جماعة الشبان المسلمين تليفونيا بمصطفى مرعى وزير الدولة ، بعد ٤٨ ساعة من تشكيل وزارة إبراهيم عبد الهادى قائلا :

ـ الشيخ حسن البنا يريد أن يلتقى بك فى بيتى .

سأله مصطفى مرعى :

ـ لماذا ؟

قال صالح حرب :

ـ لأشياء يريد أن يصارحك بها حين يلقاك .

وافق مصطفى مرعى ـ الذى عهد إليه رئيس الوزراء بالشئون التى ترتبت على حل جماعة الاخوان ـ لإنهاء حالة التوتر بين الحكومة والمرشد العام .

التقى الرجال الثلاثة فبدأ الشيخ البنا الحديث عن اعتقالات الاخوان ، وفصل ، ونقل الموظفين ، والاستيلاء على شركات ، وأموال ، تصادر لمجرد الشبهة فى أن اصحابها من الاخوان .

طلب تحسين حالة المعتقلين والافراج عن غير الخطرين ومساعدة عائلات العمال المعتقلين :

وقال :

ـ بين المقبوض عليهم أشخاص اعتقدوا أن عملهم فيه خدمة للبلاد . والمتهمون فى قضية سيارة الجيب منهم من كان يحارب اليهود ، أو المناصرين لليهود ، وهي حرب فى سبيل الله والوطن .

ورجا أن يعفو رئيس الحكومة عن هؤلاء.

قال مصطفى مرعى :

ـ جماعة الاخوان أصبحت ملاذا للجرائم والمجرمين. وقد اهتز الأمن فى البلاد . وكان من الواجب حل الجماعة .

ومنذ قتل المستشار أحمد الخازندار وكل حادث أرجعه لها .

قال الشيخ :

ـ إن الذين أجرموا فعلوا ذلك من غير إرادتى . وقد فكرت فى حل الجماعة ولكن شق علىّ أن أهدم بناء أقمته فى عشرين عاما .

وأضاف :

ـ هل أفلت الزمام من يدى .. أم أنا مضلل ؟

قال مصطفى مرعى :

ـ لتذع بيانا يتضمن هذه المعانى .

وأخذ يملى على الشيخ ما يجب أن يتضمنه البيان .

وافق الشيخ البنا .

جاء فى اليوم التالى ومعه البيان فوجده مصطفى مرعى غير ما أراد .

طلب أن يبرأ الشيخ البنا من قاتل النقراشى وممن دبروا ونفذوا الجريمة .

وتم تعديل البيان بالاتفاق بين الوزير والمرشد العام .

قال الشيخ البنا معزيا نفسه :

ـ إذا كان ذلك ثمن إعادة الاخوان والتفاهم مع الحكومة . فما المانع ؟

عرض مصطفى مرعى البيان على إبراهيم عبد الهادى قائلا :

ـ هذا كل ما استطعت الحصول عليه من الشيخ .

* * *

نشرت صحف مصر صباح يوم ١١ من يناير نداء المرشد العام تحت عنوان « بيان للناس » قال البيان :

« وقعت أحداث نسبت إلى بعض من دخلوا هذه الجماعة دون أن يتشربوا روحها .

وتلا هذا الحادث المروع اغتيال دولة رئيس الحكومة محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته . وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها ، وقائدا من قادة حركتها ، ومثلا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل ابنائها . ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهاده وخلقه .

ولما كانت طبيعة دعوة الإسلام تتنافى مع العنف بل تنكره . وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها ، وتسخط على من يرتكبها .

فنحن نبرأ إلى الله من الجرائم ومتركبيها .

ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة من أدق مراحل حياتها . مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار ـ وكان جلالة الملك المعظم ، حفظه الله ، قد تفضل فوجه الحكومة القائمة ـ وفيها هذه الخلاصة من رجالات مصر ـ هذه الوجهة الصالحة ، وجهة العمل على جمع كلمة الأمة ، وضم صفوفها . وتوجيه جهودها وكفاياتها مجتمعة لاموزعة إلى مافيه خيرها وإصلاح أمرها فى الداخل والخارج .

وقد أخذت الحكومة تعمل من أول لحظة على تحقيق هذا التوجيه الكريم فى اخلاص ودأب وصدق .

كل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد . ونستنفد كل وسع فى أن نعين الحكومة فى مهمتها ، ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعبئها الثقيل ، ولايتسنى لها ذلك بحق إلا إذا وثقت تماما من استتباب الأمن واستقرار النظام وهو واجب كل مواطن فى الظروف العادية فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التى لايستفيد فيها من بلبلة الخواطر وتصادم القوى وتشعب الجهود إلا خصوم الوطن وأعداء نهضته .

.. لهذا أناشد اخوانى . لله وللمصلحة العامة . أن يكون كل منهم عونا على تحقيق هذا المعنى وأن ينصرفوا إلى أعمالهم ، ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عليهم .

والله اسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم ويكلأه بعين رعايته ويثبت خطى البلاد حكومة وشعبا فى عهده الموفق إلى مافيه الخير والفلاح آمين » .

وفى رأى عمر التلمسانى المرشد الجديد للاخوان أن « البيان تم تحت ضغط . وللتساهل مع الاخوان حتى لايعذبوا فى المعتقلات » .

* * *

علق تشابمان اندرور الوزير البريطانى المفوض على هذا البيان فأبرق إلى لندن قائلا :

« تبدو لهجة التصالح للبيان الذى نشر على نطاق واسع فى الصحافة المحلية واضحة ، فى كل من الاشارة إلى النقراشى باشا الراحل وفى الحث على القيام بكل ماهو ممكن لمساعدة الحكومة بالمحافظة على النظام والأمن .

وحسن البنا أساسا انتهازى ، وربما يكون غرضه تحذير السلطات ، بشعور من الأمن المزيف ، على أمل أن تتراخى تدريجيا جهودها للقضاء على الاخوان » .

أما جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى فقال :

« حظى البيان باهتمام قليل على المستوى المحلى . وقد نشأ عن رغبة حسن البنا لاسترداد موقعه الذى اهتز أمام الرأى العام ورغبته الواضحة فى إعادة الجماعة .

ولكن نظرا لتوتر الأمن فليس من المحتمل أن تحقق الحكومة رغبته » .

قال إبراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء لتشابمان اندروز :

ـ الانطباع الذى أخذته من بيان حسن البنا أنه بدأ يتراجع أمام تصرف الحكومة .

وأضاف :

ـ إنى واثق من الحصول على أفضل مالدى الاخوان ، ولكنى مستعد للقضاء عليهم .

لقد اعتقلت الحكومة خمسة من أكثر الأعضاء خطورة وتطرفا وأحدهم فى الإسماعيلية كان يختبئ بمستشفى لفترة من الوقت . وعثر فى منزله على كمية كبيرة من المتفجرات والأسلحة .

وقال إن مائة آخرين من أعضاء الاخوان البارزين ألقى القبض عليهم .

ولكن فاروق يجد أنه يجب ألا يتأخر عن القيام بعمل حاسم يعتقد أنه ينقذ العرش .. وهذا العمل ـ فى رأيه ـ ضد الاخوان المسلمين .

وقالت السفارة البريطانية :

« يمكن لجماعة الاخوان أن تنهار إلى الأبد ، إذا أزيح حسن البنا عن قيادتها لأى سبب ، مع غياب أى خليفة له نفس القدر من الشخصية القيادية والذكاء اللذين يتمتع بهما حسن البنا » !

وهذه البرقية تعنى بوضوح : أنه إذا أختفى حسن البنا .. تلاشت الجماعة .. وبذلك يصبح حسن البنا .. هو الهدف !

عصفور فى قفص !

جرت عدة محاولات لاغتيال الشيخ البنا .

كانت المؤامرة الأولى يوم ٢٢ من أغسطس عام ١٩٤٧ حين كان النقراشى باشا فى مجلس الأمن يعرض قضية مصر .

أرادت جماعة الاخوان المسلمين أن تظهر رغبة الشعب فى تأييد النقراشى ، والمطالبة بجلاء الانجليز عن وادى النيل .

سمحت السلطات المختصة لحسن البنا وجماعته بالقيام بمظاهرة سلمية بدأت من الجامع الأزهر عقب صلاة الجمعة ، واخترقت الشوارع منادية باسم مصر مؤيدة حقها .

ولم تكد المظاهرة السلمية تصل إلى ميدان العتبة الخضراء وفى مقدمتها سيارة تحمل الشيخ البنا وبعض الأعضاء حتى انطلقت الأعيرة النارية من كل صوب .

نزل الشيخ ليستطلع الحادث فإذا بعيار نارى يطلق عليه وتستقر رصاصة فى ساعده .

اقتيد البنا عقب إصابته إلى قسم الموسكى فاعتدى رجال الشرطة على أتباعه . ودارت معركة بينه وبين ضابط بوليس هدده بمسدس وسدد فوهته إلى صدره .

هجم عليه الشيخ البنا وأمسك بالمسدس من يده ، وأصيب زوج شقيقته عبد الكريم منصور باصابات نقل على إثرها إلى مستشفى قصر العينى وانتهى الحادث بالحفظ .

* * *

وقف المرشد العام يتحدث فى الشركة العربية للمناجم والمحاجر لتوديع كتيبة من الاخوان قبل سفرها إلى فلسطين .

ولكن وقع انفجار فى المكان الذى كان مقررا أن يتحدث منه الشيخ البنا قبل وصوله بدقائق .

تبين أن قنبلة زمنية وضعت فى هذا المكان .

* * *

توجه حسن البنا إلى مطار القاهرة للحج فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٤٨ ومعه « جواز » سفر ، يبيح له السفر إلى جميع أنحاء العالم .. وعلى الجواز أيضا « تأشيرة » تسمح له بأن يستقل طائرة شركة « سعيدة » .

ولكن العقيد حسن فهمى مفتش الجوازات سحب منه الجواز ، وألغى جميع الدول المصرح له بالسفر إليها واكتفى منها بالمملكة العربية السعودية .

وقال إنه فعل ذلك بناء على تعليمات من عمر حسن ـ مدير القسم المخصوص ـ مباحث أمن الدولة .

وسافر المرشد العام إلى المملكة العربية السعودية فأبرقت وزارة الداخلية إلى القنصل المصرى فى جدة بعدم السماح للبنا بالسفر إلى أية دولة عربية أخرى .

قال عبد القادر عوده وكيل جماعة الاخوان « لم تستطع الحكومة منع البنا من السفر لأداء فريضة الحج وإلا قيل إنها صدته عن سبيل الله ، والبيت الحرام ، ومن يفعل ذلك يعد كافرا » .

ومن ناحية أخرى ـ كما قال اليوزباشى عبد الباسط البنا شقيق المرشد ـ فإن الحكومة المصرية أعدت العدة لقتله فى السعودية على أن تنسب الجريمة إلى بعض اليمنيين !

وكان أمير الحج المصرى حامد جوده ـ رئيس مجلس النواب الذى ينتمى إلى الحزب السعدى ـ قد صحب معه بعض الأشخاص الخطرين . ولكن الحكومة

السعودية استشعرت ذلك فأنزلت المرشد العام ضيفا عليها وأحاطت مقره بحراسة شديدة وقدمت إليه سيارة خاصة بها جندى مسلح لمنع الاعتداء عليه .

عاد حسن البنا فى ٢٨ من نوفمبر ١٩٤٨ .

وتقرر حل الجماعة فى ٨ من ديسمبر. وصدرت الأوامر إلى قوات الشرطة بالاستيلاء على شعب الاخوان فى مختلف المناطق .

واعتقل أعضاء مكتب الارشاد وكثير من الاخوان وبقى مؤسس الجماعة ورئيسها ومرشدها العام وحده لم يعتقل .

رأى اللواء أحمد عبد الهادى حكمدار شرطة القاهرة واللواء صلاح مرتجى وكيل الأمن العام عدم اعتقال المرشد العام لأن اعتقاله قد يحدث ثورة وضجة كما أن وجوده خارج المعتقل يعطى فرصة للتفاهم معه ، ويكون الرجل طعما للقبض على من يتصل به من الاخوان !

أبلغ هذا الرأى للنقراشى باشا فوافق عليه .

قال أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة إن الحكومة لم تعتقل الشيخ البنا إما لأنها لم تجد برهانا ضده أو لأنها أرادت قتله .

سأل تشابمان اندروز الوزير البريطانى المفوض وكيل الديوان الملكى حسن يوسف بك عن أسباب عدم اعتقال المرشد العام .

أجاب حسن يوسف :

ـ لم تعثر الشرطة على وثائق ، أو مواد ، تدينه عند تفتيش منزله . ولابد أنه كان حريصا على تدمير أى دليل يثبت تورطه فى أعمال إجرامية ارتكبها أتباعه ، مما جعل الشرطة لاتستطيع اتخاذ إجراء ضده .

وأضاف :

ـ لايوجد سبب للقبض عليه فى الوقت الحاضر.

قال تشابمان أندروز ، ومحضر الاجتماع يصف ذلك :

ـ وإذا ارتكب عملا خاطئا ؟

أجاب حسن يوسف :

ـ سيتعرض للاعتقال فإن الحكومة لم تعد تخشى بأسه .

وكان حسن يوسف يتحدث بثقة مما جعل « اندروز » يبرق إلى لندن قائلا :

« **لابد أن وكيل الديوان يتكلم بلسان الملك فاروق** » .

وأكد حسن يوسف للوزير المفوض أن البنا توسل إلى السلطات لاعتقاله .

وكتب حسن البنا للحكومة :

« انكم تقتلوننى بعدم اعتقالى » !

قال محمد إبراهيم إمام مدير البوليس الخصوصى ـ القلم السياسى ومباحث أمن الدولة ـ للماجور سانسوم ضابط أمن السفارة البريطانية :

ـ تلقيت أوامر بعدم القبض على حسن البنا أو اعتقاله فلن يجرؤ قاض على إصدار حكم ضده بعد اغتيال المستشار الخازندار .

* * *

ضاعفت الحكومة إجراءاتها المتشددة .

راحت تقبض كل يوم على مئات لأتفه الأسباب .. قصاصة ورق ، نسخة من عدد قديم من جريدة أو مجلة الاخوان ، بطاقة من حسن البنا .

واعتقل معظم من يمتون إليه بصلة : اشقاؤه ومنهم جمال البنا الذى يعرف القسم السياسى أنه ليس من الاخوان ... وأصهار الشيخ وبقى زوج شقيقته عبد الكريم منصور ـ المحامى ـ لأنه اختفى فترة ثم عاد إلى الظهور .

ولم يعد للشيخ حارس سوى شقيقه ضابط الشرطة اليوزباشى عبد الباسط ، الذى يمشى مسلحا فى ركاب أخيه . فلما عثر مع عبد الباسط على مسدس أخذوه منه وقبضوا عليه فى ١٣ من يناير .

وكان قد رخص للشيخ البنا بحمل مسدس بصفته رئيسا لإحدى الهيئات فتقدم يوم ٥ من يناير ـ بطلب لتجديد الترخيص . ظلت السلطات مترددة فى الأمر وأخيرا قررت ـ فى ٣٠ من يناير ـ رفض الطلب .

كتب اللواء أحمد طلعت وكيل الحكمدار والمشرف على القسم السياسى على طلب التجديد يقول « المذكور هو مرشد جماعة الاخوان المنحلة » ! وعلى ذلك سحب المسدس من الشيخ .

وقال حكمدار شرطة القاهرة مدافعا عن هذا القرار : إن الشيخ لا يستطيع استعمال المسدس !

* * *

لم يجد الشيخ حلا إلا أن يكتب خطابا إلى فؤاد شيرين محافظ القاهرة يقول فيه :

« أشعر أنى مهدد بالقتل . وأرجو تعيين جندى مسلح لحراستى على نفقتى الخاصة » .

... مضت أيام دون أن يفوز برد .

وتوجه الشيخ إلى مجلس الدولة يوم ٩ من فبراير لحضور الدعوى التى أقامها ضد الحكومة لحل الجمعية ففتشه أحد رجال الشرطة تفتيشا دقيقا ، وكذلك صهره عبد الكريم منصور للتأكد من أنهما لايحملان مسدسات !

وكانت للبنا سيارة قديمة اشتراها بأقساط شهرية من مرتبه يستعملها فى تنقلاته . وهذه السيارة لاصلة لها إطلاقا بأموال الاخوان المسلمين . ولا علاقة لها بشركات الجماعة ، فلما حلت الجماعة سحبت وزارة الداخلية هذه السيارة ضمن ممتلكات الاخوان المصادرة !

أخذ سيارة عبد الحكيم عابدين سكرتير عام الجماعة ـ وهى سيارة خاصة ليست ملكا للجماعة ـ ولكن الشيخ البنا لم يجدها أمام البيت فذهب إلى قسم الشرطة يبلغ عن سرقتها فقيل له :

ـ الحكومة صادرت السيارة !

أصبح البنا بلا حارس ، أو مسدس ، أو سيارة .. لايستطيع الانتقال إلا بوسائل النقل العام أو فى سيارة تاكسى . وبقى التليفون يتصل ، من خلاله ، بالمسئولين الوسطاء يحاول الإفراج عن بعض الاخوان المعتقلين وتخفيف التعذيب عن البعض الآخر .

فوجئ ذات يوم بأن التليفون فقد الحرارة بأمر وزارة الداخلية .

وقطع عن بيت المرشد الخط الفرعى الذى يتصل بمقر الجماعة لأن المركز العام مغلق طبقا لقرار الحل .

أحس بالحصار يضيق حوله وأنه يكاد يكون سجينا لا يرور ولايزار فطلب اعتقاله وقال إنه لايوجد مبرر واحد لبقائه حرا . ولكن المسئولين قالوا :

ـ لاخطر من حسن البنا بعد قص أجنحته !

* * *

أخذ البنا يتردد على مكتب فتحى رضوان بعد حل الجماعة .

وكان يوافيه عدد قليل جدا من الاخوان يحيونه ، ويتحدثون إليه لحظات سريعة فإن الاعتقال كان يطارد الجميع .

وصف فتحى رضوان الأيام التالية لحل الجماعة . قال :

«كان وصول المرشد العام إلى مكتبى ـ بشارع الساحة ـ مثيرا للاهتمام مستوقفا للمارة فى الطريق ، وللجيران فى العمارة .

خصصت وزارة الداخلية لمراقبته ، عددا من الدراجات البخارية ، يركبها عدد من رجال الشرطة المسلحين ، تتبعهم سيارة مشحونة بعدد آخر من جنود الأمن الذين لايقنعون بحمل المسدسات ، بل يضعون بين سيقانهم ، عددا من البنادق الآلية ، ويهبط من سيارته على عادته سريعا نشطا ، يتبعه بعض أفراد حرسه» .

استمرت رقابة الشرطة على الشيخ فوجدوه يصلى الفجر فى جامع قيسون فقرروا اغتياله بعد الصلاة ، ولكن المرشد امتنع عن الصلاة فى المسجد بناء على نصائح الأسرة والأصدقاء وأخذ يؤدى الصلاة فى بيته !

وكان الجنود والمخبرون يقبضون على من يمرون أمام بيته أو يزورونه ويقودونهم إلى قسم الشرطة لسؤالهم ويفرج عن البعض ويعتقل كثيرون . وفى بعض الاحيان كان يؤدى صلاة الجمعة فى بيته .

وكلف أحد الكونستبلات بمراقبة الشيخ بتعقبه بموتوسيكل حينا ، وفى سيارة أحيانا ، فلما ضاق المرشد بهذه الرقابة اتصل باللواء أحمد عبد الهادى حكمدار شرطة القاهرة وطلب منه رفعها فوافق الحكمدار .. كما قال !

ولكن الحقيقة أن مخبرا اسمه عبد المنعم إبراهيم ظل يراقب الشيخ ، حتى اليوم السابق للجريمة بناء على تعليمات الرائد محمد على صالح ضابط البوليس السياسى ، وبذلك بقى المرشد العام موضع المراقبة الدقيقة ، تحت عين وزارة الداخلية تحصى عليه كل تحركاته .

واعترف مخبر اسمه أنور على أحمد أنه اشتغل بمراقبة المرشد العام حتى الثالثة بعد ظهر يوم ١٢ من فبراير لمراقبة حركاته وسكناته ، ومعرفة اتصالاته من ناحية ، ومنع هربه من ناحية أخرى فلا يفلت من أيدى رجال الشرطة .

ولم يقل المخبر إن الهدف بقاء المرشد فى قبضة رجال الشرطة حتى الوقت المحدد .. الذى تتيحه الفرصة لاغتياله .

* * *

أراد حسن البنا أن يسافر للاقامة فى عزبة الشيخ عبد الله النبراوى بدائرة مركز قليوب ولكنه خشى أن يؤدى ذلك إلى متاعب للشيخ النبراوى وأسرته. فأرسل إلى محافظ القاهرة فؤاد شيرين يستأذنه فى السفر.

استأذن المحافظ رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى الذى طلب منه عدم الرد .

وعلق رئيس الوزراء ـ شفاهة على طلب المحافظ قائلا إنه ـ أى المحافظ ـ من الاخوان المسلمين !

وفى اليوم التالى لوصول خطاب البنا إلى محافظ القاهرة ـ ١٠ من فبراير ـ أعتقل النبراوى ومعظم أفراد أسرته وهو شيخ تجاوز الثمانين ومصاب بشلل نصفى .. وفتشت قريته بحثا عن أسلحة .

سافر صالح حرب إلى أسوان وأراد الشيخ البنا الذهاب إليه فى أسوان . ولكن الحكومة رفضت ذلك كما منعته من السفر إلى الخارج .

رأى فتحى رضوان المرشد العام فى مأزق يتعذب ولايدرى ماذا يفعل . قال له :

ـ ياسيدى أرجو أن تصدقنى إذا قلت لك ، إن الحكومة والملك ، لايطيقان مجرد وجودك ووجود جماعتك فى الدنيا .

نظر البنا إلى فتحى رضوان ، وفى عينيه مزيج من العتاب ، ومن الاحساس بالألم ، ومن الشعور بخيبة الأمل ، ثم قال بعد فترة صمت :

ـ إذن مالعمل ؟ هل أسلم بالأمر الواقع ، وأرتضيه ؟ هل أترك الاخوان فى الحال الذى وصلوا إليه وأتفرج عليهم ، ليتهم يعتقلوننى ويريحوننى .

رأى فتحى رضوان نفسه مضطرا لمصارحة المرشد العام بما يشعر به . قال :

ـ أرى رأى العين ما يدبر لك فهم لا يتركونك احتراما لك . وإنما لتتاح لهم فرصة اقتناصك وربما ليصدر عنك عمل . يبرر التخلص منك . أو ليلقوا تبعته عليك .

ما كاد فتحى رضوان يفرغ من هذا الكلام حتى شعر بالندم الشديد ، لأنه لايعدو أن يكون إنذارا بالموت .

لم يغضب البنا . ولم يفزع . بل اكتفى بقوله :

ـ حسبي الله ونعم الوكيل

وسأل فتحي رصوان :

ـ بماذا تنصحني ؟

قال :

ـ لاتترك منزلك ، أو مكانا يمكنك أن تأوى إليه فلا تخرج منه أبدا ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، وقد يبدل الله الحال ..

قال المرشد وكأنه يخاطب نفسه :

ـ وهل ينجى هذا الحذر من القدر ؟

أجاب فتحي رضوان على الفور ·

ـ مطلقا .

قال :

ـ إذن مالفائدة من .

قاطعه فتحي رضوان قائلا :

ـ الفائدة فى ألا تشغل نفسك بما لا نفع فيه ولا جدوى منه وألا تستمع لرسل السلطة الذين يعبثون بنا .

رد المرشد العام وكأنه يحدث نفسه :

ـ ربما كان هذا صحيحا .

* * *

تذكر عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية أنه أثناء عمله مديرا ـ محافظا ـ لجرجا ـ سوهاج الآن ـ كان يعمل معه حكمدار للشرطة اسمه محمود عبد المجيد جمع بينهما الميل للخروج على القانون لأن الحكمدار لا يتورع عن معالجة الجريمة .. بالجريمة !

كان يضرب على « العروسة » ـ علانية ـ المتهمين للاعتراف .

و ... يقتل المجرمين أو ذوى الشبهة ..

وقال احصاء أنه بين ١٨ متهما فى جرجا كلف الحكمدار بضبطهم قتل ١٥ منهم .

و ... يضع المتهمين فى عربات الكلاب تمر بهم فى شوارع عاصمة المحافظة ، والمدينة ، أو القرية ، التى ارتكبوا فيها جرائم ، أو اتهموا بارتكابها ، ليقذفهم الناس وأتباع الحكمدار بالقاذورات والشتائم ، ثم يقادون بعد ذلك إلى السجن .

و ... يضع جثث المتهمين عراة على عربات كارو تدور فى الشوارع وخلفها جنود شرطة ينادون :

ـ الرطل .. بمليم !

وكان يتصور أن وضع اليد على الخارجين على القانون هدف سام يجوز فى سبيل تحقيقه كل مخالفة للقانون .

وصفه صابر طنطاوى مدير الأمن العام بأنه رجل بلاضمير .. ولايخاف الله !

* * *

استدعى عمار حكمدار شرطة جرجا العقيد محمود عبد المجيد ـ ٥٥ سنة ـ وعينه مديرا لادارة المباحث الجنائية بوزارة الداخلية فى أول أغسطس ١٩٤٨ .

أصبح البرنامج اليومى لمحمود عبد المجيد المرور صباحا على منزل عبد الرحمن عمار ، وكيل وزارة الداخلية ، للاتفاق معه على نظام العمل ثم يتوجه بعد ذلك إلى وزارة الداخلية .

وعند الظهر يتناول الغداء فى مطعم بدعوة من بعض أعيان جرجا والوجه القبلى بصفة عامة .

وبعد العصر يجلس مع « الأعيان » فى مقهى « لونابارك » أو « الفيشاوى » .

وبعد المغرب جلسة أخرى مع هؤلاء فى فندق « إيدن » أو مع الصاغ توفيق السعيد . والعقيد محمد إبراهيم إمام من رجال القسم السياسى « مباحث أمن الدولة » .

وبعد اغتيال النقراشى داخل وزارة الداخلية أتخذت احتياطات شديدة للحراسة ووضعت نظم دقيقة لدخول دار الوزارة .. وكلف بالحراسة العقيد محمود عبد المجيد الذى تضخم نفوذه . ومنح صلاحيات واسعة .

تحرك محمود عبد المجيد بعد ثلاثة أيام من اغتيال النقراشى ليملأ الإدارة بضباط وجنود الشرطة الذين عملوا معه فى سوهاج .

ندب اليوزباشى عبده ارمانيوس من الجيزة إلى إدارة المباحث الجنائية فى أول يناير ١٩٤٩ .

ونقل من جرجا أيضا البكباشى أمين حلمى والرائد حسين كامل .

وفى اليوم التالى ـ ٢ من يناير ـ قرر نقل مخبر الشرطة الأمباشى أحمد حسين جاد ـ ٤٢ سنة ـ من مباحث جرجا إلى الإدارة على أن ينفذ النقل خلال ٢٤ ساعة .

وفى ٨ من يناير منح صاحب الجلالة العقيد محمود عبد المجيد نوط الواجب الذهبى مكافأة على الجهود التى قام بها .. ولتشجيعه على القيام بأعمال أخرى !

وفى ٢١ من يناير نقل من جرجا أيضا المخبر حسين محمدين رضوان ووكيل الباشجاويش محمد سعيد إسماعيل .

قال محمود عبد المجيد مبررا قراره ـ فيما بعد ـ بأن ذلك تم على أساس الاختبار الشخصى فقد اتصل بالمخبرين فى العمل ويقدر كفايتهم .

والجدير بالذكر أنه لم يسبق قبل ذلك . وبعده . أن ندب مخبر من إحدى المديريات ـ المحافظات ـ للعمل بالقاهرة عدا هؤلاء الثلاثة !

وكان ندب المخبرين فريدا من نوعه أيضا من حيث الطريقة التى اتبعت فى

اصدار الأمر به ، والحيطة التى اتخذت لتجنب إيجاد مكاتبات رسمية مثبتة لذلك الأمر . فقد استدعى العقيد محمود عبد المجيد المخبرين بأوامر شفوية أصدرها إلى رؤسائهم المحليين !

ولاحظ الصول محمد البهى شرف ـ المكلف بمراقبة حضور المخبرين فى الدفاتر وتوزيع الخدمات عليهم ـ وجود المخبرين الثلاثة فى « بوفيه » منعزل قليلا عن مبنى الوزارة ..

ولاحظ أيضا تردد الثلاثة على مكتب الرائد حسين كامل ـ بادارة المباحث الجنائية ـ ولما سأل عنهم قيل له إن العميد محمود عبد المجيد أحضرهم من سوهاج فقام باثبات حضورهم فى دفتر الإدارة .

ولما عرف محمود عبد المجيد قرر نقل محمد البهى إلى المنوفية يوم ٢٦ من يناير ونفذ النقل فى اليوم ذاته .

وأخذ محمود عبد المجيد يردد حينا أنهم جاءوا للبحث عن أشقياء جرجا الفارين من وجه العدالة ويقول حينا آخر ، أنهم يقومون بحماية عبد الرحمن عمار من أشقياء جرجا الهاربين إلى القاهرة .

ونفى عمار أنهم قاموا بحراسته .

وثبت من التحقيقات أنهم لم يقبضوا ، منذ نقلهم إلى القاهرة ، على شقى واحد من جرجا .

* * *

استمرت محاولات اغتيال المرشد العام بعد نقل « عصابة جرجا » !

تقرر أن يتوجه إلى منزله بعد منتصف الليل الضابطان اليوزباشى عبده ارمانيوس والرائد حسين كامل لابلاغه أن النيابة أمرت باعتقاله ثم يقومان بدفنه فى حفرة أعدت فى الهرم عند طريق الفيوم . ولكن اللواء أحمد طلعت رفض الموافقة على تنفيذ هذه الخطة .

ووقف الامباشى أحمد حسين جاد أمام بيت المرشد فى الحلمية لاغتياله، ولكن الخفير الخاص للشيخ البنا اشتبه فى أمره فأمسك به واقتاده إلىٰ قسم الدرب الأحمر. وهناك أبرز بطاقة الشرطة للمأمور فقال للخفير:

ـ هذا تاجر مواشئ ولا علاقة له بشىء !

وأفرج عنه.

وجلس أحمد حسين جاد فى سيارة المقدم محمد وصفى قائد حرس الوزارات فى شارع الملكة عندما مر المرشد مع مصطفى مرعى. وكان مقررا أن يطلق أحمد حسين الرصاص على الشيخ البنا ثم يفر فى سيارة محمد وصفى وكان المقدم عبد الرءوف عاصم واليوزباشى مصطفى علوان مستعدين للتدخل عند الضرورة.

ولكن الرائد حسين كامل صرخ فى أحمد حسين قائلا:

ـ امنع يدك.

فقد خشى أن يجتمع الناس للقبض على القاتل

* * *

قال شمس الدين الشناوى المحامى للشيخ البنا:

ـ إن بعض شباب السعديين وعلى رأسهم فتحى عمر وكامل الدماطى اجتمعوا فى ناديهم وأقسموا على اغتيالك ثأرا للنقراشى أريدك أن تحتاط.

قال المرشد العام:

ـ لقد منعونى حتى من السفر إلى الخارج.

فى كتابه «كنت جاسوسا على الجواسيس» قال الماجور سانسوم ضابط أمن السفارة البريطانية:

« قرر رجال البلاط الملكى والحكومة اغتيال البنا بعد مصرع النقراشى.

ولم يكن هذا قرارا جديدا. لقد فكروا فيه منذ تبين لهم استحالة اتخاذ إجراء قضائى ضد المرشد العام

وكانت هنالك اعتراضات على قرار اغتيال الشيخ البنا فربما يكون ميتا ـ كشهيد ـ أخطر منه حيا . ولكن بعد مقتل النقراشى رئى اتخاذ هذه المخاطرة

والأرجح أن القرار اتخذ فى القصر لا فى الحكومة

وكان الجزء الصعب من المهمة اقناع الرأى العام بأن الحكومة بريئة وأن حسن البنا لايستحق أن يكون شهيدا .

وقد بدأت الشائعات ضد المرشد العام قبل مصرعه فقيل إنه تلقى تهديدا بالقتل إذا افشى سر قاتل النقراشي للسلطات الحكومية » .

ويلتقى البنا يوم ١٠ من فبراير بالدكتور عزيز فهمى لمراجعة بعض قضايا الاخوان .

سأله الدكتور عزيز :

ـ هل معك سلاح ؟

أجاب :

ـ السلاح أخذوه .. والأخ سجنوه !

* * *

وهكذا أصبح البنا ينتظر الموت. جردته الدولة من سلاحه الذى كان مرخصا له بحمله . وحرمته من الحراسة التى كانت مضروبة عليه فأصبح هدفا يؤمن الوصول إليه . فإن جمعية الشبان المسلمين هى المكان الوحيد الذى يدخله إذا غادر بيته .

وفى أيامه الأخيرة التقى المرشد العام بدار الشبان المسلمين بالمستشار حسن الهضيبى الذى أختير بعد ذلك مرشدا عاما للجماعة .

وكان الشيخ البنا يحس بأنه سيموت .. وعلى باب الجمعية أيضا .

حاول محمد الليثى أن يودعه عند الباب وهو ينتظر سيارة تاكسى تقله إلى بيته فقال له المرشد :

ـ أنت ذنبك إيه .. عندك أولاد ومتزوج .. ادخل يابنى .

وكان الليثى أبا لثلاثة أطفال .

وقبل أربعة أيام من وفاته جلس المرشد العام فى جمعية الشبان المسلمين فالتقى بالشيخ محمد صبرى عابدين أمين سر الهيئة العربية العليا لانقاذ فلسطين . سأله :

ـ مارأيك فى هذه الحال . وماذا تقترح أن أعمل لتفادى هذه المصائب .

قال محمد صبرى عابدين :

ـ الدعوة فى محنة واختبار وليس لك إلا أن تعتصم بالصبر حتى يأذن الله بالفرج .

وأقترح أن تعتكف فى منزلك أو فى أى مكان آخر .

ومن المؤكد أن المرشد العام كان يعانى أقوى محنة مرت به خلال ٢١ سنة كانت الجماهير حوله ، والقصر ورجال السياسة يتملقونه أو يعارضونه .

وكان يرى مليونى نسمة من الجماعة ، بعضهم يضمه الجهاز السرى ، والجميع مستعدون لافتدائه بأرواحهم .

ولكن أين هؤلاء الآن ..

لقد آمن بأن الدعوة ستمر بمراحل ثلاث : جيل يستمع ، وجيل يحارب ثم جيل ينتصر .

لقد اختفى المستمعون والمحاربون ولا تبدو علامات ظهور الجيل الذى سينتصر !

* * *

وصف عبد القادر عودة ، الذى أصبح فيما بعد ، وكيلا للجماعة ، المرشد العام فى تلك الأيام فقال :

ـ صار الشيخ البنا عصفورا فى قفص !

الشــهيد

فتح بيان الشيخ البنا بابا إلى حسن التفاهم بين المرشد العام ورئيس الحكومة فأوقف مصطفى مرعى بيع منقولات شعب الجماعة بالمزاد . ولكنه رأى استمرار اعتقال الاخوان بعض الوقت .

وطلب من الشيخ البنا أسماء الأعضاء الخطرين ومكان الأسلحة ومحطة الاذاعة السرية .

ويلتقى الرجلان مرة أخرى وكان الحديث بينهما فى اتجاهين متوازيين لايلتقيان .

قال الشيخ البنا :

ـ الاعتقالات مستمرة بإسراف . وأريد الافراج عن بعض المعتقلين لأعرف منهم الخطرين وأماكن السلاح .

وعد مصطفى مرعى ببحث طلبات الافراج .

ولكن ..

قرر عبد الرحمن السندى ـ أثناء وجوده فى السجن ـ أن يقوم الجهاز الخاص بإحراق المستندات التى ضبطت فى سيارة الجيب .

علم المرشد العام بذلك فكلف صلاح شادى بابلاغ سيد فايز ـ الذى أصبح قائدا مؤقتا للجهاز ـ عدم القيام بهذه العملية ، ولكن السندى رفض تنفيذ أمر المرشد .

سلم سيد فايز أحد السعاة قنبلة لوضعها داخل محكمة الاستئناف يوم ١٣ من يناير ١٩٤٩ .

ضبطت القنبلة وانفجرت خارج المحكمة وأصيب ٢٥ .

قال أسعد محمود نائب رئيس محكمة النقض وكان وكيلا للنائب العام فى تلك الأيام إن الدكتور جمال عطية كان كاتبا فى النيابة ـ وهو من الجماعة ـ معه أوراق قضية السيارة الجيب ولكنه لم يسلمها للجماعة أو يتلف ورقة فيها حفاظا على سرية العمل .. وقد قبض عليه بعد ذلك فى قضايا الاخوان !

وقال الباقورى : « هذه المحاولة الحمقاء كانت سبب حرج شديد أخذ على المرشد العام منافذ الفكر . وجعل الدنيا على سعتها أضيق فى عينيه من سم الخياط » !

أعلن المرشد أن مسئولية حادث المحكمة تقع على عاتق من قاموا به وليس على عاتق الجماعة .

وقال المسئولون فى الجماعة إن المرشد فقد كل سلطان له على قيادة النظام الخاص .

قال الشيخ عمر التلمسانى :

«كان السندى يتصرف فى بعض الأحيان تصرفات لايقرها الأستاذ البنا وبلغت به القوة إلى حد أنه يضع نفسه فى مستوى قائد الجماعة .

لقد أغرته القوة وأغواه الشيطان . ولم يرض رئيس الجماعة عن ذلك ووقع الخلاف بينهما .

وأى إنسان فى أية جماعة ينمو وتزداد قوته يوما بعد يوم . قد لايدرك خطره إلا بعد أن يصل أمره إلى منتهاه . وهو ماحدث . وقد فصل السندى من الجماعة فى عهد الهضيبى » .

وعلى أية حال فإن الحادث أغلق باب التفاهم وفتح بابا للشر والفتنة

وصف صالح حرب المرشد العام فقال إنه ـ بعد حادث المحكمة ـ كان فى حالة تأثر شديد .

وقال الشيخ البنا لصالح حرب :

ـ ماذا أفعل . أأنتحر . كيف أصدر بيانا بالأمس أستنكر فيه هذه الأعمال فيجئ الولد المتهم ـ شفيق إبراهيم أنس ـ ويعمل ذلك ماذا يقولون ؟

ويتوسط صالح حرب لعقد اجتماع ثالث بين مصطفى مرعى والمرشد العام .

ويجد الوزير من الأفضل أن يتم اللقاء على انفراد فى بيته دون حضور صالح حرب .

أبدى البنا أسفه لحادث المحكمة وقال :

ـ خرج الأمر من يدى وهذا الحادث يعتبر من باب التحدى لى وإرهاب الحكومة .. وكرر طلبه بالافراج عن المعتقلين .

رد مصطفى مرعى بحدة :

ـ معتقلين أيه .. بقى بعد الحادثة دى حد يقدر يتكلم فى حاجة ؟

قال الشيخ حسن :

ـ المعتقلين ذنبهم إيه مادام واحد مجنون عمل كدا .

قال مصطفى مرعى :

ـ هذا دليل على أن كل الخطرين لم يعتقلوا بعد. والسلاح لايزال متوافرا لديهم . وأريد أن ترشدنى إليهم . وفى وسع الحكومة حمايتك .

وعد الشيخ باجراء اتصالات ثم عاد ليجتمع ـ مرة رابعة ـ بالوزير الذى طلب منه معلوماته الشخصية عن الخطرين ، والسلاح ، والاذاعة ثم يفرج عن المعتقلين بعد ذلك . ولكن السفارة الأمريكية أكدت أنه لا توجد إذاعة سرية !

طلب الشيخ البنا الافراج أولا ليعرف من المعتقلين كل الاسرار ! ووعد بتهدئة الحالة .

قال :

ـ بعد الافراج عن المعتقلين سأكون مسئولا عما يحصل .

وجد مصطفى مرعى ـ بعد أربعة اجتماعات ـ أن الشيخ لم يكتشف سر أحد من رجاله رغم اغتيال النقراشي ومحاولة نسف محكمة الاستئناف وضبط أسلحة كثيرة .. ورغم الاعتقالات الواسعة لاعضاء الجماعة أيضا .

ويتدخل عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية لوقف هذه الاتصالات .

قال لمصطفى مرعى :

ـ يشيع الشيخ حسن البنا أن هدف هذه الاجتماعات أن الحكومة تفكر فى العدول عن قرار حل الاخوان .

وتتوقف الاتصالات بين المرشد العام والوزير بعد آخر اجتماع بينهما فى ٤ من فبراير . ولكن المرشد العام يحاول استئناف مساعيه للافراج عن المعتقلين .

كتب إلى إبراهيم عبد الهادى يقول :

« تفضلتم دولتكم فسمحتم لمصطفى مرعى أن يتقبل اتصالى بمعاليه . ولازلت أرجو أن تتفضلوا دولتكم باقناع معالى مصطفى مرعى بمعاودة السير فى الطريق الموفق الذى بدأه حتى نصل بإذن الله إلى غايتنا »

ولكن رئيس الوزراء لايرد .

وفسر مرعى جهده فى الوساطة فقال :

ـ كنت السفير الداعى إلى الهوادة والرفق والمطالب بحرية الاخوان .

* * *

قال محمد الليثى :

«كان كل مايرجوه المرشد العام فى تلك الأيام الافراج عن المعتقلين ، ومنع تعذيبهم .

وكانت دموعه تنهمر وهو يتحدث عنهم .

وكان يحس بغلظة المسئولين فى أسلوب تعاملهم معه وتهربهم من لقائه .

زار المرشد العام مكرم عبيد باشا رئيس حزب الكتلة وجرى بين الاثنين حديث عن الانفجارات والعمليات التى قام بها بعض شباب الاخوان .

أخرج الشيخ البنا مصحفا من جيبه وأقسم عليه أنه لايعرف شيئا عن هذه الحوادث .. وأن من يرتكب حوادث إجرامية كتلك هو رجل لادين له فإن الاديان جميعها تحرم القتل وسفك الدماء .

أجابه مكرم عبيد بأنه يثق فى ضمير المرشد العام وبراءة يده وإيمانه بالله .

ولكن مكرم عبيد كان خارج الوزارة وحزبه لايشترك فيها !

* * *

تصاعفت مؤامرات الأجهزة الحكومية ضد الشيخ .

بعث اللواء أحمد طلعت ٣ مذكرات إلى وزارة الداخلية يقول فيها :

* يدبر حسن البنا اجتماعا خطيرا ولابد من اتخاذ إجراءات .

* قطعت المفاوضات بين الحكومة والمرشد العام الذى يستعد للسفر خارج القاهرة .

* جرت مكالمة تليفونية بين الشيخ البنا وأحد الأشخاص تدل على أن فى نية البنا اغتيال ثلاثة من كبار رجال الحكومة .

ولم يفطن الحكمدار إلى أن تليفون منزل البنا قطعت عنه الحرارة .. ومن غير المعقول أن تكون الرقابة قد وضعت على كل تليفونات جمعية الشبان المسلمين التى يتكلم منها البنا .. بفرض أن تقرير الحكمدار صادق عن مضمون المكالمة !

ويتلقى الملك خطابات تهديد بالقتل من الاخوان المسلمين .. وقد يكون أعضاء الجماعة هم الذين بعثوا بهذه الخطابات ، أو تكون أجهزة الأمن الحكومية فعلت ذلك لزيادة الضغط على صاحب الجلالة !

* * *

رأى الشيخ البنا أن يوسط وزيرا آخر ، يعرفه ، هو محمد زكى على باشا وزير الدولة ـ الذى يمثل الحزب الوطنى فى الوزارة ـ فاجتمع به فى منزله ، وفى جمعية الشبان المسلمين .

قال زكى على باشا :

ـ الحكومة معذورة فيما تتخذ من إجراءات للمحافظة على أموال الناس وأرواحهم من بعض الشبان المنتمين للجماعة .

قال المرشد العام :

ـ هم طائفة من الشبان يعملون لحسابهم من غير أن أشير عليهم بشيء .

وقال :

ـ إنى مراقب ولا أتمتع بحريتى وعلى استعداد لمغادرة مصر إذا رغبت الحكومة .

وأضاف الشيخ :

ـ أحب أن تكلم رئيس الوزراء فيما يتعلق بالاخوان .

حاول وزير الدولة أن يتخلص من مهمة الوساطة بعد فشل مصطفى مرعى ولمناخ العداوة السائد فى مجلس الوزراء ضد الجماعة ومرشدها العام .

قال :

ـ لست مختصا .

قال الشيخ :

ـ أنا مضطهد وكل مكتب الارشاد معتقل ولا يوجد مايدعو لاعتقاله .

رأى زكى على باشا تحت إلحاح المرشد العام أن يتوسط . اتصل بابراهيم عبد الهادى الذى قال له :

ـ إذا كان المرشد العام حسن النية يذكر لنا أسماء الاشخاص الذين يشك فى

وجود أسلحة لديهم ، ويرشد عن محطة الاذاعة السرية التى تذيع فى السابعة صباحا ، كل يوم .

أبلغ الوزير الشيخ البنا بذلك فردد جوابه التقليدى :

ـ لا أعرف شيئا عن محطة الاذاعة . وللاخوان شعب كثيرة . وأريد الاتصال بالمعتقلين للتفاهم معهم ومعرفة أسرارهم .

عاود زكى على الاتصال برئيس الوزراء الذى رفض الإفراج عن أعضاء مكتب الارشاد .

واتصل الوزير بعبد الرحمن عمار الذى طلب إقرارا من الشيخ يدعو فيه أنصاره ومؤيديه إلى محاربة كل من يخرج عن القانون .

قال الشيخ :

ـ كتبت بيانا تحت عنوان «ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» سلمته إلى محمد الناغى وهو عضو مؤسس لجميعة الشبان المسلمين وسكرتير مجلس إدارتها .

ويعود الوزير يعرض الأمر مرة أخرى على رئيس الوزراء الذى طلب أن يحدد الشيخ البنا هؤلاء المعتقلين ، غير الخطرين ، فقدم المرشد العام أربع قوائم . وطلب عدم نقل أصحابها من معتقل « هاكستيب » القريب من القاهرة إلى الطور كما قررت الحكومة .

راجعت وزارة الداخلية القوائم واستبقت الأسماء المدونة فى قائمتين فقط ونقلت الباقين إلى الطور !

ويلتقى زكى على باشا بالشيخ البنا فى صلاة الجمعة ويطلب منه العمل من جانبه على تهدئة الحالة والتخلص من العناصر الخطرة .

أجاب الشيخ :

ـ ينبغى تحسين حالة المعتقلين من الموظفين والعمال ماديا حتى لايعتبر اعتقالهم إجراءً انتقاميا .

وعد الوزير بذلك ، وطلب من محمد الناغى أن يتحدث إلى رئيس الوزراء فى هذا الشأن .

ومحمد الناغى مولود بالزرقاء مركز فارسكور ـ بلدة إبراهيم عبد الهادى ـ ويمت إليه بصلة قرابة ـ ابن خالة رئيس الوزراء ـ وصلته بالشيخ البنا قديمة ترجع إلى عشرين عاما .

قال زكى باشا للناغى :

ـ الشيخ البنا على استعداد للارشاد عن أماكن الأسلحة والمفرقعات ومحطة الاذاعة السرية إذا عاونته الحكومة فى الافراج عن المعتقلين الذين لاغبار عليهم .

قال محمد الناغى :

ـ هل تأذن لى ابلاغ ذلك لرئيس الوزراء ؟

لم يمانع زكى على فتوجه الناغى إلى بيت رئيس الوزراء فى التاسعة من صباح السبت ١٢ من فبراير . وأبلغه بذلك فوافق رئيس الوزراء على أن يقابل الشيخ البنا أعضاء مجلس الارشاد يوم الاثنين ١٤ من فبراير .... أى بعد ٤٨ ساعة .

عاد الناغى إلى جمعية الشبان المسلمين فى الواحدة بعد الظهر ليقول لمحمد الليثى سكرتير قسم الشباب بالجمعية :

ـ أريد مقابلة الشيخ البنا .

أجاب الليثى :

ـ ليس عنده تليفون . أرسل أحدا من السعاة لاستدعائه .

ـ هذه مسألة هامة جدا .

ـ اذهب أنت إليه .

اعتذر الناغى وأصر على أن يقوم الليثى بالمهمة .

ـ يمكننى الذهاب ولكنى أخشى القبض علىّ .

ـ قل لرجال الشرطة إنك قادم من طرف ...

يقصد بذلك أن الشرطة تعرف قرابته لابراهيم عبد الهادى باشا .

وأضاف الناغى :

ـ نريد إنهاء موضوع الشيخ حسن . والأمر فى يده الآن . ولن أخلع ملابسى إلا بعد أن تخبرنى بالنتيجة .

* * *

فوجئ الشيخ برؤية الليثى فى بيته . وكان يجلس إلى « طبلية » ليتناول طعام الغداء .

قال المرشد العام فى دهشة :

ـ ما الخبر؟

ـ يبدو أن هناك أخبارا سارة لدى الأستاذ الناغى ويريد حضورك لإبلاغك بها .

قال البنا :

ـ أية أخبار سارة . تلقيت الآن أن الشيخ النبراوى الذى فكرت فى الاقامة عنده أعتقل أمس . وقد اخترته لأنه فى الثمانين من عمره حتى لايفكروا فى أنى أدبر أمرا معه .

رفض المرشد العام الحضور فقد وجد أمامه مؤامرة جديدة وأحس بأن الحكومة غير جادة فى الوصول إلى حل .

ألح الليثى .

تعلق الشيخ بشعاع الأمل فيما يمكن بذله من جهد فى سبيل المعتقلين . قال :

ـ خلاص ياسيدى . نروح .

وسرح قليلا ثم أضاف :

ــ لتكن آخر مرحلة .

وبدا على الشيخ اليأس وهو يعلن موافقته على أن يكون فى مقر الجمعية فى الموعد المحدد : الخامسة مساء .

وأبلغ الليثى .. محمد الناغى بذلك .

* * *

قال البنا لزملائه ، كما لو كان يتنبأ ، « إن عدم قيام الحكومة باعتقاله دليل . رسمى على نية الحكومة قتله» .

قال للشيخ الباقورى :

ــ إنى سأختفى !

سأله .

ــ ماذا تقصد فإنى لا أفهمْ ؟

أجاب :

ــ قد أغيب غيبة طويلة . ومن يدرى فلعلنا لانجتمع بعد ذلك .

واستدرك الشيخ البنا قائلا :

ــ رأيت فى ليلة واحدة رؤيا تكررت مرتين قبل الفجر وكنت فى كل مرة أقوم من النوم وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . ولكنى رأيتها مرة ثالثة فى الليلة نفسها فلم أشك فى أنها رؤيا حق .

رأيت أنى أمسك بزمام ناقة يركبها أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ .

ثم إذا بيد تمتد إلى زمام الناقة فتأخذه من يدى فعلمت أن مهمتى قد انتهت . وأنى لابد أن أغيب .

وردد الشيخ البنا هذه الرؤيا لمحمد الليثى وقال له :

ـ رأيت أبا بكر الصديق يقول لى إنك ستقتل اليوم

* * *

جاءت الساعة !

طلب الشيخ حسن البنا من صهره ، عبد الكريم منصور المحامى ، أن يصحبه إلى جمعية الشبان المسلمين .

عارض عبد الكريم لمرضه .

وأخذ أولاد الشيخ يبكون ويطلبون إليه عدم الذهاب وكأنهم يتوقعون شرا .

وقال والده ـ ٦٥ سنة ـ المأدون الشرعى لقسم الدرب الأحمر :

ـ لاتخرج فليس معك سلاح .

رد قائلا :

ـ الأعمار بيد الله

وأصر على الخروج قائلا :

ـ هذه رسالة أؤديها .

ومرة أخرى نصحه عبد الكريم منصور بعدم الذهاب فأصر الشيخ قائلا :

ـ سأخرج وحدى .

تحامل عبد الكريم على نفسه . وخرجا معا ليلاحظ المحامى أن شخصا يقف بدراجة أمام البيت ثم ينطلق بها عندما لمحها .

لفت نظر الشيخ الذى طلب عدم الاهتمام بهذا الأمر .

مشيا معا حتى ميدان الحلمية الجديدة فوجدا سيارة تاكسى بها مخبر فرفض عبد الكريم ركوبها .

انطلقت بهما سيارة تاكسى أخرى فلاحظ المحامى أن سيارة تتبعها حتى باب جمعية الشبان المسلمين.. وبها بعض المخبرين .

أبدى شكه ولكن البنا أخذ يطمئنه قائلا :

ـ لابد انها إحدى سيارات الشرطة التى تراقبنا !

* * *

ظهر الضيق على وجه الناغى عندما تأخر المرشد العام دقائق عن موعده . فلما جاء جلسا معا فى مكتب الناغى الذى يقع فى الدور الأول من مبنى الجمعية ويمكن للمارة فى الطريق أو أى مراقب أن يشاهد كل مايجرى داخل المكتب وتحركات الجالسين فيه .. ويراهما وهما ينصرفان .

عرض الناغى على المرشد العام ماقاله رئيس الوزراء فكان تعليق الشيخ البنا :

ـ أنت رجل طيب تسمع وتصدق . من أين آتى لهم بالاشياء المطلوبة وأنا مكتوف الأيدى وجميع إخوانى وأنصارى معتقلون . ولا أستطيع الارشاد عن محطة الاذاعة السرية ، ولا أجمع السلاح لأنى لا أعرف مكانه . وكنت أريد أن أعرف ذلك من رجال الجمعية المعتقلين ، وما داموا معتقلين فكيف أرشد عن هذه الأشياء ؟

قال الناغى :

ـ فهمت أمس ـ الجمعة ـ من زكى على باشا أنك على استعداد لتسليم ذلك بدون شروط .

ـ وكيف أجدها إلا بعد الافراج عنهم .

رغب الناعى فى الاتصال بزكى على باشا لمعرفة ماتم فى أمر القوائم التى طلب الشيخ البنا الافراج عنها ولإبلاغه الموقف خاصة أن المرشد العام يضع الافراج شرطا لتقديم المعلومات .أو وسيلة لجمع المعلومات .

لم يجد الوزير فى منزله فبقى الناغى والمرشد العام فى الانتظار . وأديا صلاتى المغرب والعشاء معا ثم جلسا فى مكتب الناغى يتحدثان فى شئون الاخوان .

كان الحديث بين الرجلين ـ كما قال الشيخ لليثى بعد ذلك ـ معادا لاجديد فيه .. فالحكومة تطلب أسماء حائزى السلاح ومكان الاذاعة السرية بينما يصر الشيخ على أنه لايعرف شيئا ولابد من الافراج أولا عن بعض المعتقلين للحصول على المعلومات المطلوبة .

عاود الناغى الاتصال بزكى على باشا فلم يجده .

قال للشيخ :

ـ أنت تعلم أنى فى الستين وصحتى لاتحتمل السهر . ولن يعود الباشا إلى بيته قبل التاسعة والنصف . فأرجو أن تأذن لى بالانصراف ، على أن نلتقى صباح غد .

وكان غريبا أن يصر الناغى على الانصراف حوالى الثامنة مساء ولا ينتظر تسعين دقيقة أخرى لحل مشكلة ضخمة تتعلق بتسليم السلاح ، ومحطة الإذاعة السرية ، والافراج عن بعض معتقلى الاخوان وهى أمور تحدث فيها إلى رئيس الوزراء !

غادر الناغى الجمعية عائداً إلى بيته واستعد الشيخ البنا للانصراف فلم تكن هناك أخبار سارة لدى الناغى ، ولم يكن هناك مايدعو للإلحاح على الشيخ بالحضور إلا أن يكون رئيس الوزراء ـ أو أحد آخر ـ قد أصر على استدعاء المرشد العام إلى دار الجمعية !

ولم يشك الشيخ البنا ، أو صهره عبد الكريم منصور فى الناغى ، وظل عبد الكريم منصور مؤمنا بأن الناغى لا يدبر جريمة وأنه رجل برىء ، وربما يكون قد كتم عن المرشد العام بعض أقوال رئيس الوزراء ...

وكان كل ماحمله الليثى والناغى إلى المرشد العام فى ذلك المساء .. دعوة للموت !

أصر عبده ارمانيوس على أن يحتسى المخبر أحمد حسين الخمر بعد ظهر السبت ١٢ من فبراير ١٩٤٩ .

ولم يسبق لعبده ارمانيوس أن وجه مثل هذه الدعوة إلى المخبر.. ولكن التفسير الوحيد رغبة الضابط فى تشجيع المخبر ليقوم بمهمة خاصة ، أو أن يفقد الوعى السليم فيقوم بالمهمة الخاصة !

* * *

فى الثامنة إلا ربعا من مساء السبت ١٢ من فبراير طلب العقيد محمود عبد المجيد من سائق سيارته محمد محفوظ ـ ٣٨ سنة ـ أن يتجه إلى شارع عبد الخالق ثروت فى الثامنة مساء وأن ينتظر بالسيارة عند نادى نقابة الصحفيين قرب جمعية الشبان المسلمين ويجعل مقدمتها متجه إلى شارع عبد الخالق ثروت .

قال له :

ـ إذا جاء اثنان يرتديان الملابس البلدية وركبا السيارة فاحضرهما إلىّ فى فندق إيدن .

وقد اضطر محمود عبد المجيد إلى استعمال سيارته ، وكان مقررا أن يتولى المقدم محمد وصفى قائد حرس الوزارات قيادة سيارته الحكومية الخاصة للفرار بالمجرمين ولكن تعطلت سيارة وصفى فى اللحظة الأخيرة .

وهكذا تدخل القدر مرة أخرى للاستدلال عن المجرمين .

شاءت المصادفات أن يمر الصول محمد زكى من إدارة المباحث الجنائية أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين يوم ١١ من فبراير فشاهد الأومباشى أحمد حسين جاد يقف أمام مبنى الجمعية !

ولم يكن محمد زكى يعرف أن أحمد حسين جاد يعاين جغرافية المكان !

* * *

طلب عبد الكريم منصور من صالح عوض ساعى جمعية الشبان المسلمين إحضار سيارة أجرة « تاكسى » فخرج إلى الشارع .

مرت سيارة تاكسى نادى عليها فلم يسمع السائق .

نادى على سيارة أخرى فوقفت .

سأله السائق :

ـ من سيستقل السيارة ؟

أجاب :

ـ فضيلة المرشد .

ولم يبلغ الساعى صالح عوض المرشد العام أو صهره بهذا السؤال ، غير العادى ، لسائق التاكسى . واكتفى الساعى بإبلاغ عبد الكريم منصور بوصول السيارة فنزل مع المرشد ، وودعهما محمد الليثى حتى الباب .

لاحظ عبد الكريم منصور أن الحركة فى شارع الملكة نازلى هادئة على غير العادة والأنوار ضئيلة رغم أنه طريق لاتهدأ فيه حركة المرور

التفت إلى الشيخ يسأله :

ـ فى أى وقت نحن الآن ؟

ـ الثامنة مساء .

ـ مستحيل .. نحن فى آخر الليل !

ـ كيف ؟

ـ ألا ترى ضجة الطريق قد همدت ؟

ـ إنك تعلق على كل شىء يا استاذ عبد الكريم .

دق جرس التليفون فى مبنى الجمعية فى تلك اللحظة بالذات .

طلب المتحدث محمد الليثى .

أسرع خفير الجمعية يناديه فدخل المبنى وبقى المرشد العام وصهره عبد الكريم دون أن يكون فى وداعهما أحد .

وجد عبد الكريم منصور ثلاثة رجال يقفون على ناصية الشارع بينهم « الشرطى » الذى فتشهم بعناية واستفزاز فى مجلس الدولة عندما حاولا دخول المجلس يوم نظر قضية حل الاخوان .

أصر الشيخ البنا على أن يبدأ عبد الكريم بدخول السيارة ثم تبعه .

ومن جديد لاحظ عبد الكريم أن التاكسى لم يتحرك فور ركوبهما . ولكنه لم يتكلم هذه المرة فقد وجد أن شكوكه كثيرة كما أن الوقت لم يتسع ليقول شيئا .

أدار سائق التاكسى على محمود نفادى مفتاح البنزين .

وقبل أن يحدد الشيخ البنا وجهته تقدم رجل يرتدى الملابس البلدية ويضع شالا حول عنقه ويبدو ملثما لاخفاء شخصيته .

فتح الرجل باب السيارة من الجهة التى يجلس فيها المرشد العام وأخذ يطلق عليه النار .

نام المرشد فى أرض السيارة مخفيا رأسه بيديه لتفادى الطلقات المتتالية . ففتح الرجل الباب وأخذ يطلق الرصاص مرة أخرى على الشيخ البنا .

وجاء رجل آخر يلبس جلابية بيضاء وبالطو « وتلفيعة » فوق رأسه من ناحية عبد الكريم منصور الذى حاول فتح الباب فقاومه الرجل ليمنعه من الخروج .

هشم المعتدى زجاج السيارة وطالت المقاومة بينه ، من الخارج ، وعبد الكريم منصور من الداخل ، ثم بدأ الرجل يطلق الرصاص على السيارة وعلى عبد الكريم .

سمع السائق طلقات الأعيرة النارية ورأى الرجل الملثم يضرب زجاج السيارة فيتحطم .

أوقف محمود نفادى السيارة واستقر ـ من خوفه ـ فى « الدواسة » وأصابته

حالة إعياء شديدة ، ولم يدر بما يجرى حوله .

ظن أنه مصاب .. وصوت يقول :

ـ لا إله إلا الله .

سمع الطلقات أصحاب المحال التجارية فى الشارع فأغلقوا محالهم ، واحتمى المارة بالمقهى المجاور .

أسرع الليثى على صوت الطلقات إلى التارع دون أن يجيب على التليفون وأخذ يصرخ :

ـ امسك .. امسك .

أطلق عليه أحد الرجلين عيارا ناريا ثم تبعه بآخر فأسرع الليثى يدخل مبنى الجمعية مرة أخرى بينما ارتفع صوت رجل يقول :

ـ حوش . حلق .

رأى الليثى شخصا آخر يلاحق الجانى فظن أنه يطارده

وكان محمد محفوظ سائق العقيد محمود عبد المجيد يقف بسيارته السوداء فى المكان القريب المحدد فجاء أحمد حسين جاد وشخص آخر يدعى مصطفى فاستقلا السيارة ورآها محمد الليثى تسرع بهما بعيدا عن المنطقة كلها .

بعد صدمة الطلقات الأولى تجمع الناس فوقف الضابطان حسين كامل وعبده ارمانيوس يصرخان ·

ـ قنابل .. قنابل .

تفرق المحتشدون .

وفى الوقت نفسه جلس على مقهى بلدى أمام جمعية الشبان المسلمين الجاويش محمد سعيد إسماعيل والأمباشى حسين محمدين رضوان بملابسهما الرسمية ليتسلما القاتلين بوصفهما من رجال الشرطة إذا قبض الجمهور عليهما ويطلقا سراحهما بعد ذلك .

أسرع الليثى إلى التليفون ليجد السماعة مرفوعة .

رد على المتحدث فإذا به المقدم محمد الجزار .

قال الليثى بتأثير المفاجأة :

ـ الشيخ حسن أصيب بالرصاص .

لم تهز المفاجأة ضابط القسم السياسى ولم يسأل من هو الشيخ حسن ، ولم يبد دهشته بل جاء سؤاله صدمة لليثى .

نطق الجزار بكلمة واحدة :

ـ مات ؟

امتعض الليثى . قال :

ـ لا أعرف .

وألقى بسماعة التليفون .

* * *

.. رغم الرقابة البوليسية الكثيفة التى تحيط بالشيخ البنا فإن صوت الأعيرة المتلاحقة لم يحرك نظر أحد من رجال الشرطة الذين يراقبون المرشد العام مراقبة دقيقة .

ولم يظهر أحد من رجال الشرطة المعينين عند جمعية الشبان المسلمين أو مصلحة المجارى القريبة .

ولم يقبل شرطى واحد مستفسرا أو تلبية للاستغاثة .

ولاحظ زكى عبد التواب عضو جمعية الشبان المسلمين وقوف ثلاثة جنود لايتحركون عند مصلحة المجارى القريبة فقال لهم :

ـ يبقى فيه ضرب رصاص وماتتحركوش .

قال أحدهم :

ـ هو فين الجانى واحنا نجرى وراه .

وأضاف :

ـ ياشيخ روح على بيتكم !

لم يكد صوت الرصاص يتوقف حتى اندفع الشيخ البنا خارج السيارة وكأنه فى كامل صحته وعافيته يتعقب الجناة ولكنهم فروا هاربين فعاد إلى مبنى الجمعية وهو يصيح :

ـ قتلت .. قتلت .. هاتوا الإسعاف .

وحاول الوصول إلى التليفون ولكن قواه خانته . فعاد إلى السيارة بعد ان تركت دماؤه آثارها على مكان الخطوات التى قطعها فى الطريق وداخل الجمعية .

جلس الشيخ فى السيارة بجوار صهره الذى لم يستطع الحركة بسبب إصابته .

صرخ عبد الكريم .

ـ أين السائق ؟

قيل له :

ـ أصيب !

طلب شخصا آخر يقود السيارة ولكن السائق لم يكن قد أصيب بل راح فى غيبوبة مؤقتة فلما أفاق قاد السيارة إلى جمعية الاسعاف القريبة .

قال الشيخ البنا عقب وصوله للإسعاف :

ـ الحقنى يادكتور .

وأضاف :

ـ مفيش فايدة أنا حا أموت .

ورغم ذلك ظل البنا متماسكا لقواه يساعد الطبيب فى رفع ثيابه الخارجية للكشف عن موضع الجراح.

وجده طبيب الإسعاف الدكتور محمد طلعت طه فى حالة سيئة والدماء تنزف منه بغزارة

فضمد جراحه لوقف النزيف بينما نطق الشيخ بالشهادتين قائلا :

- إن الله حق !

استقل الليثى سيارة الإسعاف إلى القصر العينى مع المرشد العام وصهره ومتطوع من الاسعاف اسمه مصطفى محمد مصطفى.

أثناء الطريق إلى المستشفى كان المرشد العام يواسى صهره الذى يصرخ ألما قائلا :

- لاتخف إصابتى بسيطة.

اراد عبد القوى محمد عمارة كاتب الاستقبال فى القصر العينى قيد أسماء المصابين فلما عرفه عبد الكريم شخصية المرشد العام للاخوان سمح لهما بالدخول فورا إلى حجرة العمليات.

بحثوا عن الطبيب المنوب فى قسم الجراحة الذى نقلا إليه فلم يجدوه رغم أن قوانين المستشفى تلزم هذا الطبيب ألا يبرح مقر عمله.

راحوا يبحثون عن الطبيب الآخر وهو الدكتور على السباعى حسنين فى داره. ولكن تبين أنه يوجد فى مقهى بمصر الجديدة.

أرسلت إدارة المستشفى فى طلبه فلما جاء أخذ فى علاج المرشد العام بمساعدة ممرضة عثروا عليها أخيرا اسمها منى جمعة.

طلب المرشد العام البدء بصهره الذى نقل إلى غرفة أخرى. وكان الشيخ البنا فى حالة معنوية قوية. لم يبد عليه وهن أو ضعف مما يشير إلى أن حالته ليست خطيرة وعلاجه ممكن وميسور.

تبين أن المرشد العام أصيب بسبع عيارات نارية بينما أصيب عبد الكريم برصاصتين ولكن حالته خطيرة فلما سأله الطبيب عن عنوانه لم يستطع الأجابة .

استدعى طبيبان كبيران هما الدكتور عبد الله الكاتب والدكتور محمد حسنى الزينى للاشتراك فى علاج الشيخ وإجراء عملية جراحية له .

ولكن عندما جاء رئيس النيابة لسؤاله رآه فى حالة صحية سيئة ولايمكن استجوابه .

* * *

أبلغ رئيس الحركة لجمعية الاسعاف قسم شرطة الأزبكية بالحادث فى التاسعة إلا ربعا قائلا :

ـ سائق التاكسى يريد الهرب .

طلب الرائد عمر هلال مأمور القسم الامساك به ومنعه من الفرار .

وتبين ـ بعد ذلك ـ أن السائق « بلديات » محمود عبد المجيد .. وقد باع السيارة بعد الجريمة مبررا ذلك بتشاؤمه منها !

وكان عمر هلال أول من انتقل إلى مقر الجمعية من رجال الشرطة .

عاين التاكسى فوجد أن عداده سجل ١٦ قرشا ، ولايزال العداد يعمل !

ووجد بأرض السيارة مسبحة الشيخ البنا من ٩٩ حبة !

وصل إلى مقر الجمعية رجل يرتدى الملابس المدنية يسأل فى لهفة :

ـ أين ذهب الشيخ البنا .

قيل له :

ـ القصر العينى .

انصرف الرجل فورا ..

وشاهد الليثى خارج غرفة العمليات ، ذلك الرجل وهو يقول للأطباء :

ـ جئت من قبل الحكمدار للاستفسار عن حالة الشيخ البنا .

وحاول دخول الحجرة فمنعه الأطباء مما اضطره للبقاء خارجها .

أبلغه الليثى برقم السيارة التى استخدمها الجناة فى الهرب . نظر إليه الرجل بسخرية وانصرف دون أن ينطق بحرف .

وكان الليثى يظن أنه بإبلاغ أحد المسئولين بهذا الرقم سيساعد على كشف الحقيقة ويعجل بالوصول إلى القتلة .

ولم يكن الليثى يدرك ـ حينئذ ـ أنه يواجه أحد أفراد العصابة التى دبرت قتل الشيخ البنا !

لم يكن يعرف أنه يتحدث إلى المقدم محمد وصفى قائد حرس الوزارات وأنه ، بذكر رقم السيارة أمامه ، هز أركان المؤامرة وألقى الرعب فى قلوب المتآمرين .

وكان كل مايسعى إليه الليثى أن يعرف المسئولون رقم السيارة ليعجلوا بالوصول إلى القتلة .

ولكن وصفى دخل حجرة العمليات بدعوى معرفة حالة الشيخ البنا وأسرع يبلغ رقم السيارة لعبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية !

* * *

فى الثانية عشرة والربع بعد منتصف الليل ، مساء ١٢ من فبراير ١٩٤٩ ، مات المرشد العام رغم أنه كان فى حالة طيبة عند دخول المستشفى .

قال الأطباء إنه توفى متأثرا بجراحه .

وقال محمد الليثى إن الشيخ البنا قتل فى القصر العينى .

وقال عبد الكريم منصور إن إدارة المستشفى أهملت فى اتخاذ مايلزم لانقاذ الجريح .

وقال الاخوان إن الدكتور حجاب مدير مستشفى القصر العينى ساعد على

ذلك فهو زوج شقيقة الدكتور يوسف رشاد .

ولكن أحدا لم يسأل الدكتور حجاب ، أو يحقق معه !

وقال محمد وصفى للماجور سانسوم ضابط أمن السفارة البريطانية :

ـ ساعة نقل الشيخ البنا إلى المستشفى لم تكن بها ، فى النوباتجيات أية ممرضة . وكان كل الممرضين من الرجال .

ويوجد دائما طبيب نوباتجى يمكن استدعاؤه لإسعاف الحالات العاجلة ولكنه لم يكن بالمستشفى فى تلك اللحظة .

وعندما وصل الشيخ البنا إلى القصر العينى كانت دماؤه قد نزفت حتى أوشك على الموت .

وقال محمد حسن الأمين الخاص للملك فاروق فى التحقيقات التى جرت بعد الثورة :

ـ سمعت محمد وصفى وهو يتحدث إلى أحمد كامل قائد شرطة القصر الملكى ويقول له « بعد إصابة حسن البنا رحت المستشفى لأخلص عليه إذا كان حيا » .

وقال الشيخ عمر التلمسانى إن البنا قتل بالرصاص وبغير الرصاص وأن الملك أمر بأن يترك فى المستشفى بلا علاج ، ليموت ، وإن صاحب الجلالة ذهب إلى المستشفى ليراه قتيلا !

نقل الجثمان إلى مشرحة زينهم حيث قام بتشريحه الأطباء الشرعيون الدكاترة محمد توفيق وأحمد شكيب وأحمد حسين سامى وكيل وزارة العدل المساعد للطب الشرعى .

وجد الأطباء أن الجسد اخترقته ٧ أعيرة نارية وأن الوفاة حدثت نتيجة النزيف من ٤ أعيرة .

وفى التحقيقات التى جرت بعد الثورة قال الدكتور يوسف رشاد الذى يعمل كبيرا لأطباء اليخوت الملكية منذ عام ١٩٤١ :

ـ سمعت من زميلى الدكتور أحمد شكيب الطبيب الشرعى الذى أجرى الصفة التشريحية للجثمان أن البنا ترك ليموت بالنزيف من شريان . وكان يمكن إيقاف النزيف وانقاذ حياة البنا بمبضع بسيط لو أنقذ ، وأسعف ، فى حينه !

الـزيف

أطل زكى عبد التواب الكاتب بإدارة المباحث الجنائية بوزارة الداخلية وعضو جمعية الشبان المسلمين من نافذة الجمعية بعد سماعه صوت الطلقات التى أطلقت على الشيخ البنا فرأى أحد المخبرين الثلاثة المنتدبين بالإدارة يقف بجوار سيارة تاكسى !

ورأى الليثى الجناة يهربون فى سيارة ليموزين سوداء كبيرة ولكنه لم يستطع التقاط رقمها .

وفى عيادة جمعية الاسعاف تقدم شاب أسمر يرتدى جلبابا وطربوشا إلى محمد الليثى وذكر له رقم السيارة وهو :

« ٩٩٧٩ ملاكى القاهرة .

قال الليثى للولد الأسمر :

ـ تعال اشهد معنا .

قال :

ـ ماليش دعوة . أنا باقولك الرقم . عاوز تأخذه خده . مش عايز أنت حر .

ويرى الليثى أن هذا أفضل عمل قام به الشاب وهو الاختفاء لأنه كان يمكن أن ينفى أمام المحقق أنه رأى رقم السيارة . أو يغير هذا الرقم .

كتب الليثى الرقم على علبة سجاير وجدها على الأرض .

ورأى كل من زكى عبد التواب ومحمد عثمان ومحمود جبر من موظفى الشبان

المسلمين الشاب الأسمر يصيح برقم السيارة . ولكنهم امتنعوا عن ذكر هذه الحقيقة .

كما خاف زكى عبد التواب أن يذكر رؤيته للمخبر أمام التاكسى ساعة وقوع الجريمة .. ولم يتكلم إلا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وعندئذ تقدم الجميع للشهادة !

* * *

بعد وفاة المرشد العام عاد الليثى إلى مقر جمعية الشبان المسلمين فى انتظار التحقيق فوجد الجمعية محاصرة بالشرطة .

أخذ يروى التفصيلات .

وردد رقم السيارة لكل من قابله من أعضاء الجمعية ورجال الشرطة والصحافة .

وجاءه الضابط مصطفى حلمى يستدعيه إلى التليفون فسمع الرائد محمد الجزار ـ ٣٦ سنة ـ ضابط مباحث أمن الدولة الذى أخذ يسدى إليه النصح بألا يذكر رقم السيارة ولا يزج بنفسه فى الشهادة التى تؤدى به إلى متاعب كثيرة .

وكان واضحا أن كل ما قاله الليثى عن رقم السيارة سواء لمحمد وصفى أو داخل مبنى الشبان المسلمين قد نقل إلى الجزار .

قال له :

ـ سأرسل عربة تعيدك إلى بيتك

ولكن الليثى رفض وأنهى الحديث .

وجاء ضابط يستدعى الليثى مرة أخرى لمقابلة شخص خارج الجمعية . ولم يكن هذا الشخص سوى محمد الجزار نفسه . أخذ يهنئه بالنجاة قائلا :

ـ كان يمكن أن تقتل أنت ايضا .

وسأله :

ـ ماذا تنتظر.. انصرف سالما

قال الليثى :

ـ لقد أبلغت النيابة إنى أعرف رقم السيارة .

قال الجزار :

ـ لا تهتم بالاجراءات . انصرف ولن يستدعيك أحد . ولن يحقق معك أحد . وأضمن لك ذلك .

لقد توفى الشيخ البنا . ولم يبق إلا شاهد واحد : أنت !

وأخذ يردد بلهجة كلها تهديد :

ـ للشيخ أكثر من خصم ، هم قادرون على الثأر ممن يعينون على ضبط الجناة فى الحادث وإنى مشفق عليك من الإعتقال لأن لك صلة بالبنا . إنه رجل كان يهدد أمن الدولة والحكومة والملك والمواطنين. لقد انتهى أمر جماعة الإخوان المسلمين بقطع رأس الثعبان .

اذكر رقما آخر للسيارة يختلف عن الرقم الحقيق .

وألح على الليثى فى ذلك .

قال الليثى :

ـ ذكرت الرقم للصحفيين.

أخذ الجزار يطمئنه قائلا :

ـ لا تهتم بذلك .

قال الليثى :

ـ أشعر بمسئوليتى الأدبية فقد استدعيت الشيخ البنا إلى مقر الشبان المسلمين وسأتهم بالاشتراك فى الجريمة .

ظل الجزار يضيق الخناق عليه وأخذ منه الورقة التى كتب فيها الرقم الصحيح وقال له :

ـ هات يدك واقرأ الفاتحة وسأفرج لك عمن طلبت الإفراج عنهم من الإخوان المعتقلين .

أراد الليثى التخلص من الضغط وضعفت أعصابه نتيجة أحداث متتابعة طوال اليوم وبالذات خلال الساعات الأخيرة فقال :

ـ لا أستطيع التغيير الكلى ، ولكن يمكننى التشكيك فى صحة الرقم بأن أذكر رقما مقاربا .

وقال الليثى ـ بعد ذلك ـ معزيا نفسه :

ـ لو لم أقل ذلك لقتلت فى ذلك اليوم أيضا وتعذر القبض على القتلة فقد كنت الشاهد الوحيد !

* * *

عاد الليثى إلى جمعية الشبان المسلمين مرة أخرى فوجد المحقق فى الغرفة التى كان يجلس فيها قبل ساعات الشيخ البنا والناغى يبحثان عن حل ! !

أخذ المحقق يسأل الساعى والسكرتير الرياضى للجمعية ، ولم يستدع المحقق الليثى لسماع أقواله إلا فى الثالثة والنصف صباحا .

وجد الليثى فى غرفة التحقيق عددا كبيرا من ضباط الشرطة بينهم المقدم محمد وصفى المفتش بالقسم السياسى ورئيس حرس الوزارات الذى جاء ليكون رقيبا على الشاهد عند الادلاء بمعلوماته .

أخذ الليثى يجيب عن الأسئلة ويذكر تفاصيل استدعائه للشيخ البنا وروايته عن الحادث حتى جاء رقم السيارة فقال :

ـ ٩٩٧٩ أو ٩٩٩٧

... وذلك طبقا لاتفاقه مع الجزار .

اعترض محمد وصفى وتدخل فى الحديث .

ـ أخبرنى الليثى فى المستشفى بأن الرقم هو ٩٩٩٧ .

ضاق الليثى بذلك وشعر بأن تردده لا يغتفر !

قرر أن يذكر الحقيقة كاملة وأكد الرقم الصحيح . قال :

ـ ان الرقم كما قاله الشاب تسعتين وسبعة وتسعة (٩٩٧٩)

وذكر الشاب الأرقام من الشمال إلى اليمين عندما سجلتها على علبة سجاير !

أثبت عبد العزيز حلمى رئيس النيابة هذه الملحوظة . وكانت هذه أول مرة يحرر فيها رقم السيارة فى محضر النيابة .

وكان عبد العزيز حلمى شجاعا عندما فعل ذلك فى تلك الظروف .

وقد شاءت عناية الله الا أن تفضح سر الجريمة .. فرقم السيارة هو الخيط الأول للوصول إلى القتلة !

وكانت جرأة بالغة من محمد الليثى أن يفعل ذلك ولكن اشتغال الليثى بالسياسة شجعه على اتخاذ هذه الخطوة .

* * *

كان الليثى يومئذ فى السابعة والعشرين من عمره .

بدأ نشاطه السياسى قبل عشر سنوات .

انضم إلى محمود فهمى النقراشى عندما انشق على الوفد عام ١٩٣٧ .

وبعد أن أعلن أحمد ماهر والنقراشى أنهما يؤيدان دخول مصر الحرب مع الحلفاء انشق الليثى عليهما وانضم إلى على ماهر الذى رغب فى تجنيب مصر ويلات الحروب .

ويوم اعتقل على ماهر فى بيته ـ القصر الأخضر ـ عرف الليثى أن ضابطا شابا ـ جمال عبد الناصر ـ يريد تهريب على ماهر من المعتقل !

وقبض على الليثى وآخرين فى وزارة النحاس أثناء الحرب خمسة شهور بتهمة محاولة اغتيال رئيس الوزراء ، ثم أفرج عنه دون أن يقدم إلى المحاكمة .

واعتقل معَ حسن البنا بعد اغتيال أحمد ماهر .

وكان يعمل بالعلاقات العامة فى السلاح الجوى ، فلما تولى النقراشى رئاسة الوزارة ، نقله إلى منقباد فتضرر من النقل وفصل من عمله .

واختاره على ماهر ــ بصفته رئيسا لجمعية الأسعاف ــ ليعمل موظفا باتحاد اليانصيب بالجمعية وكان مرتبه ١٧ جنيها وهو متزوج وأب لبنتين .

انضم لجمعية الشبان المسلمين وتولى رئاسة قسم الشباب فى الجمعية .

وبينما كانت الجمعية تهتم بشئون الدين والاجتماع والرياضة فإن قسم الشباب كان الوحيد الذى يشتغل بالسياسة !

* * *

علمت الصحف بالحادث فأسرع المندوبون والمصورون إلى مكانه ليجدوا رجال الشرطة وقد أحاطوا بجمعية الشبان المسلمين .

استطاع محيى الدين فكرى أحد مندوبى جريدة « المصرى » أن يدخل الجمعية وأن يلتقط من اثنين ، من كونستبلات الشرطة ، رقم السيارة التى أقلت المتهمين وقالوا له إن محمد الليثى أبلغ النيابة بذلك .

ولم يطل بقاء محى الدين فكرى بدار الجمعية . أخرجه رجال الشرطة منها فأسرع إلى مبنى الصحيفة ليلتقى بمرسى الشافعى مدير التحرير ويكتب وصفا للحادث وفيه رقم السيارة وصورة حسن البنا .

ويوافق الرقيب ــ محمود يوسف ــ على ذلك لأنه لم يتلق تعليمات من رؤسائه بمنع النشر .

وتصدر « المصرى » وهى تحمل فى صفحتها الأولى رقم السيارة التى فر بها الجناة

ولكن مدير الرقابة توفيق صليب يفزع من الرقم والصورة فيتصل بالرقيب العام عبد الرحمن عمار يسأله ثم يأمر بمصادرة « المصرى » فى نفس الليلة فيقتحم رجال الشرطة المطبعة يوقفونها ويصادرون الأعداد المطبوعة التى لم توزع بعد .

ويصدر « المصرى » طبعة جديدة خلت من صورة البنا ومن رقم السيارة .. وهو الأهم !

وبرر مدير الرقابة أو الرقيب العام ذلك بأن النشر ـ بهذه الطريقة ـ يثير الشعور العام . وأبلغ الرقباء فى كل دور الصحف بأن تنشر حادث القتل فحسب .

وأحيل مرسى الشافعى ومحيى الدين فكرى إلى نيابة الصحافة للتحقيق معهما .

ولكن خمسة آلاف نسخة تقريبا من العدد المصادر من « المصرى » تسربت إلى السوق وبيعث وسط لهفة القراء على متابعة الحادث .

ويصبح هذا العدد المصادر ، وفيه رقم السيارة ، دليل إدانة ثابتا قبل المتهمين ولا يستطيع الشهود العدول عنه !

* * *

عرف اللواء أحمد طلعت وكيل حكمدار شرطة القاهرة والمشرف على القسم السياسى رقم السيارة بعد ساعة من ارتكاب الحادث وأنها ماركة فورد ليموزين مملوكة لفهيم بولس المحامى ومؤجرة لوزارة الداخلية بمبلغ تسعة وأربعين جنيها وستمائة وخمسة وستين مليما كل شهر ليستقلها العقيد محمود عبد المجيد مدير إدارة المباحث الجنائية بالوزارة .

وعرف أن هناك محاولات لاخفاء هذا الدليل فلم يحاول الابلاغ عنه ، أو يحرر محضرا به ، وامتنع عن الانتقال إلى محل الحادث !

* * *

عرف الجزار ما جرى فى التحقيق فأعاد الاتصال بالليثى للحصول على

شهادة نهائية منه بالرقم المزيف .

دعاه لمقابلته فى محل « نيوبار » بشارع سليمان باشا . وطلب منه أن يسجل الرقم الكاذب فى ورقة ويتوجه بها إلى قسم عابدين ليحرر محضرا بذلك .

أخذ الجزار يغرى الليثى بالخمر تارة ، وبالمال تارة أخرى ، والنساء مرة ثالثة فإن سيدة كانت تجلس فى المحل وتبتسم لهما . ولا يعرف هل كانت هناك مصادفة أم بتدبير من الجزار الذى قال :

ـ معى ٥٠٠ جنيه خذها . وستحصل على مثلها بعد أن تدلى بأقوالك الجديدة فى تحقيقات النيابة .

ولكن الليثى اعتذر .

رأى الجزار أن الاستعانة بالوعد لا تنفع مع الليثى فاستعان عليه بالتهديدات والوعيد .

رد الليثى :

ـ مركزى دقيق ولا أريد أن يقال إنى استدرجت الشيخ حسن لجمعية الشبان المسلمين ، أو أن لى يدا فى الحادث ، أو أن جمعية الشبان المسلمين هى التى دبرته .

قال الجزار :

ـ إن الذين قتلوا البنا لن يتركوك تضرهم وترشد عنهم . وصحيفة « المصرى » التى نشرت رقم السيارة صودرت .

.. إشارة إلى أن الدولة تحمى مرتكبى الجريمة وإلا فما سبب المصادرة !

طلب الليثى مهلة للتفكير واتفقا على اللقاء فى محل « جروبى » فى اليوم التالى .

* * *

فزع السائق محمد محفوظ فى اليوم التالى عندما قرأ رقم سيارته فى جريدة

« المصرى » وذهب إلى محمود عبد المجيد وقال له

ـ يا بيه الشيخ البنا اغتيل .. وعندى ٨ أطفال .

رد محمود عبد المجيد :

ـ بس . لما يبقوا يتيتموا يبقى يحلها ربنا . اخرس يا أهبل . انت لك مكافأة وأنا حاأشيلها لك .

بكى محمد محفوظ وقال :

ـ انتم اللى عملتم الحادث وأنا لاكان لى فى الطور ولا فى الطحين .

صرخ فيه محمود عبد المجيد قائلا :

ـ اقفل بقك . ولا تذكر أن أحدا ركب معك . ولا تذكر أننا مررنا على بيت عبد الرحمن عمار .

استدعت النيابة السائق لسؤاله ففزع إلى محمود عبد المجيد يقول :

ـ مادام طلبونى للنيابة يبقى أنتم اللى عملتم الحادث وتحدفونى فيه . حرام عليكم تعملوها وتأخذونى فى الرجلين .

ـ الكلام ده ما أحبش أسمعه منك أمام أى مخلوق وأنت طالبينك كشاهد .

قال السائق :

ـ بس حرام عليك .

وعندما توجه محمد محفوظ للنيابة جلس معه صلاح مرتجى وكيل الأمن العام أثناء التحقيق والذى تدخل فى الاستجواب بالرد على أسئلة المحقق عندما كان السائق يعجز عن الجواب أو يتعثر فيه . وإن كانت الأسئلة سريعة قصيرة وكأنها مجرد أداء واجب شكلى !

قال محمد محفوظ مدافعا عن نفسه ومبررا ذكر رقم سيارته . قال :

ـ كنت داخل السيارة أمام فندق « ايدن » .

وقال إن العقيد كان بالفندق ومعه عدد من أعيان محافظة جرجا وبعض ضباط شرطة جرجا ـ سوهاج الآن ـ .

وقال :

ـ من السهل على قائد سيارة القتلة وضع أرقام مزيفة ، وطمس بعض الأرقام . ومن غير المعقول أن يبقى القتلة الأرقام الصحيحة للسيارة التى فروا بها .

وألقى محفوظ بدفاعه الأخير . قال :

ـ لقد ارتدى قاتل النقراشى بدلة الضابط داخل وزارة الداخلية ومر بين الحراس .

ووجه السائق بمحمد الليثى فنفى كل منهما أنه يعرف الآخر .

أراد الضابطان حسين كامل وعبده أرمانيوس أن يسريا عن السائق محمد محفوظ بعد تحقيق النيابة معه فاصطحباه إلى مقهى الفيشاوى وأحضرا له طعام الغداء ..

جلس السائق ، راغبا عن تناول الطعام ، فنصحه الضابطان أن يتناسى ما وقع وأن يطمئن إلى أنه لن يناله سوء .

ورغبة فى تهدئته وإدخال الطمأنينة على قلبه انطلقا يتحدثان عن تفصيلات الجريمة ودور كل مشترك فيها .

* * *

توجه العقيد محمود عبد المجيد إلى فندق باريس بشارع عدلى الذى ينزل فيه عبد الله خليل فواز سكرتير الغرفة التجارية بسوهاج فى السادسة من صباح اليوم التالى للجريمة وأبلغه بوقوعها قائلا :

ـ بعض أنصار الشيخ يلقون بالاتهام علىّ ويزعمون أن القتلة فروا بسيارتى فأرجو أن تشهد بأنى وسيارتى كنا بعيدين عن مكان الجريمة وقت ارتكابها .

قال فواز :

ـ أستطيع أن اشهد بوجودى معك إلى ما بعد التاسعة مساء ولكنى لا أستطيع أن أؤدى مثل هذه الشهادة فيما يتصل بالسيارة .

* * *

سأل المحقق محمود عبد المجيد فنى علاقته بالجريمة . قال إنه سمع بها فى اليوم التالى .

وأكد أن سيارته كانت أمام فندق ايدن من بعد الغروب حتى التاسعة والنصف مساء .. أى إلى ما بعد وقوع الجريمة بأكثر من ساعة .

وشهد ثلاثة من ضباط الشرطة ونائب عمدة أنهم كانوا مع محمود عبد المجيد وأن السيارة كانت تقف تحت أنظارهم بعيدة عن مكان الجريمة .

وكان شهود الزور الثلاثة :

مفتش الداخلية إسماعيل فهمى .

والرائد محمود فهمى على رئيس مباحث جرجا .

والمقدم محمد إسماعيل أبوالسعود رئيس مباحث منطقة طهطا .

وقال العقيد محمود عبد المجيد مبررًا ذكر الليثى لرقم سيارته :

ـ زرت جمعية الشبان المسلمين قبل شهر . ولابد أن الليثى عرف رقم سيارتى وذكره .

وقال إن المقصود بهذا الاتهام إلقاء الشبهة على الحكومة فى أنها قتلت الشيخ

لم تنشر الصحف أن السيارة مؤجرة ليستعملها محمود عبد المجيد ، ولم تكتب أنه سئل فى التحقيق ... وبسبب الرقابة لم يجرؤ صحفى واحد فى مصر على كتابة النبأ وتقديمة للرقابة .. لحذفه ومنع نشره !

* * *

لم ينم الليثى فى بيته . ولم يذهب إلى الجزار فى محل « جروبى » فقد أصيب بالرعب .

قال محمد يوسف محمد المحامى وعضو جمعية الشبان المسلمين إن البوليس بما له من سلطة استطاع إرهاب الليثى .

* * *

استقل الليثى فى اليوم التالى عربة الترام إلى منزل صالح حرب باشا رئيس جمعية الشبان المسلمين . وكان فى أسوان فاتصلت قرينته السيدة منيرة عامر بالأستاذ مصطفى الشوربجى المحامى ودعته لبيتها ليستمع لليثى .

قال الشوربجى لليثى :

ـ اذكر الحقيقة للنيابة واطلب حمايتك .

وطلبت السيدة منيرة عامر من الليثى أن يقابل فتحى رضوان الذى وجه إليه النصيحة ذاتها واعتذر عن الذهاب معه إلى النيابة لأن القانون يمنع الشاهد من اصطحاب محام .

وتوجه الليثى إلى زكى على باشا فى مكتبه بالوزارة وأبو الخير نجيب صاحب جريدة « الجمهور المصرى » وكان أيامها محررا بصحيفة الاهرام فنصحاه بالإدلاء بالحقيقة كاملة .

وقابل فؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام حزب الوفد فى النادى السعدى وشرح له الأمر فقال فؤاد باشا :

ـ موقفك مشرف ولابد أن تستمر .

قال الليثى :

ـ ألا يمكن أن يثير الوفد الموضوع لأنى أقاوم وحدى .

وعده الباشا خيرا !

وقابل الليثى عمر عمر نقيب المحامين الوفدى فوعده خيرا أيضا .

ولكن نقابة المحامين لم تتحرك لمساندة الليثى الذى أبرق إلى النيابة يحمل الشرطة مسئولية أى اعتداء أو ضرر يلحق به من الجزار.

وعندما سئلت أمام محكمة الجنايات ـ بعد ٤ سنوات من الجريمة ـ قالت السيدة منيرة عامر مطلقة صالح حرب :

ـ الولد مسكين وكان خايف .. العهد كان عهد ارهاب ، والكل خايف !

رأى محمد الجزار وكبار الشرطة احاطة الليثى بالشبهات فقالوا فى تحقيقات النيابة وأمام القضاء انه كان يعمل مرشدا عند الجزار ويتقاضى عشرة جنيهات شهريا قبل الجريمة بعام.

ودافع صالح حرب عن الليثى أمام المحكمة .. قال :

ـ أدى الليثى واجبه فوق ما يطيق.

ونفى عنه الاتهام بأنه كان مرشدا للشرطة.

قال :

ـ لوكان يتطلع إلى المال لارتمى فى أحضان الأحزاب التى تسرف فى انفاق المال. ولا يبقى فى جمعية الشبان المسلمين الفقيرة.

وقال :

ـ كان الليثى مهددا فكل مصرى يمسى ولا يصدق أنه سيصبح ، ويصبح ولا يصدق انه سيمسى.

وموقف الليثى أدق ما يكون وأكثر من غيره عرضة للخطر.

* * *

من البداية اتهم عبد الكريم منصور كلا من محمد كامل الدماطى مدير مكتب إبراهيم عبد الهادى ووكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار بارتكاب الجريمة .. فإن عبد الكريم أدخل حجرة منفردة فى مستشفى القصر العينى ولم يعرف بوفاة البنا إلا بعد أن تلقى برقية تعزية من السودان.

وقد تأخر سؤاله لأن حالته لم تسمح بذلك . وعندما سأله المحقق بعد خمسة أيام من وقوع الجريمة أحسن ، كما قال ، بأن « المسائل مطبوخة »

وجد النيابة غير جادة .

رأى أن يتهرب منها فقال للمحقق :

ـ اكتب على كيفك !

وعندما طلب مغادرة المستشفى عومل معاملة شاذة . فقد أخذ إلى قسم شرطة عابدين ومكث به مدة طويلة حتى سمح له بالعودة إلى بيته .

* * *

حرصت الصحف المصرية جميعا ـ وكانت تحت الرقابة ـ على أن تردد بيانات الحكومة وتتهم الإخوان بأنهم الذين قتلوا المرشد العام ولم تذكر كلمة واحدة عن المتهمين الحقيقيين .

ودافع عبد الرحمن عمار عن محمود عبد المجيد ـ دون ذكر اسمه ـ فقال فى حديث لصحيفة « الأساس » جريدة الحزب السعدى وأكد ذلك فى شهادته أمام النيابة . قال :

« النار بدأت تأكل بعضها » ...

يعنى انه جرى انقلاب بين الارهابيين على شيخهم السابق ، وبعد أن ظنوا أنه لم يعد يشايع حركاتهم الارهابية ، وانه أخذ يفكر فى تسليم أسلحتهم ومحطتهم السرية إلى السلطات المسئولة .

وقال عمار :

ـ ذكر الشيخ البنا أن مُضِيَّه خطوة واحدة فى سبيل تسليم الأسلحة والذخائر سيؤدى إلى قتله . وكان هذا الحديث للقتيل قبل مصرعه بوقت قليل

وأضاف :

ـ هناك اتجاه آخر لم يفت جهات التحقيق وهو البحث عن صلة بين حادث

البنا والحوادث الدامية التى وقعت فى قطر عربى شقيق فى مثل هذا الشهر من العام الماضى .

يقصد بذلك اليمن .

وأعلنت الحكومة المصرية صراحة أن الإخوان ساهموا فى اغتيال الامام يحيى ـ إمام اليمن ـ لتأكيد أن قتلة الشيخ حسن من اليمنيين .

وقالت الصحف إن الاتجاه الثالث يدور حول تهديدات بالقتل تبادلها فريقان من جماعة الإخوان بعضهم انفصل عنها من زمن وكل فريق كان يعمل على تهديد رئيس الفريق الآخر .

* * *

وجدت فى مكان الحادث حافظة نقود باسم أحمد شعبان عبد الهادى وهو كهربائى ونشر ذلك فى الصحف .

قرأ شعبان ذلك فتقدم إلى الشرطة يقول ان حافظته وبها رخصته وقعت منه . وهو فى طريق عمله وكانت بداخل معطفه الذى وضعه على كتفه .

قال رجال الشرطة :

ان الجو بارد والشيخ البنا ـ كان قوى البنية ـ ومع ذلك يرتدى معطفا وتحته جاكته وبلوفر مما يدل على برودة الجو ، فكيف لا يرتدى الكهربائى معطفه .

وأكد صاحب المقهى المجاور للجمعية أن الليلة كانت قارصة البرد ولذلك قرر إغلاق المقهى .

وأراد رجال الشرطة القاء التهمة على الكهربائى لأنه ينتمى لجمعية الإخوان ...

قالوا :

ـ من غير المعقول أن يمر أمام الجمعية ولا يسمع عن الحادث أو يهتم به .

ولكن رجال الشرطة اضطروا للافراج عن الكهربائى إذ لم يجدوا دليلا واحدا على صلته بالجريمة .

وتقدم إلى النيابة الدكتور محمد حسنى عباس مدرس القانون بكلية التجارة بجامعة فؤاد الأول « القاهرة » ـ المولود بجرجا ـ صديق الجزار منذ الصبا وزميله فى كلية التجارة قائلا :

ـ كان لدى موعد عند نقابة المحامين فذهبت متأخرا حوالى ٨,١٥ مساء ورأيت سيارة فالتقطت رقمها وهو ٩٩٩٧ .

.. يريد بذلك أن يؤكد الرقم المزيف الذى ذكره محمد وصفى .

ولاحظ المحقق أن الشاهد الجديد جاء بصحبة الرائد توفيق السعيد ضابط المباحث العامة .

واعتذر عن الإدلاء باسم صديقه الذى جاء من أجله إلى هذا المكان وفى هذا الموعد .

ولما سئل عن الاضواء فى الطريق وهل تسمح له بالتقاط رقم السيارة المسرعة

أجاب بأن نظره سليم ٦ على ٦ !

وقبضت الشرطة على كواء فى شبين الكوم اسمه صلاح أحمد بركات اعترف بأنه القاتل فنقل إلى القاهرة وحققت معه النيابة فلما رأى خطورة الاتهام عدل عن أقواله. وأفرجت النيابة عنه ..بعد حين !

واعتقلت الشرطة ٨٠ شخصا من الإخوان بحثا عن قتلة حسن البنا !

سئل الليثى :

ـ هل اعتاد البنا على الذهاب إلى الجمعية بانتظام ؟

أجاب :

ـ قبل قتل النقراشى كان يلجأ إليها ساعات بالنهار وساعات بالليل أما بعد قتله فلم يذهب المرشد العام إلى الجمعية ليلا ..

بعث جيفرسون باترسون القائم بأعمال السفارة الأمريكية إلى وشنطن بعد ٤٨ ساعة من الاغتيال ــ أول برقية عن القتلة .

قال :

« لم يتم حتى الآن تحديد شخصية القاتل .

ولم يتم بالطبع القبض عليه .

وتم الافراج عن أحد المشتبه فيهم عثر على بطاقته الشخصية قريبا من مسرح الحادث واعترف بأنه عضو فى الإخوان المسلمين مما كان مثار خيبة أمل البوليس .

وطرحت عدة تصورات بالنسبة لطبيعة الاغتيال . والنظرية السائدة بين الجماهير أن الجريمة ارتكبت على يد أحد عملاء الحكومة انتقاما لاغتيال النقراشى باشا .

وهناك نظرية أخرى يحبذها تماما رجال الأمن تقول إن الاغتيال قام به أحد أعضاء الإخوان المسلمين إما لأن الشيخ حسن البنا خذل الإخوان المسلمين المعتقلين . وإما لأنه كان على وشك أن يعطى السلطات معلومات متعلقة بإمدادات الإخوان من الأسلحة .

والنظرية الثالثة التى تنتشر على حذر تقول إن القصر دبر مقتل الشيخ حسن البنا خشية أن يكشف البنا عن طبيعة علاقاته بالقصر

وهناك نظرية أخرى قالها أحد كبار موظفى القصر تقول : إن الاغتيال تم على يد شخص يمنى يعمل لحساب الأسرة المالكة اليمنية انتقاما لمقتل الامام يحيى فى فبراير سنة ١٩٤٨ و المخطط الذى قيل إن الإخوان المسلمين شاركوا فيه »

قال محمد وصفى للماجور سانسوم البريطانى :

ــ أعرف القاتل !

وأضاف :

ــ ولكن لا يمكن تقديمه للمحاكمة الان . لقد قتل فى اليوم الثانى للجريمة

فى طريق السويس . أطلقت عليه رصاصة فى ظهره مثل الشيخ البنا .

وانفرجت شفتا وصفى عن ابتسامة باهتة . وقال :

ـ من السهل أن تقتل أحد المرءوسين خاصة إذا ادعيت انك تسعى لتأمين سلامته الشخصية . فى هذه الحالة تصحبه إلى نقطة نائية وتطلق عليه رصاصة من الخلف .

قال السيد الشوربجى محامى الإخوان :

ـ مضى التحقيق الصورى المضحك المبكى فى آن واحد .

وقال الإخوان :

ـ ماذا يكون الأمر حين تكون الحكومة هى التى دبرت الجريمة ، وحين يكون رجال البوليس هم الذين نفذوها .

من الذى يجمع الأدلة إذن ويقدمها للقضاء .

وماذا يكون الأمر حينما تعمل الحكومة على هدم الأدلة الموجودة بين يدى المدنيين من غير رجالها ؟

* * *

... وتستمر محاولات طمس الحقائق ، وتزوير الأدلة فانها كانت أيام .. الزيف !

الجنــازة

اتصل الملك فاروق حوالى الساعة التاسعة مساء بالدكتور يوسف رشاد وقال له :

ـ حسن ضرب بالرصاص وحالته خطرة ، ولكنه لم يمت بعد .

وقال الدكتور يوسف رشاد إن لهجة الملك دلت على فرحته وارتياحه للحادث .

وقالت السيدة ناهد رشاد ـ زوجة الدكتور يوسف رشاد ـ إن فاروق كان سعيدا جدا يوم الجريمة .

وقال محمد حسن السليمانى ـ الأمين الخاص للملك منذ عام ٤٣ ـ إن فاروق كان متأثرا جدا عندما قتل النقراشى . وعندما قتل البنا لم يظهر أى تأثير .

واتصل الملك بحسن يوسف وكيل الديوان فى منزله .. وكان نائما .

قال :

ـ هل سمعت بالحادث ؟

رد حسن يوسف :

ـ أى حادث ؟

قال فاروق :

ـ الشيخ حسن البنا ضربوه بالرصاص .

قال حسن يوسف :

ـ لا حول ولاقوة إلا بالله !

نشرت الصحف المصرية حادث اغتيال الشيخ البنا بالعناوين الكبيرة فى الصفحات الأولى . قالت صحيفتا « الأهرام » المستقلة و « الأساس » ـ الناطقة باسم الحزب السعدى الحاكم ـ إن الاخوان المسلمين هم الذين قتلوا حسن البنا لأنه كان ينوى ابلاغ الحكومة عن مكان الأسلحة ومحطة الاذاعة السرية .

وكان الاخوان المفجوعون فى قتل مرشدهم يقرأون هذا الكلام ويعجبون له مثل عجبهم للجريمة ذاتها .

وصفت مجلة « الدعوة » ـ بعد حين ـ مشاعر الاخوان فقالت :

« لو كان فى القلوب يومئذ مكان للضحك ، لضحك الناس على ذلك . ولكن كان بالقلوب ما يكفيها من أحزان » !

بدأت « الأساس » رواية قصة الاغتيال فقالت :

« منذ أذاع الأستاذ حسن البنا بيانه الذى استنكر فيه أعمال الأجرام التى ارتكبها فريق من الذين انتموا إلى جماعته المنحلة . وهو يتلقى من بعض الأعضاء الذين كانوا معه استفسارات واستنكارات لموقفه .

وأول أمس تلقى خطاب تهديد ، من نوع الخطابات ، التى انتشرت فى الأيام الأخيرة فى كل مكان .

وعرف أن سبب هذا التهديد الأخير لحسن البنا أنه أرسل إلى الحكومة كتابين منذ ثلاثة أيام يقول فى الأول منهما إنه يستنكر أشد الاستنكار الحادث الاجرامى الذى حاول فيه أحد اتباعه السابقين نسف محكمة الاستئناف . ويصف هذا الشاب بأنه ليس أخا وليس مسلما .

كما أعرب فى كتابه الثانى عن استعداده لتسليم محطة الإذاعة السرية التى تتحدث باسم الجماعة المنحلة . واستعداده لتسليم الذخائر والأسلحة الباقية لدى بعض أعوانه ولم تقع فى يد البوليس حتى الآن .

وكانت « الأساس » تكذب فإن بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » كتبه الشيخ البنا قبل شهر.

أبرقت السفارة البريطانية إلى لندن فى الرابعة صباحا بوفاة حسن البنا .. مما يدل على أن هذا النبأ يهم الانجليز ولذلك ابلغوا بالجريمة بعد وقوعها . وقبل الفجر .

ونشرت صحيفة « التايمس » فى لندن النبأ فى طبعتها الأخيرة .

كررت الصحيفة البريطانية مزاعم الحكومة المصرية فقالت :

« ذكرت التقارير أن الشيخ تلقى أخيرا خطابات بالقتل إذا حاول افشاء اسرار الجماعة المحظورة إلى السلطات خاصة مايتعلق منها بمخازن اسلحتهم السرية » .

وقال جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى :

« لم تبد وزارة الخارجية المصرية تعاطفا مع القتيل . وقال مسئول بالوزارة إن حسن البنا أنشأ وحشا

ووضع رجال الشرطة على أهبة الاستعداد فى جميع أنحاء البلاد توقعا لانتقام الاخوان » .

* * *

التزم اعضاء هيئة كبار العلماء الصمت بعد اغتيال البنا بينما اصدروا بيانا بعد مصرع النقراشى أدانوا فيه الاغتيال السياسى .

وأبدت صحيفة « اللواء الجديد » ـ صحيفة الحزب الوطنى ـ أسفها للحادث وقالت إن « الشيخ البنا كان يود قبل اغتياله أن يعتكف استجماما من عناء ماكابده فى الأيام الأخيرة » .

وقالت مجلة الحوادث الوفدية « من كل هذا يبرأ الوطن » .

وقال الأمير المغربى عبد الكريم الخطابى عندما سمع نبأ الجريمة :

« ويح مصر واخوتى أهل مصر. سفكوا دم ولى من أولياء الله » .

ولم تنشر كلمات الأمير ـ بسبب الرقابة على الصحف ـ إلا ... بعد حين !

غادر اللواء أحمد عبد الهادى حكمدار شرطة القاهرة منزله ـ عندما سمع بالجريمة ـ إلى مقر جمعية الشبان المسلمين ثم توجه إلى مكتبه ليستمع إلى تقارير كثيرة من رجاله فى كل مكان .

قالت هذه التقارير ـ على حد تعبير الحكمدار ـ إن الجريمة افزعت كثيرا من الزعماء والأجانب وأنه خشى رد فعل الاخوان فينتهزون الفرصة لاحداث اضطرابات خطيرة. أو ثورة فيفلت الزمام .

ظل فى مكتبه حتى الفجر يوزع قوات الشرطة على أنحاء المدينة لتأمين حالة الأمن العام وعمل الاجراءات اللازمة فى مثل هذه الظروف .

وربما كان فى استطاعة الاخوان إحداث اضطراب . ولكن كان واضحا أن معظم أعضاء النظام الخاص قد اعتقلوا ، كما أن اغتيال المرشد العام جعل باقى الاخوان فى حالة يمكن أن يطلق عليها ، التعبير الحديث الشائع « انعدام الوزن » !

* * *

رأى عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية أن تشيع الجنازة مباشرة من مشرحة القصر العينى خشية أن ينتهز الاخوان المسلمون الفرصة واعدادهم كثيرة وانتشارهم واسع بالقاهرة وضواحيها ، لإحداث خلل بالأمن العام يؤدى إلى نتائج خطيرة .

ولكن والد الشيخ حسن البنا توجه إلى مكتب اللواء أحمد طلعت وطالب بالحاح أن تشيع الجنازة من منزله .

لم يوافق الحكمدار إلا بعد استئذان وكيل الداخلية والمسئولين فى الوزارة .

وكان الشرط الوحيد المعلن أن تشيع الجنازة فى هدوء .. بلا مظاهرات ، أو هتافات .

فى مذكراته قال الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ :

« نقلت جثة الشيخ حسن من مستشفى قصر العينى إلى منزل والده فى سر من الناس ، ثم أمرت بألا يشيعه ، إلى مقره الأخير ، إلا عدد محدود من أهله المقربين . وألا يقام له مأتم يقصد إليه المعزون .

وكانت المحافظة على الأمن ، سند الحكومة فى تصرفها » .

* * *

وصفت صحيفة « الكتلة » الناطقة باسم حزب الكتلة الذى يرأسه مكرم عبيد باشا جنازة حسن البنا فقالت :

نقل جثمان حسن البنا إلى بيته فى سيارة ، تحرسها سيارة ، مملوءة بفريق من رجال البوليس المسلحين ..

وفى أحد شوارع الحلمية وقفت القافلة ونزل الجند فأحاطوا ببيت الفقيد . ولم يتركوا ثقبا ينفذ إليه الشك إلا وسدوه بجندى وسلاح !

وقف والد الشيخ البنا ، ذلك الرجل الهرم الذى جاوزالتسعين عاما ، ولم تبد عليه عوامل السنين .

عرف بخبر وفاة ولده من أحد الضباط فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وقيل له إنهم لن يسلموا إليه جثته إلا إذا وعدهم بأن تدفن فى الساعة التاسعة بلا احتفال .. وإلا فإنهم سيضطرون إلى حمل الجثة من مستشفى قصر العينى إلى القبر .

واضطر ازاء هذه الأوامر إلى أن يعدهم بتنفيذ كل ماتطلبه الحكومة رغبة منه فى أن تصل جثة ولده إلى بيته ليلقى عليه نظرة أخيرة .

ظل الرجل ساهرا تطحنه الأحزان .

وقبيل الفجر تتابعت على باب المسكن طرقات كان صداها يطحن قلب الشيخ .

كان وحده الذى يعلم وينتظر. فإن أشقاء الفقيد جميعا كانوا داخل المعتقلات .

فتحوا الباب وأدخلوا الجثة متسللين فلم يشهدها أحد من الجيران . ولم يعلم بوصولها سواه .

وظل حصار رجال البوليس مضروبا ، لا حول البيت وحده ، بل حول الجثمان نفسه ، لايسمحون لإنسان بالاقتراب منها مهما كانت صلته بالفقيد .

وقام الأب نفسه باعداد جثة ولده وتجهيزها للدفن، فإن أحداً من الرجال المختصين بذلك لم يسمح له بالدخول ..

ثم نزلت الجثة حيث وضعت فى النعش وبقيت مشكلة من يحملها إلى مقرها الأخير.

طلب إلى رجال البوليس أن يحضروا رجالا يحملون النعش فرفضوا .

قال لهم :

ـ ليس فى البيت رجال

أجابوا :

ـ فلتحملها النساء !

وخرج نعش الفقيد محمولا على أكتاف النساء وفى مقدمتهن فتاة قوية صبور تهتف بأبيها :

ـ قرَّ عينا ياأبتاه. فلن نتخلف عن رسالتك. ولئن منعت الحكومة من يشيع جنازتك ـ وأسفاه لنذالة الحكام ـ فحسبنا عزاء وجزاء أن أرواح الشهداء تمشى معنا ، وتشيع عن أهل السماء ، ما عجز عن تشييعه أهل الأرض.

وسارت الجنازة الفريدة فى الطريق فإذا بالشارع كله قد رصف برجال البوليس .

وإذا بعيون الناس من النوافذ والأبواب تصرخ ببريق الحزن والألم ، والسخط ، على الظلم المسلح الذى احتل جانبى الطريق !

وعندما وصل الموكب الحزين إلى جامع قيسون للصلاة على جثمان الفقيد ، كان المسجد خاليا من الناس حتى من الخدم .. فإن رجال البوليس قدموا إلى بيت الله ، وأمروا من فيه بالانصراف . كى لاتتم الصلاة على الجثمان .

ووقف الأب أمام النعش يصلى فانهمرت دموعه .. فى ابتهالات إلى السماء .

ومضى النعش إلى مدافن الإمام الشافعى فوورى البنا التراب وعاد الجمع القليل إلى البيت الباكى الحزين ...

وعادت النساء الثلاث اللائى حملن النعش على اكتافهن وعاد الوالد الواله الحزين ..

وهكذا فى اثنتى عشرة ساعة قتل الشيخ البنا ، وشرح ، وغسل ، ودفن ، وانطوت صفحة حياته !

ومضى النهار وجاء الليل فحرم على أفراد الأسرة أقامة العزاء وتلاوة القرآن .

ولم يحضر أحد من المعزين لأن الجنود منعوا الناس من الدخول .. أما الذين استطاعوا الوصول للعزاء فلم يستطيعوا العودة إلى بيوتهم ، فقد قبض عليهم وأودعوا المعتقلات ، عدا مكرم عبيد باشا ، الذى تعرض لعنت رجال البوليس حين أرادوا أن يمنعوه من واجب العزاء فلم يمكنهم . ودخل البيت وأزجى كلمات العزاء .

قال الاخوان إن الحكومة خجلت من القبض على مكرم عبيد لأنه يجوز أن يكون من الاخوان ولكن المقطوع به أنه ليس من المسلمين !

فى كتابه « معتقلات هاكستب » كتب المناضل العربى الذى اتخذ القاهرة دارا له بعد ضياع وطنه فلسطين محمد على الطاهر :

« اقترحت على الحاضرين ـ فى مكتبى ـ أن نقوم جميعا ونذهب إلى سرادق التعزية المعتاد فى مثل هذه الظروف ، فقالوا :

ـ منعت الحكومة إقامة سرادق العزاء ، ولذلك جئنا لنتبادل العزاء عندك .

وقبيل منتصف الليل لم يبق عندى إلا الكاتب الأديب وكيل وزارة التعليم محمد سعيد العريان ، وكان من زملاء الفقيد فى الدراسة فكان يبكى صديقه بكاء شديدا .

قلت له :

ـ مارأيك فى أن نذهب الآن إلى منزل الفقيد لتعزية والده وأهله .

قال :

ـ هيا بنا .

ركبنا سيارة الأستاذ العريان فإذا بحى الحلمية الذى فيه دار المرحوم البنا مظلم الجنبات مطفأ الأضواء ، وكانت الدكاكين كلها مغلقة .

أطلقنا الأنوار فإذا بالجنود بألبستهم السوداء يلوحون فى ذلك الظلام كالأشباح ، وبأيديهم البنادق مشرعة . وإذا بهم يقفون لنا فى عرض الطريق سدا ، ويشيرون إلى السائق بالاتجاه إلى غير اتجاهنا .

وتعجبنا من هذه الاحتياطات ، وأوعزنا إلى السائق أن يدور ويدخل من المنطقة من شارع آخر وليكن مايكون .

ولكن الشرطة لم تسمح بالحركة إلا إذا عادت السيارة من حيث أتت وإلا !... وإلا فإنهم يطلقون علينا النار . عند ذلك رجعنا ونحن نحمد الله على أنهم اكتفوا منا بالرجوع » !

فى مذكراته قال الماجور سانسوم ضابط الأمن بالسفارة البريطانية « إن كل الاجراءات التى اتخذت لمنع المظاهرات بعد الاغتيال ، وفى الجنازة ، تم تخطيطها قبل عدة أسابيع » !

بعث جيفرسون باترسون القائم بأعمال السفارة الأمريكية إلى واشنطن يقول :

« تم فى هدوء دفن الشيخ حسن البنا . وهذا الدفن السريع ليس له سوابق حتى فى مصر التى يقضى فيها القانون بدفن الجثة خلال أربع وعشرين ساعة من الوفاة . وقد تم تحت ضغط الحكومة التى خشيت أن تكون الجنازة العامة للرجل مناسبة لأتباعه والمتعاطفين معه للتجمع وتعكير الأمن .

وأحاطت حراسة الشرطة المشددة بالنعش من المشرحة إلى المسجد . وأعلنت حالة الطوارئ بين قوات الشرطة فى أنحاء البلاد ووضعت قوات الأمن فى حالة تأهب » .

قال عباس السيسى فى كتابه « حسن البنا . مواقف فى الدعوة والتربية » :

« رد الأطار الطاهر والجسم العزيز إلى أهله ليخرج حسن البنا من الدنيا متواضعا يسير المظهر ، كما دخلها ، وكما عاش متواضعا يسير المظهر . وساهمت الحكومة المتحضرة فى هذا التواضع واليسر فحرمت على المشيعين أن يقربوه .

ورأى الناس يومئذ عجبا فى الجنازات .

وفى وحشة الشارع المقفر من الغادى والرائح ، إلا من هذه الجنازة المتمهلة الفريدة ارتجت المنازل على الجانبين وأجهشت النوافذ والشرفات بالبكاء ، وهم يرون حسن البنا العظيم ، يحمل على كتف زوجته وابنته إلى مقره الأخير » !

* * *

بقى ماوقع أثناء سير الجنازة وبعدها من حوادث أدت إلى اعتقال مئات من الناس لأسباب غريبة تكاد لاتصدق .

حشر المعتقلون حشرا فى غرفة ضيقة باردة عفنة هى سجن نقطة الامامين القريبة من المقابر .

وهذه بعض أسباب الاعتقال :

هذا الشاب الذى يلبس رباط عنق أسود ـ كرافته ـ حدادا على أبيه المتوفى قبل أيام . أدرك رجل البوليس بفطنته ويقظته أنه يلبسها حدادا على الشيخ حسن البنا .

واستبعدت فطنته ويقظته أن هناك سببا آخر دفع الشاب إلى لبس « الكرافتة » السوداء ، فهو إذن ، من غير شك ، من أشياع البنا ومريديه الذين كانت تتعقبهم السلطات تنكل بهم أسوأ تنكيل .

وقد أودعوه السجن ثم المعتقل .

وذلك الرجل ...

ضبطه رجل البوليس يتمتم بالفاتحة من إحدى النوافذ أثناء سير جنازة الشيخ الرهيبة ، فصعد إليه واقتاده ، من بين أطفاله وزوجته ، والسلاح فى ظهره مستعد ليسكته إذا حاول المقاومة أو الفرار ..

وفى محضر البوليس سألوه عن صحة التهمة وهل قرأ الفاتحة حقا على روح الشيخ البنا ..

أجاب بالإيجاب .

هنا ازدحمت الأكف والقبضات والأقدام فوق وجهه وجسمه .

وعادوا يسألونه :

ـ ولماذا قرأت الفاتحة ؟

فأجاب الرجل :

ـ من شعائر الدين أن نقرأ الشهادتين عندما يمر ميت ونقرأ الفاتحة على روحه .

صرخ أحد رجال البوليس ، وقد استقرت يده على وجه المسكين لتصافحه بحرارة ، وهو يقول :

ـ كان لازم تعمل حنبلى النهارده يا ابن الـ ...

صاح المتهم البرئ الذى كان احترامه لشعائر دينه ذنبا لا يغتفر قائلا :

ـ وهل فى قراءة الفاتحة جريمة يعاقب عليها القانون ؟

ومرة أخرى ...

ازدحمت الأكف والقبضات والأقدام فوق وجهه وجسمه .

وأغمى عليه ..

وأفاق ليجد نفسه فى الغرفة الباردة العفنة ، مع عشرات آخرين ، لإرساله إلى المعتقل بلا محاكمة .

ولقد خلع حامد جوده رئيس مجلس النواب .. السواد على النقراشى باشا فى ذلك اليوم بالذات . ولم يكن قد انقضى على مقتل النقراشى باشا أكثر من ثلاثة وأربعين يوما .

وشن البوليس حملة عنيفة على المساجد فى العاصمة .

وقبل أن يغشى الظلام مدافن الإمام الشافعى ، كانت ثلة من الجنود تحاصر الطرق المؤدية إلى المقبرة ، وقوات كبيرة تحيط بمنزل الفقيد لتمنع الداخلين ، ولو كانوا من مرتلى آى الذكر الحكيم . وتقبض على الخارجين ، ولو كانوا من جيران الراحل الكريم !

وأشيع ذات مساء أن بعض أصدقاء الشيخ البنا آلمهم أن يدفن الرجل بهذه الصورة المزرية المؤلمة ، فاعتزموا اختطاف الجثة من قبرها وإخفائها عن أعين البوليس .

طير الخبر إلى السلطات المختصة ، فأمرت بمضاعفة الحراسة ، والتأكد من كل شخص يمر بالطرقات المؤدية ، إلى مدافن الإمام الشافعى .

وكان الجنود المسلحون يتناوبون الحراسة ، بعيون يقظة ، خوفا من أن يتمكنوا من سرقة جثمان حسن البنا الذى مزقته الجريمة ! فخصصوا فرقا من

رجال البوليس للسهر عليه وحراسته خشية أن ينقل الجثمان إلى مكان يليق بمقامه !.

وأبى ـ من بيدهم الأمر ـ إلا أن يضطهدوا الرجل فى موته .. وإلا أن يحرسوه بجند من عندهم .

وفى الليلة التى ظنوا أنها موعد تنفيذ المؤامرة الخيالية ـ مؤامرة خطف الجثمان ـ امتلأت مقابر الإمام برجال البوليس لأول مرة .

وكان رجال البوليس كلما اشتبهوا ، فى شخص أو جماعة ، من المارة أوقفوهم وفتشوهم ، وسألوهم إلى أين هم ذاهبون .. فإذا اطمأنوا إليهم ، سمحوا لهم بالانصراف وإذا ارتابوا فيهم قبضوا عليهم واودعوهم المعتقلات !

ولمح نفر من رجال البوليس بعض الناس يحملون نعشا ويسيرون به بين المقابر ، ولعلهم كانوا قد قدموا به من مكان بعيد ، فلم يدركوا المقابر إلا بعد الغروب .

وفوجئ المشيعون بأسلحة تلمع فى الظلام وأصوات تأمرهم بالوقوف وبوضع النعش على الأرض للتحقق من الميت !

ورفع أحد الجنود غطاء النعش وسلط عليه ضوء مصباح كهربائى فى يده ، ثم أمرهم باعادة الغطاء وأن يمضوا فى طريقهم .. بعد أن تبين الجندى أن وجه الميت يختلف عن وجه الشيخ البنا !

وقدر للأموات أن يلقوا نصيبهم من الظلم الذى حاق بالأحياء .

وهكذا ظلت المقابر تنعم بالراحة والهدوء . منذ قديم الأزل حتى جاء دلك العهد فلم يسلم من ظلمه وجوره وجهله ، حتى الأموات ، الذين هم فى رعاية الله وبين يديه » .

* * *

لم يعرف شعب مصر فى تلك الأيام إلا أن حسن البنا قتل وأن جنازته شيعت

من داره فى الحلمية وصلى على الجثمان فى جامع قيسون .

.. أما الوصف الذى كتبه مأمون الشناوى ، بدون توقيع ، فى جريدة « الكتلة » فإنه لم ينشر إلا فى ١١ من نوفمبر ١٩٤٩ أى بعد تسعة شهور من الجريمة.. لأن الرقابة على الصحف كانت قائمة يوم الجريمة !

وظلت الرقابة على الصحف ، وعلى القبر مستمرة حتى استقالت وزارة إبراهيم عبد الهادى ! وقالت صحيفة المصرى فى ـ نوفمبر ٤٩ أيضا ـ إن الحكومة منعت تلاوة القرآن الكريم أثناء دفن الشيخ .

وقال الاخوان إن الملك فاروق توجه إلى القصر العينى ليرى حسن البنا قتيلا .

ولكن لايوجد ما يؤكد هذه الرواية .

وقال محمد الجزار فى التحقيقات التى تمت بعد الثورة إن عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية توجه فى اليوم التالى للجريمة إلى قصر عابدين فقابلوه بالعناق والتبريك .

* * *

بعد أسبوعين من اغتيال البنا قابل السفير البريطانى السير رونالد كامبل الملك فاروق .

قال السفير :

ـ اعتقد أن الجريمة كانت من فعل اتباع حسن البنا المتطرفين ممن يخشون أو يرتابون فى أنه يفرط فى الأمور بسهولة .

وأضاف :

ـ هل تعتقد جلالتك أن الجريمة من فعل السعديين بدافع الانتقام ؟

رد فاروق قائلا :

ـ إنها بالتأكيد من فعل السعديين بدافع الانتقام ، وليس من صنع الاخوان المسلمين .

قال ريتشارد ميتشيل فى كتابه « الاخوان المسلمون » :

« إن عملية الاغتيال كانت مخططة أو على الأقل تم التغاضى عنها من جانب رئيس الوزراء ، ربما بدعم من القصر ، ونفذت عن طريق البوليس السياسى » .

بعد ثورة ٢٣ يوليو قال العميد أحمد كامل قومندان شرطة القصور الملكية إنه يعتقد أن الجريمة تمت لحساب الملك والحكومة .

قال التقرير السنوى للسفارة البريطانية تعليقا على اغتيال الشيخ البنا :

« هناك أسباب تدعو إلى الشك فى أن الحكومة لم ترفض استخدام وسائل اعدائها الارهابيين . والاعتقاد بأنها فعلت ذلك ينتشر على نطاق واسع بالنسبة لاغتيال حسن البنا » .

وقال المقدم طه زغلول المفتش بإدارة المباحث بوزارة الداخلية ــ بعد الثورة أيضا ــ إنه سمع اشاعات كثيرة بأن عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية قام بالجريمة ارضاء للملك فاروق .

وسألت عمر التلمسانى المرشد العام للاخوان عن رأيه فيمن قتل حسن البنا فأجاب بكلمة واحدة .

ــ فاروق

قلت :

ــ وإبراهيم عبد الهادى .

قال :

ــ لايستطيع وحده ارتكاب الجريمة .

إن رجال عبد الهادى اعلنوا أنهم يطلبون الثأر وربما كان هناك تحالف بين الملك ورئيس حكومته .

* * *

كتب جيفرسون باترسون الوزير الأمريكى المفوض فى القاهرة :

« يوجد ترحيب فى أوساط الرأى العام بزوال الشيخ البنا من المسرح وإن كانت هناك خشية من أن يؤدى مقتله إلى عودة الأنشطة الإرهابية من جديد لأن اختفاء حسن البنا بكل ما كان يتمتع به من سلطة مطلقة على الاخوان المسلمين ومن طموح غير محدود يعنى زوال شخصية اختلف الناس عليها حيث يسهم ذلك فى استتباب الأمن من جديد بعد ان تتبدد آثار صدمة اغتيال البنا من نفوس أتباعه » .

* * *

حفل تاريخ مصر بزعماء كثيرين منهم أحمد عرابى وجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وعبد الله النديم ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش وسعد زغلول .

وكان حسن البنا واحدا من هؤلاء أو حلقة من حلقات هذا العقد الفريد من المناضلين .

وقد اضطهد الزعماء . وسجن بعضهم . ولكن حسن البنا كان الوحيد بينهم الذى انتهت حياته بالاغتيال .

قال بعض المؤرخين إنه كان دائما فى عجلة من أمره .

وقالوا إنه خسر المعركة لأنه خرج للعلن وأذاع أهدافه بسرعة .

وقالوا إنه لقى مصير اثنين آخرين من الزعماء اغتيلا قبله وهما أحمد ماهر والنقراشى ولكن حركتهما والاغتيالات التى قيل أنهما اشتركا فيها كانت موجهة ضد الانجليز وحدهم . أما بالنسبة للمرشد العام فإن حركته كانت ضد المصريين أيضا . وكانت صراعا من طبقة ضد طبقة أخرى .

وقالوا إنه مادام قد لجأ للعنف . عن طريق الجهاز السرى . فلابد أن يلاحقه العنف !

* * *

قبل وفاة المرشد العام بأيام سأله أحمد أنس الحجاجى أحد أعضاء الجماعة :

ـ لماذا لاتختار الرجل الثانى .. أعنى من يلى الأمر بعدك .

أجاب على الفور :

ـ لا .. وإن قلت لى إن أبا بكر اختار عمر .. فلست بأبى بكر .. وليس فيكم عمر !

وأضاف :

ـ الموقف هو الذى سيخلق الرجل . لكل موقف رجل . ولاتستطيع أبدا أن « تصنع » رجلا معينا ليلبس موقفا معينا .

فى مقال لجريدة « التايمس » قال مراسل الصحيفة فى القاهرة :

« أهم مايميز الأحزاب السياسية المصرية أنها تعتمد على زعيم أكثر من اعتمادها على مبدأ ، واعتمادها على شعار بدلا من برنامج .. فالوفديون موالون للنحاس والكتلة الوفدية لمكرم وحسن البنا هو زعيم جماعة الاخوان المسلمين .

والسير على خطى الزعيم هو بمثابة القيام برحلة طبقا لأوامر لارجعة فيها .

ولا أحد سوى القبطان يعرف ادنى فكرة عن وجهة الرحلة .

ولايزال السحر فى اسم الزعيم » .

وقال الكاتبان الفرنسيان أوليفيه كارى وجيرار ميشو :

« أهم مايميز حركة الاخوان منذ البداية الولاء المطلق للمرشد العام . فى عام ١٩٣٩ قال أحد مسئولى الجماعة للمرشد العام :

ـ خذ بنا حيث تشاء .

وفى قرارات الجمعية التأسيسية كلها كانت البيعة شخصية للمرشد العام .

كما أن الجهاز التنفيذى للجماعة كان محصورا فى شخصه » .

وفى رسالته الجامعية قال حماده محمود إسماعيل:

« اعتمدت الجماعة في تنظيمها على المركزية الشديدة . واستمد حسن البنا سلطاته من خلال تأثيره الشخصي ، والقوانين التي حددت وضعه داخل الجماعة وقد استطاع بسلطته هذه ، وبتأثيره الشخصي أن يمتص فعالية اللوائح والقوانين الخاصة بالجماعة »

وفي بحثه قال الضابط الكندي هاردي إن وفاة البنا كانت أكبر ضربة للحركة بل هي ضربة صاعقة للاخوان بالمعنى الحرفي الكلمة .

ولم يكن هناك شخص يملأ ـ في الحال ـ مكان البنا .

وكان هذا هدف الجريمة الأول !

* * *

سمع أحمد أنس الحجاجي عضو الجماعة ـ وكان معتقلا في الطور ـ باغتيال المرشد العام فقال لزملائه المعتقلين معزيا نفسه وإياهم :

ـ تصوروا تفاهة الموقف لو مات المرشد العام على فراشه ، وتصوروا مهمتنا ونحن نشيعه إلى مثواه الأخير ثم نعود .

تصوروا كل هذا وقارنوه بما اختاره الله .

.. شهادة في جنح الظلام .

وملك فاجر يعبئ القوى الماكرة كلها لقتل رجل أعزل .

وجنازة تحرسها الدبابات .. لتشيعها الملائكة !

الملك السجين

امتنع الملك فاروق عن الظهور فى أى مكان أو الصلاة فى المساجد . وأعلنت الحكومة عن مكافأة قدرها ألف جنيه لمن يرشد عن محمد مالك يوسف مالك الموظف بمصلحة التليفونات ـ ٢٧ سنة ـ أحد المتهمين بالاشتراك فى اغتيال النقراشى الذى اعترف عليه القاتل عبد المجيد أحمد حسن . ولكن المفوضية الأمريكية قالت إن الاخوان عهدوا إلى محمد مالك باغتيال صاحب الجلالة نفسه .

.. وهذا هو السر فى رصد مكافأة لاعتقاله .

* * *

لم يهدأ الاخوان بعد اغتيال البنا .

وزعوا المنشورات ضد الملك والحكومة .

بعد ٩ أيام من الجريمة بعث جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى إلى واشنطن أول هذه المنشورات وقد وقعت صراحة باسم « الاخوان المسلمون » .

قال المنشور وعنوانه « حكومة فاجرة تغتال زعيما إسلاميا »

« سقط حسن البنا ضحية لمؤامرة جهنمية دبرها أولئك الذين فى السلطة .

من هو الشهيد القتيل ومن هم الجناة ؟

الشهيد رجل ظل يدعو الناس إلى الإسلام على مدى عشرين عاما . وراح يحاول نشر روح الحرية والاخاء والمساواة التى يضمها كتاب الله « القرآن الكريم » .

أما الجناة المجرمون . فهم شياطين يشبعون شهواتهم على حساب الشعب

هم أولئك الذين منحوا التراخيص للعاهرات . ونظموا وأشرفوا على بيوت الدعارة وسمحوا ببيع الخمور وترددوا على المواخير . وأباحوا الربا وقبلوا الرشوة . وسخروا من الفضيلة وأرسلوا نساءهم إلى الملاهى والمراقص العامة .

اغتالوا البنا لأنه كان خطرا عليهم يهدد بتقويض سلطتهم .

ولكن ليعلموا أن حسن البنا ترك خلفه جيشا جيِّد العدة وكتائب جيدة التدريب . وستتعقب ونطارد هذه العصابة من الآثمين ، وسنكبح جماح كل رأس متغطرس وسنلوى كل عنق يتيه خيلاء .

فليسعوا إذن للاختباء فى أنفاق فى أعماق الأرض . أو ليتسلقوا درجا إلى السماء فما من قلعة محصنة أو قصر منيع سينقذهم .

وستتحقق كلمة الله فيهم . والله لهم بالمرصاد » .

قال جيفرسون باترسون الوزير الأمريكى المفوض تعليقا على هذا المنشور فى برقية إلى واشنطن :

« هناك ميل بين قطاع معين من الاخوان المسلمين لإلقاء مسئولية الاغتيال على عاتق رئيس الوزراء مباشرة .

ويعتمد هذا الاتهام على الطبيعة الانتقامية التى يتصف بها عبد الهادى باشا . وعلى كفاءته فى تنظيم المظاهرات والجرائم السياسية فى الأيام الأولى للنضال الوطنى ضد البريطانيين .

ويذكر فى هذا الصدد أن البريطانيين كانوا قد سجنوا عبد الهادى باشا لاشتراكه فى الأنشطة السياسية » .

.. يقصد باترسون بذلك اتهام إبراهيم عبد الهادى عام ١٩٢٤ بالاشتراك فى اغتيال السردار البريطانى السير لى ستاك .

* * *

بعد يومين من اغتيال المرشد العام طلب إلى الاخوان المسلمين المتطوعين فى

فلسطين تسليم معسكرهم إلى الجيش المصرى .

وجاءت السيارات تحملهم إلى عنبر فى رفح لقضاء الليلة فيه .

وفى اليوم التالى وجدوا الاسلاك الشائكة وقد أحاطت بالمعسكر فقد رأت السلطات المصرية اعتقالهم خوفا من الانتقام .

أنشأ اللواء فؤاد صادق القائد العام للقوات المصرية فى فلسطين معسكرا خاصا للاخوان قائلا :

ــ لا أنسى فضل هؤلاء الشباب على مصر والعرب .

واعتقل معهم ، فى المعسكر نفسه ، بعض شباب الأقباط الذين حاربوا معهم !

طلب كامل الشريف من اللواء فؤاد صادق الافراج عن الأقباط قائلا :

ــ نحن مسلمون ، فما ذنب الأقباط ؟

لم يجد القائد العام مايرد به فقال ضاحكا :

ــ هل تريد إقناعى بأن قبطيا يبقى معكم سنتين ويظل على دينه ؟!

ومع ذلك لم يستطع القائد العام الافراج عن الأقباط إلا بعد وقت طويل .

ونقل المعتقلون إلى معسكر آخر فى يونيو . ولم يفرج عنهم إلا بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى .

وعندما اختلف جمال عبد الناصر مع الاخوان أصدر فى ٢٣ من سبتمبر ١٩٥٤ قرار باسقاط الجنسية عن قيادات الجماعة : سعيد رمضان وسعد الدين الوليلى ومحمد نجيب جويفل وكامل الشريف قائد الاخوان فى حرب فلسطين .

وقد رحبت سوريا بهم لاجئين سياسيين .

وبقى كامل الشريف فى القدس . وظل فى الأردن خمسة عشر عاما

تخللتها تقلبات كثيرة منذ أمر جلوب باشا بطرده من القدس ، وعاد إليها بعد طرد جلوب واشتغل بالصحافة والنشر وعمل سفيراً للأردن عشرين عاما فى ألمانيا الغربية واليابان وباكستان ونيجيريا والصين الوطنية . واختير وزيرا ثمانى سنوات وأصبح عضوا بمجلس الأعيان ثم ناشرا لصحيفة « الدستور الأردنية » .

* * *

ووافقت مصر على مساعى الحكومة الأمريكية بالتفاوض مع الاسرائيليين لعقد هدنة دائمة بين البلدين .

جرت المفاوضات بين وفدى البلدين فى فندق « الورود » فى جزيرة رودس البريطانية واستمرت ستة أسابيع .

وعندما اجتمعت الوفود الثلاثة معا كان الوسيط الدولى يجلس فى الوسط والوفد الاسرائيلى إلى يمينه والمصريون إلى يساره .

وكان المصريون يخاطبون بانش كما لو أن الاسرائيليين لاوجود لهم .

وكان هدف المصريين إنقاذ القوة المصرية المحاصرة فى الفالوجة . وقد رفض الاسرائيليون فى البداية السماح بادخال الطعام والادوية ثم سمحوا بها .

وفى المقابل وقع اتفاق لوقف اطلاق النار كمرحلة تسبق الهدنة .

واقترح بانش وسيط الأمم المتحدة عقد هدنة بالشروط التالية :

(أ) تنسحب القوات المصرية المرابطة فى الفالوجة فى اليوم التالى لتوقيع الهدنة .

(ب) تنسحب جيوش البلدين إلى الخطوط التى حددها الوسيط .

(جـ) تصبح بئر سبع وبئر العصلوج والعوجة مناطق محايدة تحت إشراف الأمم المتحدة عند انسحاب القوات المتحاربة منها .

(د) تصبح بير سبع مركز قيادة لجنة الهدنة المشتركة بينما تصبح العوجة وبئر العصلوج مراكز قيادة مساعدة .

(هـ) تخفض القوات المصرية فى قطاعات غزة ورفح وبيت لحم والخليل لتصبح قوات دفاعية فقط بينما تظل القوات الهجومية المصرية فى المنطقة الواقعة شرق العريش .

(و) تصبح القوات الدفاعية الاسرائيلية مساوية للقوات الدفاعية المصرية فى منطقة غزة ورفح وكذلك مساوية للفيلق العربى فى قطاع بيت لحم ـ الخليل .

ويرفض اليهود ابقاء بئر العصلوج والعوجة منطقتين محايدتين ويصران على احتلالها .. مع أن قرار الأمم المتحدة فى ٤ من نوفمبر ١٩٤٨ يعطى مصر الحق فى العودة للمنطقتين .

وتوافق إسرائيل على رفع الحصار عن القوات المصرية المحاصرة فى الفالوجة وانسحاب القوة المصرية منها .

وتنازلت إسرائيل عن احتلال قطاع غزة .

وتوقع مصر يوم ٢٤ من فبراير ١٩٤٩ على اتفاقية الهدنة الدائمة التى استندت إلى الوضع العسكرى على أرض فلسطين !!! بعد ١٢ يوما من وفاة المرشد العام !

ويكتب السير سارجنت الوكيل الدائم للخارجية البريطانية قائلا :

« لانعرف كيف ستتبلور السياسة المصرية نتيجة الفشل فى فلسطين ، وكيف سيتأثر وضع الملك شخصيا ؟ » .

* * *

بعد ستة أسابيع من اغتيال حسن البنا عاد الملك فاروق للظهور فى المجتمعات العامة كما تقول البرقية رقم ٥٠ التى بعث بها السير رونالد كامبل إلى لندن .

قال :

« قام الملك فاروق بعمل نادر الحدوث بظهوره أمام الجمهور فى أول مارس ١٩٤٩ حين افتتح رسميا المعرض الزراعى الصناعى الذى نظمته الجمعية الزراعية الملكية المصرية .

وتم اتخاذ احتياطات أمنية بالغة لتأمين حياة جلالته » .

وصفت صحيفة التايمس البريطانية ـ يوم ٧ من مارس ـ المعرض يوم الزيارة الملكية فقالت إنه كان خاليا تماما من الناس ، كما أخليت أيضا الشوارع المؤدية اليه . وفتش رجال الشرطة الحوانيت التى بقيت مفتوحة .

وقالت التايمس إنه تحت الهدوء الظاهرى الذى يسود مصر توجد دولة بوليسية اتخذت كل إجراءات الأمن كما لو أن البلاد فى حالة حرب .

وأضافت الصحيفة أن الحكومة تخشى انقلابا عسكريا أو ثورة تقوم بها الخلايا السرية لجماعة الاخوان المسلمين المنحلة . ولايعرف عدد المعتقلين .

* * *

وتراقب السفارة الأمريكية أيضا الاخوان المسلمين .

قالت برقية جيفرسون باترسون القائم بالأعمال الأمريكى بمناسبة افتتاح مقر جديد لمصر الفتاة :

« يتسرب أعضاء الاخوان حاليا إلى صفوف مصر الفتاة : وشوهد عدد كبير منهم وهم يلعبون دورهم الجديد كأعضاء فى مصر الفتاة يرددون هتافهم المألوف .. الله أكبر ولله الحمد » .

وتوجه فيليب ايرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية للقاء محمد كامل سليم بك السكرتير العام لمجلس الوزراء فلاحظ شدة إجراءات واحتياطات الأمن حول بيته والمكاتب الحكومية فسأل عن الموقف الأمنى .

قال سكرتير مجلس الوزراء يوم ١١ من مارس ١٩٤٩ :

ـ إن جماعة الاخوان المسلمين الارهابيين كسرت .

وتسيطر الحكومة الآن على الموقف .

رفض ايرلاند أن يسأله عن السر فى تشديد الاحتياطات الأمنية حول بيته والوزارات والمصالح واكتفى بقوله :

ـ هل هناك خطر من أن يظهر زعيم آخر مثل الشيخ حسن البنا ليتولى مسئولية تنظيم الاخوان القائم ، وخاصة فى الأقاليم .

هز كامل سليم رأسه نفيا فى حزم . وقال :

ـ ذلك مستحيل .

وإذا وجد مثل هذا الرجل فهو أمر مشكوك فيه . ولن تسمح الحكومة مرة أخرى لفرد أن يحوز مثل هذه السلطة .

* * *

فى بحثه قال الضابط الكندى هاردى : « لم يفعل إبراهيم عبد الهادى شيئا لتخفيف صرامة الحظر الذى فرض على الاخوان » .

كان النقراشى قد اعتقل ٤٨٧ من الاخوان ولكن عددهم ارتفع فى عهد إبراهيم عبد الهادى إلى ١٦٨٨ ، كما تقول الاحصاءات الرسمية . وكان عدد المعتقلين من اليهود ٣١٥ .

ولكن ميتشيل قال إن معتقلى الاخوان وصل إلى ٤٠٠٠ .

وفى اثناء محاكمة المتهمين باغتيال البنا قال عبد القادرة عودة المحامى ووكيل الجماعة إن حقيقة الرقم ٦٠٠٠ .

وكان الخوف دافعا إلى الاعتقال لشبهات تافهة .

وهذه القصة تعبر عن ذلك :

اعتقل عضو فى جمعية الشبان المسلمين وساقوه إلى القسم . وهناك قال للشرطى :

ـ أنهم اعتقلونى ولست من الاخوان المسلمين ، ولكنى من الشبان المسلمين .

رد الشرطى قائلا :

ـ كلكم مسلمون . خذه ياعسكرى دخله السجن .

وهذه قصة أخرى :

كان أحد اعضاء الجماعة واسمه عبد البديع صقر ودودا يحب التعرف إلى الناس .

وفى أثناء ركوبه القطار كان يقدم نفسه للركاب فيقدمون أنفسهم إليه وجرت عادته أن يكتب أسماء هؤلاء فى نوتة خاصة عرفت باسم « نوتة القطار » ، فلما قبض على عبد البديع ضبطت النوتة واعتقل رجال الشرطة كل الأسماء التى وردت فيها !

وجرت عدة معارك بين رجال الشرطة والاخوان فى أثناء عمليات الاعتقال وجرى تبادل اطلاق النار فى بعض الحالات .

* * *

وجد منشور يصف وحشية رجال الشرطة أثناء عمليات الاعتقال .

وجلد رجال الشرطة ظهور كثيرين من الاخوان وخلعوا أظافرهم وأدموا أجسامهم .

وكانوا يعتقلون من البيت الواحد أربعة أخوة وثلاثة أصهار .

وقدموا للمحاكمة أشخاصا لم يرتكبوا جريمة إلا أنهم مدوا يد المساعدة لأحد بيوت الاخوان التى هى فى أشد الحاجة لهذه المساعدة .

قال صالح عشماوى وكيل الجماعة :

« تعرض تلامذة وأتباع حسن البنا فى عهد فاروق ، لأشد فتنة وأعظم بلاء . وانصب عليهم من الاضطهاد والعذاب ، ما لو سلط على جبل لاندك وانهار .

تعرضوا للسجن والتشريد والضرب الوحشى وحوربوا فى أرزاقهم . وهددوا فى أعراضهم وسقط شهداؤهم واحدا بعد واحد » .

ورغم ذلك بقى إبراهيم عبد الهادى خائفا .

قرر فى ١٣ من مايو مد الأحكام العرفية عاما آخر .

وكانت هذه الأحكام قد فرضت فى ١٣ من مايو ١٩٤٨ لضمان أمن الجيش المصرى وإمداداته فى حرب فلسطين .

ووالت الحكومة اعتقال الشيوعيين أيضا .

ولم يدخل عبد الهادى مبنى وزارة الداخلية سوى ثلاث مرات خلال الشهور السبعة التى عاشتها وزارته فقد قتل زعيم حزبه .. أحمد ماهر داخل البرلمان ومحمود فهمى النقراشى فى وزارة الداخلية .

وكتبت السفارة الأمريكية إلى واشنطن تقول :

« على الرغم من توقف الأعمال العسكرية فى فلسطين فإن قرار مد الأحكام العرفية ، يشير إلى أن الحكومة والسراى ليستا متلهفتين على التخلى عن المزايا التى تتمتعان بها حاليا بفضل سلطاتهما الاستثنائية .

وصرح رئيس الوزراء بأن الرأى العام المصرى لابد أن يكون مستعدا لقبول تشريع أمنى دائم يحل محل الأحكام العرفية القائمة حاليا . وعرض على البرلمان بالفعل مشروع قانون لمكافحة الشيوعية و « الأنشطة التخريبية » .

ولدى السفارة دلائل على أن الحكومة أو السراى تسعى إلى إقامة نظام دائم أكثر استبدادا تحت ستار إدارة المعركة الخارجية ضد إسرائيل والمعركة الداخلية ضد الارهابيين .

وهناك احتمال بأن تصبح مصر أقل ديمقراطية » .

* * *

رغم هذه الاحتياطات الأمنية فلم تتوقف العمليات الانتقامية ضد رئيس وزراء مصر أو صاحب الجلالة .

حاول بعض الاخوان تجربة اغتيال النقراشي بقتل إبراهيم عبد الهادى فى ٢٥ من مايو فاستأجروا شقة بمصر القديمة تطل على طريق موكب رئيس الوزراء .

وألقوا القنابل على سيارته . ولكن كان يستقلها حامد جودة رئيس مجلس النواب الذى أفلت أيضا من الموت .

أدى هذا الحادث إلى زيادة الاجراءات التعسفية التى اتخذتها الحكومة ضد الاخوان .

وثبت حضور رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى بعض حوادث التعذيب .

وكان المعذب يطلب شربة ماء فلا يجاب إلى طلبه .

وكانوا يحرمون المتهمين من الطعام ويمنعون طبيب السجن من معالجة المرضى منهم .

ويهددون المعتقلين من الاخوان بالاعتداء المشين عليهم .

ويلغ الظلم مداه إلى احتلال بيوت الاخوان وليس فيها غير النساء كما أعلن ذلك عبد القادر عودة فى مرافعته فى قضية اغتيال المرشد العام .

وأغلقت مصر حدودها مع ليبيا لأن سلطاتها رفضت تسليم ثلاثة من الاخوان المتهمين فى الحادث . لجأوا إلى قصر الأمير إدريس السنوسى وهم محمود يوسف الشربينى وعز الدين إبراهيم وجلال أبو سعده .

* * *

ويستدعى رئيس الوزراء لمقابلته البكباشى جمال عبد الناصر ويحضر اللقاء اللواء عثمان المهدى رئيس اركان حرب الجيش :

حذر رئيس الوزراء الضابط الذى أصبح بعد ذلك رئيسا لجمهورية مصر ،

من أى نشاط أو ارتباط بالاخوان المسلمين . واتهمه بالاشتراك فى تنظيم سرى داخل الجيش .

دافع عبد الناصر عن نفسه بأنه كان فى فلسطين خلال الفترة من مايو ١٩٤٨ حتى مارس ١٩٤٩ ولذلك كان من المستحيل عليه ذلك .

قصد إيرلاند سكرتير السفارة الأمريكية إلى إبراهيم عبد الهادى باشا رئيس وزراء مصر يودعه بمناسبة سفر إيرلاند عائدا إلى بلاده .

كان اللقاء فى ١٦ من مايو ١٩٤٩ بعد أيام من محاولة الاعتداء على حامد جودة رئيس مجلس النواب .

قال عبد الهادى باشا لسكرتير السفارة الأمريكية عندما سأله عن الإرهابيين :

ـ قام رجال الشرطة بعملهم على أفضل وجه ممكن .

وأعرب عن سروره لأن الاثنى عشر رجلا الذين حاولوا الاعتداء على حامد جودة فى ٥ من مايو تحت تصور أنها سيارة رئيس الوزراء تم القبض عليهم ومنهم ١١ شخصا قبض عليهم بعد الحادث مباشرة وفر واحد فقط وتم اعتقاله ! !

وقال :

ـ ستواصل الشرطة استئصالها لهذه العناصر .

سأله ايرلاند :

ـ هل هناك قرائن بأن عناصر بجانب الاخوان متورطة فى النشاط الارهابى ؟

أجاب رئيس الوزراء :

ـ اعتقد أن جبهة خارجية ترسم الخطط . وتقدم الأموال . والتنظيم . للاخوان المسلمين .

أخذ ايرلاند يضغط على رئيس وزراء مصر ـ كما قالت برقية جيفرسون باترسون القائم بأعمال السفارة الأمريكية بالقاهرة ـ لتقديم دليل على مايقوله .

أجاب رئيس وزراء مصر:

- من الصعب الادلاء بقرينة محددة ولكن نموذج فتيل التفجير الذى يستخدمونه ليس معروفا فى مصر.

وقال :

- ربما يكون الاسرائيليون قد ساعدوا فى تنظيم أنشطة مختلفة فى مصر لاحراج الحكومة ! !

وهكذا أراد رئيس وزراء مصر الإيحاء بأن الاخوان ، الذين حاربوا اليهود فى فلسطين ، متورطون ويتعاونون مع إسرائيل فى عمليات الأرهاب ضد حكومة مصر !

* * *

فى ٧ من يونيو كتب السير رونالد كامبل إلى لندن فى البرقية رقم ٩٩ :

« تم القبض على مزيد من أعضاء جماعة الاخوان المسلمين المحظورة

وبين المعتقلين فى الآونة الأخيرة طالب يشك فى اشتراكه فى مصرع سليم زكى باشا رئيس بوليس القاهرة فى ديسمبر الماضى .

وتحدثت التقارير عن أموال يتم جمعها . ظاهريا لمساعدة أسر الاخوان المعتقلين وتهدف - فى الواقع - إلى تشجيع أنشطة الأرهاب فى المجتمع .

ويقول مراقب مصرى . كان فى منطقة القناة مؤخرا إن هناك تأييدا قويا للاخوان فى المنطقة »

* * *

توالت الاتصالات بين الوفد والقصر.

قال فؤاد سراج الدين باشا يوم ٣٠ من مايو ١٩٤٩ لحسن يوسف باشا رئيس الديوان الملكى بالنيابة :

ـ الوفد يطلب من القصر ضمانا لحرية الانتخاب .

أجاب حسن يوسف باشا :

ـ سبق أن صرح رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى باشا بأن الأحكام العرفية سيقتصر سريانها على شئون الأمن فقط طوال فترة الانتخابات .

انتقل الحديث إلى العلاقات بين القصر والوفد فقال فؤاد باشا :

ـ للملك طلبات كثيرة .

أجاب حسن يوسف :

ـ الملك يشترك فى شئون الحكم بمقتضى الدستور ، وله نصيب فى السلطة التشريعية والتنفيذية .

وأضاف :

ـ متى توافر جو التفاهم فإن هناك دائما الحل الوسط .

عرض حسن باشا على الملك مضمون اللقاء فأبدى ارتياحا . ولكن إبراهيم عبد الهادى باشا أبدى شيئا من العتاب فرد عليه حسن يوسف :

ـ أبواب الديوان الملكى مفتوحة أمام المعارضة ، كما هى مفتوحة أمام الوزارة !

واستمرت الاعتقالات والبحث عن الاخوان شهورا أخرى ..

وتعيد وزارة الخارجية البريطانية تقييم الموقف فى مصر وهل من مصلحة بريطانيا التدخل لعودة الوفد .

نصح كلاتون مدير الإدارة الافريقية ـ يوم ٢٤ من يونيه ١٩٤٩ ـ بعدم التدخل لأن ذلك لن يحل مشكلة السودان أو يؤدى إلى عقد معاهدة .

وقال كلاتون :

« لايجب أن نتدخل لعودة الوفد إلى الحكم ، بل نسعى ، بكل الجهد ،

ليشترك الوفد فى الانتخابات فحسب . فإذا فعل فإنه سيحصل على أغلبية مقاعد مجلس النواب .

وإذا أصبح الوفد فى المعارضة فإن ذلك يفيدنا ـ أى بريطانيا ـ أيضا لأنه سيمنع توسع خطط الملك العسكرية . إننا لانريد أن يقوم الملك بتدعيم الجيش بحيث يقيم ديكتاتورية عسكرية ».

ويؤشر مايكل رايت الوكيل المساعد للخارجية البريطانية على هذه المذكرة قائلا :

« الوفد أكثر الاحزاب عقلانية بالنسبة للسودان وفلسطين .

وهو أكثر الاحزاب صداقة لبريطانيا .

وهو الوحيد القادر على تحقيق الاصلاح الاقتصادى .

ويفكر الملك فى تعيين رئيس وزراء محايد وتشكيل حكومة ائتلافية تجرى الانتخابات .

ونحن نؤيد اجراء انتخابات حرة وإذا قام الملك بتزوير الانتخابات فان الجميع سيعرفون أنه لايستطيع ذلك دون تأييدنا وسنتهم بتأييد الحكومة الرجعية للوصول إلى الحكم » .

ويحقق صاحب الجلالة ماجاء فى مذكرة رايت بالحرف الواحد .

إن ملك مصر يمهد ـ بالفعل ـ لعودة الوفد وتحقيق حالة من الاسترخاء الأمنى ، أى الافراج عن الاخوان المعتقلين بعد أن قتل زعيمهم .

.. وكان حسين سرى باشا هو رئيس الوزراء الوحيد فى مصر الذى يستطيع أن يمهد لحكم الوفد كما حدث عام ١٩٤٢ .

دعا الملك فاروق وزير الحربية الفريق محمد حيدر باشا فى الثالثة من صباح يوم ٢٥ من يوليو ١٩٤٩ لمقابلته ، وأمره أن يذهب فورا إلى رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادى باشا ويطلب إليه أن يستقيل .

التمس حيدر باشا تأجيل الأمر إلى الصباح فأصر الملك على التنفيذ فورا بحجة أن « الدنيا رمضان » وأن سهرة رمضان ممتدة إلى الصباح .

كرر وزير الحربية التماسه .

تسامح الملك ووافق على أن ينتظر الوزير حتى السابعة صباحا .

توجه حيدر باشا إلى رئيس الوزراء فى بيته بالإسكندرية وأبلغه أن الملك يرى أن تستقيل الوزارة ، ورأى الملك .. أمر !

وافق رئيس الوزراء ودعا مجلس الوزراء فى التاسعة صباحا وأبلغهم الأمر الملكى ، وتلا عليهم كتاب الاستقالة .

* * *

شكلت الوزارة الائتلافية الجديدة برئاسة حسين سرى باشا وضمت ٤ وزراء من كل من الوفد والأحرار الدستوريين والسعديين والمستقلين واثنين من الحزب الوطنى .

وأعلن صاحب الجلالة أن الوزارة الجديدة هدية العيد من الملك إلى شعبه .

وعلق كثيرون على ذلك بقولهم :

ـ وزارة إبراهيم عبد الهادى هى ضحية العيد ، وإن لم يكن عيد الضحية !

وزار كريم ثابت المستشار الصحفى لفاروق رئيس الوزراء السابق إبراهيم عبد الهادى مجاملا بعد الاستقالة .

أشار عبد الهادى إلى حكاية « هدية العيد » بانفعال شديد ، ثم قال وهو يبتسم ابتسامة مرة :

ـ وعلى كده أبقى أنا اللى طلعت « خروف العيد » !

* * *

اختلف وزراء سرى باشا حول تقسيم الدوائر الانتخابية ، ولم يستطع رئيس الوزراء التوفيق بينهم .

ويظهر رجل الأعمال أحمد عبود فى الصورة عندما يلتقى بالوزير البريطانى تشابمان اندروز يوم ٢٥ من أكتوبر ، ويقول له :

ـ سيدعو حسين سرى باشا مجلس الوزراء إلى الاجتماع يوم أول نوفمبر ، أى فى اليوم التالى لعودة فاروق من رحلته فى الخارج .

وفى هذا الاجتماع سيطلب سرى من الوزراء الاتفاق على تقسيم الدوائر فإذا وافقوا سيصدر المرسوم الملكى بذلك ، وتجرى الحكومة الائتلافية الانتخابات .

وإذا حدث العكس ولم يتفق الوزراء سيقدم سرى باشا استقالته إلى الملك ، ويشكل حكومة إدارية خالصة لإجراء الانتخابات .

ويضيف أحمد عبود قائلا للوزير البريطانى :

ـ حصل سرى باشا على موافقة الملك مقدما على الاستقالة .

ويجمع سرى الوزراء الذين لايفطنون إلى « الكمين » الذى أعد لهم ، فيختلفون وينهى رئيس الوزراء الاجتماع غاضبا ، ويسرع بتقديم استقالته إلى الملك يوم ٣ من نوفمبر قائلا :

« تبين لى فشل الجهود التى بذلتها فى محاولة التوفيق ، وحرصا على عدم ضياع وقت البلاد سدى فى أمور لاطائل تحتها أرانى مضطرا إلى رفع استقالتى » .

ولكن سرى باشا يضيف هذه الكلمات فى خطاب استقالته . قال :

« مازلت أومن بالائتلاف وفوائده الجمة . ولاشك عندى فى أنه سيكون مبروك الخيرات بعد الانتخابات وأن فى قيامه مصلحة كبرى للبلاد » .

ولم تفطن أحزاب مصر إلى الهدف من هذه الكلمات .. فإن الملك كان يأمل أن ينجح فى تزوير الانتخابات بحيث لايفوز حزب واحد بالأغلبية فيشكل سرى وزارة ائتلافية ثانية من كل الاحزاب المصرية ... برئاسته !

أخذت الخطابات المجهولة تتوالى على النيابة العامة من أشخاص يدعون أنهم من الاخوان المسلمين وأنهم قتلوا حسن البنا لأنه أبلغ الأمن العام عن مخازن الذخيرة وأرشد عن كثير من أعضاء « جمعية الارهاب » .

ودلت لغة هذه الخطابات على أنها من « تأليف » رجال الشرطة فالارهابى لايصف نفسه بذلك بل يزعم أنه فدائى .

ونشرت جريدة « الاهرام » فى اليوم التالى للجريمة أن البنا أرسل لوزارة الداخلية يعلن رغبته فى تسليم الأسلحة والإذاعة وأنه تلقى خطاب تهديد بالقتل إن هو أذاع شيئا من أسرار الجماعة .

وكانت التحقيقات خالية من هذه المعلومات وقصد من نشر هذه الأخبار توجيه التحقيق وجهة خاصة وهى أن القتلة أعضاء فى جماعة الاخوان .

وكان واضحا أن وزارة الداخلية هى التى أوحت بهذا النشر .

روى بكر درويش الذى كان رقيبا بمراقبة النشر بوزارة الداخلية أن بيان « ليسوا اخوانا وليسوا مسلمين » سلم إلى الرقابة بعد اغتيال حسن البنا بيومين لتسليمه للصحف لنشره .

وقال توفيق صليب مدير الرقابة للرقباء : « الهدف أن يلقى فى الأذهان أن الجناة من الاخوان المسلمين المتذمرين من الشيخ البنا لموقفه من الحكومة وأن هذا التذمر أدى إلى ارتكاب الحادث » .

قال البيان الذى كتبه الشيخ البنا قبل وفاته :

« وقع هذا الحادث الجديد حادث محاولة نسف مكتب سعادة النائب العام وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان من الاخوان المسلمين فشعرت بأن من الواجب على أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لايمكن أن يكون من الاخوان ولامن المسلمين لأن الإسلام يحرمها والاخوة تأباها وترفضها .

ومن المرجح بل من المحقق أنه إنما اراد به أن يتحدى الكلمة التى نشرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان (بيان للناس) ولكن مصر لم تروعها أمثال هذه

المحاولات الأثيمة وسيتعاون هذا الشعب مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته فى ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة .

وليعلم أولئك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التى يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد أحدا منهم الا شعورا بواجبه وحرصا تاما على ادائه . فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم كل فى حدود عمله إن كانوا يستطيعون عمل شيء نافع مفيد .

وانى لأعلن أننى منذ اليوم سأعتبر أى حادث من هذه الحوادث يقع من أى فرد سبق له اتصال بجماعة الاخوان موجها إلى شخصى ولا يسعنى ازاءه إلا أن أقدم للقصاص أو أطلب إلى جهات الاختصاص تجريدى من الجنسية المصرية التى لايستحقها إلا الشرفاء الابرياء فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون وسيكشف التحقيق ولاشك عن الأصل والدخيل .

ولله عاقبة الأمور » .

* * *

لم يظهر الشاب الأسمر الذى ذكر رقم سيارة محمود عبد المجيد رغم مانشرته صحيفة « المصرى » . ولم يظهر أبدا حتى بعد قيام الثورة .

ولكن السفارة الأمريكية فى برقيتها إلى واشنطن بعد الجريمة بـ ٤٨ ساعة ذكرت السر الحقيقى لاختفاء هذا الشاهد الوحيد .

قالت :

« شاب مصرى كان يجلس فى مقهى مقابل جمعية الشبان المسلمين وقت الاغتيال تقدم إلى نقطة بوليس كوتسيكا بشارع معروف أبلغ كونستابل « اسمه حسن » وشرطيا اسمه « طه » بأنه يعرف رقم السيارة التى هربت فور الحادث وأنه يمكن أن يتعرف على القاتل إذا عرض عليه بين آخرين .

أبلغت نقطة كوتسيكا هذه المعلومات تليفونيا إلى المحافظة فانتقل على الفور

الصاغ توفيق السعيد من القلم السياسى ـ مباحث أمن الدولة ـ إلى نقطة كوتسيكا .

ويقول أحد المصادر أن هذا الضابط ـ توفيق السعيد ـ وضع مسدسا فى معطف جيب الشاب وأوسعه ضربا وهدده بأنه سيحاكم بتهمة احراز سلاح غير مرخص .

ونقلوا الشاب تحت حراسة الشرطة إلى منزله ولم يفتح فمه بكلمة بعد ذلك ، حول الحادث » !

وقد تأكدت هذه الرواية مع تغيير فى بعض التفاصيل فى أثناء محاكمة المتهمين باغتيال الشيخ البنا . فقد تلقى عبد الكريم منصور رسالة من مجهول جاء فيها « إن الولد الاسمر لقى تعذيبا من البوليس السياسى الذى وضعه فى سجن الأجانب . وأشرف على التعذيب العقيد محمود عبد المجيد فاضطر الولد للاختفاء من القاهرة .. من شدة الرعب » .

* * *

بعد ستة أيام من الجريمة بعث جيفرسون باترسون الوزير الأمريكى المفوض فى القاهرة إلى واشنطن البرقية رقم ٢١١ وتاريخها ١٨ من فبراير ١٩٤٩ .. وفيها تفاصيل الجريمة وأسماء القتلة فإن المجرمين كانوا معروفين لدى القصر ووزارة الداخلية والسفارات الأجنبية !

وكان الشعب المصرى يهمس بالحقيقة ولكنه لايستطيع أن يصرح بها .

قال باترسون :

« تدل المعلومات التى تلقيناها من المصادر الخاصة والموثوقة بما فى ذلك مصادر السفارة البريطانية بما يؤكد الاعتقاد السائد بين الجماهير أن الشيخ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين اغتيل نتيجة مخطط دبره الشباب السعدى وبدعم ومساندة أكبر المسئولين فى الحكومة .

أشرف على المخطط . عبد الرحمن عمار بك وكيل وزارة الداخلية والمسئول

عن الأمن العام وأحد أصدقاء النقراشي المخلصين .

وشارك فيه محمود عبد المجيد بك مدير المباحث الجنائية بوزارة الداخلية وكامل الدماطي مدير مكتب رئيس الوزراء

ويقال إن الاتفاق الذى تم بين الثلاثة على أن يتولى الدماطي تفاصيل التخلص من الشيخ حسن البنا ..

ومن هنا رتب الدماطي أن يتولى هو واثنان من مساعديه الموثوق بهما القيام بعملية تمويه على الشيخ حسن البنا وبدأت العملية منذ ثلاثة أسابيع

هذان المساعدان الموثوق بهما هما :

١ ـ كونستابل بوليس فى ملابس ملكية .

٢ ـ أومباشي سابق فى البوليس نقله الدماطي من البوليس إلى وظيفة كتابية فى رئاسة مجلس الوزراء وعمل معه مؤخرا كسائق لسيارته

والأومباشي أسود البشرة وماهر فى استخدام المسدس والبندقية

ومساء السبت ١٢ من فبراير تبع المساعدان الشيخ حسن البنا إلى جمعية الشبان المسلمين فى سيارة سوداء

والجدير بالملاحظة أن رجل البوليس المعين فى المنطقة لم يكن ساعتها فى دركه

ويقال إن غيابه عن واجبه جرى ترتيبه مسبقا

أما سيارة البوليس التى ترافق الشيخ البنا لحراسته فقد سحبت قبل ١٨ يوما من الحادث

ومن هنا فالأمر يبدو كأنه مخطط جيد الاعداد والتنفيذ

وعلى الرغم مما عرف عن عمار بك بوصفه رجلا « حسن الإسلام » أحيانا لدرجة التعصب فانه عبر أكثر من مرة لسكرتير السفارة عن كراهيته للشيخ البنا » .

وهذه البرقية الخطيرة حددت :

* كراهية عبد الرحمن عمار لحسن البنا .

* ذكرت صراحة اسم محمود عبد المجيد مدير المباحث الجنائية بوزارة الداخلية والذى ثبت بعد خمس سنوات أنه المحرض على الجريمة .

ولكن النائب العام محمود منصور لم يأمر بالمضى فى التحقيق إلى نتيجته الطبيعية وهى القبض على الجناة .. وهم معروفون !

ولم يحفظ محمود منصور التحقيق .

ولم يقيد الجناية ضد مجهول .

وبقيت أوراق القضية تنتظر ، رغم أن المحققين يعرفون المحرض والقتلة ، ولكنهم لايستطيعون أن يمدوا إليهم يد القانون !

* * *

وتوقع الاخوان أن يعيد حسين سرى باشا التحقيق ويقدم المتهمين إلى القضاء خاصة وأن بينه وبين إبراهيم عبد الهادى خصومة طويلة .

وكل مافعله حسين سرى أن نقل محمود عبد المجيد من إدارة المباحث الجنائية إلى وظيفة مفتش فى إدارة الشرطة .. فى ١٤ من أغسطس ١٩٤٩ ، بعد ثلاثة أسابيع من توليه رئاسة الوزارة !.

* * *

وظل الرعب يلاحق العهد كله سبعة شهور بعد الجريمة ، وبعد استقالة براهيم عبد الهادى وتولى حسين سرى رئاسة الوزارة .

فى ٢ من سبتمبر كتب الوزير البريطانى تشابمان :

« يتضح الدليل على أنه مازالت هناك حياة فى منظمة الاخوان المسلمين لمنحلة من تقرير سرى وصلى حول اعتقال أربعة اشخاص فى محطة القاهرة فى.

٢٢ من أغسطس ١٩٤٩ .. وما أعقب ذلك من اعتقال ستة أشخاص آخرين .

وتم ضبط كتيب مع هؤلاء الأشخاص يهاجم الحكومة السابقة ويفند اتهامات معينة عن القيام بنشاط هدام صدر على أساسها قرار حل الجماعة

ويزعم أن قرار الحل كان نتيجة لضغوط تعرض لها المغفور له النقراشى باشا من جانب السفارات البريطانية والفرنسية والأمريكية

ويزعم الكتيب أيضا أن النظام السابق أساء استخدام قانون الأحكام العرفية

وينتهى بنداء يوجهه بالسماح للمنظمة بالحرية الكاملة بالعودة مقابل أن يتعهد الاخوان المسلمون بتأييد الحكومة باخلاص فى الحفاظ على الأمن والنظام » .

* * *

بدأ الحديث عن الثورة يتجدد ..

بعث وزير الخارجية الأمريكى إلى جيفرسون باترسون الوزير المفوض فى القاهرة يقول :

« اطلعت على تحذير وارد من مصدر موثوق فيه بأن انقلابا مشابها لذلك الذى وقع فى سوريا يجرى الاعداد له فى مصر .

تابع الموقف عن قرب ووافنا بتقرير عنه » .

ولكن الثورة لم تقع فى مصر بل جرت محاولة لاغتيال الملك فاروق . طار مراسل أمريكى من القاهرة ، ليتجنب الرقابة على البرقيات فى مصر . ومن طرابلس ـ بليبيا ـ بعث المراسل بقصة محاولة الاغتيال التى لم تنشر فى مصر . قال :

« أصيب الحارس الخاص للملك فاروق بعدة رصاصات . ونصح الملك بألا يخرج إلى الشارع بعد اغتيال النقراشى .

وفى المرات النادرة التى غامر فيها بالخروج كان يتحرك فى موكب هائل من سيارات الجيب المليئة بالضباط من حرس القصر المسلحين بالرشاشات .

... وخوفا على حياته فإن فاروق شبه سجين ، منذ عدة شهور ، فى قصر عابدين » !

قاتــلان

كان هناك قاتلان

الأول قتل رئيس الوزراء النقراشي باشا وقد قبض عليه واعترف بجريمته وقال إنه من الإخوان المسلمين.

والثاني عقيد من ضباط الشرطة ، قتل ، أو حرض على قتل رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، وهو ـ القاتل ـ معروف للجميع ولكن أحدا لم يجرؤ على القبض عليه .

* * *

قدم عبد المجيد حسن قاتل النقراشي وزملاؤه الخمسة ، بعد تحقيق استمر سبعة شهور إلى المحكمة العسكرية العليا فى ٦ من أغسطس ١٩٤٩ برئاسة المستشار محمد مختار عبد الله وعضوية المستشارين محمد شكرى طلحة ومحمد غالب عطيه والعميدين أحمد صالح أمين .وإبراهيم زكى الارناؤطى .

وكان عبد المجيد حسن قد ظل صائما منذ ارتكاب الجريمة . وكان يسير كيلو مترات فى الصحراء على الأقدام ليرشد المحققين لأماكن التدريب وهو صائم .. ويرفض الافطار رغم الالحاح عليه ..

وظل صائما أمام المحكمة وهو يكرر اعترافاته فطلبت منه المحكمة أن يتكلم وهو جالس .

وكان يردد أنه يصوم ليكفر عن جريمته البشعة .

مثل النيابة النائب العام محمد عزمى ومحمد عبد السلام الذى أصبح ـ فيما بعد ـ نائبا عاما :

هاجم محمد عزمى المتهمين ، ومن خلالهم الإخوان المسلمين بضراوة فقال إنهم قوم أغواهم الشيطان فتفاقت أطماعهم ولم يجدوا ـ لتحقيق ما باتوا به يحلمون ـ أيسر من الافتراء على الله ورسوله خديعة للجهلاء وإستلابا لعقول الدهماء .

وقال محمد عبد السلام : إن مقتل الخازندار بك حمل فى تضاعيفه مقتل النقراشي باشا . وإن جماعة الإخوان تحمل وزر الجريمتين معا . فإن هذه الجماعة قد احتضنت الارهاب بل على الأصح كمن الارهاب فى تكوينها نفسه .. فإن شعار الإخوان ينطق بالعنف ، فهو سيفان بينهما مصحف وتحتهما الآية الكريمة « وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة) .

وكان هذا الشعار حريا بأن يثير الظنون فى هذه الجماعة غداة تكوينها منذ عشرين سنة لولا حرص القائمين عليها ، فى مبدأ أمرهم ، على التظاهر بالتزام الدين وحض الناس على العبادة والبعد بهم عن السياسة .

وأشار إلى كتاب ألفه حسن البنا تحت عنوان « رسالة التعاليم منى لإخوان الكتائب » !

وقال إن الشيخ حسن البنا أوصى الإخوان بمقاطعة المحاكم الأهلية .. وهذا يدل على فكرة العنف والتحفز ، والتربص للوثوب ، والغدر ، بالنظام الدستورى .

وأشار إلى « النظام الخاص » فقال إن أفراده أعدوا إعدادا تاما للبطش بأعداء الحركة ، وقد أخفوا حقيقتهم وبقى أمرهم سرا لا يعلم امره سوى قادتهم وزعمائهم .

وقال إن الإخوان اغتنموا فرصة مطالبة الأمة بحقوقها القومية للفت الأنظار ، عن طريق العنف والجريمة فألقوا القنابل فى جهات متفرقة فى القاهرة والإسكندرية والإسماعيلية وبور سعيد ، ثم جاء حادث مقتل الخازندار بك .

وهيأ للجماعة استمرار هذا الارهاب ، اندلاع الصراع فى فلسطين ، ولما وقع

حادث شركة الاعلانات الشرقية ، تساءل الناس إلى متى تنتظر الحكومة . وقد بات كل شخص لا يأمن على حياته .

وأثار الإخوان الشغب فى الجامعة يوم افتتاح الدراسة وتابعوا خطتهم فوقع شغب آخر فى المدرسة الخديوية ، وقتل الحكمدار وألقيت القنابل على رجال البوليس ، وعندئذ لم يبق فى قوس الصبر منزع ، ولم تجد الحكومة أمامها إلا حل جماعة الإخوان، ولم تقابل الجماعة هذا القرار بالطاعة ، بل اعتبرته تحديا لها .

وقال إن ذاكرة عبد المجيد العجيبة وعت تفصيلات الوقائع فلم يخطئ فيها مرة واحدة ، وكان كلما ووجه بمتهم . يذكره بالوقائع الخاصة به تماما ، ويعيدها بتفصيل ودقة لا يمكن أن يكونا إلا من شخص انطبعت تلك الوقائع فى ذاكرته .

* *

صدر الحكم باعدام عبد المجيد حسن فى ١٣ من أكتوبر عام ١٩٤٩ وكان حسين سرى باشا رئيسا للوزراء .

وتلقى عبد المجيد حسن حكم الإعدام بابتسامة لم يحملها ، فى قفص الاتهام سواه !

وقال إن قرار المحكمة هو القرار الوحيد الذى توقعه .. وظل واقفا فى القفص فى ثبات وهو يتكلف الابتسام . ويقول : هذا قضاء الله . إن الله هو الذى حكم .

وأدانت حيثيات الحكم الجماعة نفسها لا المجموعة التى قتلت النقراشى فحسب .

قال المستشار مختار عبد الله فى حيثيات الحكم :

« اتخذت جماعة الإخوان المسلمين من ظاهرها شكل جماعة مشروعة تعمل للخير ولتحقيق أعراض دينية .

وكان هناك نشاط سرى إلى جانب هذا النشاط الظاهرى يرمى إلى اعداد هيئة مدربة تدريبا عسكريا لتحقيق الأغراض البعيدة للجماعة كما تضمنتها رسائل المرشد العام إلى الإخوان وخطبه العديدة صريحة فى إقامة نظام ديكتاتورى شامل » .

وكتبت السفارة الامريكية إلى وشنطن تقول :

« كان عبد المجيد حسن كما ذكرت الصحف يتوقع أن يحكم عليه بالأشغال الشاقة مدى الحياة . وربما كان يعتمد على أن الحكم بالاعدام نادر فى مصر خلال السنوات الأخيرة

أما الأربعة الآخرون من شركائه وهم محمد مالك ، وعاطف عطيه حلمى ، وشفيق إبراهيم أنس ، ومحمود كامل سعيد فقد حكم عليهم بالسجن مع الشغل مدى الحياة

وكانت أهمية الأدلة المتعلقة باشتراك هؤلاء الأشخاص كبيرة

وهناك بعض الدهشة لأنه لم يحكم بإعدامهم أيضا .

وهناك اعتقاد فى بعض الدوائر بأن القضاة لا يميلون إلى التشدد فى القسوة على ضوء اغتيال الخازندار فى عام ١٩٤٨ بعد أن أصدر حكما بالسجن مدى الحياة على اثنين من الإخوان المسلمين .

وفى هذا الصدد فإنه كان من الأهمية أن تحاط قاعة المحكمة بحراسة مشددة .

أما الدهشة الكبرى للأحكام فتمثلت فى براءة عشرة من المتهمين . وهناك اعتقاد عام بأن الدليل الذى قدم كان كافيا لإصدار حكم مخفف ضدهم .

وعلى أية حال فإن مسئولى الأمن فى الحكومة لا يعتزمون أن يستعيد أى منهم حريته فورا .

واختلف رد الفعل الشعبى على الأحكام وفقا للمشاعر السياسية .

ولا يمكن القول أن هناك مشاعر بغض عامة لعبد المجيد كقاتل » !

فى اليوم التالى لصدور حكم الاعدام نشرت صحيفة « المصرى » الناطقة باسم الوفد :

« نرجو أن يقضى هذا القرار على وساوس الشيطان التى تدفع بشباب نافعين إلى عالم الجريمة والقتل لمعتقدات سياسية » .

وقالت المصرى :

« صدر من قبل محكمة جنايات مصر حكم يقضى بمعاقبة حسين توفيق بالأشغال الشاقة عشر سنوات لقتله أمين عثمان .

وما نريد أن نناقشه هو موقف الحكومة المصرية من حسين توفيق .

لقد فر حسين توفيق عقب محاكمته ، وظل مختفيا بعض الوقت وعرف أنه فى شرق الأردن ثم اختفى .

ولا أقل من أن تعمل الحكومة على مساواة الفار حسين توفيق بزملائه هؤلاء فتسعى جادة لتسليمه وتنفيذ العقوبة » .

وعبرت برقية للسفارة الأمريكية فى القاهرة عن الموقف الحقيقى للوفد من حكم الاعدام .

قالت السفارة :

« تردد أن أعضاء كثيرين فى الوفد يشعرون بتعاطف كبير تجاه القاتل بسبب الكراهية والازدراء اللذين يكنونهما للنقراشى باشا ، وقد ارتدوا أربطة عنق سوداء فى اليوم الذى أعلن فيه الحكم على عبد المجيد حسن » !

ونفذ حكم الاعدام فى ٢٥ من إبريل ١٩٥٠ عندما كان مصطفى النحاس فى الحكم !

* * *

كوفئ من قتلة حسن البنا محمود عبد المجيد وحده .

بعد شهرين من الجريمة تذكرت إدارة الجنايات بوزارة الداخلية أن محمود

عبد المجيد قام بمجهودات للأمن ، قبل ٣ سنوات ، وانه يستحق مكافأة .

قرر وكيل الأمن العام فى ٥ من إبريل ١٩٤٩ منحه مكافأة قدرها ٣٠٠ جنيه عن جهوده فى جرجا عام ١٩٤٦ !

وعندما عرضت الأوراق على عبد الرحمن عمار قرر زيادة المكافأة إلى ٦٠٠ جنيه . وأقر ذلك المجلس الأعلى للبوليس !

وكان المبلغ تافها ازاء بشاعة الجريمة وشخصية المجنى عليه .

ولكن محمود عبد المجيد تمتع بالحماية الملكية فى عهد فاروق وحتى نهاية ذلك العهد .

أنعم عليه ـ فى ٤ من يوليو ١٩٤٩ ـ صاحب الجلالة برتبة البكوية من الدرجة الثانية « لما يبديه من جهود فى خدمة الأمن » .

وعين مديرا لجرجا فى ٣ من إبريل ١٩٥٢ .

أما عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية فإن حسين سرى نقله من وزارة الداخلية ليكون وكيلا لوزارة المواصلات فى أغسطس ١٩٤٩ ، وأصابه مرض قاس وعانى من آلام رهيبة وعندما قامت الثورة وجده المحقق المستشار حسن داود فى المستشفى فكان يحقق معه وهو على سرير المرض .

وأمر فؤاد سراج الدين باشا ـ وهو وزير للداخلية عام ١٩٥٠ ـ بخصم ١٥ يوما من مرتب المقدم حسين كامل بعد أن اتهمه مرشح وفدى فى الانتخابات بأنه ناصر الدكتور نور الدين طراف ففاز على مرشح الوفد .

واستعد محمد محفوظ لاستقبال الترقية فقام بتفصيل بدلة الصول ووضع فوق الأكتاف شرائطها ولكن وزارة الداخلية فى عهد حسين سرى رفضت ذلك ، ووجدت هذه البدلة وسلمت للجيش بعد الثورة كدليل اتهام !

وطلب محمود عبد المجيد ترقية الأمباشى أحمد حسين ولكن إدارة الشرطة

أبت لأنه يجهل القراءة والكتابة كما رفضت منحه علاوة المباحث وهى جنيه شهريا لأنه ليس من قوة المباحث !

ولكن أحمد حسين عقب الجريمة بأيام قليلة ـ زار حرم النقراشي فقدمت إليه صورة لقرينها الراحل وعليها هذه الكلمات :

« هدية منى إلى البطل الأمباشى أحمد حسين .

وأهدته أيضا ـ كما يقول ـ قطعتين من الصوف « الانجليزى » وحقيبة بداخلها ملابس حريرية لزوجته ورزمة أوراق مالية مجموعها ٤٠٠ جنيه !

* * *

وكانت الأدلة ضد قتلة حسن البنا واضحة ، ورغم ذلك فإن التحقيق فى مصرع المرشد العام لم ينته إلى شيء .. طوال تسعة شهور .

وجاءت مناسبة انتهزها الإخوان وهى محاكمة المتهمين العشرة بمحاولة اغتيال إبراهيم عبد الهادى وحامد جودة رئيس مجلس النواب .

طلب عبد المجيد نافع محامى المتهمين ضم قضية حسن البنا .

قال إن أحد شهود جريمة اغتيال المرشد العام للإخوان ـ وهو محمد الليثى ـ لاحظ أن سيارة القتلة كانت تحمل لوحة أرقام خاصة بالقائمقام محمود عبد المجيد بك رئيس إدارة المباحث الجنائية .

وأكد عبد المجيد نافع أن رجال البوليس السياسى دبروا ونفذوا الاغتيال ، وأن شاهد العيان تعرض « للتخويف » والتهديد عندما ذكر للبوليس رقم سيارة القتلة .

نشرت كل الصحف ذلك ـ عدا « الأساس » ـ صحيفة « السعديين » ـ يوم ٦ من نوفمبر ١٩٤٩ .

كتب السفير الأمريكى جيفر سون كافرى :

«كان عبد الهادى باشا رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية فى ذلك الوقت . ونشر القصة لطمة لمكانة السعديين التى أصابها الضعف بالفعل . وخاصة بالنسبة للسمعة التى تتمتع بها صحيفة « الأهرام » .

وتشير التقارير السرية إلى أن نشر القصة كان من تدبير رجال الوفد . بهدف اضعاف خصومهم الرئيسيين » .

ومن هذه البرقية يتضح أن النشر لم يكن لعقاب المتهمين بقدر ما كان الهدف اضعاف الحزب السعدى فى الانتخابات التى تمهد لها وتجريها وزارة حسين سرى !

كان نشر القصة مناورة سياسية من فؤاد سراج الدين السكرتير العام للوفد فإن الصحفى الذى كتبها هو أبو الخير نجيب المحرر السابق فى صحيفة « النداء » الوفدية أما نائب رئيس التحرير الذى أقر النشر فكان من الموالين للوفد أيضا .

وعندما علم رؤساء تحرير الأهرام بنشر القصة . استشاطوا غضبا .

وبوغتت الرقابة على الصحف بالنشر وهى تغفو .

* * *

نشرت « الأهرام » يوم ٩ من نوفمبر ١٩٤٩ أن رئيس الوزراء « طلب ملف التحقيق فى قضية مقتل المغفور له الشيخ حسن البنا » .

خاف السائق محمد محفوظ ولكن المقدم توفيق السعيد قال له :

ــ لا تخشَ شيئا سيذاع تكذيب لذلك بعد ظهر اليوم .

وبالفعل لم يدع رئيس الوزراء ذلك النبأ يمر بلا تعليق بل أسرع بإصدار بلاغ رسمى اذاعته الإذاعة ونشرته صحيفة « الزمان » المسائية فى نفس اليوم .

قال البلاغ :

« عادت بعض الصحف إلى نشر بيانات عن حادث مقتل المغفور له الشيخ حسن البنا .

وأضاف بعضها ان حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء اتخذ فى هذا الموضوع تدابير معينة وأن اجتماعا عقد بمكتب حضرة صاحب المعالى وزير الدولة لبحثه .

والحكومة تعلم أن هذه القضية بين يدى النيابة . وأنها حرة فى اتخاذ ما تراه من اجراءات حيالها . والسلطة التنفيذية حريصة كل الحرص على عدم التدخل بحال من الأحوال فيما هو من عمل السلطة القضائية على أية صورة » .

وأصدر رئيس النيابة العسكرية العليا ــ فى نفس اليوم ــ أمرا بحظر النشر فى القضية :

ومن الواضح أن هذه المحاولة السريعة لإسدال الستار على التحقيقات لم تتم بايعاز من سرى باشا بل لابد أن رئيس الوزراء خضع فى ذلك لرغبات أو أوامر صاحب الجلالة فاروق الأول .

قال لى إبراهيم عبد الهادى رئيس وزراء مصر الأسبق تعليقا على الوثائق الأمريكية التى تتهمه بأنه تستر على قتلة حسن البنا عندما كان رئيسا للوزارة عام ١٩٤٩ .

قال إبراهيم عبد الهادى وقد بدأ عليه الألم :

ــ لا عجب عندى أن يثير الانجليز حولى جوا من الشكوك والاتهامات . كنت من أشد خصومهم .. وأقوى الدعاة فى ثورة عام ١٩١٩ ... وقد نسبوا إلىّ القدرة على تشكيل التنظيمات ضدهم .

اتهمت كذبا فى قضية المؤامرة الكبرى الملفقة عام ١٩٢٠ ... وكان اتهامى نتيجة لنشاطى فى الخطابة ضد الانجليز فى ثورة ١٩١٩ وبالذات فى الأزهر الشريف ... وهى القضية المعروفة بقضية عبد الرحمن فهمى .

وبقيت فى السجن نحو ٤ سنوات .. نقلونى فى خلالها من سجون الاستئناف إلى الزقازيق وطنطا ومصر ولم يفرج عنى إلا بعد أن تولى سعد زغلول الحكم .

وسجنت مرة أخرى فى قضية مصرع السردار السير لى ستاك ... وبقيت

سجينا ٧٥ يوما وكنت آخر من أفرج عنهم من المحبوسين فى هذه القضية .

وتم الافراج عنى بعد أن أعترف المتهمون بقتل السردار .

وهذا هو ماضّى مع الانجليز فلما قتل محمود فهمى النقراشى كنت رئيسا للديوان الملكى وعرضت علىّ الوزارة فقبلتها .. وكان قد قبض على قاتل النقراشى متلبسا ولم يكن هناك اذن ما يدعو للانتقام .

ثم لماذا نأخذ عن الوثائق الأجنبية فى قضية حسن البنا ونترك أحكام المحاكم المصرية ؟

إن القضاء المصرى نظر قضية حسن البنا ومقتله أكثر من مرة ..

وجميع الدوائر التى أحيلت عليها هذه القضية ابتعدت كل البعد عن اتهامى بالتستر على الذين قتلوا حسن البنا .

وصدر الحكم بعد قيام الثورة .. ولم يتضمن من قريب أو بعيد إشارة لاتهامى بالتستر .

وكان يمكن للنيابة أن تطعن فى هذا الحكم خلال ١٨ يوما ولكن النيابة لم تطعن وبذلك أصبح الحكم نهائيا .

وتولى التحقيق فى قضية حسن البنا منذ اللحظة الأولى النائب العام .

وبقيت رئيسا للوزراء ٦ شهور نصفها بعد مقتل حسن البنا .. ولم يظهر الفاعل وقتها مع استمرار التحقيق .

وجاءت بعدى وزارتا حسين سرى ومصطفى النحاس باشا .

وتعاقبت الوزارات حتى قيام الثورة .. ولم يظهر القتلة فهل كل رؤساء الوزارات كانوا متواطئين على الصمت أيضا .. أو كانوا متواطئين على التستر علىّ وبينى وبينهم خصومات سياسية ؟ .

هل كان يمكن أن يتستر مصطفى النحاس باشا على جريمة يمكن أن أكون أنا شريكا فيها أو متسترا على مرتكبيها ؟

هل كان يمكن أن يتستر عليّ حسين سرى ؟

ولو كان الملك ـ أيامها ـ يعرف أنى متهم لما سكت عنى .. ولما سكتت عنى الوزارات التالية والتى كانت تؤيده تأييدا كاملا فى كل ما يتخذ من اجراءات .. ولما سكت عنى الانجليز الذين حقدوا عليّ فسجلوا حقدهمَ فى وثائقهم التى صدقتموها ورفضتم تصديق كلمة القضاء المصرى .

أبعد أن أعطيت عمرى وشبابى وحياتى لمصر تجئ الأيام لتلقى عليّ شبهة اتهام بالتستر على جريمة » ؟ !

* * *

وقدم إبراهيم عبد الهادى إلى محكمة الثورة برئاسة قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة بعدة تهم منها التستر على قتلة حسن البنا .. وأصدرت المحكمة حكما بالاعدام على إبراهيم عبد الهادى ورأى مجلس قيادة الثورة ـ فى ٤ من أكتوبر ١٩٥٣ ـ تخفيف الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدة .

ولكن المحكمة لم تحدد هل هو برىء أو ادين فى هذه التهمة .

وقد أفرج عنه صحيا ـ بعد أربعة شهور ـ فى ٢ من فبراير ١٩٥٤ ونقل إلى بيته لإصابته بأزمة قلبية .

وكان سبب الإفراج الخلاف بين الثورة والإخوان فى ذلك الوقت !

* * *

اشارت كل الأدلة إلى أن الملك كان وراء اغتيال حسن البنا .

قال انطون بوللى بك خادم الملك فاروق وقواده للماجور سانسوم ضابط الأمن بالسفارة البريطانية :

ـ قرار اغتيال البنا أتخذ فى القصر الملكى وخطط له داخل هذا القصر .

ونفى بوللى الاتهام عن الملك وحده قال :

ـ صاحب الجلالة لم يكن يعلم !

وكان فاروق أيامها يحكم مصر ولم يكن فى استطاعة بوللى أن يوجه الاتهام إلى مولاه !

* * *

ظل حزب الوفد ـ بعد استقالة إبراهيم عبد الهادى ـ يطالب بإعادة التحقيق فى القضية .

وتولى مصطفى النحاس رئاسة الوزارة المصرية فى ١٢ من يناير ١٩٥٠ بعد أن اكتسح باقى الأحزاب فى الانتخابات .

وفتحت جريدة « الأهرام » صفحاتها لمحمد الليثى الذى أعيد إلى القوات المسلحة رئيسا لقسم السكرتارية بالسلاح الجوى الملكى ثم نقل إلى إدارة الشئون العامة وأصبح محررا فى صحيفة الأهرام بالإضافة إلى عمله فى السلاح قبل أن يتفرغ بعد ذلك للعمل الصحفى فى الأهرام .

وكان أصحاب المصلحة فى حملة الليثى للكشف عن المتهمين ومحاكمتهم هم الوفديون ! أو على الأقل هم الذين أفادوا من الحملة !

* * *

ظل محمد عزمى نائبا لمدة عامين دون أن يتحرك التحقيق خطوة واحدة .

وفى عهده وبكلماته نفسها ، التى أدلى بها بعد الثورة ، قال : « استمر التحقيق نائما » .

ولم يفتح الوفد التحقيق فى قضية اغتيال المرشد العام .

* * *

وفى مذكراته التى أحال بها المتهمين إلى غرفة الإتهام قال فؤاد سرى رئيس النيابة الذى تولى التحقيقات الأخيرة فى القضية بعد الثورة :

« بيت العميد محمود عبد المجيد النية على قتل المرشد العام ولكن لم يصل التحقيق إلى تحديد إن كان ذلك متفقا مع ولاة الأمور فى الدولة ، أو أن محمود عبد المجيد كان يعمل لذلك حتى يحظى بتقدير ولاة الأمور لثقته فى أنهم أهدروا دم الشيخ حسن البنا فبات تنفيذ قتله أمنية يتوقون إليها ويرجون تحقيقها » .

وعندما حوكم المتهمون باغتيال البنا قال محاموهم :

ـ لو أن الملك لم تكن له يد فى إرتكاب الحادث ما كان من المعقول اطلاقا أن تلتزم حكومة الوفد الصمت خاصة بعد أن وضح العداء بين صاحب الجلالة وإبراهيم عبد الهادى عندما اشترك فى توقيع عريضة المعارضة التى أغضبت فاروق .

* * *

إذا كان الوفد يخشى أن تمس التحقيقات صاحب الجلالة ملك مصر أو رجاله فإن الوفد كان يستطيع وله أغلبية برلمانية عارمة فى مجلس النواب ، ثم فى مجلس الشيوخ أن يعيد الجماعة ولكن فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وضع ٣ شروط لاعادة الشرعية للجماعة .

١ ـ لا يتم استئناف النشاط الرسمى للجماعة إلا بعد رفع الأحكام العرفية .

٢ ـ يمكن استئناف النشاط بصورة غير رسمية ولكن تحت اسم جديد .

٣ ـ لا يستخدم الاسم القديم إلا بعد رفع الأحكام العرفية وعودة الجماعة نهائيا إلى الشرعية ..

وقد اضطر مصطفى مؤمن تحت إلحاح الرغبة فى إعادة نشاط الجماعة بأى شروط إلى قبول العرض الوفدى .

وقد ذهب مصطفى مؤمن فى ذلك إلى حد اقتراح اسم جديد للجماعة هو (النهضة الإسلامية) ولكن باقى زعماء الجماعة ، وصالح عشماوى بوجه خاص ، رفضوا الاقتراحين بتغيير اسم الجماعة أو تأجيل نشاطها .

وانتهى الأمر بفصل مصطفى مؤمن من الجماعة !

* * *

كتب السير رونالد كامبل السفير البريطانى إلى لندن يوم أول من إبريل ١٩٥٠ :

« ما يخبئه المستقبل للإخوان المسلمين مفتوح للتخمين.

وقد ظلت سياسة الحكومة حاليا سياسة قمع .

ويبدو ان الإخوان لم يتخلوا بأى شكل عن النضال .

بل يبدو أن أملهم فى الحياة يتبلور الآن فى تصميم على استمرار الجماعة سواء حظرت أم لا »

ويرى السفير الخدعة التى لجأ إليها الوفد لاقناع الإخوان بأن بريطانيا تضغط على الوفد لعدم الغاء قرار الحل . وأن ارنست بيفن وزير خارجية بريطانيا هو الذى نصح بذلك عند زيارته لمصر

قال السفير :

« انتشرت شائعة فى دوائر الإخوان المسلمين باحتمال احياء الإخوان المسلمين .

ولكن بمجرد وصولك تغير الموقف . ومن هذا نستنتج بوضوح أن الحكومة استمعت إلى نصيحتك المزعومة بعدم تشجيع احياء حركة الإخوان .

ومن المحتمل أن يؤدى ذلك إلى تشجيع اعتقاد بين الإخوان بأن انتعاش حركتهم أمر مستبعد نتيجة للضغط البريطانى لأن الوفد ـ إلى حد ما ـ خدع الإخوان فى الحملة الانتخابية للحصول على أصواتهم . لذلك فإنهم يرحبون بأى عذر لحجب المكافأة التى ينتظرها الإخوان نتيجة لتأييدهم » .

* * *

ظلت وزارة الوفد فى اشارتها للإخوان تصفهم بهاتين الكلمتين :
« الجماعة المنحلة » .

وقدمت الحكومة إلى البرلمان القانون رقم ٥٠ لعام ١٩٥٠ يعلن رفع الأحكام العرفية وكل القرارات المرتبطة به ، باستثناء ما تعلق منها بالإخوان المسلمين .

* * *

ومرة أخرى يصف ميتشيل ما جرى قال :

« فى أول مايو ١٩٥٠ تم رفع الأحكام العرفية واجتمع مكتب الارشاد بقادة الإخوان وصرح بأن جماعة الإخوان المسلمين تنعم الآن بالوجود الشرعى .

وارتفعت رأية الجماعة فى جميع انحاء البلاد .

ولكن بادرت قوات الأمن الحكومية إلى العمل على الفور فمزقت الرايات وأنزلتها هى وكل (الشعارات) الاخرى المرتبطة بالجماعة ، واحتلت المركز العام ، وأصر الإخوان على موقفهم .

وأصبح الخلاف علنيا بين الحكومة والجماعة بسبب ما أعلنه ورير الداخلية عن عزمه شراء (مبنى) المركز العام للجماعة لتحويله إلى نقطة شرطة » .

ويحاول فؤاد سراج الدين التخفيف من حدة الأزمة بين الوفد والجماعة فيعلق فى حديثه لصحيفة « الأهرام » يوم ٢٦ من أكتوبر عام ١٩٥٠ :

ـ سيباشر الاخوان نشاطهم .

* * *

انتهى العام الأول لوزارة الوفد فأعلن فؤاد سراج الدين أن الحكومة تفكر فى استبدال قرار حل الإخوان بقانون جديد للجمعيات !

وأعد مشروع القانون وهو يسرى على الجمعيات التى تسعى لتحقيق أغراض

اجتماعية أو دينية أو علمية أو أدبية إذا كان عدد أعضائها يزيد على ٢٠ باستثناء جمعيات النشاط المدرسي .

ولا يجوز للجمعيات أن تكون لها تشكيلات عسكرية أو شبه عسكرية .

وألزمت الجمعيات بتسجيل معلومات تفصيلية عن كل عضو وإيداع صورة فوتوغرافية ، لدى السلطات المختصة .

تبين الإخوان المسلمون أن المشروع موجه ضدهم بالذات ويمنع حركتهم ويفرض عليهم رقابة بوليسية رغم أن فؤاد سراج الدين قال إن المشروع لا يعنى جمعية بذاتها وإنما ينطبق على الجمعيات المختلفة .

وقدم مشروع القانون يوم ١٦ من إبريل ١٩٥١ إلى البرلمان .

وخلال مناقشة القانون أمر صالح عشماوى الأعضاء بالخروج فى مظاهرة ضخمة أمام مبنى البرلمان .

ونوقش المشروع فى مجلس النواب يوم ١٨ من إبريل ١٩٥١

ويتوجه السفير البريطانى الجديد السير رالف ستيفنسون إلى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية يسأله عن الجماعة ثم بعث السفير إلى لندن فى ٢٣ من إبريل ١٩٥١ يقول :

« فى حديث مع وزير الداخلية أمس أثرت مسألة الاخوان المسلمين .

قال سراج الدين باشا إنه لايشعر بالقلق على الإطلاق ازاء مستقبل نشاط هذه الجماعة ولم ينكر أنها كانت خطرة فى الماضى . ولكنه يرى أن ذلك يرجع إلى تشجيع القصر لها كسلاح ضد الوفد وإلى شخصية الشيخ البنا

ولايوجد الآن زعماء يتمتعون بسمات القيادة والمبادرة .

وعلاوة على ذلك فإن التشريع المقترح سوف يمنع الاخوان من أن يجعلوا من أنفسهم شيئا مزعجا .

وهو يتفق معى فى احتمال حدوث تغلغل فى الاخوان من جانب الشيوعيين

الذين تتجه ارتباطاتهم التقليدية إلى التسلل داخل المنظمات القومية المتطرفة .
واستغلال هذه المنظمات كوسيلة لإثارة المتاعب بوجه عام » .

ويعلق مسئول فى وزارة الخارجية البريطانية فى نفس اليوم ـ ٢٣ من إبريل ـ على حديث سراج الدين فيقول فى مذكرة سرية :

« تصريح سراج الدين بأنه لايوجد بين قيادات الاخوان من هو فى قدرة حسن البنا أمر صحيح تماما .

إن مشروع قانون الجمعيات الجديد سوف يمضى طويلا فى التصدى لتوسع الاخوان المسلمين . ولكنه يخشى أن تنتقم العناصر المتطرفة فى المنطقة بعمليات إرهابية .

ومن ملامح القانون الجديد ـ الذى سيكون له تأثير شديد ـ شرط عدم السماح لأى شخص تحت ٢١ سنة أن يصبح عضوا عاملا فى الاخوان .

ويقصد من ذلك بطبيعة الحال التصدى لقوى الاخوان فى الجامعات .

وعلى أى حال فإنه يتفق معنا فى أننا لم نشهد أسوأ من الاخوان الذين يعدون بالنسبة لمصر أكبر عائق للأمن العام أكثر من الشيوعية » !

تم التصديق على القانون. وأعلنت الجماعة على رءوس الأشهاد أنها لن تسجل نفسها طبقا للقانون أو تنفيذا له . وأكدت الجماعة تصميمها على المطالبة باستعادة مقارها ـ التى يحتلها البوليس ـ وعياداتها الطبية وأموالها المصادرة .

ويبعث السفير البريطانى إلى لندن البرقية رقم ٧٩ بتاريخ ٢٧ من يونيو ١٩٥١ .. وفيها يقول :

« التزم الاخوان المسلمون الهدوء فى الفترة الأخيرة . ولا يبدو أن هناك تغييرا فى موقفهم إزاء قانون الجمعيات . وبالتالى لايبدو أنهم اقتربوا بأى شكل من استعادة مقارهم وأموالهم » .

* * *

لم يعد الاخوان إلا بعد صدور حكم من مجلس الدولة ..

كانت هناك دعوى معلقة أمام المجلس منذ نوفمبر ٤٨ قدمها حسن البنا وعبد الحكيم عابدين السكرتير العام بالتظلم من قرار اغلاق فرعين للجماعة فى بورسعيد والإسماعيلية !

استؤنف نظر الدعوى بعد التماس جديد قدمه عبد الحكيم عابدين برئاسة المستشار سامى مازن فى ١٥ من أغسطس ١٩٥١ .

بحثت المحكمة المبررات القانونية لقرار الحل وماتلاه من اجراءات .

وصدر الحكم بتأييد الجماعة وبطلان أمر بيع المركز العام وإعادة ممتلكات الجماعة وأرصدتها المالية .

وكان من نتيجة الحكم من الجهة القضائية المسئولة أن اعتبر بمثابة تصديق قانونى على الوجود الشرعى للجماعة .

ولم ينفذ الحكم إلا بعد الغاء حكومة الوفد لمعاهدة عام ١٩٣٦ مع بريطانيا وحاجة الوفد للتأييد فصدر القرار فى ١٧ من ديسمبر ١٩٥١ بالافراج عن ممتلكات الاخوان المصادرة بما فى ذلك الصحف والمنشآت جميعها .

وهذا كله يقطع بدور الملك فى حل الجماعة واغتيال البنا فإن الوفد عجز ، أو رفض ، الوقوف مع الاخوان إلا بعد الغاء معاهدة عام ١٩٣٦ وبعد أن أخذ الوفد موقف التحدى لكل من الملك والانجليز .

وكان الوفد يعرف ، مثل الجميع أن القاتل الثالث .. أو المحرض القاتل .. أو القاتل الحقيقى .. صاحب الجلالة نفسه وإن كانت يده لم تطلق رصاصة ولكنه الذى أصدر حكم الاعدام .. على المرشد العام !

القصـــاص

قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقبض على المقدم محمد الجزار يوم ٢٥ من يوليو ، قبل اعتزال فاروق العرش وخروجه من مصر .

نشرت صحيفة « الأخبار » أن أحد كبار المعتقلين أدلى باعترافات هامة فى قضية حسن البنا فلما سأل السائق محمد محفوظ ، العميد محمود عبد المجيد عن صحة الأمر قال الرجل فى يأس :

ـ اللى يحكم بيه ربنا . اللى مكتوب له شىء حايشوفه !

وأضاف :

ـ ماتعملش شوشرة . أسكت !

وفى ٢٩ من يوليو ١٩٥٢ بعد خروج الملك بثلاثة أيام أرسلت قيادة الجيش إشارة باستدعاء العميد محمود عبد المجيد مدير جرجا إلى القاهرة فقبض عليه داخل مكتبه فى ديوان المديرية ـ المحافظة ـ بقرار من البكباشى زكريا محيى الدين مدير المخابرات وقتئذ . وقال إن ذلك بأمر قائد الثورة .

وألقى القبض على المخبرين الأربعة المتهمين باغتيال البنا .

وكانت هذه العجلة فى أشد أيام الثورة خطورة دليلا على أنها قضية الجيش وهدف من أهداف الثورة !

قال لى زكريا محيى الدين رئيس وزراء مصر الأسبق إنه لم يصدر قرار

القبض على محمد الجزار فقد سافر يوم ٢٤ من يوليو إلى الإسكندرية وبقى بها حتى طرد الملك السابق على الباخرة المحروسة فعاد إلى القاهرة يوم ٢٧ من يوليو.

وكان مقررا أن تصر الثورة على طرد فاروق يوم ٢٥ من يوليو ولكنه ـ أى زكريا محيى الدين ـ طلب تأجيل التنفيذ ٢٤ ساعة فإن القوات المسلحة التى وصلت من القاهرة لحصار قصر رأس التين كانت مرهقة.

وقال إن الثورة كانت قد أعدت قائمة بأسماء كبار ضباط الجيش والسياسيين ورجال الشرطة الذين سيقبض عليهم لتأمين الثورة.

وكان بين ضباط الجيش الثائرين من يتعاطف مع الاخوان، كما كان الاخوان متعاطفين مع الثورة ولابد أن أحدا قد اقترح الاهتمام بقضية اغتيال حسن البنا والقبض على الجزار فصدر الأمر بذلك فقد كانت تضاف أسماء باستمرار.

وقال زكريا محيى الدين إنه بعد عودته للقاهرة لم يصدر قرارا باعتقال محمود عبد المجيد.

وقال زكريا محيى الدين إنه يعتقد أن القرارين صدرا من جمال عبد الناصر فإنه الذى كان يملك القرار فى ذلك الوقت ويصدره من كوبرى القبة حيث توجد القيادة.

* * *

قال أنور السادات:

«كان أول اجراء اتخذته الثورة لإزالة آثار الماضى البغيض ومحاسبة المسئولين عنه بالحق والعدل، إعادة التحقيق فى قضية حسن البنا».

جرى التحقيق مع المتهمين فى السجن الحربى وتولاه نائبا الأحكام الضابطان السيد جاد إبراهيم وإبراهيم سامى جاد الحق فردد محمد محفوظ سائق سيارة محمود عبد المجيد يوم ٣٠ من يوليو ١٩٥٢ أقواله الأولى.

ولكن قيادة الجيش تلقت بلاغات متعاقبة بأسماء القتلة .

وفى ٦ من أغسطس انهار محمد محفوظ ـ وكان فى الثانية والأربعين ـ واعترف بتفاصيل الجريمة .

وأكد اعترافه بعد ذلك مرة أخرى أمام نائب الأحكام .

ثم كرر الاعتراف أمام النيابة .

وعاد يردد الاعتراف ست مرات أخرى أمام المستشار حسن داود الذى حقق القضية فى دار القضاء العالى وفى مواجهة المتهمين الآخرين . وقال محمد محفوظ إنه مظلوم ينفذ أوامر رئيسه . وكان يظن أنه ـ بذلك ـ يفلت من العقاب ، وأنه يسمع كشاهد لاكمتهم .

ونفى محمد الجزار أنه ضغط على الليثى لتغيير رقم السيارة . قال :

ـ لايوجد عداء شخصى بينى وبين أية هيئة . الحكومة هى التى توجه رجال الشرطة بما فيهم القسم السياسى .

وقال إنه علم بتدبير الجريمة بالاشتراك بين السراى مع عبد الرحمن عمار وأن عمار أحضر محمود عبد المجيد من جرجا . وهو بدوره أحضر المخبرين .

وروى كل التفاصيل عن وجود ضباط الشرطة قرب المكان لاستلام المتهمين فى حالة ضبطهم . ولكنه قال إن كل معلوماته عرفها بعد وقوع الحادث ولم يتقدم بها لأن أحدا لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك .. عام ١٩٤٩ !

واعترف بأن عبد الرحمن عمار كلف المقدم توفيق السعيد ـ من القسم السياسى أيضا ـ بمنع الليثى من تأدية الشهادة وأن توفيق السعيد اقترح عليه القيام بهذه المأمورية لأن هذه المسألة تهم السراى الملكية فاعتذر .

واعترف بأنه قابل الليثى .

وزعم أنه نصحه بذكر الحقيقة كاملة !

أحسَّ الجزار بأن اعترافه يدينه فاختطف موسى حلاقة وحاول قطع شرايين رقبته قاصدا الانتحار فى السجن الحربى .

وطلب الادلاء بأقوال أخرى بعد ثمانية أيام فعدل عن اعترافه السابق . قال :

ـ كنت فى حالة غير طبيعية .. أهذى ولا أعرف بماذا أجبت . وما قلته يصلح مادة للتحقيق والبحث ! ! ووقعت على الأوراق دون قراءتها . وكل ما قلته مجموعة إشاعات مما كان يتردد فى دوائر الشرطة وليست لدىّ معلومات يقينية إطلاقا .

وقال :

ـ وضعونى وحدى ، دون غيرى من المتهمين ، فى زنزانة منفردة !

وأكد أن الليثى كان يعمل مرشدا لديه .

ولكن لم يقم دليل واحد على ذلك التأكيد . وقال الليثى إنه عرف الجزار بمناسبة القبض عليه فى قضية اغتيال أحمد ماهر واتهامه بالقاء القنابل على « أخبار اليوم » .

وطلب الجزار أن يلتقى باللواء محمد نجيب قائد الثورة .

* * *

ظل محمود عبد المجيد ينكر صلته بالجريمة ولكن وجدت ورقة بخط يده فى وزارة الداخلية تبين أنه كتبها لمحمد وصفى عندما كان يدبر لقتل ضابط جيش اسمه عبد القادر طه . وهو من خصوم الملك .

فى هذه الورقة كتب محمود عبد المجيد اسماء « القتلة » الذين عمل على نقلهم إلى وزارة الداخلية وهم البكباشى حسين كامل واليوزباشى عبده أرومانيوس والامباشى أحمد حسين والجاويش محمد سعيد والامباشى حسين محمد سعيد .

وكان يريد أن يستعين بهم محمد وصفى لقتل الضابط عبد القادر طه .

وتعرف عبد الكريم منصور ـ فى عرض قانونى ـ على الامباشى أحمد حسين ووكيل الباشجاويش محمد سعيد إسماعيل وقال إنهما أطلقا الرصاص على المرشد العام .

رأت إدارة الجيش أن التهمة ثابتة قبل المتهمين فأرغمتهم على ارتداء ملابس السجن الزرقاء قبل الحكم عليهم !

وأحالت قيادة الجيش القضية يوم ١٧ من أغسطس ـ أى بعد أقل من شهر على قيام الثورة ـ إلى النيابة العمومية لتتولى التحقيق فيها .

وبعد شهر ، فى ٢٩ من أغسطس ١٩٥٢ جرى البحث عن مصطفى من الأوصاف التى أدلى بها السائق محمد محفوظ وتبين أنه مصطفى أبو غريب الذى كان يعمل قبل ذلك بالمباحث وأنه يتجر بالمخدرات ، ويتخذ من عمله بالمباحث ستارا يحميه من القانون فقام ضابط من المباحث العامة بالقاهرة بالسفر إلى سوهاج واستطاع القبض عليه فى طما .

وكان قد مضى على الجريمة ثلاث سنوات ونصف سنة .

* * *

نشرت صحيفة « الجمهور المصرى » صور جميع المتهمين يوم ٢٠ من سبتمبر فارتفع توزيعها إلى ٧٥ ألف نسخة !

وطلب النائب العام إلى وزير العدل ندب أحد مستشارى محكمة استئناف القاهرة للتحقيق .

ويسمع محمد وصفى قائد حرس الوزارات ـ الذى أصبح برتبة عميد ـ بأنباء التحقيقات فيسرع إلى دار السفارة البريطانية يطلب اللجوء السياسى .

وقال للمسئولين بالسفارة :

ـ إعطونى إحدى السيارات الدبلوماسية إلى معسكرات القوات البريطانية فى فايد ومنها أستقل إحدى طائرات السلاح الجوى الملكى البريطانى إلى قبرص أو عدن .

قال الماجور سانسوم ضابط أمن السفارة للسفير :

ـ انقذوا حياة هذا الرجل الذى ساعدنا كثيرا .

وفى مذكراته قال سانسوم إن السفارة أبرقت إلى وزارة الخارجية التى رفضت وقالت :

ـ لانريد أن نبدأ تعاملنا مع النظام الجديد بخطوة خاطئة . ولا يوجد مايدعونا للمخاطرة بانقاذ رجل شرطة .

وهكذا تركت السفارة البريطانية محمد وصفى لمصيره . فتوجه إلى مكتبه يجمع أوراقه الخاصة فى « جوال » لم يعثر عليه أبدا وقيل إنه نقله إلى أحد منازله الثلاثة فى القاهرة والإسكندرية

وانتحر وصفى فى منزله بالقاهرة بتناول كمية من الحبوب المنومة مؤثرا الموت على مواجهة الموقف بعد أن علم أن ضابط الجيش عبد العزيز صادق كلف بالتفتيش عليه .

وتنشر صحيفة « المصرى » تحت عنوان فى صدر الصفحة الأولى ـ يوم ٢٠ من سبتمبر ـ نبأ الانتحار .

قالت « المصرى » إن محمد وصفى « علم قبل موته بساعات قليلة أن التحقيقات الدائرة فى قضية مصرع حسن البنا تناولته ولعلاقته ـ أيضا ـ باغتيال الضابط عبد القادر طه » .

* * *

ندبت محكمة القاهرة المستشار حسن داود فأعاد التحقيق كله فى أول أكتوبر ١٩٥٢ فى السجن الحربى بقشلاقات الجيش فى العباسية بمدينة القاهرة وكان هذا هو التحقيق السادس فى القضية .

التحقيق الأول بدأه عبد العزيز حلمى رئيس النيابة يعاونه وكيلان هما محمد زكى عصمت ومحمود حسن عمر وكيلا النيابة عقب الجريمة مباشرة . فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى .

والتحقيق الثانى تولاه النائب العام محمد عزمى فى وزارة حسين سرى كما جرى تحقيق آخر أثناء حكم النحاس .

وبعد الثورة جرى التحقيق الرابع بواسطة الجيش عن طريق نائبى الأحكام .

وتولت النيابة التحقيق الخامس وانتهت منه فى الثامنة من مساء يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٩٥٢ .. أى فى نفس الساعة ـ تقريبا ـ التى قتل فيها المرشد العام ، ولكن بعد ثلاث سنوات وعشرة شهور وخمسة أيام و٢٣ ساعة وخمسين دقيقة من اغتيال الشيخ !

أحال فؤاد سرى رئيس النيابة إلى محكمة الجنايات تسعة من المتهمين باغتيال الشيخ البنا منهم ثمانية من رجال الشرطة وواحد من الفلاحين .

بين رجال الشرطة عميد هو محمود عبد المجيد مدير المباحث الجنائية ومقدمان هما محمد محمد الجزار وحسين كامل واليوزباشى عبده أرمانيوس والباشجاويش محمد محفوظ ووكيل الباشجاويش محمد سعيد إسماعيل واثنان من الأومباشية : أحمد حسين جاد وحسين محمدين رضوان .

والفلاح مصطفى محمد أبو الليل يوسف غريب ، من طما بمحافظة سوهاج .

وجهت النيابة إلى الامباشى أحمد حسين جاد والفلاح مصطفى أبو الليل تهمة قتل الشيخ البنا عمدا مع سبق الإصرار والترصد والشروع فى قتل عبد الكريم محمد أحمد منصور المحامى مع سبق الإصرار والترصد أيضا .

ووجهت إلى باقى المتهمين من ضباط الشرطة والجنود ـ عدا الجزار ـ تهمة التحريض والاتفاق والمساعدة فى الأعمال المجهزة والمسهلة والمتممة لارتكاب

الجريمة فذهبوا يشدون أزر المتهمين ويردون عنهما من يتصدى لهما أو يحاول ضبطهما أو يحول بينهما وبين إتمام الجريمة وييسر لهما السائق سبيل الفرار.

ونسب إلى المقدم الجزار تهمة معاونة الجناة على الفرار وإخفاء أدلة الجريمة وتقديم معلومات يعلم بعدم صحتها.

استاء الاخوان لأن قرار الاتهام لم يشمل إبراهيم عبد الهادى ضمن الجناة كما استبعد القرار أيضا عبد الرحمن عمار.

* * *

عرضت القضية على غرفة الاتهام فى ٢٨ من يناير ١٩٥٣ برئاسة مرسى فرحات رئيس محكمة استئناف مصر وعضوية المستشارين محمد على جمال الدين وعبد الرحمن جنينه وممثل النيابة أحمد فؤاد سرى رئيس النيابة العسكرية.

ندبت الغرفة، فى ١١ من فبراير، عضو اليمين المستشار محمد على جمال الدين لاستكمال التحقيق فقام بذلك ثم عرضت القضية مرة أخرى فى ١١ من مارس.

فطن محمد محفوظ إلى أن اعترافاته العديدة لاتعفيه من العقاب بل تدينه فعدل عنها جميعا وقال إنه عذب ليعترف.

وطلب محفوظ رد المستشار المحقق محمد على جمال الدين فاعتذر عن الاشتراك فى الهيئة التى تفصل فى طلب الرد.

ندب بدلا منه المستشار محمد كامل البهنساوى.

قال المتهم إن المستشار محمد على جمال الدين انطوت نفسه على موالاة شديدة وعطف جامح على أفراد أسرة البنا المدعين بالحق المدنى يقابلها عداء ظاهر للمتهمين الأمر الذى يرجح معه عدم استطاعته الحكم بغير ميل.

وبنى طلب الرد أيضا على أن المستشار صهر لسعيد رمضان وكيل وزارة العدل السابق وهو على صلة وثيقة بالاخوان.

نفى محمد على جمال الدين أن لصهره علاقة بالاخوان . قال هناك تشابه فقط بين اسمه واسم سعيد رمضان عضو الجماعة .

نظرت طلب الرد هيئة برئاسة المستشار إبراهيم حلمى فقررت رفض الطلب وتغريم المتهم خمسين جنيها .

حاول المتهمون المرافعة أمام غرفة الاتهام ولكنها رفضت ذلك فى ٣١ من مارس .

قالت إنها هيئة تحقيق وليست هيئة محاكمة وتعقد جلساتها فى غير علانية وليس للخصوم المرافعة أمامها .

واصلت الغرفة نظر القضية وقررت تقديمها إلى محكمة الجنايات مع الافراج عن جميع المتهمين عدا أربعة وهم :

العميد محمود عبد المجيد .

الامباشى أحمد حسين جاد

الفلاح مصطفى أبو الليل

سائق السيارة محمد محفوظ .

ورفضت الغرفة طلب ادخال إبراهيم عبد الهادى ، وعبد الرحمن عمار كمتهمين . وأحالت القضية إلى محكمة الجنايات برئاسة المستشار كامل أحمد ثابت .

وكان مقررا أن تنظر القضية أمام محكمة الثورة العسكرية للتعجيل بمحاكمة المتهمين ولكن الخلافات بدأت بين الاخوان ومجلس الثورة فرأى المجلس أن من الأفضل نظر القضية أمام القضاء العادى لتؤجل ويعطى الدفاع الفرصة للهجوم على الجماعة طبقا لأصول وقواعد واجراءات المحاكمات أمام محاكم الجنايات !

ورأى مجلس الثورة أن محاكمة القتلة أمام محكمة الثورة يؤكد الرابطة بين

مجلس الثورة والاخوان فى حين أراد المجلس أن يمهد للانفصال والقطيعة النهائية مع الجماعة !

* * *

بدأت محاكمة المتهمين التسعة فى ١٠ من نوفمبر عام ١٩٥٣ واستمر نظر القضية فى ١١ جلسة .

كرر السائق محمد محفوظ ماقاله أمام غرفة الاتهام من أن ضابط الشرطة طه زغلول لأركان حرب الأمن العام ورجل البوليس السياسى كان يأخذه إلى غرفة فى السجن الحربى ، يضربه ويعذبه ، ليعترف وهدده بالاعتداء على زوجته وبناته .

نفى ممثل النيابة ذلك قائلا :

ـ ولماذا لم يعذب باقى المتهمين ليعترفوا أيضا . إنهم جميعا فى السجن الحربى وفى دار القضاء العالى وهنا أمام المحكمة أنكروا تهمة القتل أو الاشتراك أو التحريض .

استمعت المحكمة إلى ١١ من شهود الاثبات أيدوا اعترافات السائق ودور الجميع فى الجريمة .

وفى جليسة ١٨ من نوفمبر ١٩٥٣ طلب عبد القادرة عودة رد رئيس محكمة الجنايات لأن المحكمة تجامل المتهمين .

قال عبد القادرة عودة :

ـ لم أر محكمة بهذا الشكل . ورئيس المحكمة فى جرج لايستطيع أن يحكم فى هذه القضية بغير ميل . وقد بدت منه أمامنا بعض المظاهر ولو شاء الرئيس أن يتنحى ... وإذا لم يتنح فستتخذ الاجراءات لرد المحكمة .

وانسحب عبد الباسط البنا ـ شقيق الشيخ البنا ـ من قاعة الجلسة احتجاجا وأبرق إلى مجلس قيادة الثورة يقول :

« انسحبنا من قضية شقيقنا حسن البنا ، محتجين رسميا على مادار فيها من مهازل .

إن قضية الشهيد سياسية وشعبية من الدرجة الأولى ، سببها العهد البائد ، من ملكه المخلوع إلى بوليسه السياسى .

وان تجريدها من هذه الصفة ، وقبرها أمدا طويلا واخفاء معالمها بتضليل البوليس السياسى ، وماكان للجناة من سيطرة ، وإرهاب يجعل نظرها أمام محاكم الجنايات عقيما فضلا عن هذه الدائرة بالذات التى دل ماضيها ومسلكها بوضوح على عدم تمشيها مع العهد الجديد .

احفظوا هذا الدم العزيز عليكم ، وعلى الشعب ، وعلى العالم الإسلامى ، بنظرها أمام محكمة الثورة،، ومنحها حقها التاريخى فى سجل الثورة المجيدة » .

ونشرت صحيفة « الدعوة » التى تصدرها الجماعة مقالا عنوانه « دين فى عنق الرجال » جاء فيه :

« يجب أن يصدر الشعب حكمه على القتلة وإلا فسينهض جيل بأسره يطالب بهذا الدم وتحقيق الأنتصار .

والأمر اليوم بين يدى المسئولين إن شاءوا ظفروا بهذا الفخر » .

وتضمن المقال اهانة لرجال القضاء الذين ينظرون القضية !

طلب محامو الاخوان رد المحكمة . نظر طلب الرد أمام مرسى فرحات رئيس محكمة الاستئناف فرده المحامون أيضا لأنه كان رئيسا لغرفة الاتهام .

طعن المدعون بالحق المدنى فى هذا الحكم ـ أى حكم رفض طلب الرد ـ أمام محكمة النقض التى قضت بعدم الاختصاص

* * *

لاحق سوء الحظ ، الذى لازم المرشد العام فى سنوات حياته الأخيرة ، الشيخ البنا ميتا فحال دون توقيع القصاص المناسب على قتلته .

اختلف جمال عبد الناصر مع الاخوان فقرر مجلس الثورة فى ١٢ من يناير ١٩٥٤ أن الاخوان حزب سياسى مما يجعل جماعتهم منحلة تلقائيا .

وأذيع قرار الحل فى ساعة متأخرة من مساء ١٤ من يناير .

واتهم البيان الإخوان بالإصرار على معاداة ثورة ٢٣ يوليو ، ومحاولة التسلل إلى صفوف الجيش والشرطة .

واعتقل المئات من أعضاء الجماعة بما فيهم المرشد العام الجديد الشيخ حسن الهضيبى وخمسة من أعضاء مكتب الارشاد .

وفى ظل هذا المناخ العدائى للاخوان المسلمين استأنفت محكمة الجنايات نظر القضية !

* * *

اعتذر عبد القادر عودة عن كلماته أمام المحكمة فى جلسة حضرها عمر عمر نقيب المحامين الذى أكد تقدير كل المحامين للمحكمة ولقضاء مصر .

وتقبل كامل أحمد ثابت الاعتذار ولكنه وجد حرجا فى نظر الدعوى فتنحى فى ٢٢ من مارس ١٩٥٤ . وبذلك ضاع شهر وستة عشر يوما فى طلب الرد ونظره .

أحيلت القضية إلى دائرة عبد الغنى يحيى ولكنها كانت مختصة بالقضايا المدنية فلم تنظر القضية .-

وأخيرا نظرت القضية دائرة الجنايات برئاسة المستشار محمود عبد الرازق وعضوية المستشارين محمد شفيع الصيرفى ومحمد متولى عتلم .

وكانت أول قضية تنظرها ثلاث دوائر .

* * *

عقدت المحكمة . خلال شهرين . ٢٤ جلسة عدلت النيابة خلالها وصف

التهمة بالنسبة للجزار واتهمته بأنه شريك فى جريمة القتل وليس مجرد مساعد للمتهمين على الهرب .

وطالب المدعون بالحق المدنى بإدخال الملك السابق فى الدعوى بوصفه محرضا وفاعلا أصليا .

كانت ادلة الاثبات اعترافات محمد محفوظ التى عدل عنها .

ولم يكن بالقضية شاهد رؤية واحد .. أى شاهد واحد رأى المتهمين ، أثناء ارتكاب الجريمة .

وكان هناك الليثى ـ العمود الفقرى فى القضية ـ ولكنه لم ير شيئا وعرف رقم السيارة من شاهد اختفى أو تلاشى ولذلك تركز هجوم الدفاع على الليثى !

قالوا إنه مرشد الشرطة ، اختلق القضية خوفا من أن يقتله الاخوان فهو الذى حمل الدعوة إلى الشيخ البنا وكان ، مع الناغى ، يعرفان ـ وحدهما ـ موعد حضور المرشد العام إلى مقر جمعية الشبان المسلمين .

وجاءت السيدة منيرة عامر مطلقة صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين مرتين لتدلى بشهادتها .

وكانت تعرف الصلة بين مطلقها ومحمد الليثى فأيدت أنه كان مرشدا للبوليس السياسى .

وقالت :

ـ الليثى لايوثق به .

حدث فى أحد أيام المحاكمة أن اقتربت زوجة محمد محفوظ من القفص الذى يوجد فيه وهمست فى اذنه بكلمات فانتفض الرجل يصيح قائلا :

ـ ده حرام .. ده إرهاب .. بيهددونى بخطف أولادى . ابعدوا عنى . كفاية اللى عملتوه فىّ .. أنا بابلغ القيادة ـ أى مجلس الثورة ـ عن التهديد ده .

وكانت هذه الكلمات أشبه باعتراف جديد يدين محفوظ وكل المتهمين فى القفص !

وجرت محاولة لتضليل العدالة .. بعث على حسنين الذى حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة فى قضية اغتيال الضابط عبد القادر طه إلى المحكمة بقول إنه يريد الادلاء بشهادة حاسمة فاستدعته المحكمة .

جاء بملابس السجن ، ولم تطلب إليه المحكمة أداء اليمين لأنها ـ طبقا للقانون ـ لاتثق بيمينه .

قال إن كل المتهمين فى القفص أبرياء وأن القتلة من أعضاء الحرس الحديدى الذى أسسه الملك السابق لقتل خصومه ، وذكر بعض الأسماء .

ووضح من أقواله أنه أراد الخروج من السجن ساعات أو أن بعض المتهمين دفعوا له مالا .. لمحاولة إنقاذهم .

* * *

بلغ عدد محاضر الجلسات ١١٠٠ صفحة وأوراق القضية أكثر من ٥٠٠٠ صفحة .

وبلغ شهود الاثبات ٢٣ واستدعت المحكمة عشرة آخرين .

مثل النيابة على نور الدين ـ الذى أصبح نائبا عاما فيما بعد ـ فقال إن الدولة كرست جهودها للقضاء على رجل أعزل من السلاح . ودبرت الجريمة بواسطة الحكومة ونفذت بواسطة رجال الأمن .

فعادت الحكومة بمصر إلى عصور البربرية وعاد السيف لمناقشة أى فكرة لاتروق للحاكم .

وقال إنها جريمة اغتيال بشعة ، كان لها أسوأ الوقع فى نفوس المواطنين ، سواء من يؤيد دعوة الشيخ ، أو لايؤيدها .

ترافع فى الدعوى ٢١ محاميا منهم ستة من المدعين بالحق المدنى ومستشار

عن إدارة قضايا الحكومة قال : إنها ليست مسئولة عن الجريمة !

طلبت أرملة الشيخ حسن البنا تعويضا قدره ثلاثون ألفا من الجنيهات ، أماوالده فاكتفى بتعويض مؤقت قدره قرش صاغ واحد .

قالوا إن الشيخ البنا استشهد وعمره ٤٢ سنة وهو رجل لامورد له على الاطلاق إلا جهده وعرق جبينه . وكان يصدر مجلة « الشهاب » وهى مصدر رزقه الوحيد . وعمل مدرسا ثم استقال . وركزكل جهوده فى سبيل الفكرة .

وحاولت الجماعة أن تعطيه مرتبا أو تبنى له بيتا فرفض ، وأنفق من جيبه فى سبيل الفكرة التى اعتنقها .

ولم يترك بعد موته ـ شيئا على الاطلاق !

وقال محامو الأسرة ان البنا كان رجلا زاهدا ولكن أولاده يجب أن يعيشوا فى مستوى حسن وهم فى حاجة إلى مورد ومعين .

وطلب الأستاذ عبد الكريم منصور تعويضا قدره ثلاثون ألف جنيه .

* * *

قضت المحكمة ٢٦ يوما فى المداولة وكتابة الحيثيات ثم أصدرت حكمها فى ٣ من أغسطس ١٩٥٤ ذلك بعد خمس سنوات وخمسة أشهر و٢١ يوما و١٤ ساعة و١٥ دقيقة من وقت وقوع الجريمة .

قضت المحكمة :

أولا : بمعاقبة أحمد حسين جاد بالاشغال الشاقة المؤبدة وكل من الباشجاويش محمد محفوظ محمد والاميرالاى محمود عبد المجيد بالاشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة والزامهم بطريق التضامن والتكافل مع الحكومة المسئولة عن الحقوق المدنية .

(أ) بأن يدفعوا عشرة آلاف جنيه على سبيل التعويض للسيدة لطيفة حسين زوجة المرحوم الشيخ حسن البنا وأولاده القصر منها وهم : وفاء وأحمد سيف

الإسلام وسناء ورجاء وهالة واستشهاد المشمولين بولاية جدهم الشيخ عبد الرحمن البنا .

(ب) وبأن يدفعوا للشيخ عبد الرحمن البنا والسيدة أم السعد إبراهيم صقر والدى القتيل « قرش صاغ واحد » على سبيل التعويض المؤقت .

(جـ) وبأن يدفعوا للأستاذ عبد الكريم محمد أحمد منصور مبلغ الفى جنيه على سبيل التعويض .

ثانيا : بمعاقبة البكباشى محمد محمد الجزار بالحبس مع الشغل لمدة سنة ورفض الدعاوى المدنية قبله .

ثالثا : ببراءة كل من مصطفى محمد أبو الليل واليوزباشى عبده أرمانيوس والبكباشى حسين كامل والجاويش محمد سعيد إسماعيل والأومباشى حسين محمدين رضوان مع رفض الدعاوى المدنية الموجهة إليهم .

* * *

كان الحكم مفاجأة للعميد محمود عبد المجيد الذى أسند رأسه على يديه وعلت وجهه صفرة شديدة وظل فى مكانه بالقفص إلى أن قاده الحراس إلى السجن .

أما أحمد حسين جاد فظل يبتسم ابتسامة عريضة بعد سماع الحكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة وكأنه لايدرى مايدور حوله .

وانفجر مصطفى أبو الليل ــ الذى حكم ببراءته ــ باكيا وأخرج منديله من جيبه ليجفف به دموعه .

.. وكان يقول إنه يبكى على العميد محمود عبد المجيد الذى عمل معه فترة طويلة !

* * *

بعد صدور الحكم أمر جمال عبد الناصر بالإفراج الصحى عن محمود عبد

المجيد فى ٢٩ من يونيه ١٩٥٥ أى بعد عام تقريبا من صدور الحكم .

وطعن محمد الجزار فى الحكم بطريق النقض . ولكن محكمة النقض قبلت الحكم شكلا ورفضته موضوعا .

وقررت الحكومة رد اعتباره بعد أن صدر حكم لصالحه من محكمة جنايات القاهرة فى ٢٥ من نوفمبر عام ١٩٥٧ ، وقد اشتغل بعد ذلك بالمحاماة ثم بشركة الشرق للتأمين .

والتقى المخبران أحمد حسين جاد ومحمد محفوظ فى السجن بأعضاء جماعة الاخوان الذين اعتقلهم جمال عبد الناصر أو صدرت ضدهم أحكام من المحاكم التى شكلتها الثورة .

وأفرج صحيا عن سائق محمود عد المجيد الرقيب محفوظ عام ١٩٦٠ .

وأفرج صحيا عن الرقيب أحمد حسين جاد فى ٤ من سبتمبر عام ١٩٦٧ دون أن يمضى مدة العقوبة كلها .

وافتتح عبده أرمانيوس محلا لتجارة الموبيليا بعد أن أمضى عاما فى الحبس الاحتياطى ، قبل نظر القضية ... واختفى نص الحكم وحيثياته حتى التى كتبها رئيس المحكمة بخط يده ! .

* * *

وظل الاخوان طوال السنين يتساءلون :

ـ أين القصاص ؟.

* * *

كانت قرينة الشيخ البنا حاملا عند وفاته فوضعت بنتا أراد والده أن يسميها « دماء » ولكن مكتب السجل المدنى رفض هذا الاسم فاختار لها اسما آخر : « استشهاد » .

تخرجت استشهاد محامية .

ووفاء وسناء درستا التعليم النسوى ولم تعملا .

ورجاء مهندسة كهرباء .

وهالة طبيبة وقد أختيرت عضوا فى هيئة التدريس بكلية البنات بجامعة الأزهر.

وهذا يدل على أن المرشد العام كان يؤمن بتعليم المرأة وأوصى بذلك .

أما أحمد سيف الإسلام فكان محاميا وقد اشترى بقيمة التعويض بيتا ، وحاكمه جمال عبد الناصر واعتقله .

وتزوجت كبرى بنات الشيخ ـ وفاء ـ من سعيد رمضان أحد قادة الاخوان السابقين وعاشت معه فى سويسرا .

وكان فاروق بعد اعتزاله العرش وخروجه من مصر فى ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ يعيش منفيا فى إيطاليا ، بلا أتباع . لا أحد يحفل به أو ينافقه أو يتملقه .

لا أحد يخطب وده إلا لماله .

اختفى الذين يطلبون الأوسمة والألقاب والمناصب ، ومن يحاول الاتصال به من المصريين ، يلقى العنت ، كل العنت ، فى مصر من نظام الحكم الثورى الجديد .

كان فاروق أشبه بحسن البنا عند اغتياله .

كان الاثنان فى ايامها الأخيرة وحيدين ، تغير المناخ حولها فأصبحا فى شبه عزلة . منعت الحكومة الاتصال بحسن البنا أما فاروق فانفض من حوله المنافقون والرعايا .

وجاءت ليلة فاروق الأخيرة .

كان يتناول عشاءه فى ملهى بمدينة روما عندما سقط فى غيبوبة ونقل إلى المستشفى فى سيارة أسعاف حيث توفى فى الثانية و٨ دقائق من صباح ١٨ من مارس عام ١٩٦٥ بعد ٣٥ يوما من احتفاله بعيد ميلاده الخامس والأربعين .

وإذا حسبنا فروق التوقيت بين القاهرة وروما نجده قد مات تقريبا فى نفس ساعة اغتيال حسن البنا .

ونقل فاروق الى المشرحة فى روما ـ كما حدث للبنا ـ لمعرفة سبب الوفاة وتحنيط الجثة .

وشيعت الجنازة من المشرحة إلى قاعة الموتى فى مقبرة « فيرانو » الخاصة بالروم الكاثوليك .

سارت وراء النعش الملكة فريدة مطلقة فاروق وبناته الثلاث : فريال وفوزية وفادية ومغنية الأوبرا الإيطالية إيرما صديقة فاروق خلال السنوات العشر الأخيرة التى عاشها فى المنفى بعد رحيله عن مصر !

وشيع الجثمان أيضا ابن فاروق ـ الملك السابق أحمد فؤاد ـ وكان فى الثالثة عشرة من عمره.. وهى سن تقارب عمر أحمد سيف الإسلام ... ابن الشيخ البنا الذى كان فى الرابعة عشرة عند اغتيال أبيه !

وبقى جثمان فاروق ١٢ يوما فى روما فى القسم الخاص بغير المسيحيين فى المقبرة ينتظر موافقة رئيس جمهورية مصر جمال عبد الناصر على السماح بدفن الملك السابق فى مصر تنفيذا لوصيته .

وافق جمال عبد الناصر ولكن بشروط قاسية : ألا يشيع كملك وألا يكون لجنازته موكب ، وألا يدفن بجوار أبيه فى مسجد الإمام الرفاعى بل يدفن فى مقابر الإمام الشافعى .

نقل جثمان الملك فى طائرة كوميت .. تابعة لشركة مصر للطيران وتأجل سفر الطائرة عمدا فى مطار أثينا لتصل إلى مطار القاهرة بعد منتصف ليلة ٣١ من مارس فاستقبلته شقيقات فاروق وهن يرتدين السواد . وتأخر وصول الجثمان إلى المقابر نتيجة اجراءات الأمن . فلم تشيع الجنازة إلا فى التاسعة صباحا وسط حراسة البوليس وتحذير الناس من الاقتراب .

كانت جنازة فاروق فى نفس موعد جنازة حسن البنا ومشابهة لها .. تماما !

دفن صاحب الجلالة - كما أصر رئيس جمهورية مصر -.. فى صمت .. وبلا احتفال ولم يدخل المقبرة ساعة الدفن من رجال الدولة إلا جندى شرطة برتبة جاويش !

وشيعت الجنازة .. النساء وحدهن !

وتولى الرئيس أنور السادات رئاسة جمهورية مصر فتقدمت الأميرة فوزية شقيقة فاروق تطلب التصريح بإعادة دفن أخيها فاروق فى مسجد الإمام الرفاعى بجوار أبيه .

وافق أنور السادات . ولكنه أيضا وضع الشروط نفسها .. ينقل الجثمان فى سيارة الموتى السوداء وأن يعاد الدفن سرا ، بلا موكب ، وتحت الحراسة الشديدة ، وفى الصباح بين الصلوات حتى لايتجمع المصلون .

وصل ماتبقى من هيكل الجثمان ، فى كفنه ، إلى مسجد الإمام الرفاعى ، فى التاسعة صباحا ، من باب الأضرحة .

قام عمال المسجد بالصلاة عليه .

وتولى عملية الدفن الشيخ محمد حسن الذى يطلق على نفسه «حانوتى الملوك والأمراء» !

ولم يحضر عملية الدفن سوى الأميرة فوزية شقيقة فاروق . ولم يوضع شاهد على القبر إلا بعد دفن فاروق بأسبوع حتى لايعرف الناس شيئا عند الدفن .

لقد دفن صاحب الجلالة مرتين ، وكانت الثانية بعد عشر سنوات من الأولى بنفس الأسلوب وفى نفس الساعة التى دفن فيها الإمام الشهيد .. حسن البنا .

فهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع ١٩٨٧/٢٨٦١
الترقيم الدولى ١ - ٠٨٧ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس 93091 SHROK UN
بيروت : ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : دار شروق - تلكس SHOROK20175LE